فصل من تاريخ وطن وسيرة رجال

عبدالرحمن بن أحمد السديري

أمير منطقة الجوف

تأليف: مجموعة من الباحثين



مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية
الجوف، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

عبد الرحمن بن أحمد السديري



صورة الغلاف: (من أرشيف أرامكو)

لقطة نادرة لشخصية الكتاب مع المشاركين بأحد سباقات الهجن في الجوف ١٣٩٤/١٢/٢٩هـ (١٩٧٥/١/١٢م)، والصورة أعلاه لقطة أخرى للمناسبة.

تصميم الغلاف: vahid associates brand futurists
Bahrain

أمير منطقة الجوف

عبدالرحمن بن أحمد السديري

(١٣٣٨هـ - ١٤٢٧هـ / ١٩١٩م - ٢٠٠٦م)

شارك في تأليفه

إبراهيم بن خليف السطام، أحمد بن عبدالله آل الشيخ، د. خالد بن عمر الرديعان،
د. خليل بن إبراهيم المعيقل، د. زياد بن عبدالرحمن السديري، د. سعد بن عبدالرحمن البازعي،
د. سعد بن عبدالله الصويّان، د. عارف بن مفضّي المسعر، عبدالرحمن بن إسماعيل الدرعان،
د. عبدالفتاح بن حسن أبو علية، د. عبدالواحد بن خالد الحميد، فايز بن موسى الحربي،
فيصل بن عبدالرحمن السديري، لطيفة بنت عبدالرحمن السديري،
د. ميجان بن حسين الرويلي، هداية درويش سلمان،
يوسف بن محمد العتيق

تحرير

د. عبد الرحمن بن صالح الشبيلي

مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، ١٤٢٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
مجموعة من الباحثين
فصل من تاريخ وطن وسيرة رجال: عبدالرحمن بن أحمد
السديري أمير منطقة الجوف / مجموعة من الباحثين،
عبدالرحمن الشبيلي - الجوف، ١٤٢٨هـ
٥٥٠ ص ، سم
ردمك: ٩٩٦٠-٩٥٩٩-٧-X
١- السديري، عبدالرحمن بن أحمد، ت ١٤٢٧هـ الشبيلي،
عبدالرحمن (محرر) ب. العنوان
ديوي ١٥٣١, ٩٢٣ ١٤٢٨/١٤٠
رقم الإيداع: ١٤٢٨/١٤٠
ردمك: ٩٩٦٠-٩٥٩٩-٧-X

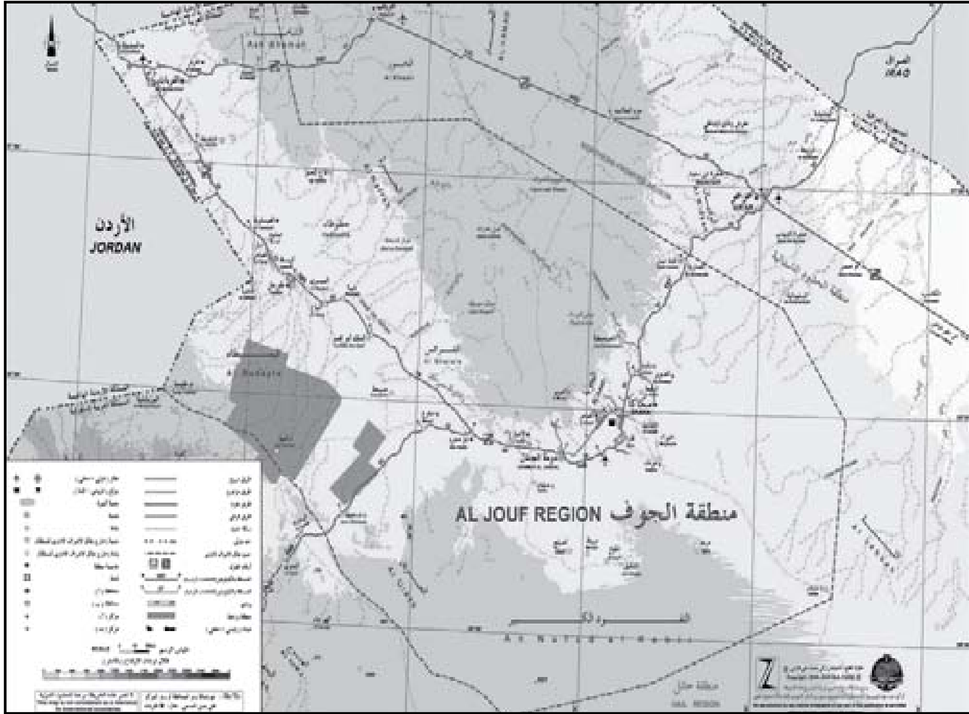
الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م

الناشر : مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية بالجوف:
أسسها عبدالرحمن بن أحمد السديري (أمير منطقة الجوف من ١٣٦٢/٩/٥هـ - ١٤١٠/٧/١هـ الموافق ١٩٤٣/٩/٤م - ١٩٩٠/١/٢٧م) بهدف تشغيل المكتبة العامة (دار الجوف للعلوم) التي أنشأها عام ١٣٨٣هـ، وتتضمن برامج المؤسسة نشر الدراسات والإبداعات الأدبية، ودعم البحوث والرسائل العلمية، وإصدار مجلة دورية، وجائزة عبدالرحمن السديري للتفوق العلمي، وكذا إدارة روضة الرحمانية ومدارس الرحمانية الأهلية للبنين والبنات، وجامع الرحمانية ونُزُل الجوف بسكاكا.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾

سورة آل عمران (الآيتان ٨ و٩)





أسست بالجوف غرس ودار
ولا تشبثت بتجارة
تجارتي صحبة الأخيار
هذا هوى القلب وخياره

من قصيدة غير منشورة

(ص ٤٠٩)

المحتويات

أسرة وسيرة

مراسلاته وشعره

في عيون الآخرين

في خدمة الجوف

الملاحق

توطئة

تقدم مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية هذا العمل إسهاماً منها في حفظ ما تيسر لها جمعه من سيرة مؤسسها، وتمكيناً لرواد مكتبتها من معلومتها، واسترجاعاً لمرحلة جديرة بالاهتمام.

إن في البحث في سير الأعلام بياناً ليس عن أصحاب السير فحسب، وإنما أيضاً عن واقع مجتمعهم، فهو عمل ينطوي على استقراء للقيم التي يرتضيها المجتمع أن تكون مثلاً يقتدى، هذا عدا عما يمثله من ترسيخ لمعاني الصدق والوفاء.

لقد عانى المشاركون في إعداد هذه السيرة من شح المصادر المكتوبة ورحيل أو غياب كثرٍ ممن عاصروا صاحبها وعرفوا دوره غير المعلن في شتى الأمور، لذا، فهذا الكتاب يرقى أن يكون أول البحث، لكنه في كل الأحوال لن يكون آخره.

فالعلاقة التي ربطت بين صاحب هذه السيرة ومنطقة الجوف وأهلها، ورسمت توجهه نحوهما، هي مما تجاوز واجبات العمل وتعدى حدوده المعتادة، فالجوف، دون سواها، هي مقر مؤسسته الخيرية، وموضوع شعره، وفحوى خطاب تقاعده، وغاية وصيته.

الناشر



مع الأمير سلطان بن عبدالعزيز والأمير سلمان بن عبدالعزيز، وفي الصورة: تركي بن خالد السديري.

تقديم

بقلم الأمير سلمان بن عبدالعزيز

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين وإمام المتقين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن تبع هداه إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد اهتم المؤرخون والباحثون قديماً وحديثاً بتاريخ البلدان والتعريف برجالاتها، وكتبوا في ذلك المؤلفات والمصنفات، التي تضم صفحاتها الأحداث التاريخية، والسير الذاتية لأبرز شخصياتها، وأحوالها الاجتماعية والاقتصادية.

ومن تلك الأسر التي أسهمت في تاريخ المملكة العربية السعودية، منذ أيام الدولة السعودية الأولى إلى يومنا هذا، أسرة السديري التي يرتبط تاريخها بتاريخ هذه الأرض المباركة.

وتعد أسرة السديري التي تنتمي للبدارين آل زايد من قبيلة الدواسر العريقة من أشهر الأسر التي أدت دوراً سياسياً مؤثراً في الجزيرة العربية، وقد تضمن تاريخ هذه الأسرة الكريمة الكثير من المواقف البطولية والقيادية المشرفة والمخلصة، وتولى كثير منهم مناصب إدارية مهمة في الدولة، وخدموا بلادهم؛ المملكة العربية

السعودية بأصدق عمل وأوفى بذل، امتداداً للعطاء المتوارث من آبائهم في الدولة السعودية الأولى، والدولة السعودية الثانية، وفي عهد الملك عبدالعزيز، رحمه الله، وأبنائه من بعده.

ولا يزال تاريخ هذه الأسرة العريق بحاجة ماسة إلى التوثيق والدراسة من خلال المصادر المتنوعة، من أجل الحفاظ على المعلومات التاريخية المكتوبة أو الشفهية، أو ما تطرقت إليه بعض الوثائق المتنوعة من أحداث مهمة، ليكون ذلك كله شاهداً على ما قدمه السابقون من عطاء لوطنهم، وحافزاً لأبناء هذه الأسرة الكريمة وغيرهم ليتعرفوا على تراث آبائهم وأجدادهم، ويحافظوا على مكتسباته الطيبة، ويسيروا على منهاجهم، ويترسموا خطاهم، فقد كانوا نعم القدوة الحسنة التي جمعت بين صدق القول وصلاح العمل.

ولهذه الأسرة صلة قربى مع أسرة آل سعود، فهم أخوال الملك عبدالعزيز وعدد من أبنائه وأحفاده، وأخوال الأمير مساعد بن جلوي، ولقد نهلت من والدتي، رحمها الله، حصة بنت أحمد السديري الكثير من الأخلاق والقيم، وتعلمت من تربيتها الكثير من المبادئ والشمائل، وأفتخر بما أنجزته هذه الأسرة وقدمته لتاريخ بلادنا، وما أسهمت به من أثر كبير.

ويأتي هذا الكتاب في ظل الاهتمام بتاريخ هذه الأسرة ورجالاتها، وخاصة أنه يبرز جوانب متعددة من سيرة الأخوال، وإسهاماتهم في تاريخ الدولة السعودية، ويركز على سيرة الخال عبدالرحمن ابن أحمد السديري الذي عرفته مثل بقية الأخوال مثالاً للرجال

المخلصين لعملهم ووطنهم وللبلاد التي يتولى مسؤوليتها، بحيث أصبح جزءاً منها وأصبحت جزءاً منه كالجوف على سبيل المثال، كما عرفته وإخوانه وأبناءه من حيث حرصهم على خدمة هذا الوطن، والاهتمام بالمواطنين، والرقي بمستوى البلاد ثقافياً وإدارياً واقتصادياً.

ولعل هذا الكتاب يكون بادرة لمزيد من الدراسات العلمية الموثقة عن تاريخ هذه الأسرة الكريمة وإنجازاتها الوطنية.

والله الموفق،،،

سلمان بن عبدالعزيز

الرياض ١٤٢٨/٦/١٥هـ

٢٠٠٧/٦/٣٠م

برقيتان في موضوعين وتاريخين مختلفين من توجيهات الملك عبدالعزيز موجهتان إلى عبدالرحمن السديري.

تمهيد

عبدالرحمن الشبيلي*

قد يتعذر على مراقب مثل محرر هذا التمهيد، أن يكتب بموضوعية عن إنسان لم يجالسه، أو يعش قريباً منه، لكن التعمق في معرفة سيرته، وقراءة تاريخ أسرته، ومتابعة نشاط مؤسسته الخيرية بالجوف، وزمالة ابنه الأوسط (د. زياد) في مجلس الشورى، أتاحت لي التعرّف على شخصيته، وسماع شيء من شعره، وزيارة معشوقتيه (الجوف والغاط)، والتنزّه في مزرعته، والتجوّل في المناطق المحيطة بالغاط، من سهل الحمادة ونفود الثويرات وعروقه، إلى المستوي غرباً.

لكن الكتاب الذي يتحدث عن حياة عبدالرحمن السديري، لا بد أن يبدأ بنبذة عن تاريخ أسرته الكبيرة (المعروفة في محافظة الغاط بإقليم سدير التابع لمنطقة الرياض)، والتي تذكر بعض كتب التاريخ أن صلتها بالأسرة المالكة السعودية ربما كانت قد بدأت منذ أواخر الدولة السعودية الأولى، وأنها نزحت منذ قرون من جنوبي نجد، واشتهر منها جدّ معظم أفرادها الحاليين وجد الملك عبدالعزيز لوالدته، أحمد السديري (الأول) أمير الأحساء في عهد مؤسس الدولة السعودية الثانية، الإمام تركي بن عبدالله آل سعود، الذي أوكل إليه إمارة البريمي (وساحل عمان) في حدود عام ١٢٦٩هـ (١٨٥٣م).

---

* من مواليد عنيزة (شوال ١٣٦٣هـ - أيلول ١٩٤٤م)، دكتوراه في الإعلام من جامعة ولاية أوهايو (١٣٩١هـ - ١٩٧١م)، عاصر بداية إذاعة الرياض، صار مديراً عاماً للتلفزيون، فوكيلاً لوزارة التعليم العالي وأستاذاً للإعلام في جامعة الملك سعود، وعضواً في المجلس الأعلى للإعلام، وأخيراً عضواً في مجلس الشورى، له اثنا عشر مؤلفاً في الإعلام والسير، يلم بالإنجليزية والفرنسية، وله ابن وابنتان.

نشر هذا التمهيد في جريدة الشرق الأوسط غداة وفاته (١٤٢٧/٢/٢٧هـ ٢٦-/٣/٢٠٠٦م) بعنوان: عبدالرحمن ابن أحمد السديري الذي أحب السياسة والشعر والاخضرار، ثم طُوِّر ليصبح تمهيداً لهذا الكتاب.

كما اشتهر من هذه العائلة ممن سيتحدث الفصل الأول عنهم، حفيده أحمد السديري (الثاني)، وهو والد شخصية هذا الكتاب، الذي أسند إليه الملك عبدالعزيز مسؤوليات عدة في الوشم والقصيم والأفلاج والغاط، وتوفي عام ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م، وخلّف من الأبناء ثمانية وهم: تركي وعبدالعزيز وخالد ومحمد وعبدالرحمن ومساعد وسليمان وبندر، ومن البنات خمس عشرة، وهنَّ: الجوهرة وحصة وسلطانة وشيخة ومنيرة ولطيفة وموضي وعمشاء ولولوة وطرفة وسارة والبندري وشعيّع ونورة وهيا.

ولد عبدالرحمن السديري في بلدة الغاط في حدود عام ١٣٣٨هـ - ١٩١٩م، وتلقّى تعليمه في الكتاتيب، على يد عدد من مشايخ بلدته، والوافدين إليها من أقاليم مجاورة، ثم سعى لتطوير نفسه بنفسه في زمن لم يكن يوجد في نجد أي لون من ألوان التعليم الحديث (حتى منتصف الخمسينيات الهجرية - الثلاثينيات الميلادية)، لكنه، وقد نشأ - شأنه في ذلك شأن كل إخوانه السبعة - في بيت منهمك مع المؤسس الراحل (الملك عبدالعزيز) في جهوده المظفّرة لتوطيد أركان الدولة الفتية وتأمين أسباب الأمن في أرجائها، وجد في بيئة أسرته - المعروفة بالفروسية والأدب والانفتاح الفكري - تعويضاً عن السير في مناهج الدراسة النظامية.

كان المؤسس، طيب الله ثراه، قد وجد، بشكل خاص، في إخوانه وأبناء عمومته (آل سعود)، ومن أخواله وأصهاره (آل السديري)، وفي رجالات عصره - من وسط البلاد وشرقها وغربها، وجنوبها وشمالها، ومن رجال كانوا محسوبين سابقين على مناوئيه الأشراف وآل الرشيد وغيرهم، ومن مستشارين سياسيين ومثقفين عرباً وأجانب اصطفاهم أو استضافهم من أصحاب الخبرة والمعرفة والدراية - خير مناصرين له على تنفيذ مشاريعه لتحقيق الأمن والاستقرار وتعزيز الوحدة والانصهار بين ربوع مملكته، وعلى حماية أطراف دولته، وعلى تحقيق مقاصده في البناء والتنمية، في تناغم عجيب لم يكن المرء يتوقعه من رجل صحراء، لم يتلق علوماً في الحكم أو الإدارة أو السياسة.

وفي الخامس من شهر رمضان المبارك ١٣٦٢هـ - ١٩٤٣/٩/٥م (أي خلال عهد الملك عبدالعزيز) وكان عمره آنذاك قد بلغ الرابعة والعشرين، عُيّن عبدالرحمن السديري أميراً لمنطقة الجوف (الواقعة شمال غربي المملكة)، واستمر في هذا

المنصب مدة ثمانية وأربعين عاماً، حتى طلب اعتزال الوظيفة في ١٤١٠/٧/١هـ- ١٩٩٠/١/٢٧م، وقد أقام له أهالي الجوف مساء يوم الخميس ١٤١٠/١٠/٢٩هـ (٢٤/ ١٩٩٠/٥م) حفلاً تكريمياً حضره الأمير أحمد بن عبدالعزيز، نائب وزير الداخلية، وكان خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز قد وجه إليه يوم صدور الأمر الملكي بالموافقة على رغبته في التقاعد خطاب شكر وتقدير على جهوده، وأصدر في اليوم نفسه أمراً ملكياً (برقم ١/١٧٣ وتاريخ ١٤١٠/٧/١هـ) بتعيين ابنه سلطان خلفاً له في الإمارة.

لكن القدر لم يمهله طويلاً، بعد ترك العمل، ليستمتع براحة بعيدة عن التزامات الوظيفة، وليسعد بأوقات يقضيها قرب أولاده وأحفاده، فعاجله المرض ليفرض عليه إقامة إلزاميّة دامت سنوات حتى توفي في مطلع عام ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦م)، مخلّفاً من الأبناء خمسة وثماني من البنات، ولد معظمهم في منطقة الجوف.

كان من المتواتر أنه وقد أمضى، كما سلف، قرابة نصف قرن أميراً على منطقة الجوف، قد نشأت بينه وبين أهالي المنطقة حميمية خاصة، بلغ بها الأمر أنه لا يكاد يغيب عنها، حتى يبثّ لهفته نحوها شعراً للعودة إليها، ثم يبادله الأهالي تحاياه بأحسن منها، وقد شهد الجميع له بالبساطة والاستقامة الشخصية ولين الجانب والتعامل بكل تواضع مع الصغير قبل الكبير، ومع العامة مثل الخاصة، وعلى فتح أبوابه ومجالسه للعموم، وتخصيص الأوقات الكافية للالتقاء بالناس، والاستجابة لدعواتهم وحضور مناسباتهم، حتى لقد صوّر د. أحمد اللهيب[(١)] حالة المنطقة مع أميرها، بأنها حالة فريدة من الألفة والتآخي، وتبادل المساجلات المليئة بالود والمشاعر من الطرفين «**في وضعٍ استطاع من خلاله أن ينتقل من قصر الإمارة ولغة السطوة إلى عطف الأبوَّة وشفقتها، وأن المجتمعات في أزمة من هذا النوع**»، وهو ما يتضح من فصل «الجوفيات» الذي دوّن تلك المساجلات الإخوانية في ديوانه الشعري.

ارتبط تاريخه بتاريخ منطقة الجوف، التي عاصر تطورها وشهد بداية

---

(١) جاء ذلك في مقدمة ديوان القصائد لعبدالرحمن السديري ط(١) ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م) الناشر: مؤسسة عبدالرحمن السديري بالجوف.

ازدهارها، وقضى معها زهرة سنوات عمره، وأمضت معه مطلع عقود تنميتها، حتى لقد شهد العديد من المسؤولين الذين عاصروا فترته، بأنه كان - بنفسه - يتولى متابعة شؤون تنمية المنطقة ويعقّب على معاملاتها بالمراجعة الشخصية، وهو ما جعل المشاركين في إعداد هذه الدراسة يعدّون تاريخه كله جزءاً من تاريخها، وأصبح على هذا الكتاب أن يقترن عنوانه بالعلاقة مع الجوف وإمارتها، وأن يُخصص باب كامل عن الجوف هو العمود الفقري لهذا المؤلَّف، ومن المعروف - كما سيرد إيضاحه - أن منطقة الجوف هي تجمّع حضري وزراعي وبوادي، تتكوّن حالياً من مدن سكاكا والقريّات (قرى الملح قديماً) وطبرجل ودومة الجندل، كما تضم وادي السرحان المشهور بخصوبته، وهي منطقة تحاذي الأردن من جنوبه وشرقه.

وقد شارك في بداية عمله بنشاط سياسي وأمني استمر نحو سبع سنوات، يتعلق بمفاوضات الحدود الشمالية للمملكة مع جيرانها، كما شارك في اجتماعات أمراء المناطق، وفي الدراسات والمناقشات التي أدت إلى ولادة نظام المناطق.

وكان من أوائل مَنْ سعى إلى تجسيد رغبته في تنمية منطقته ثقافياً بشكل مؤسَّسي باقٍ للأجيال، فأنشأ عام ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م مؤسسة خيرية وقفية تحمل اسمه، وظلت - دون كلل - تعمل على نشر الوعي المعرفي والثقافة العامة وخدمة التراث الشعبي النابع من المنطقة، ولعل من أبرز إنجازات هذه المؤسسة جامعاً ومدارس ونزلاً فندقياً بُنيت جميعها على أحدث الطرز المعمارية المستمدة من تراث المنطقة، مع مكتبة عامة للرجال وأخرى للنساء هي (دار الجوف للعلوم).

لم تكن هذه المكتبة التي أسس نواتها عام١٣٨٢هـ- ١٩٦٢م، مكتبة تقليدية، بل داراً حقيقية للبحوث المتعلقة بتاريخ المنطقة وتراثها، وتدوين ما يتعلق بدراسات الرحالة والمستشرقين التي تحدثت عنها.

كما يذكر له المواطنون، ولأخيه عبدالعزيز الذي كان تولى من قبله إمارتي الجوف والقريّات جهودهما لإقرار مكافآت مادية تقدم للطلاب الملتحقين بمدارس

التعليم العام في بداياته، مع تمييز خاص للوافدين منهم من مناطق نائية.

كان، رحمه الله، جعل مزرعته الخاصة في الجوف مدرسة تطبيقية نموذجية تخدم التجارب الزراعية المناسبة لبيئة المنطقة، وقد أردف ذلك بإقامة مسابقة محكّمة للمزارعين منذ عام ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م، تُقدم فيها الجوائز للأفضل في كل جوانب الإنتاج الزراعي وتنظيم البساتين والابتكارات الخاصة بالمهنة، وسيظهر متن هذا الكتاب كيف أنه كان خبير زراعة، وبخاصة فيما يتصل بالنخلة وخصائصها.

لم يتوقف تفكيره عن الاهتمام بأمور الزراعة بل شمل قضايا تنموية اجتماعية أوسع، مثل مشروع توطين البادية في وادي السرحان (شمالي البلاد) إبان عهد الملك سعود، فهو بهذا يُعد واحداً من أقدم مشروعات التوطين الرائدة، المرتبطة بالزراعة في مناطق المملكة، كما اهتم بإقامة سباقات الهجن التي كان لمنطقة الجوف أسبقيّة التفكير فيها، مع ما يرافقها من أنشطة تراثية، كمعارض السجاد والمنسوجات التي تتم بأيدٍ نسائية محلية، فأصبحت تلك الفعاليات من أهم المهرجانات السنويّة التي يترقبها الأهالي وتجتذب السائحين والزوار.

كما حرص على تدوين تاريخ منطقة الجوف (وفيها دومة الجندل)، التي تعد إحدى أبرز مخازن الآثار في المملكة، وتضم معالم تاريخية إسلامية وثمودية ونبطية وشواهد حضارية تمثل امتداداً لآثار البتراء ومدائن صالح وحضارة بلاد الرافدين وفلسطين، فأشرف على وضع كتاب توثيقي بعنوان: الجوف: وادي النفاخ، صدر عام ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، وتمت ترجمته إلى اللغة الإنجليزية مع تخصيص ريعه للأهداف الخيرية، ويضم الكتاب ما يحتاجه الباحث والقارئ من معلومات جغرافية وتاريخية وتنموية عن المنطقة[١]، أغنت عن تكرارها في هذه السيرة.

لقد تطرقت مراجع عديدة إلى ذكر الجوف وأميرها، ومن بينها كتب بعض الرحالة الأجانب الذين مرّوا بالشمال الغربي من الجزيرة العربية، ممن قامت

(١) صدرت طبعته الثانية المنقّحة عام ١٤٢٦هـ (٢٠٠٥م)، وقد تحدث عنه عدد من الكتّاب المحليين والأجانب، وكان منها عرض للكتاب في جريدة الشرق الأوسط بتاريخ ١٩٨٦/٨/٢م، وعرض آخر في مجلة (Asian Affairs) عدد أكتوبر ١٩٩٦م.

مؤسسته الخيرية برصد كتاباتهم الجغرافية التاريخية وكتابات سابقيهم، أما بالنسبة للمعاصرين فكان منهم حمد الجاسر الذي زار الجوف عدة مرات ربما كان أولها جولته عام ١٣٨٧هـ (١٩٦٧م) التي ألّف في إثرها كتابه: في شمال غرب الجزيرة (طبعة ١، ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م).

لم يشتهر عبدالرحمن السديري كثيراً بين الناس بشاعريته، لكن مَن يتأمل في ديوانه (القصائد) المطبوع عام ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م) والمكوّن من (٣٥٠) صفحة، يجد أنه أمام شعر رقيق الكلمات والمعاني، وإن كان ديوانه لم يأخذ نصيبه الجدير به من التوزيع والدراسة النقدية، وربما كان عزوف الشاعر عن نشر إنتاجه في حينه قد أسهم في عدم شهرته، على أن الديوان قد أعد بمنهجية عالية الجودة وهوامش مستوفية، وقدَّم له ابنه (د. زياد) بمقدمة حلّل فيها قصائده وضمّنها دراسة عن الشعر النبطي، وعن الأغراض الشعرية التي طرقها.

تضمن الديوان نحو مئة قصيدة، صُنِّفت في خمسة فصول، هي: الشوارد، والوجدانيات، والغزل، والرثائيات، والعرضات، مع فصل إضافي خصص للقصائد المتبادلة (الردود)، وقامت مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية بنشره، وخصصت ريعه للأهداف الخيرية، وقد أضيفت القصائد التي كتبها بعد طبع ديوانه ضمن ملاحق هذا الكتاب.

أما عن قصة إصدار سيرته هذه، فقد بدأت عندما كنت رئيساً لمجلس إدارة مؤسسة الجزيرة الصحفية، بين عامي ١٤١٦هـ - ١٤٢٠هـ (١٩٩٦م-٢٠٠٠م)، وكان هو أحد مؤسسيها، إذ اقترحت على رئاسة تحرير الصحيفة أن تسعى لإعداد تراجم عن كل أعضاء المؤسسة، مع إعطاء الأولوية للمسنين منهم، لتكون مرجعاً للباحثين في هذا المجال، ومصدراً لعمل توثيقي تعده المؤسسة عن رجالاتها.

وتلاقت هذه الفكرة مع رغبة ملحة كانت تراود ذهن ابنه الزميل د. زياد، فبدأ منذ ذلك الحين، في التفكير في تدوين سيرته، وجمع شتات ما تناثر من معلومات عن حياته، على غرار ما أنجزه تجاه شعره.

إلا أن السنوات مضت، ولم يتسن لأبنائه وبناته أن يتوصلوا إلى الصيغة المناسبة للقيام بهذا العمل، ولا بد أن محاولات واتصالات قد جرت لتحقيق تلك الغاية عبر تلك السنوات.

وفي إحدى اللقاءات التي كانت تجمعنا على صعيد صداقة توثقت خلال عضوية مجلس الشورى وبعدها، دار الحديث مجدداً حول الفكرة، وقد تساءل على استحياء جُبل عليه، عما إذا كان لديّ الوقت لدفع هذا المشروع والإسهام الذهني في تنفيذه، إلا أنني، وانطلاقاً من واقع عدم اتصالي سابقاً مع والده في أثناء صحته، أبديت الاستعداد بأن تكون مشاركتي محصورة في الجانب التحريري، على أن يبقى الجانب التنسيقي في يده، وأن يتولى إعداد المادة متخصصون في كل فصل، يكونون على معرفة بسيرته وعلى اتصال به قبل اعتلال صحته.

والحق يقال، إن الأمور قد تسمّحت، وإن من جرى الاتصال بهم قد شاركوا بأريحيّة، استجابة للمقاصد الوطنية والخيرية والعلمية التي يهدف إليها المشروع، وكان للأدب الجم والأخلاق الفاضلة التي يتحلى بها أبناؤه الحافز الأكبر لإتمام العمل على النحو الذي انتهى إليه.

يتكوّن هذا الكتاب، الذي استغرق إعداده عامين ونيّفاً، من سبعة عشر فصلاً (في أربعة أبواب) شارك في إعدادها سبعة عشر باحثاً في مختلف جوانب سيرة شخصية الكتاب، وقد تم التعريف بهم في هامش مشاركاتهم، منوهاً في هذا الصدد بالدور الإضافي الكبير الذي أسهموا فيه جماعياً لمراجعة مسودة الكتاب قبيل صدوره.

بدأ الكتاب بفصل كتبه د. عبدالفتاح أبو علية، في موجز تاريخي عن أسرة السدارى، نشأتها، وعلاقتها المبكرة بالأسرة المالكة، مع التعريف بأبرز أجدادها الأقربين.

أما الفصلان الثاني والثالث فيتناولان جوانب من سيرته، برواية اثنين من أبنائه، ثم قدم د. سعد البازعي – في الفصل الرابع – قراءة تحليلية لنماذج محدودة فقط من مراسلاته، وكان د. البازعي قد عاش طفولته قريباً منه، مراقباً عن كثب أسلوبه الإداري والأسري والاجتماعي في علاقاته.

ثم عرض د. سعد الصويان – في الفصل الخامس – دراسة نقدية شاملة لشعره، حيث كان قد التقى شخصية الكتاب مراراً، إبان إعداد بحث له عن الشعر النبطي من مصادره الشفوية في المناطق الشمالية من البلاد.

أما الفصول (السادس والسابع والثامن والتاسع) فركزت على روايات الآخرين

عنه وذكرياتهم معه، سواء كانوا شعراء أو كتاباً، محليين أو غير محليين، أصدقاء أو مجرد عارفين، وقد قام على إعداد هذا الفصل، أربعة من المتخصصين، كل في مجاله، وهم الإخوة: الأستاذ فايز الحربي، والدكتور ميجان الرويلي، والأستاذ عبدالرحمن الدرعان، والأستاذ يوسف العتيق، مشيراً في هذا الصدد إلى أننا قد أثبتنا في هوامش الصفحات تراجم لأسماء الشعراء والكتّاب والرواة الذين تمكّنا من الحصول على مواجز سيرهم، معتذرين ممن سواهم عن عدم التعريف بهم.

أما الفصول الثمانية المتبقية، فخصصت لتبيان نماذج من المبادرات التي قدمها عبدالرحمن السديري لخدمة منطقة الجوف، في جوانبها التنموية الشاملة، إبان العقود الخمسة التي بقي فيها أميراً، وتولى تحريرها كل من الإخوة د. خليل المعيقل والأستاذ أحمد بن عبدالله آل الشيخ، ود. عبدالواحد الحميد، ود. عارف المسعر، والأستاذ إبراهيم خليف السطام، والأستاذ فيصل بن عبدالرحمن السديري، ود. خالد الرديعان، والأستاذة لطيفة بنت عبدالرحمن السديري، والأستاذة هداية درويش سلمان، وهنا لا بد من الإشارة إلى أن قدراً كبيراً من الاختصار قد أخذ في الحسبان عند كتابة الفصول الثمانية الأخيرة، بل لقد اختزلتُ فقرات تتناول موضوعات مثل التنمية الاجتماعية، الطرق والاتصالات، وغيرها، وذلك اكتفاء بما تضمنته الكتب الأخرى الصادرة عن الجوف من معلومات عن أوجه التنمية المتعددة التي تحققت خلال تلك الحقبة، مع السماح بنسبة بسيطة من التكرار تطلبته ضرورة الإعداد.

أما بالنسبة للملاحق، فقد تضمنت النص الكامل للحوار الذي أجراه معه الأستاذ محمد الوعيل في جريدة الجزيرة (عام ١٤٠٢هـ-١٩٨١م)، ضمن المقابلات الأسبوعية (ضيف الجزيرة)، وتطرقت إلى جوانب عدة من سيرته، وإلى تاريخ المملكة بشكل عام، وإلى موقع الجوف وسدير في حياته.

وشملت الملاحق قصائد كتبها أو عثر عليها أبناؤه وبناته بعد صدور ديوان (القصائد) عام (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)، وعلى رصد بيبليوجرافي لما تحتفظ به مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية بالجوف مما نشر عنه، وعلى كشاف عام بالمواقع وأسماء الأعلام.

وأجد من اللازم - بمناسبة إصدار هذا الكتاب - أن أشيد بالدور البنّاء الذي يقوم به أبناء الفقيد في مواصلة الاهتمام برعاية مؤسسته الخيرية بالجوف، وفي وقف معلم حضاري (خيري) آخر في مسقط رأسه يحمل اسم والدهم (مركز

الرحمانية الثقافي بالغاط)، وفي تأسيس مكتبة نسائية ومنح دراسية للابتعاث الخارجي والداخلي (بنين وبنات) تحمل اسم والدتهم، وأشعر أن من المناقب الحميدة التي تحسب لوالدهم، رحمه الله، أنه أنجب ذريّة على درجة عالية من التربية والصلاح والأدب والخلق والتعليم.

إن من الواجب توجيه الشكر لكل من أسهم في إعداد الكتاب ومراجعته، خاصاً بالتقدير دارة الملك عبدالعزيز التي أسدت ملحوظات تاريخية وصياغية مهمة لموضوعه، وكذلك وكالة الأنباء السعودية ومؤسسة الجزيرة الصحفية لتزويد الكتاب ببعض صوره، كما أشكر الأستاذ منصور بن عبدالله أبا الخيل الذي أبدى اهتماماً شخصياً بقراءة مشروع الكتاب وتدوين ملحوظاته عليه، والأستاذ محمد صوّانه الذي قام بصف الكتاب وتعديل تصويباته، وإعداد كشافاته، وأنوّه بالعون الذي قدمته مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية بالجوف – وبالأخص الأساتذة علي الراشد وسالم الظاهر ونبيل المنجي ويوسف رمضان عبداللطيف – لمساعدة كل الباحثين على أداء ما التزموا به وتسهيل مهامهم، داعين لصاحبها بالرحمة والثواب، ولها بالتقدّم والتطوّر.

إن هذا الكتاب – الذي سعدت مع نخبة كريمة من المعدّين بالمشاركة في تحريره، تلبية لدعوة صديق عزيز – لا يقصد تلميع صورة الشخصية، أو الرد على شانئيه – إن وجدوا – مما قد يتعرض له أي مسؤول في موقعه، كما لا يهدف إلى مقارنته بغيره أو غيره به بقدر ما يهدف إلى توثيق مرحلة، وتدوين حقبة، وخدمة تاريخ منطقة، بحيث يبقى الحكم على مضمونه، فيما بعد، لقارئه الكريم.

وبعد: لقد حظي مشروع هذا الكتاب منذ بداياته، باهتمام خاص من سمو الأمير سلمان بن عبدالعزيز، وقرأه بانتباه عبّر عما يكنه لشخصيات أخواله من تقدير واحترام، وعما يوليه من عناية بتاريخ الوطن ورجالاته، وتجلى بالعديد من الملحوظات والتعليقات، ثم أهدانا حديثاً توّج ناصية الكتاب.

عبدالرحمن الشبيلي

الرياض ١٤٢٨/٦/١٦هـ

٢٠٠٧/٧/١م





في مكتبه .. ومجلسه

اقتباسات

«... مثل هذا الرجل لا تملك إلا أن تعجب به وتقدره فتحبه، عرفته وديعاً متواضعاً يتحدث إليك بما يشبه الهمس، وهو الحاكم الإداري ذو القدر الكبير، وخال الملوك والأمراء، قلت له لو كان بين الرياض والجوف من الطرق والرحلات المنتظمة ما يؤمن تواصلاً يومياً، لأمكن النظر في ما أنتم ساعون به من أمر التلفزيون، إلا أن واقع الحال يجعل مسعاكم أمراً سابقاً بعض الشيء لأوانه، تفهّم الأمر، تفهُّم المسؤول الإداري الكبير الذي يدرك حدود الممكن في ما يطلب وفي ما يقال.

وعندما توليت وزارة الصحة، عرفت وجهاً آخر من وجوه الخير في شخصية الإنسان والمسؤول الذي يحمل هموم مواطنيه كما قد لا يحملها غيره، قمت في معرض جولاتنا التفقدية للمنشآت الصحية في المملكة، بزيارة لمنطقة الجوف ... لم أخبره بموعد قدومنا حتى لا أثقل عليه في المجيء إلى المطار، فعاتبني عتاباً رقيقاً، قلت له إن مقامك كبير ولا أريد أن أثقل عليك.

صادف أن تدفق يوم زيارتنا له في مقر الإمارة في سكاكا، بالماء الطيب الغزير البئر الذي شرع في حفره منذ مدة، وكان بادي السعادة والسرور، واعتبر بأدبه الجم ولقائه الحفي، أن اقتران وصولنا بتدفق الماء من البئر بشير خير وبركة..

رافقنا في زيارتنا لمدينتي سكاكا ودومة الجندل وكان طوال إقامتنا يحدثنا عن طموحاته في ما يسعد أهالي هذه المنطقة من إنجازات تطويرية لاسيما في مجال الزراعة التي يرى فيها ثروة من ثروات منطقة الجوف، ويتطلع إلى اليوم الذي تبنى فيه شبكة طرق تصل الجوف بمناطق المملكة الأخرى، كان ذلك عام ١٣٩٢هـ (١٩٧٢م)، عام الأحلام الصغيرة والكبيرة معاً.

لم يكتف بعرض حال المستشفى المتواضع الصغير في مدينة سكاكا علينا في حديث عابر بل رافقنا في زيارتنا للمستشفى وتفقد معنا أحواله وفي يده ورقة صغيرة يسجل فيها ما نتفق عليه من أمور، وحدثنا حديث العارف بما يلزم المنطقة من الخدمات الصحية... بدأنا بعد عودتنا في الإعداد لتأمين المنطقة من مستلزمات صحية، فلم يكد يمضي شهر علينا إلا وهو يفاجئني بزيارة في الوزارة، جاء يحمل الورقة التي سجل فيها مشاهداته عند زيارتنا لمستشفى سكاكا وسعدت بهذه الزيارة التي تأتي من حاكم إداري كبير المقام لا يرى حرجاً بأن يراجع بنفسه، وليس من خلال مساعديه، شؤون منطقته ومواطنيه...

١٤٢٨/٣/١٥هـ
٢٠٠٧/٤/٣م

جميل الحجيلان
(وزير الإعلام ثم الصحة الأسبق)

... «هكذا جرت معرفتي به، كان يعمل بدأب وجدّ قلّما رأيت مثله بين حكام المناطق، لتعريف - أو على الأصح تعليم - موظفي المركز (وزارة المالية) على اختلاف درجاتهم بما يجب أن يعرفوه عن أوضاع مجتمعات المدن والقرى الصغيرة (في المناطق النائية) ومتطلباتها وأولويات احتياجاتها .. وهو في ذلك لم يكن يفيدهم فيما يتعلق بمنطقة الجوف التي كان أميرها فحسب، بل كان يعينهم على إدراك أهمية متطلبات المناطق الأخرى ...

وبإمكاني القول، إنه بأسلوبه هذا وبمقدرته على الشرح والمناقشة الهادفة قد أسهم بشكل رئيسي في جعل برامج الحكومة أكثر فاعلية وشمولاً، وأحدث تأثيراً غير قليل في نهج العمل الوطني التنموي».

١٤٢٧/١١/٤هـ	محمد أبا الخيل
٢٠٠٦/١١/٢٥م	(وزير المالية والاقتصاد الوطني الأسبق)

... «لقد لفت نظري بدقته المتناهية تجاه النصوص ومدلولاتها وقدرته على إيضاح قناعاته المبنية على تجاربه الغنية في الشأن العام، فلقد كان مدرسة تجمع بين الرؤيا الحديثة واستحقاقات الواقع، ومثل هذا الموقف يحتاجه الأكاديميون والمنظّرون، لأن ما يطرحه مستمد من معطيات الحال.

ولعل أكثر ما يلحظ في هذا الاتجاه هو ملاحظاته الشخصية حول مشروع نظام هيئة التحقيق والادعاء العام، الذي شاركت معه في دراسة مشروعه، فلقد أسهمت أفكاره في تصحيح كثير من الاتجاهات المرتبطة بعلاقة الهيئة بإمارات المناطق، بما لا يضعف من دورها في إدارة الحكم في مناطقها والتزامها بمسؤولياتها التاريخية والاجتماعية، بوصفها ممثلة السلطة العليا للبلاد».

١٤٢٧/١١/٠١هـ	د. إبراهيم العواجي
٢٠٠٦/١١/٢١م	(وكيل وزارة الداخلية الأسبق)

«كان يتمتع بصفات مميزة، جعلته محبباً إلى الناس، كان ذكياً حليماً واسع الصدر والأفق، بعيد النظر، يعالج الأمور برويّة وهدوء، لا يُغضب من حوله مهما كان حجم المشكلات التي تواجهه... كانت الكلمة الطيبة سلاحه، وبه استطاع أن يدخل إلى القلوب.. أما القضايا الجنائية فكان يحيلها إلى المحاكم، وبهذه الأخلاق والصفات ساس الأمور..

لقد عرفته عن كثب منذ كنت سفيراً لبلادي في الأردن، وكان إذ ذاك أميراً في الجوف..».

١٤٢٧/٠١/١٣هـ	أحمد الكحيمي
٢٠٠٦/١٢/٠٤م	(سفير سابق في كل من الأردن والعراق وسوريا ولبنان)

أسرة وسيرة





إلى أعلى: الأشقاء محمد (من اليسار) وخالد وعبدالرحمن أبناء أحمد السديري.

في الأسفل: (جلوساً) الأخوان خالد (وسط) وعبدالرحمن (يسار) وفهد بن خالد (يمين)، أما الجالس على الطرف فهو فيصل بن عبدالرحمن السديري، (الوقوف من اليمين) عبدالعزيز بن خالد وزيد بن محمد وتركي بن خالد وسلطان بن تركي وتركي بن سعد التركي السديري، (وعلى السجادة) زياد بن تركي بن خالد السديري.

الفصل الأول

تاريخ أسرة

د. عبدالفتاح حسن أبو علية *

من المعروف بداهة، أن الدراسات التي تتناول الأُسر المحلية تحتاج إلى بحث موسع، متنوع الموضوعات، متشعب الفروع، وهو أمر لا ينطبق على هذه الدراسة لأنها في المقام الأول تشكل توطئة موجزة ومركزة للموضوع الرئيس: "عبد الرحمن ابن أحمد بن محمد السديري".

إن معلومات هذه الدراسة تستند على القائمة المصدرية المحلية المعاصرة للحدث التاريخي، خاصة في مجال تناول الأحداث ذات الصفة المحلية، وتعليل هذا الأمر وتفسيره يستند على قاعدة الالتصاق بالحدث المحلي ومعاصرته ومعايشة ظروفه المحيطة به، فالمصدرية المحلية في هذا الجانب بالذات تكون أقرب إلى الواقعية والأداء من غيرها، على الرغم مما يعتريها من نقص وعاطفة في بعض الجوانب، وتكون أكثر فائدة وقيمة علمية طالما أُخذت من مصدرية ملاصقة للحدث، وبُنيت على أسس موثوقة، لأن الأساسات الموثوقة توصل إلى موثوقات مؤكدة.

أمر مهم جداً وهو أن مسألة النسب تلقى اهتماماً خاصاً لدى سكان الجزيرة العربية، وقد تفوّق هذا الاهتمام في المماثلة والقياس على غيره في البلاد العربية الأخرى التي يغلب على مجتمعاتها طابع التحضر أكثر من طابع البداوة، علماً بأن الحضر والبدو في مجتمعات الجزيرة العربية وغيرها من البلاد العربية ينحدران من قبائل عربية متشابكة، وأن حياة كل منهما متأثرة إلى حد ما بحياة

---

* أردني، أستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، دكتوراه من جامعة القاهرة (١٩٧٣م)، متخصص في تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر، ومهتم بالوثائق والدراسات الفلسطينية، له عدة مؤلفات ومشاركات علمية وبحثية.

الآخر.

إن البداوة تعدّ طوراً طبيعياً في الحضارة، وهي الأصل[١]، وتأسيساً عليه، فإن القبيلة تشكل الوحدة الاجتماعية الواسعة والأساس في المجتمعات البدوية، بينما تشكل العائلة الوحدة الصغرى والأساس في المجتمعات الحضرية، ومما يميز مجتمع البادية عن مجتمع الحاضرة أن الأول يعتمد كثيراً على التكافل والتضامن والترابط بين أفراده وجماعاته، بينما يتميز مجتمع الحاضرة في تعدد المجالات الاقتصادية فيه، وبشكل عام، يغلب على سكان الجزيرة العربية الانتماء القبلي على الرغم من شيوع الحاضرة في ربوعها، ومن الاختلاط على طول الزمن، والمصاهرات والتحالفات والولاءات والحروب والصراعات[٢].

السدارى نسباً وأصلاً:

لابد - في البداية - من التطرق إلى نسب هذه الأسرة[٣] وأصلها، فهي من قبيلة الدواسر الجنوبية، والدواسر بطن من الأزد من عرب الجنوب، ويعرف عن الدواسر أنهم بطون وأفخاذ متفرقة في السكن والمناطق، أي لم يجمعهم موضع واحد في السكن والإقامة، وإنما سكنوا مناطق متعددة، وبقوا فيها، فمنهم من سكن نجداً والبحرين وعُمان في الجزيرة العربية، ومنهم من سكن بلاد الرافدين.

وموطن الدواسر الأصلي والثابت هو وادي الدواسر والأفلاج، ومجتمعهم إما

---

(١) - أبو علية، عبدالفتاح حسن، الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٩٧م، ص١٥،

- El-Erris (Tarik) Saudi Arabia, A Study in Nation Building, The American University, Ph‹D‹, Library of Congress, No‹ 65-5699, p‹55‹

(٢) لمزيد من التفصيلات، ارجع إلى:
العبادي، أحمد عويدي، مقدمة لدراسة العشائر الأردنية، الدار العربية للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ص ٩٥ - ١١١،

(٣) ينسب السدارى إلى جدهم سليمان السديري، وسموا بالسدارى -وفق أحد الآراء- نسبة إلى إقليم سدير في نجد، انظر:

- Peterson (J‹ E‹) History of Saudi Arabia, London, 1993, p‹ 158‹
- Encyclopedia of Modern Middle East, Edited by Reva S‹ Simion, Philip Matter and Richard Bulliet, London, 1996, pp‹127-128‹

حاضرة أو بادية[١]، وذكر الشيخ عبدالرحمن الحاقان في مجلة اليمامة (١٣٨٢/٣/١هـ)، أن مساكن البدارين في مكان يسمى الشطبة قريباً من وادي سدير الذي ينتسب إليه السدارى من البدارين، وهذا الوادي يحمل اسمه الآن بين السليّل والوادي والأفلاج، وقريب - كما يقول الحاقان - من البدرية، وهو ماء مشهور للبدارين على مسافة يومين من وادي سدير.

ومعروف لدى النُّساب والباحثين أن الدواسر قبيلة مشهورة وعريقة ولها مكانتها بين القبائل الجنوبية والشمالية على حد سواء، وتشكل الدواسر تحالفاً قبلياً يضم صُرحاء القبيلة وأحلافها ومواليها، وتجمع هؤلاء جميعاً تسمية واحدة هي الدواسر[٢]، ومن المعروف أن عدداً لا يستهان به من رجال الدواسر كانوا من بين الجماعة الأوائل الذين دخلوا الرياض مع الملك عبدالعزيز آل سعود في ٥ شوال ١٣١٩هـ/ ١٤ يناير ١٩٠٢م، وهذا جهد طيب يقدر لهؤلاء الرجال وقبيلتهم[٣].

ينقل هاري سانت جون فيلبي أن قبيلة الدواسر تكوّنت في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي عبر تصاهر بين جماعات من قبيلتي الأزد ووائل، واستقرت في وادي الدواسر وحوله[٤]، ويمكننا تحديد منازل الدواسر بالمنطقة الممتدة من وادي الدواسر إلى حوطة بني تميم جنوبي الرياض، إن أسرة السديري فخذ من البدارين، وهي أشهرهم، وتتحدر من سلالة سليمان السديري الذي يمتد نسبه إلى قحطان[٥].

والسدارى هم أهل بلدة الغاط في إقليم سدير من نجد، وقد استقروا فيها

---

(١) - المُغيري، عبدالرحمن بن حمد بن زيد، المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب، طبع على نفقة الشيخ علي آل ثاني، (د، م) (د، س)، ص ١١٨،
- لمزيد من المعلومات عن الدواسر، ارجع إلى:
،Gazetter of Arabian Tribes, vol، 3, Archive Editions, 1996, pp، 651-663

(٢) المُغيري، المنتخب، ص ١١٩،

(٣) للاطلاع على الأسماء راجع: قائمة دارة الملك عبدالعزيز، الرواد، صدر بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

(٤) فيلبي، هاري سانت جون، الذكرى العربية للملكة العربية السعودية، بمناسبة مرور خمسين عاماً على تأسيس المملكة، تعريب د، عباس سيد أحد، مراجعة عبدالله بن محمد المنيف، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ٤٢٣.

(٥) راجع نسب أسرة السديري في المنتخب للمغيري.

منذ عدة قرون[1]، وهي أسرة مهمة في نجد وتأثيرها واضح في الإدارة والمناصب القيادية في الدولة السعودية[2].

ثم أورد فيلبي معلومات[3] مفيدة عن استقرار أجداد السدارى في بلدة الغاط بإقليم سدير، فذكر أن راجي بن عامر هو أول من هاجر من أفراد الأسرة من وادي الدواسر إلى بلدة عنيزة في القصيم، وأن ابنه محمد هاجر من القصيم ليستقر في بلدة العودة في سدير، وهو أول من لقب بالسديري، كما أن ابنه علي كان أول من استقر في بلدة الغاط في حدود عام ٩٦٨هـ/١٥٦٠م، ومنذ ذلك الحين أصبحت بلدة الغاط مستقراً لأسرة السديري[4] وموطناً لها.

بينما أورد مخطوط "المنتهى" في تاريخ السدارى نصاً ورد في مخطوطة لإبراهيم بن صالح بن عيسى عن انتقال السدارى إلى الغاط وقدومهم إليه من القصيم، جاء فيه أن إبراهيم بن هبدان ذكر لابن عيسى: **"أن جده محَدَث لما غلبه الدواسر على جلاجل وأعطوه عنه الخيس، سكن الخيس، ثم انتقل عنه وسكن في أسفل بلد حرمة، ثم انتقل إلى الغاط وسكنه... ثم أتى إليه جدّ السدارى من القصيم فأعطاه قطعة من الأرض، وحفر فيها بئراً وغرس فيها نخيلاً وسكن عنده..." حدث خلاف بين محدث والسديري وتوصلا إلى حل قبل به الطرفان، وهو: "أن محدث باع السديري جميع ملكه من الغاط، وانتقل إلى حرمة"**[5].

---

(١) – فيلبي، الذكرى، ص ٤٢٣.
– ابن خميس، عبدالله، تاريخ اليمامة، ج ٣، ص ٤٥٤.
– الظاهري، أبو عبدالرحمن ابن عقيل، أحمد السديري الأول، مجلة الدرعية، العدد الأول، السنة الأولى، محرم ١٤١٩هـ/ مايو ١٩٩٨م، ص٤٩.

(٢) – Dickson, H. R., Kuwait and Her Neighbours, London, p. 105.
– الجاسر، حمد، جمهرة أنساب العرب، الرياض، دار اليمامة، القسم الأول، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، ص ص ٢٢٢ – ٢٢٣.

(٣) أخذ فيلبي معلوماته عن السدارى من عبدالعزيز بن أحمد السديري وعبد الله بن سعد بن عبدالمحسن السديري، ارجع إلى: البدراني، حمد بن سليمان، والسديري، مشاعل بنت مساعد، الرياض ١٤٢٤هـ المنتهى في تاريخ السدارى، سلالة أحمد الكبير، ج ١، ص ٤٥.

(٤) فيلبي، الذكرى الذهبية،ص ٤٢٣.

(٥) أشار مؤلفا المنتهى أنه تم الحصول على نسخه من صورة المخطوطة من الأستاذ عبدالله الملحم، بتاريخ ١٤٢٢/٥/٢٥هـ.

ومما يراه الأديب عبدالله بن خميس، أن أول من أعاد عمران الغاط رجل من بني تميم يدعى محدثاً كان أميراً على الزلفي، وله قوة ونفوذ، وذلك في أواخر القرن الحادي عشر الهجري، إلا أن اسم البلد اقترن بذكر الأسرة السديرية، حيث جاء جدها سليمان السديري إلى الغاط فأعطاه محدث أرضاً فغرسها سليمان، ولم تزل أسرته تنمو وتتكاثر، ويعلو ذكرها، وتزداد هيبتها حتى كادت تقع فتنة بينه وبين محدث وأسرته، لولا أنهم اتفقوا على أن يبيع محدث وأسرته أملاكهم إلى سليمان السديري وأسرته، فانتقل محدث وأسرته إلى حرمة والقرى المجاورة(١).

وبينما، كما رأينا، تشير المراجع السابقة إلى انتقال السدارى من وادي الدواسر إلى الغاط مروراً بالقصيم، فإن هناك أقوالاً أخرى تشير إلى مرورهم بجلاجل، اللهم إلا إذا كانوا قد سكنوا في جلاجل بعد انتقالهم من القصيم، وهو ما يقول به خالد السديري في مقابلته التلفزيونية التي أصدرها د. عبدالرحمن الشبيلي في كتاب (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م)، وبالتالي فلا تعارض بين الرأيين.

ومن الأقوال التي تشير إلى استقرار السدارى أو بعضهم في جلاجل، سواء بعد مرورهم في القصيم أو بدونه، نستشهد بالآتي، مما هو مثبت في وثائق دارة الملك عبدالعزيز:

١- قول الشيخ أحمد السلمان: «**وأقرب ما يكون لنا من الدواسر السدارى، فيما يذكر عن عبدالله الناصر السديري أن جدهم انتقل من جلاجل إلى الغاط من غير معرفة لوقته**».

٢- تقول وثيقة محفوظة في الدارة: «**إن فاطمة بنت جبر هي أم إبراهيم بن محمد ابن راجح جد السدارى حسين بن أحمد بن عبدالله وأخيه عبدالله بن أحمد وسليمان بن أحمد بن عمر**». **ثم ذكر في الوثيقة**: «**أن فاطمة بنت جبر هذه أوقفت الطويلعة في بلدة جلاجل من سدير**».

شمائل الأسرة:

تميزت أسرة السديري بأخلاقيات اجتماعية وإنسانية، فقد اتصف السدارى بالكرم وهو من طبعهم، والكرم عادة يعمل على إيجاد نوع مميز من العلاقات الاجتماعية والصلات القوية بين أفراد المجتمع، وقد وردت شمائل السدارى

(١) ابن خميس، معجم اليمامة، ج ٢، ص ٢١١، ٢١٢.

في الكتابات المحلية التي عاصرت تاريخ الأسرة، فقد وصف الشاعر النجدي حميدان الشويعر حماية سليمان السديري، جد السدارى وشهامته قائلاً[(١)] :

مَـنْ قـابل خشم العرنية	فالخاطر منقول خْطَره
ومَـنْ قال انه مثل سليمان	كِرْمَ السامع ياكل بْعَره

نستخلص طبع الكرم في أسرة السدارى مما ذكره المؤرخ النجدي عثمان بن بشر في وصف الأمير أحمد بن محمد بن تركي بن سليمان الذي ينتهي نسبه إلى بدران المشهور بلقب (الكبير) لتمييزه عن حفيد له بذات الاسم[(٢)]، كما وصف أبناءه، فقد ورد في كتاباته ما نصه: "... **لم يكن أحد منهم يدخر مالاً، قد جبلهم الله على فعل المعروف وإغاثة الملهوف...**"[(٣)]، وقال عنهم عبدالله بن خميس: "**إن السدارى أسرة إمارة وزعامة وكرم ونبل وسماحة وأخلاق، شجرة منجبة للفضل، مخولة معممة من الأسر العريقة في نجد قروناً متعاقبة... أعلامها تقود السرايا وتحكم الأقاليم، ومقصد لمبتغي الفضل**"[(٤)].

قال محمد بن عثمان القاضي: "**من أشهر البدارين السدارى، وفيهم أمراء وشعراء، واشتهروا بالكرم والجود والمروءة والنخوة والشجاعة**"[(٥)]، وجاء في مخطوط المنتهى في تاريخ السدارى أن سعد الناصر السديري، تطرق إلى: "**أن كرم السدارى كثير ومن أشهره ما يعتز به الملك عبدالعزيز ويردده بأن جدّه – أي جد الملك عبدالعزيز أحمد (الأول) – نظر فرأى أناساً كثيرين مقبلين في أسفل وادي الغاط، فأمر بذبح الذبائح وتجهيز وليمة لهؤلاء القوم، وانتظروا وصولهم وتأخروا، فقام هو ومن معه ينظرون فرأى ما رأى، وقال لمن معه أليس هؤلاء**

---

(١) ابن خميس، عبدالله بن محمد، معجم اليمامة، ج ٢، ص ٢١١.

(٢) – فيلبي، الذكرى، ص ٤٢٤.

– اعتقد أننا لو أطلقنا لقب الأول على أحمد الجدّ، والثاني على الحفيد لكان الأمر أكثر قبولاً وأشمل ترتيباً وتنظيماً.

(٣) ابن بشر، عثمان، عنوان المجد في تاريخ نجد، ج ٢، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، (د، س)، ص ١٣٣.

(٤) ابن خميس، تاريخ اليمامة، ج ٢، ص ٢١١.

(٥) ورد هذا النص في:

– العبد المحسن، إبراهيم بن عبيد، تذكرة أولي النهي والعرفان، ج ١، الرياض، مؤسسة النور، ١٣٩٩هـ، ص ٦٨، وقد ورد هذا النص في:

– آل كريع، الشيخ عبدالرحمن عطا الشايع، هدية الأصحاب في جواهر أنساب منطقة الجوف، ج ٢، (د،م) (د، س)، ص ١٤٣.

أناس؟ فردوا عليه بأن ما رأى شجراً، فنادى أهل الغاط وأكل معهم ذلك الطعام، فأطلق عليه لقب معشي الشجر".

وصف ابن بشر أخلاقيات أسرة السديري من خلال أعمال أحمد (الأول) وأبنائه قائلاً: "**هم من أحسن الناس سيرة وأصفاهم سريرة، لهم في الولايات مفاخر رفيعة... فلو نظرت إلى أصغرهم قلت بالأدب قد أحاط، وإن نظرت إلى الأكبر رأيت فوق ما يذكر، ولم يكن في عصرهم مثلهم للمطيع الصاحب... وقد خصهم الله ببذل المعروف وسلامة القلب**"[١]، وقد أورد فيلبي أنه بعد مغادرة الأمير (الإمام لاحقاً) عبدالله بن فيصل البريمي متوجهاً إلى الرياض، جعل أحمد السديري (الأول) وكيلاً سعودياً فيها، وكان السديري من أخلص الشخصيات للإمام فيصل بن تركي، ومن ألمع المقربين إليه، وغدت أسرة السديري من الأسر العاملة في الدولة السعودية[٢].

وفي مجال الأخلاقيات السياسية تذكر الوثائق البريطانية أن أحد شيوخ إمارات الخليج طلب من أحمد السديري عندما زاره في البريمي[٣] عام ١٢٧٠هـ/١٨٥٤م أن ينضم بحاميته السعودية معه في حلف هجومي ضد بعض جيرانه، لكن الأمير السديري رفض ذلك العرض ورد بقوله: "**أنا لا أعاهد مثل هذا، ... وكلهم لهم معاهدة مع الإمام فيصل، ونحن نحافظ على العهد والصداقة فلا يمكن أن نمالئك عليهم**"[٤].

وليس جديداً على السديري هذا الموقف الدال على الأخلاقيات السياسية، فكان يصرح دائماً وهو أمير على البريمي: "... **نحن لا نحب إلا الخير والعافية وأن يكون حال الجميع طيباً... ولا نعامل أحداً إلا بالصدق وحسن**

---

(١) ابن بشر، عنوان، ج ٢، ص ١٣٣.

(٢) Philby (H. St. J. B.) Arabia Jubilee, London, First Edition, 1952. p. 271.

(٣) البريمي واحة تتألف من تسع قرى تقع في منطقة الظاهرة، وتبعد نحو تسعين ميلاً من مدينة أبو ظبي على ساحل الصلح البحري عند الطرف الشمالي لجبل حفيت، وتقع عند ملتقى كثير من طرق المواصلات في شرق جزيرة العرب، وتعد محوراً بين صحاري الجنوب الكبيرة وسواحل الباطنة ومناطق الحجر الداخلية والظاهرة وعُمان الوسطى والشرقية، ولها مكانة استراتيجية، ارجع إلى:

- شركة الزيت العربية الأمريكية، شعبة البحث، عُمان والساحل الجنوبي للخليج الفارسي، القاهرة، مطبعة مصر، ١٩٥٢م، ص ١١٩.

(٤) من رسالة يعقوب بن بشير وكيل بريطانيا في الساحل العُماني (الشارقة) إلى كمبل، مؤرخة في شعبان ١٢٧٠هـ/ مايو ١٨٥٤م، محفوظات أرامكو، ارجع إلى: أبو علية، الدولة السعودية الثانية، دار المريخ للنشر، الرياض، الطبعة السادسة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص ١٨٥.

السيرة..."[١] .

تأسيساً على ما ذكر آنفاً، فإن حكم أحمد السديري (الأول) وابنه تركي في البريمي لقي تجاوباً وارتياحاً من قبل الأهالي هناك، لأن عملهما في المنطقة ساعد على نشر الأمن والطمأنينة بين الرعايا، وعملا على مصالحة القبائل المتنازعة، وتشددا في قمع أعمال السلب والنهب والفوضى، وكان الأهالي يحبون الحياة الآمنة كي يعملوا بشكل عادي، وهو ما وفره أحمد السديري وابنه تركي في المنطقة[٢] .

عمل تركي بن أحمد السديري على إحلال السلم وحفظ الأمن في منطقة البريمي، واجتهد في الوقت نفسه على توفير احتياجات أهالي المنطقة، فغدوا آمنين عاملين في مجالات نشاطهم اليومي، وظلت إدارته خلال المدة الطويلة التي قضاها في المنطقة خالية إلى حد كبير من الاضطرابات والنزاعات، وزاول الناس في المنطقة أعمالهم كالمعتاد، ربما أنهم لم يصنعوا تاريخاً لكنهم كانوا يحيون حياة آمنة تحت الحماية السعودية[٣] .

ومن أخلاقيات أسرة السديري ما قاله المؤرخ النجدي ابن بشر عن محمد بن أحمد السديري عندما عينه الإمام فيصل بن تركي أميراً في ناحية سدير ومنيخ والطويرف والزلفي: "**كان رجلاً عاقلاً على صغر سنه، فاضلاً سمحاً جواداً كثير الحلم والأناة وعليه الهيبة والوقار، وله مثل أخلاق أبيه وزيادة**"[٤] .

أود أن أشير هنا إلى نقطة جديرة بالاهتمام وهي أن ما دوّنه المؤرخون المحليون وغيرهم ممن عنوا بتدوين أحداث الجزيرة العربية في العصر الحديث في شمائلهم، لم يأت من فراغ ولا هو محض صدفة، وإنما يمثل صورة واقعية ومحسوسة لأعمال أبناء الأسرة وخلقهم وطباعهم.

---

(١) من الرسالة نفسها.

(٢) – عرض حكومة المملكة العربية السعودية بشأن قضية البريمي والنزاع بين مسقط وأبو ظبي والسعودية، عرض على لجنة التحكيم الدولية، ثلاثة مجلدات، طبعت في القاهرة في ٣١ يوليو ١٩٥٥م (١١ ذي الحجة ١٣٧٤هـ) المجلد الأول، ص ٢١٦.

– لمزيد من التفصيلات، ارجع إلى: أبو علية، الدولة السعودية الثانية، ص ١٨٧.

(٣) عرض حكومة المملكة العربية السعودية، ج ١، الأساس، ص ٢١٧.

(٤) ابن بشر، عنوان، ج ٢، ص ١١٤.

السدارى والدولة السعودية الأولى:

بينما تؤكد الروايات أن جد السدارى الحاليين (سليمان) كان أحد أمراء الدولة السعودية الأولى، فإنها تختلف في كونه على إقليم سدير كله أو على بلدة الغاط، وتبين وثيقة مؤرخة في عام ١١٨٣هـ، موجودة لدى دارة الملك عبدالعزيز أنه إنما كان أميراً على الغاط فقط.

وإذا ثبت أن سليمان السديري هذا، أيد في يوم من الأيام الدولة السعودية الأولى ودعوتها السلفية مبكراً، وهو ما ذكرته بعض المصادر، فإن أواصر العلاقة بين الأسرة السعودية الحاكمة والسدارى تكون أقدم من علاقة التأييد والمصاهرة في الدولة السعودية الثانية، فلقد ذكر أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب أخذ يراسل الأمراء الذين يرى فيهم خيراً للانضام إلى الأمير محمد بن سعود، وكان بينهم سليمان بن فوزان آل بدران أمير سدير، وكذلك حسن بن إبراهيم بن قناع آل عمران، وجهر بن بدران المعروفان بموالاتهما الشيخ ومحمد بن سعود، وأن الدولة السعودية الأولى في عهدي الإمامين محمد بن سعود وابنه عبدالعزيز وجهت حملات عسكرية ضد عسير "وكانت آخر قوة وجهت إلى عسير عام ١١٩٨هـ بقيادة سليمان السديري..."[١].

وورد في كتاب «الذكرى الذهبية» لفيلبي أنه في منتصف القرن الثامن عشر بدأت حركة التوحيد، وكان سليمان السديري من معاصري الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وقد اندفع في الجهاد للقضاء على مظاهر الكفر والإشراك بالله، واشتهر بنبوغه حتى توصل إلى أن يصبح مستشاراً للإمام، وهو عمل يعادل منصب الوزارة، وتمكن ابنه تركي أن يكون من المقربين للإمام محمد بن سعود، وخلف محمد والده تركي وكان من قادة المجاهدين الذين حققوا الانتصارات الكبيرة في عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود في نهاية القرن الثامن عشر".

---

(١) نقل فيلبي أن محمد بن تركي (لم يذكر اسمه مسلسلاً) عاصر الانتصارات المبكرة بقيادة عبدالعزيز بن سعود (المقصود الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود) خلال العقود الأخيرة من القرن الثامن عشر، راجع فيلبي، الذكرى، ص ٢٤٢.

السدارى وإدارة الأقاليم:

نجح رجال من هذه الأسرة (السدارى) إلى حد كبير في إدارة عدد كبير من مناطق الدولة السعودية، خاصة في عهد الدولتين الثانية والحديثة، وقد عُرفوا في هذا الجانب وامتازوا به، وأصبح لهم باع طويل في ممارسة الإدارات المحلية في المناطق الساخنة، وأعني بذلك مناطق الخلافات الحدودية، ومناطق الخلافات القبلية[١]، كما هو الحال بالنسبة للحدود السعودية الأردنية والحدود السعودية اليمنية والحدود السعودية العراقية والحدود السعودية مع الإمارات الخليجية المجاورة.

عينت الدولة السعودية على مرّ حقب تاريخها أمراء على المناطق ليكونوا مسؤولين مباشرين عن إدارة شؤونها، وقد أطلق لقب أمير على كل من يعهد إليه رسمياً القيام بالأعمال الإدارية العليا[٢] في منطقة من مناطق الدولة، ويقتصر هذا اللقب على من تعيّنه الدولة في هذا المنصب، يذكر لوريمر أحد المسؤولين البريطانيين في الخليج أنه أحياناً كان يطلق على الأمير لقب عامل أو حاكم[٣]، وهذا أمر صحيح لأن منصب العامل هذا مأخوذ من لائحة التنظيمات التي عملت بها الدولة الإسلامية منذ أن اتسعت أرجاؤها، والأمير هو الممثل الأول للإمام في منطقته، وعليه أن يجهز رجال الغزو إذا جاء أمر الإمام بذلك، وفي كثير من الحالات كان الأمير هو رئيس المغزا[٤]، وهو الممثل الأول لحاكم الدولة في منطقته، إلا أن هذا لا يعصمهم عن العزل أو النقل أو الإبعاد إذا تطلب الأمر ذلك، وقد ورد في رسالة وجهها الإمام فيصل بن تركي في عهد الدولة السعودية الثانية إلى أمرائه ما نصه: "**وإنكم إذا ورد أمري عليكم بالمغزا حملتموهم زيادة**

---

(١) للاطلاع على مشكلات الحدود بين السعودية وجيرانها، ارجع إلى:

- Arabian Boundaries, Primary Documents, 1853 – 1957, Richard Schofield and Gerald Blake, Archives Editions, 1988.

(٢) – أبو علية، الدولة السعودية الثانية، ص ٢٧٨.

– العتيبي، إبراهيم بن عويض الثعلي، تنظيمات الدولة في عهد الملك عبدالعزيز: دراسة تاريخية، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص١٧٨.

(٣) Lorimer, (G. J.) Gazetteer of Persian Gulf, vol. 2, Calcutta, 1915, p. 1359.

(٤) عرض حكومة المملكة العربية السعودية، مجلد ١، ص ٤٧١.

لكم، وإياكم ذلك فإنه ما منعني أن أجعل على أهل البلدان زيادة ركاب في غزوهم إلا الرفق بهم... ومن حدث منه منكم ظلم على رعيته فليس أدبه عزله بل أجليه عن وطنه..."[١].

يلحظ المرء أن على أمراء المناطق مسؤوليات كبيرة جداً، وهم دوماً تحت المراقبة، فلابد ممن يتحمل هذه المسؤولية أن يكون ذا صفات تؤهله لذلك، وهو أمر قام به عدد كبير من أمراء الدولة السعودية الثانية والثالثة، يذكر فيلبي أن حوالي ثلاثة عشر شخصاً من أسرة السديري خدموا الدولة السعودية الحديثة التي أسسها الملك عبدالعزيز آل سعود في الخمسين سنة الأولى من القرن العشرين الميلادي[٢]، من جهة وادي السرحان في الشمال وحتى حدود اليمن، وهي تشكل معظم المحافظات الشمالية الغربية والجنوبية الغربية في الدولة السعودية الحديثة.

ففي نظرة تطبيقية سريعة على خريطة توزيع الإمارات في مقاطعات الشمال والغرب وعسير في عهد الدولة السعودية الحديثة، نجد أن أفراداً من السدارى تولوا إمارتي الجوف والقريات، ومن أبرزهم تركي بن أحمد بن محمد السديري، وعبدالعزيز بن أحمد بن محمد السديري، ومحمد بن أحمد بن محمد السديري، وعبدالرحمن بن أحمد بن محمد السديري، وسلطان بن عبدالرحمن بن أحمد السديري، وتولى عبدالله بن عبدالعزيز بن أحمد السديري منصب مفتش الحدود الشمالية الغربية وأمير قريات الملح، وتولى عبدالله بن سعد السديري إمارة تبوك، وهو أول أمير عُين عليها من السدارى، وتولاها كذلك خالد بن أحمد السديري، وتولى محمد بن محمد السديري إمارة ضباء، وتولى ناصر بن عبدالله السديري إمارة الوجه، خلفه فيها مساعد بن نايف السديري، وتولى عبدالرحمن ابن أحمد بن عبدالرحمن السديري (قائمقاماً) على جدة، وتولى تركي بن أحمد السديري إمارة منطقة عسير، وتولى خالد بن أحمد السديري إمارة جازان وتولاها كذلك أخواه محمد بن أحمد السديري، ومساعد بن أحمد السديري، وعُين سعود

---

(١) ابن بشر، عنوان، ج ٢، ص ٤٤.

(٢) Philby, Arabia Jubilee, p. 271.

ابن عبدالرحمن بن تركي السديري حاكماً على بلجرشي[١].

مما لا شك فيه أن أحمد بن محمد السديري (الأول) جد معظم أفراد الأسرة السديرية الحالية، يعدّ ألمع شخصية منها في مجال الإدارة المحلية والقيادة العسكرية في الدولة السعودية الثانية، يقول عنه إبراهيم بن عبيد العبدالمحسن: **"لما ولي أحمد السديري إمارة الأحساء سنة ١٢٦٠هـ كان موضع الثقة والأمانة لما مَنّ الله عليه من السمع والطاعة، أضف إلى ذلك رأياً وعقلاً وشجاعة وسخاءً وسماحة للمسلمين، فكان آل سعود يختصونه هو وأبناءه بالولايات الكبيرة ويقدمونهم على غيرهم..."**[٢].

وقد أثّرت شخصية السديري هذا إلى حد كبير على أبناء أسرته، فقدمت الأسرة أجيالاً من الإداريين المحليين والعسكريين الذين قدموا خدمات كبيرة للدولة على مر حقب تاريخها، ولعل هذا الجهد وما رافقه من إخلاص لآل سعود أوجد صداقة حميمة مع الأسرة المالكة قبل العلاقة الأسرية، وقد عبر ابن بشر عن إخلاص السدارى لآل سعود بقوله: "... **يبادرون لطاعة الإمام ويقدمونه على ما لهم من الذمام ...**"[٣].

انعكس إخلاص أسرة السديري لآل سعود ومحبتها لهم على إدارة المناطق التي أُمّروا عليها، فكان همّهم أن يعملوا على إرساء قواعد الأمن والسلام في مناطقهم، وقد بين أحمد السديري لأهالي منطقة البريمي أن دولته تريد أن يسود نظام الشرع في البلاد، وأن يعم الرخاء بانقطاع الفتن[٤]، واتبع في منطقة البريمي اتسمت بالرشاد وصداقة الجميع: "... **نحن لا نحب إلا الخير والعافية وأن يكون**

(١) جمعت هذه المعلومات من:

- إبراهيم العتيبي، تنظيمات الدولة في عهد الملك عبدالعزيز، ملحق رقم (٢).
- سعد زهران، ملوك وأمراء الدولة والدين في السعودية، ص ١٧٦، ١٧٧.

- Huyette, Political Adaptation in Saudi Arabia, A Study of the Council of Minsters, Westview Special Studies in Middle East, P.58.
- The National Archives of the U،S،A،, Microfilm No، R، G 59/L M 189, No، 186A – 02/11 – 1451.

(٢) ابن عبيد، تذكرة، ج ٢، ص ص ١٣٢ – ١٣٣.

(٣) ابن بشر، عنوان، ج ٢، ص ١٣٣.

(٤) من رسالة يعقوب بن بشير إلى الكومودور روبنسون، مؤرخة في ١٨ رجب سنة ١٢٧٠هـ/ ١٦ أبريل ١٨٥٤م، محفوظات شركة أرامكو، انظر: أبو علية، الدولة السعودية الثانية، ص ١٨٤.

حال الجميع حسناً ... ولا نعامل أحداً إلا بالصدق وحسن السيرة ..."[1] .

كان تركي بن أحمد السديري (الأول) الذي خلف والده في إمارة البريمي عام ١٢٧٣هـ/١٨٥٧م بعد أن أمر الإمام فيصل بن تركي أحمد السديري بالتوجه لتسلم إمارتها، كان موفقاً في طريقة حكمه ومعاملته للناس، وبنى قصراً في البريمي عُرف باسمه، ولجأ إلى أسلوب التقارب مع القبائل القاطنة في المنطقة، فتزوج ابنة الشيخ أحمد بن محمد آل سرور، وفي الوقت نفسه كان تركي بن أحمد السديري يتمتع بذكاء حاد، ويد حازمة، واهتمام عظيم بشؤون الأهالي في المنطقة[2] .

إن إدارة السدارى في المناطق، بدءاً بأحمد السديري (الأول) وأبنائه من بعده الذين مثلوا الدفعة الإدارية المحلية الأولى في التعامل مع العمل الإداري السعودي في أثناء حكم الدولة السعودية الثانية بالتحديد، لقيت ترحيباً ومواقف إيجابية من قبل أهالي المناطق التي أداروا شؤونها، وقد أورد المؤرخون صورة واقعية عن هذا الترحيب، يقول المؤرخ النجدي ابن عيسى: "**ثم دخلت سنة ثمانين ومائتين وألف، وفيها وفد على الإمام فيصل بن تركي رؤساء من أهل الأحساء وطلبوا منه أن يرد إليهم أميرهم محمد بن أحمد السديري، وكان الإمام قد جعله أميراً في بريدة كما تقدم في السنة التي قبلها، فأجابهم إلى ذلك، وكتب إلى السديري وأمره بالقدوم عليه، وجعل مكانه أميراً في بريدة سليمان الرشيد من آل أبي عليان، فقدم عليه السديري فأمره بالتجهز إلى الأحساء، وكان الشيخ أحمد بن علي بن حسين ابن مشرف مع الوفد...**"[3] ، ويؤكد هذا الكلام ما قاله الفاخري في تاريخه: "**وفي سنة ثمانين ومائتين وألف، طلب الإمام فيصل من محمد السديري العودة إلى الأحساء أميراً لأن أهل الأحساء طلبوا من الإمام أن يرجع إليهم أميرهم...**"[4] .

---

(١) من رسالة يعقوب بن بشير المذكورة أعلاه.

(٢) المطوع، عبدالله، عقود الجُمان في أيام آل سعود في عُمان، (١٤١٧هـ).

(٣) ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث والرابع عشر، ط أولى، ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م، المطبعة العمومية، دمشق، ص ٥٦.

(٤) الفاخري، محمد بن عمر، الأخبار النجدية، دراسة وتحقيق وتعليق د. عبدالله بن يوسف الشبل، نشر لجنة البحوث والتأليف والترجمة، جامعة الإمام، ص ١٨٦.

من دلالات حسن إدارة أحمد السديري (الأول) أنه تولى الإدارة المحلية والقيادة العسكرية في آن واحد في عدة مناطق في عهد الدولة السعودية الثانية، وهذا يعني أن أحمد السديري كان قد أثبت جدارته في القيادتين: الإدارية والعسكرية، وفي عدة جهات، مما أقنع أئمة الدولة السعودية الثانية بالتمسك به، كما أن تعامله الحسن مع أهالي المناطق التي أُمِّر عليها قد زاد من مكانته وشعبيته، تلك المكانة التي توارثها أبناؤه من بعده، وأصبح لهم باع طويل في هذا المجال، وتجدر الإشارة هنا إلى أن أحمد السديري اشترك في شبابه في الحرب ضد قوات إبراهيم باشا[١]، قائد الحملة التي أرسلها محمد علي باشا للقضاء على الدولة السعودية الأولى.

يقول المؤرخ عثمان بن عبدالله بن بشر[٢]: "**وكان أحمد**[٣] **وبنوه من أحسن الناس سيرة وأصفاهم سريرة وألينهم طبيعة، ولهم في الولايات فنون رفيعة وسيعة، فلذلك استعمل الإمام أحمد أميراً في عُمان... وابنه تركي أميراً في الأحساء ونواحيه، وابنه محمد أميراً في سدير وبلدانه، وعبد المحسن ابنه أيضاً أميراً في بلدهم الغاط، فلو نظرت إلى أصغرهم لقلت هذا بالأدب قد أحاط، وإن نظرت إلى الأكبر لرأيت فوق ما يذكر، لم يكن في عصرهم مثلهم للمطيع الصاحب، ولا أشد منهم على العدو المحارب، فهم عيبة نصح للإسلام والمسلمين وفظاً غليظاً على المحاربين، يبادرون لطاعة الإمام ويقدمونها على مالهم من الذمام...**" إذ كانوا قد أبلوا بلاء حسناً وساهموا في بناء الأمن في البلاد وكان أسلوبهم كما وصفه ابن بشر: «**يتسم بالتواضع والرأفة واللين والتفاني في كل ما فيه إنصاف للمواطن وللدولة على حد سواء ، فعلى مستوى علاقتهم بالناس يعزون التقصير إذا حصل لهم ويعملون على كل ما فيه التواؤم بين الحاكم والمحكوم وينقلون على مستوى علاقاتهم بالمسؤولين الوضع كما يجب أن يكون بكل صدق وأمانه**".

روى لي أمير منطقة نجران السابق فهد بن خالد بن أحمد السديري، في أثناء

(١) فيلبي، الذكرى الذهبية، ص ٤٢٤.

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد، الجزء الثاني، الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ، ص ٢٨٥، ٢٨٦.

(٣) أحمد بن محمد السديري.

لقاءٍ في منزله بالرياض (بتاريخ ١٤٢١/٧/٦هـ - ٢٠٠٠/١٠/٣م) قصة تدل على أسلوب إدارة عبدالعزيز بن أحمد السديري إمارة القريات:

"شكت حكومة شرقي الأردن على عبدالعزيز السديري أمير القريات، بأن دورياته تدخل حدود الأردن، وطلبت من وزير خارجية المملكة الأمير فيصل بن عبدالعزيز أن توقف الحكومة السعودية ذلك، ولما أرسل الأمير فيصل تلك الشكوى إلى والده الملك عبدالعزيز، أرسل الملك إلى عبدالعزيز السديري يستعلم منه عن هذا الأمر، فكان رد السديري: إن دورياتهم تدخل حدودنا، ودورياتنا تدخل حدودهم، فلو تركوا يدخلون حدودنا دون أن ندخل حدودهم لحددوا الحدود كما يشاءون، فأرسل الملك عبدالعزيز إلى السديري جواباً جاء فيه: ابق على ما أنت عليه، وبلغ الأردن بذلك".

بخصوص الإدارة الحكومية عامة في مناطق الدولة السعودية، وانطباع السكان عنها، يرى سلطان بن عبدالرحمن بن أحمد السديري - في مقابلة أجريتها معه - **"أن الناس لا يكونون عادة راضين عن كل شيء، لكن هناك ميزة تربط حكام المناطق السعودية بالناس في تلك المناطق، وهي رابطة الودّ والمحبة والترابط والسهر على مصلحة الجميع».**

أورد أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري نقلاً عن أوراق ناوله إياها محمد ابن عبدالله بن تركي السديري، أن أحمد السديري (الأول) عيّنه الإمام تركي بن عبدالله أميراً على الغاط، وذكر محمد السديري في أوراقه هذه أن أول لقاء حدث بين أسرتي السديري وآل سعود كان عام ١٢٣٨هـ/١٨٢٢م[١].

حقاً، لقد تولى أحمد بن محمد السديري (الأول) إمارات عدد من مناطق

---

(١) الظاهري، أبو عبدالرحمن بن عقيل، أحمد السديري (الأول)، مجلة الدرعية، السنة الأولى، العدد الأول، محرم ١٤١٩هـ/ مايو ١٩٩٨م، ص٥٦.

- بالرجوع إلى أحداث تلك السنة فيما أورده ابن بشر لم أجد شيئاً من هذا، ابن بشر، ج ٢، ص ص ١١ ١٣-، ولم يرد ذكر لها في تاريخ الفاخري في حوداث ١٢٣٨هـ، الفاخري، ص ١٦١، ويمكن أن يحدد هذا اللقاء بأنه أول لقاء بين الأسرتين في حكم الدولة السعودية الثانية

- أورد ابن بشر في حوادث سنة ١٢٣٩هـ أن رئيس الغاط أحمد السديري وفد على الإمام تركي في المجمعة، لكنه لم يورد ذكر تعيينه أميراً على الغاط، ابن بشر، عنوان، ج ٢، ص ١٦.

الدولة السعودية الثانية وقيادة قواتها وقت إعلان النفير العام من قبل الإمام، وكان أحياناً يتولى منطقة ما أكثر من مرة، فقد عينه الإمام خالد بن سعود على إمارة سدير عام ١٢٥٤هـ/١٨٣٩م[(١)]، وفي السنة نفسها صار أميراً على الأحساء، فقام بتنظيم إدارتها، ثم أصبحت المنطقة برمتها خاضعة لنفوذ محمد علي باشا، وكان خورشيد باشا مدركاً لأهمية منطقة الأحساء لإحكام السيطرة على نجد من جهة، وللوقوف في وجه التحركات البريطانية في الخليج من جهة أخرى، وكان أحمد السديري أمير سدير، وفهد الصييفي رئيس سبيع، ومحمد بن فيصل الدويش رئيس مطير قد التقوا خورشيد قبل ذلك[(٢)].

عزل خورشيد باشا أحمد السديري (الأول) عن إمارة الأحساء بعد مقتل محمد أفندي رفعت الذي عيّنه خورشيد وكيلاً له في الأحساء في ذي القعدة عام ١٢٥٤هـ/١٨ يناير ١٨٣٩م[(٣)]، وعيّن خورشيد باشا عيسى بن علي بن فايز رئيس جبل شمر مكان السديري[(٤)]، وقد أسند خورشيد باشا لأحمد السديري منصب بيت المال في الأحساء لجدارته وتمسكاً به، علماً بأن فترة حكم خورشيد باشا والحكم المصري في الجزيرة العربية كانت قليلة المدة وغير مستقرة.

كان الإمام عبدالله بن ثنيان آل سعود قد عيّن أحمد السديري أميراً على منطقة القطيف عام ١٢٥٨هـ/١٨٤٢م[(٥)]، وولاه الإمام فيصل بن تركي على إمارة الأحساء، لما "له من معرفة ورأي وعقل وشجاعة وبراعة وسخاء ولين وسماحة

---

(١) – ابن بشر، ج ٢، ص ص ٧٩-٨٠.
– الفاخري، ص ١٧٤.

(٢) R. Bayly Winder, Saudi Arabia in the Nineteenth Century, New York, p.117.

(٣) – دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٢٦٧) عابدين، وثيقة (٢) أصلية، (١٣٧) حمراء، خطاب من خورشيد باشا إلى أحمد باشا يكن، مؤرخة في ١٩ محرم ١٢٥٥هـ/ ٤ أبريل ١٨٣٩م.
– الأحسائي، محمد بن عبدالله آل عبدالقادر، تاريخ الأحساء المسمى تحفة المستفيد، الرياض، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م، حوادث سنة ١٢٥٥هـ.

(٤) – ابن بشر، عنوان، ج ٢، ص ٨٧.
– علي، أحمد، آل سعود، مكة المكرمة، ١٣٧٦هـ، ص ٥٧.
– غرايبة، عبدالكريم محمود، مقدمة تاريخ العرب الحديث، ١٥٠٠ – ١٩١٨م، مطبعة جامعة دمشق، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م، ص ٣٦٧.

(٥) – ابن بشر، عنوان، ج ٢، ص ٩٧.
– كان الأمير عبدالله بن ثنيان قد بطش بالسديريين بسبب ولائهم لخالد بن سعود، وقتل ثلاثة من زعمائهم، =

مع الناس"[١]، والجدير بالذكر هنا أن أحمد السديري استطاع بمهارة أن يكسب ودّ السكان بفضل معاملته السمحة لهم.

عُيّن أحمد السديري من قبل فيصل بن تركي أميراً على عُمان خلفاً لسعد ابن مطلق، ومركز إقامته في البريمي التي تعدّ مركز التحرك والانطلاق السعودي صوب مناطق عُمان والساحل المتصالح وغيرهما من مناطق الخليج، وقد ذهب السديري إلى عُمان برفقة الأمير (الإمام لاحقاً) عبدالله بن فيصل عندما كلفه والده فيصل بذلك، وكان معه قوات كبيرة حتى يتمكن السعوديون من بسط نفوذهم على البريمي ومناطق الساحل المتصالح[٢]، وفي الوقت نفسه كان السلطان سعيد ابن سلطان حاكم عُمان، قد عاد إلى ممتلكاته في أفريقيا (زنجبار)، وغدت بلاده في حال من الفوضى، وقد نجح عبدالله بن فيصل في مهمته في عُمان التي استهدفت تثبيت السلطة السعودية هناك، والعمل على دراسة متطلبات المنطقة، وذلك عام ١٢٧٠هـ/١٨٥٣م، وجاء الرد البريطاني سريعاً، فاتصل كامبل Cambel المقيم السياسي البريطاني بشيوخ ساحل الصلح من أجل توقيع معاهدة سلام بحري مع بريطانيا لمواجهة المد السعودي في المنطقة[٣].

تشير الوثائق البريطانية ذات الصلة بأحداث عُمان وعلاقتها بالدولة السعودية الثانية إلى أن الأمير عبدالله بن فيصل جاء منصفاً ومصححاً للأخطاء التي حلت

= ارجع إلى: غرايبة، مقدمة تاريخ العرب الحديث، ص ٣٩٥.

– الغريب، خالد بن جابر، منطقة الأحساء عبر أطوار التاريخ، الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع، (د.س)، ص ١٨٧.

(١) – ابن بشر، عنوان، ج ٢، ص ١١٠.

(٢) لمعرفة المزيد من المعلومات عن وصول الأمير أحمد السديري إلى عُمان وأعماله هناك، ارجع إلى الوثائق البريطانية في:

- Ruling Families of Arabia, The Royal Family of Al-Saud, Edited by A. de L. Rush, vol. 1, p 38, 39, 40.
- India Office Records, L/P + S/20/C229.
- India Office Records, L/P + S/18, p. 13, 16.

– سمور، زهدي عبدالمجيد، تاريخ ساحل عُمان السياسي في النصف الأول من القرن التاسع عشر، منشورات ذات السلاسل، ١٩٨٥م، ص٢١٨.

(٣) – أبو علية، الدولة السعودية الثانية، ص١٨٠.

– فاسيلييف، تاريخ العربية السعودية، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٦م، ص٥٨، وكذلك: مهنا، محمد نصر، تحديث الخليج العربي، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٠م، ص٨٤.

بالبلاد وشيوخها[١]، وتشير الوثائق نفسها إلى "أن شيوخ القبائل في المنطقة جاءوا لمقابلة الأمير عبدالله بن فيصل لتقديم فروض الطاعة والولاء، وبادر الزعماء البحريون في المنطقة الساحلية من عُمان بالتقرب منه"[٢]، وقد عامل الأمير عبدالله بن فيصل الجميع بالرفق، ومنح الرؤساء العطايا والهبات، وأجرى عدة إصلاحات في المنطقة[٣]، مما سهل مهمة السديري فيما بعد، وتجدر الإشارة هنا إلى أن بريطانيا صاحبة النفوذ الواسع في الساحل العُماني كانت ترى أنها إذا تمكنت من إقامة علاقات مع الإمام القوي فيصل بن تركي حاكم الدولة السعودية الثانية، فإنها تتوقع فائدة من خلال نفوذه الواسع على شيوخ الساحل[٤]، ويعدّ الإمام فيصل بن تركي أقوى حاكم سعودي في منتصف القرن التاسع عشر وزيادة عليه[٥]، وهو مشهور لدى الجميع بعدله تجاه مواطنيه وكفاءته[٦] في إدارة دفة الحكم في البلاد التي تولى حكمها.

القيادة العسكرية:

كان أحمد بن محمد السديري وأبناؤه يؤدون مهماتهم الإدارية والعسكرية على خير وجه، وهي أمور لا بد من توافرها فيمن يتولى إمارة المناطق، وهي من صميم متطلبات هذا المنصب، إن أمير المنطقة قبل قيام الجيش السعودي المنظم كان أمير غزو منطقته، كما كان رئيس المنطقة الإداري والمالي، وقد برّز الجيل الأول من السدارى في القيام بواجباته الإدارية والعسكرية، فشارك في كثير من الغزوات التي ترمي إلى تثبيت دعائم الأمن واستتبابه، وكبح جماح

---

(١) Selections from the Records of the Bombay Government, No. XXIV, Series, p. 232.

(٢) Selections, p. 232.

Salil Ibn Razik, History of the Imam and Seyyids of Oman, Translated from Arabic to English by George Percy Badger, New York, p. 367.

(٣) عقود الجمان، ص ٩٨ - ٩٩،

(٤) من تقرير اللفتانانت كولونيل لويس بلي المرفوع إلى حكومته، وقد طبع هذا التقرير تحت اسم:

- Pelly (Lewis) Report on a Journey to the Wahabee Capital, Riyadh, Bombay Printed for Government, Byculla, 1866, p.70.

(٥) Landen, Robert Green, Oman since 1856, New Jersey, 1967, p. 283.

(٦) Mann, Clarence C., Abu Dhabi, Birth of an Oil Shaikhdom, Khayat, Beirut, 1969, pp. 46 – 47.

التمرد القبلي وما أكثره وقتذاك، والأدلة العملية على ذلك كثيرة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، أنه في أول رمضان المبارك من عام ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م نزل فرقان من عرب السهول في وادي سدير، فحصل منهم أذى على الناس، وقطعوا السبل، فاستنفر عليهم محمد بن أحمد السديري أهل سدير، فأخذهم وقتل منهم رجلين.

ومثال آخر، تدخل أحمد السديري بأمر من فيصل بن تركي إمام الدولة السعودية الثانية في النزاع الدائر بين شيخ البحرين عبدالله بن أحمد آل خليفة وأبنائه، وقد تطور هذا النزاع وامتدت أصداؤه إلى قطر[١]، وعندما أراد الإمام فيصل بن تركي غزو البحرين عام ١٢٦٧هـ/١٨٥٠م حين بلغه أنهم قاموا ببعض المخالفات، وقطعوا شيئاً من الخراج الموضوع، «**كان أحمد السديري أمير الأحساء ونواحيه من أوائل مَنْ وصل بغزوه إلى ماء حليوين بين الهفوف والقطيف**»[٢]، «**ومعروف تماماً أن الإمام فيصل بن تركي لم يتمكن من البحرين بسبب الموقف البريطاني الرافض لامتداد النفوذ السعودي في البحرين بحجة المحافظة على الوضع الراهن**»[٣].

تشير الوثائق البريطانية إلى أن الأمير عبدالله بن فيصل، وكان وقتذاك في البريمي، أرسل أحمد السديري إلى منطقة ضنك جنوب واحة البريمي ومعه قوة سعودية مؤلفة من (٦٠٠) هجّان وفارس وعدد من المشاة من قبيلة قتب وغيرها، وتنقل أحمد السديري في المنطقة، وعبر الجبل الأخضر في شرق البريمي، وبهذه الحملة التي قادها السديري تكون القوة السعودية قد توغلت داخل سلطنة عُمان، وأخذ السديري الأتاوة (الزكاة) من زعماء المنطقة[٤]، وفي فترة حكم

(١) ابن بشر، عنوان، ج ٢، ص ٨٩.

(٢) – ابن بشر، عنوان، ج ٢، ص ١٣٠ .

– التاجر، محمد علي، عقد اللآل في تاريخ أوال، إعداد وتقديم إبراهيم بشمي، مؤسسة الأيام للطباعة والصحافة والنشر، البحرين، ١٩٩٤م، ص ١٩٣ – ١٩٤، ١٢١ – ١٢٢.

– Winder, Saudi Arabia, p. 186, 187.

(٣) الخصوصي، بدر الدين، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ج ٢، ذات السلاسل، الكويت، ١٤٠٨هـ/١٩٩٨م، ص٨٣.

(٤) من رسالة يعقوب بن بشير الوكيل البريطاني في الشارقة إلى بروز كمبل، مؤرخة في ٢٣ ذي العقدة – ٩ =

أحمد السديري في المنطقة المذكورة اعتدت قبيلتا الدروع وقتب على قبيلة المناصير، فأصدر عبدالله بن فيصل تعليماته إلى أحمد السديري بإرسال رؤساء القبائل المتنازعة إليه، وقد استطاع عبدالله بن فيصل بدوره أن يصلح بينها[١].

حدث نزاع بين القبائل في مناطق النفوذ السعودي في عُمان، فأصدر أحمد السديري أوامره للجميع بتجنب النزاع واحترام الهدوء والالتزام بالنظام، لكن قبيلة المناصير في الظفرة لم تتقيد بالأوامر، فأرسل السديري حملة تأديبية ضدها، وقد حالفه النصر، علماً بأن مثل هذه الحوادث كانت سائدة في المنطقة قبل تولي أحمد السديري حكم المنطقة[٢]، وقد دعم فيصل بن تركي موقف ممثله في المنطقة عندما تعهد لكمبل (Cambel) المعتمد البريطاني عام ١٢٧١هـ/١٨٥٥م بأنه سيتعاون مع بريطانيا على كبح جماح القبائل التي تقوم بأعمال السلب والنهب في المنطقة العُمانية التي هي تحت نفوذه[٣]، وتعدّ إمارة تركي بن أحمد السديري امتداداً لإمارة والده في الجانبين الإداري والعسكري في منطقة البريمي[٤].

= ذي الحجة ١٢٦٩هـ، نحو ٢٨ أغسطس إلى ١٣ سبتمبر ١٨٥٣م، محفوظة بشركة أرامكو بالظهران. ارجع كذلك إلى: أبو علية، الدولة السعودية الثانية، ص١٨٤، وأيوب صبري، مرآة جزيرة العرب، ترجمة أحمد فؤاد متولي والصفصافي أحمد المرسي، ج ٢، دار الرياض للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ٣١٠ – ٣١١.

(١) – من رسالة يعقوب بن بشير إلى كمبل في ٢٧ ربيع الأول ١٢٧٠هـ/ نحو ٢٨ ديسمبر ١٨٥٣م،

– لمعرفة المزيد من المعلومات عن الحملات العسكرية السعودية ضد القبائل العمانية في فترة حكم أحمد السديري وابنه تركي السديري، راجع: Winder Saudi Arabia, p. 187, 188, 202, 203.

(٢) من رسالة يعقوب بن بشير إلى كمبل وكيل المعتمد البريطاني في الخليج، مؤرخة في ٢٣ صفر ١٢٧١هـ/ حوالي ١٥ أكتوبر ١٨٥٤م، مكتبة شعبة البحث، أرامكو، الظهران.

– لمزيد من المعلومات، راجع: Selections from the Records of the Bombay Government, No. 24, p. 460.

(٣) Lorimer, Gazetteer, Vol. 1, p. 1118.

– أبو علية، الدولة السعودية الثانية، ص١٨٦.

(٤) للاطلاع على الأوضاع في البريمي في عهد إمارة تركي بن أحمد السديري، ارجع إلى:

- Landen, Robert Green, Oman since 1856; Modernization in a Traditional Arab Society, New Jersey, 1967, p. 283, 284.
- Al Wasmi, Khalid, Oman Enter L'Independence Et L' Occupation Coloniale, Publications Orientalisties, de France (?) p. 156, 157.

سفارة أحمد السديري (الأول) لدى والي جدة:

أرسل الإمام فيصل بن تركي أحمد السديري (الأول) إلى عثمان باشا شيخ الحرم المكي والحرم المدني، والي جدة العثماني من أجل أن تقر الدولة العلية العثمانية الإمام فيصل بن تركي على إمارة نجد، جاء في الخطاب: "**ومن خصوص المعتمد قد عمدنا أحمد السديري، فالمرجو منكم في الترجي عند الدولة العلية على تقرير الدولة العلية بصلاح البلاد والعباد على إمارة نجد، ونرجو الله أننا ممن يرغب في رضا الله تعالى ورسوله ثم رضا سلطان المسلمين وإمام الموحدين، منقاداً لقوله سبحانه وتعالى عز شأنه ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾، وتنفيذ أوامرهم السنيّة، واجتناب ما نهى الله عنه، وصيانة الرعية في أموالهم ودمائهم، ومن تسبب أحداً عليهم من المضار ننتقم منه بحول الله وقوته، ومستقيمين بطعام الفقراء والمساكين حسب الاستطاعة**"[(١)].

إن إرسال الإمام فيصل بن تركي موفده إلى والي جدة العثماني من أجل طلب اعتراف الدولة العثمانية بإمارته على نجد، له مدلولاته الكبيرة، ومن أهم تلك المدلولات الثقة التي أولاها الإمام فيصل للأمير السديري، وهي ناجمة عن مدى المحبة التي تربط الإمام به، تلك المحبة القائمة على أساس الإخلاص والتقدير والاحترام المتبادل، ومعروف أن السديري يكن ولاءً وإخلاصاً شديدين لرئيسه الإمام فيصل، وهو ما جعل الإمام ينتدبه للقيام بمهمة جدّ حساسة وجدّ سرية.

إن التجربة الإدارية والقدرة العسكرية والحنكة السياسية والإخلاص الذي يتمتع به أحمد بن محمد السديري (الأول)، أمور جعلت الإمام فيصل يختاره ليكون ممثلاً له لدى الدولة العثمانية، ممثلة بوالي جدة عثمان باشا، من أجل الاعتراف بإمارته، ومعروف تماماً أن الإمام فيصل بن تركي إمام قوي ومجرب ومحنك، وهي أمور حدت بلويس بلي (Lewis Pelly) المعتمد البريطاني في الخليج إلى وصف

---

(١) – الوثيقة العثمانية المحفوظة في الأرشيف العثماني، أوراق الباب العالي:

.Irade Masali – 1 Mũhimme, No. 2437, 19 Muharam, 1259 H

– ملحوظة: نقلت الكلام حرفياً – بضعف صياغتها – من الرسالة المحفوظة في الأرشيف العثماني.

الإمام فيصل بالحاكم العادل، وأن حكمه لم يسبق له مثيل في النجاح، يكبح جماح قبائله[1]، وتأسيساً على ذلك، فإن الإمام فيصل لا يختار إلا من يستحق الاختيار لأداء هذه المهمة.

وبناءً على تحسن العلاقة بين الإمام فيصل بن تركي والدولة العثمانية عن طريق واليها في جدة عام ١٢٥٩هـ/١٨٤٣م، قرر عثمان باشا أن يسمح لأسرة الإمام فيصل الموجودة في جدة منذ قدومها من مصر بالعودة إلى الرياض برفقة أحمد بن محمد السديري[2]، علماً بأن الإمام فيصل كان قد طلب من عثمان باشا، وكان وقتها في مصر، أن "**تفسح الدولة العثمانية له وأقاربه وأولاده في النقل إلى أحد الحرمين الشريفين أو إلى بلاده**"[3].

أحمد (الأول) وأبناؤه:

توفي أحمد بن محمد السديري (الأول) في الأحساء عام ١٢٧٧هـ/١٨٦١م[4]، وكان قد خلف أولاداً هم: محمد، وتركي، وعبد المحسن، وعبد العزيز، وسعد، وعبد الرحمن[5]، وقد توفي سعد يوم الجمعة من نهاية شهر صفر ١٢٦٩هـ/١٨٥٣م، عندما وقع عليه جرف في بلدة الجبيلة[6]، وتربى بقية الأبناء في كنف والدهم، وعايشوا إداراته وعسكريته في كثير من مناطق الدولة السعودية الثانية، فاشتغلوا جميعهم مثل والدهم في إدارة المناطق وقيادة قواتها، وهي من المناصب العليا في الدولة، وقد نشطوا في تلك المجالات، وصار لهم باع طويل فيها، وسأركز على الجوانب المهمة التي قام بها أبناء أحمد السديري، مبتعداً قدر الإمكان عن التفصيلات الجزئية.

تولى محمد السديري الإمارة في مناطق كثيرة في عهد الدولة السعودية

---

(١) Pelly's Report, p. 150.

(٢) أورد البخيتان هذه المعلومة في كتابه: خالد السديري شاعر في المعدودين، ص٦٢.

(٣) خطاب من فيصل بن تركي إلى عثمان باشا، من وثائق الأرشيف العثماني، أوراق الباب العالي، يحمل رقم: Irade Masali – 1 Mũhimme, No، 1798, 23 Rabiá 1, 1258،

(٤) الفاخري، ص١٨٥.

(٥) المغيري، المنتخب، ص٢٣٨.

(٦) الفاخري، ص١٨١.

الثانية، فعلى سبيل المثال لا الحصر، تولى إمارة سدير ومنيخ والطويرف والزلفي عام ١٢٦٣هـ/١٨٤٦م[١]، وتولى إمارة منطقة القصيم عام ١٢٧٩هـ/١٨٦٢م[٢]، وتولى إمارة الأحساء خلفاً لوالده بعد وفاته، ثم أعيد إليها بعد سنين تلبية لرغبة أهالي الأحساء، وكان الإمام عبدالله بن فيصل قد عزل الأمير محمد السديري عن إمارة الأحساء لأن أخاه تركي السديري آوى الأمير سعود بن فيصل الثائر عليه، وعين خلفاً له ناصر بن جبر الخالدي[٣].

يذكر سانت جون فيلبي في كتابه «الذكرى العربية» أن الأمير محمد بن أحمد السديري استقال من منصبه في إمارة الأحساء خلال الصراع الدائر بين الإمام عبدالله بن فيصل وأخيه سعود بن فيصل، ويذكر فيلبي أن محمد بن أحمد السديري أمير الغاط وقف إلى جانب الأمير سعود بن فيصل وناصره، وقتل لاحقاً في وقعة ماء طلال حيث كان قائداً لقوات سعود بن فيصل، ومعروف أن وقعة طلال كانت بين الأمير سعود بن فيصل وقواته ومصلط بن ربيعان وقواته، وقد هزم فيها سعود في ربيع الثاني عام ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م[٤].

روى المؤرخ النجدي ابن عيسى **"أنه في سنة ١٢٨٤هـ، أمر الإمام عبدالله بن فيصل عمه عبدالله بن تركي بالمسير إلى الأحساء، وأن يحبس كل من ظفر به هناك من بادية العجمان، وأن يحرق بيوتهم التي لهم في الرقيقة... وكان أمير الأحساء إذ ذاك محمد بن أحمد السديري، فكتب إليه الإمام وأمره بالقدوم عليه في بلد الرياض، فسار محمد المذكور من الأحساء، وقدم على الإمام عبدالله في بلد الرياض وعزله عن الإمارة، وجعل مكانه أميراً ناصر بن جبر الخالدي"**[٥].

نستخلص من رواية ابن عيسى أن عزل السديري عن إمارة الأحساء من قبل الإمام عبدالله بن فيصل وتعيين ناصر بن جبر الخالدي كان نتيجة لاتهام الإمام

(١) ابن بشر، عنوان، ج ٢، ص١١٤.
(٢) الفاخري، ص١٨٦.
(٣) غرايبة، مقدمة، ص٣٧٢.
(٤) – فيلبي، الذكرى، ص٤٢٤، كذلك ابن عيسى، عقد الدرر، ص ١٠٠-١٠١.
– في عام ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م زحف الأمير سعود بن فيصل بقواته على عتيبة في موضع يعرف بماء طلال من مواضع قبيلة عتيبة، وقد أسفرت الحرب بينهما عن هزيمة سعود وقواته، وكانت هزيمة نكراء.
(٥) ابن عيسى، عقد الدرر، ص ٦٨.

عبدالله للسديري بالضعف، حيث إنه من وجهة نظر الإمام لم يستطع كبح جماح قبائل العجمان المؤيدة للأمير سعود بن فيصل، ولعل هذا السبب يظل سبباً ظاهرياً لا أكثر، فبعد وقعة المعتلا[١] التي دارت بين قوات الإمام عبدالله بن فيصل وقوات الأمير سعود بن فيصل بعد ثورة الأخير على أخيه، انهزمت قوات الأمير سعود وجرح سعود في الوقعة، وبعد أن شفي الأمير سعود من إصابته توجه إلى البريمي في ضيافة تركي بن أحمد السديري (الأول)[٢]، وقد سبب ذلك غضب الإمام عبدالله بن فيصل عليه، ولعل عزل الإمام عبدالله بن فيصل لمحمد بن أحمد السديري عن إمارة الأحساء له صلة قوية بذلك.

إذا ابتعدنا قليلاً عن الجانب الإداري والعسكري في حياة محمد بن أحمد السديري (الأول)، نجد أن الأمير يتمتع بموهبة شعرية، فكان يقول الشعر بالعامية، "**ولم تكن الشاعرية في أسرة السديري حدثاً عارضاً، وإنما كانت موهبة متأصلة الجذور صقلتها تجارب الحياة ومعترك السياسة...**"[٣].

تولى تركي بن أحمد السديري، إمارة مناطق عُمان ومركزها البريمي بعد سنتين من تولي والده أحمد السديري إمارة المنطقة، فجاء أمر الإمام فيصل بن تركي بعودة أحمد السديري إلى إمارة الأحساء، وتعيين ابنه تركي مكانه في عُمان عام ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م، وقد حكم تركي السديري المنطقة العُمانية مدة اثنتي عشرة سنة، وكان موفقاً في إدارته وطريقة حكمه ومعاملته الحسنة للأهالي[٤].

خلال المدة الطويلة التي حكم فيها تركي بن أحمد السديري مناطق في عُمان وساحل الصلح، قامت ثورة صغيرة في عُمان تزعمتها قبيلة جعلان (أبو علي)، واحتل الثائرون مدينة صور العُمانية الساحلية بمساعدة تركي بن أحمد السديري، وقتل في الاشتباكات شخص وجرح آخر من بين الهنود التابعين لبريطانيا، فاحتجت بريطانيا على ما حدث بلهجة شديدة في ١٦ يناير ١٨٦٦م/١٢٨٣هـ، وقدمت

---

(١) ابن عيسى، عقد الدرر، ص ٦٨.

(٢) أبو علية، الدولة السعودية الثانية، ص ٢٠٠.

(٣) البدراني ومشاعل السديري، المنتهى في تاريخ السدارى، ص ٧٥.

(٤) المطوع، عقود الجُمان، ص١٥٧.

Al Wasmi, Oman Enter Et L' Independence, p. 156.

نسختين من الإنذار واحدة للإمام فيصل، والأخرى للوكيل السعودي في البريمي تركي بن أحمد السديري، مطالبة بأن تدفع الحكومة السعودية مبلغ (٢٧٧٠٠) ريال، وأن تتعهد بعدم القيام بمثل هذه الإجراءات[١]، وجاء الرد السعودي بلهجة ودية ولينة، وأصدر الإمام فيصل تعليماته إلى وكيله تركي السديري بأن يطلق سراح من بيده من الأسرى البريطانيين، وأن يعيد إليهم ممتلكاتهم، ولم يعجب ذلك بريطانيا، بل أبدت استنكارها[٢].

حقاً كان لتركي بن أحمد السديري أهمية بالغة في إدارة دفة الحكم السعودي في المناطق العُمانية، وكان له تأثير كبير على القبائل في المنطقة، وقتل السديري وهو يقوم بمهماته في أثناء جولة له في الشارقة عام ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م[٣]، الهدف منها حل النزاع القائم بين أفراد الأسرة الحاكمة[٤]، وفي هذه الرحلة التقى السديري الكابتن البريطاني واي (Way) وأخبره أن ليس لديه أمر رسمي من الإمام عبدالله بن فيصل لمساعدة حاكم مسقط المخلوع سالم بن ثويني[٥]، وبمقتل تركي السديري تكون البريمي قد حرمت من رجل كفء عمل على رفاهية الأهالي في المنطقة[٦].

وردت معلومات أكثر وضوحاً عن مقتل تركي بن أحمد السديري وكيل الدولة السعودية الثانية في البريمي، تذكر أن اضطراباً حدث في الشارقة بين الشيخ سالم بن سلطان بن صقر وأخيه إبراهيم عام ١٢٨٥هـ/١٨٦٩م، أرسل على أثرها الشيخ إبراهيم بن سلطان بن صقر رسالة عاجلة إلى تركي السديري من أجل حل النزاع القائم بينه وبين أخيه سالم، وجاء السديري إلى الشارقة، وأصدر أوامره

---

(١) F.O.) 195, 803A., Translation of Arabic News from the Consul General (Baghdad) to the British) Embassy, Constantinople, dated on 3rd March, 1869.
نقلاً عن جمال زكريا قاسم، الخليج العربي، ص٩٥،

(٢) Lorimer, Gazeteer, Vol. 1, p. 1122.

(٣) Albaharna, Husain M., The Legal Status of the Arabian Gulf, Manchester University Press, p. 211.

(٤) السالمي، نور الدين عبدالله، تحفة الأعيان، ج ٢، مطابع دار الكتاب العربي بمصر، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م، ص ٢٦٥.

(٥) أرامكو، إدارة العلاقات، شعبة البحث، المناطق الشرقية في مقاطعة الحسا، النسخة العربية، مطبوع على آلة ستانسل في الظهران، ١٢/٤/١٣٦٩هـ - ٣١ يناير ١٩٥٠م، ص٤٢، ٤٣.

(٦) المطوع، عقود الجمان، ص١٥٤.

بإلقاء القبض على الشيخ سالم، الذي أودع السجن، وانتشر الخبر في الشارقة وحدث هيجان، فاستنجد عدد من زعماء القبائل المؤيدين للشيخ سالم بحاكم عجمان الشيخ راشد بن حميد النعيمي، فأرسل حملة عسكرية إلى الشارقة بقيادة راشد بن عبدالعزيز النعيمي، تمكنت من إخراج سالم من الحبس، وأطلق قائدها الرصاص على تركي السديري من شباك غرفة كان يجلس فيها، فقتل في الحال، وقتل النعيمي حوالي سبعين فرداً من رجال السديري.

أوردت المصادر التاريخية ذات الصلة بالمنطقة أن تركي السديري أمير البريمي توجه عام ١٢٨٥هـ/ أبريل ١٨٦٨م إلى الشارقة لتسوية الصعوبات الطارئة بين أفراد الأسرة الحاكمة هناك، ونشب قتال في الشارقة في أثناء وجود تركي فيها انتهى بمقتله، أما الذين اقترفوا العمل، فقد غشّاهم الندم بعد أن رأوا أن عملهم التحريضي هذا قد حرم الإقليم من زعيم عمل دون كلل من أجل رفاهية الأهالي طوال سنوات عديدة، وخلف تركي في منصبه هذا أخوه عبدالرحمن[١].

ويتناقل الناس أن اغتيال تركي بن أحمد بن محمد السديري كان بتدبير من بعض شيوخ عُمان وإمارات الخليج الذين خشوا نفوذه، فقاموا بتوجيه دعوة له للحضور، أما طريقة الاغتيال فكانت بواسطة استدراجه للجلوس في مكان محدد شقت في مقابله فتحة في الجدار بحيث لا يظهر من خلالها إلا هو، وعندما أخذ تركي مكانه تم تسديد الرصاصة إليه، وعلى أثرها نجحت عملية الاغتيال".

يذكر وليم بولجريف (Palgrave) في كتابه "**رحلة سنة عبر قلب جزيرة العرب وشرقها**" أن تعيين تركي السديري في البريمي كان من أجل الحد من نفوذ أسرة السديري القوية في نجد[٢]، والواقع أن الحوادث التاريخية تثبت عكس ذلك تماماً، فقد تولى عدد منها مناطق كثيرة في البلاد النجدية وخارجها، فتولت أسرة السديري إمارات سدير والقصيم والأحساء والقطيف ومناطق البريمي في عُمان وغير ذلك، وإذا كانت المسألة بُعد أمارة البريمي عن مركز الثقل السعودي في

---

(١) – المطوع، عقود الجمان، ص١٥٤.
– عرض حكومة المملكة العربية السعودية، ج ١، الأساس، ص ٢٣١ – ٢٣٢.

(٢) Palgrave, W. G., Narrative of a Year's Journey Through Central and Eastern Arabia, vol. 2, London, 1963, p. 286.

نجد، فإن منطقة الأحساء بعيدة أيضاً عن مركز الثقل السعودي، وهي منطقة حيوية واستراتيجية بالنسبة للدولة السعودية لا تقل بحال من الأحوال عن منطقة البريمي بل تزيد عليها، كما أن مسألة الثقة لا تتجزأ، فأسرة السدارى تعدّ من أخلص العائلات النجدية لآل سعود، وقد ورد هذا الكلام في أكثر من مصدر تاريخي.

أما عن عبدالرحمن بن أحمد (الأول) السديري، فكان في منطقة عُمان، في البريمي، وتزوج فيها من ابنة سلطان بن محمد الصلف، من رؤساء بني خريبان فرع النعيم القاطنة في البريمي، والتي كانت دوماً مؤيدة للحكم السعودي في المنطقة[(١)]، خلف عبدالرحمن بن أحمد السديري أخاه تركي في حكم منطقة البريمي[(٢)] وكان وقتها قد اشتد الخلاف بين الإمام عبدالله بن فيصل وأخيه الأمير سعود بن فيصل، وكانت نتائج ذلك خطيرة على الدولة السعودية الثانية، إن الحرب الأهلية في الدولة السعودية الثانية كانت مفجعة حقاً، وكان من نتائجها أن سلخ العثمانيون منطقة الأحساء عن الدولة السعودية الثانية في عهد الإمام عبدالله بن فيصل في ربيع عام ١٢٨٨هـ/١٨٧١م، ومعروف أن الأحساء تشكل حلقة الوصل بين البريمي ونجد، مما أعاق أعمال السعوديين هناك، بل وأضعف نفوذهم بشكل كبير في تلك المناطق، وبناءً عليه فإن إمارة عبدالرحمن السديري في البريمي لم تكن فاعلة، خاصة وأن الإمام عبدالله بن فيصل لم يكن راضياً عن أسرة السديري كما أسلفنا سابقاً.

أما عن عبدالعزيز بن أحمد السديري فكان في صف الأمير سعود بن فيصل في المنطقة الشرقية، والواقع أن الدولة العثمانية لم تقف موقف المتفرج تجاه ما يدور من أحداث في الدولة السعودية الثانية، أعني الحرب الأهلية الدائرة فيها، بل وجدت في ذلك فرصة سانحة لإعادة بسط نفوذها على المناطق الخليجية بما فيها منطقة الأحساء، ومما زاد في قناعة الدولة العثمانية في نجاح هذا الأمر، الطلب الرسمي الذي تقدم به الإمام عبدالله بن فيصل من أجل أن تنجده الدولة

---

(١) - المطوع، عقود الجُمان، ورقة ١٥٦.

- أبو علية، الدولة السعودية الثانية، ص١٨٦.

(٢) - المطوع، عقود، ورقة ١٥٤.

العثمانية ضد أخيه سعود[1]، فكانت حملة مدحت باشا على الأحساء[2].

عرف الأمير سعود مشروع الدولة العثمانية الرامي إلى احتلال الأحساء، المنطقة الشرقية برمتها، وهي من أهم مواقع نفوذه وتجمعاته، فقرر أن يستعد للأمر، علماً بأنه كان يعرف تماماً أن ميزان القوى بين الطرفين غير متكافئ، والذي يهمنا هنا أن الأمير سعود بن فيصل عين عبدالعزيز بن أحمد السديري أميراً على القطيف عام ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م، ليتولى الدفاع عنها، تذكر «**الجنان**» وهي نشرة عثمانية كانت تصدر بالعربية أن "**أمير القطيف آخذ في الاستعداد للدفاع عنها بهدم البيوت والجوامع التي تعيق اندفاع كرات المدافع، فصدرت الأوامر بالذهاب إلى القطيف، وبعد مسير بضع أيام وصلت العساكر إلى تحت نخل قرية تبعد عن القطيف مسافة نصف ساعة...**"[3].

وجه قائد الجيوش العثمانية إلى عبدالعزيز بن أحمد السديري خطاباً يطلب فيه أن يسلم بلدة القطيف، وقد أُرسل الخطاب إلى السديري مع السيد محمد سعيد أفندي ومعه ضابطان في غير ملابسهما العسكرية ليشاهدا الأماكن والمواقع في القطيف قبل شن هجوم عليها، وقد رفض الأمير السديري أن يسلم القطيف، وقرر الدفاع عن البلدة، "وهو يعرف أنه لا يقدر على ذلك، ومع ذلك لا يقدر أن يسلم المكان الذي سلمه إياه سيده الأمير سعود الفيصل بدون صدام لئلا يعرض ناموسه للثلم إذ

---

(١) لمزيد من المعلومات عن هذه الحملة، راجع: أبو علية، الدولة السعودية الثانية، ص ٢٠٦ - ٢١٧، وكذلك خالد بن جابر الغريب، منطقة الأحساء عبر أطوار التاريخ، الدار الوطنية الحديثة، الخبر، ١٩٨٨م/١٤٠٨هـ، ص ١٨٨ - ١٩٣.

(٢) أرسل الإمام عبدالله بن فيصل عبدالعزيز أبا بطين إلى العراق، حاملاً ثلاث رسائل لكل من مدحت باشا والي بغداد وخليل باشا والي البصرة والسيد محمد الرفاعي نقيب أشراف البصرة، يطلب نجدة الدولة العثمانية ضد أخيه سعود، ارجع إلى:

Aitchison, Collections of Treaties, Vol. IX, Calcutta, 1892, pp. 16 – 18.

- رسالة الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ إلى الشيخ حمد بن عتيق، موجودة في كتاب "مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، ج ٣، ص ٢٧٣ - ٢٧٤.

(٣) - الجنان، الجزء السادس عشر في ١٥ آب ١٨٧١م، ص٥٤٩، تحت عنوان "العصيان في نجد".

- أبو حاكمة، أحمد مصطفى، تاريخ الكويت الحديث: ١٧٥٠ - ١٩٦٥م، ذات السلاسل، الكويت (د، س)، ص٢٥١.

أنهم يتهمونه بالخيانة"[١]، وتروي الوثائق العثمانية أن عبدالعزيز السديري أجاب بأنه لا يقدر أن يسلم القلعة لأن الأمير سعود الفيصل له فضل كبير عليه "**فكأنه عبد مملوك له**"[٢].

يقول العثمانيون إنهم "**دعوا المدينة إلى التسليم مرة ثانية ولكن بدون جدوى، وكان الأمير (السديري) أول من أطلق الرصاص على عساكرنا، ولذلك صدرت الأوامر بإقامة المهاجمة، وبعد ثلاث ساعات رأى الأمير أننا عطلنا نصف قوة قلعته بكراتنا المحشوة، سلم ودخلت فرقتنا الثالثة القلعة المسلمة، ورفعت الراية العثمانية فوق أعلى الأبراج...**"[٣].

تذكر جريدة الزوراء (البغدادية) ما آل إليه أمر عبدالعزيز السديري محافظ قلعة القطيف بعد الاستسلام، فقد قبضت عليه الفرقة العسكرية العثمانية النجدية، وأرسل إلى البصرة على السفينة بورصة (وابور بورسة)[٤]، ومنها سيرسل إلى بغداد، وهناك لابد وأن يلقى مصيره.

أما عن عبدالمحسن السديري، فقد تولى إمارة الغاط بعد والده أحمد السديري الذي انتقل إلى إمارات أخرى، وكان أحمد السديري قد تولى إمارة الغاط في فترة حكم الإمام تركي بن عبدالله آل سعود، وأصبح ابنه عبدالمحسن ليس أميراً على الغاط فقط، بل على منطقة سدير برمتها، وكان مقرها آنذاك بلدة المجمعة، ولابد من الإشارة هنا إلى أن أحمد السديري كان يتولى إمارة الغاط في حال عودته إليها.

إن الخبرة والتجربة والسمعة التي اكتسبها أحمد السديري (الأول) في مجالات الإدارة المحلية والعسكرية والسياسية، قد أفادت أبناءه الذين خطوا على نهج والدهم الذي يعدّ - وفق شهادات المؤرخين وبحق - مدرسة كاملة في تلك

---

(١) - الجنان، العدد نفسه، ص ٥٤٩.

- تذكر الوثائق العثمانية أن القتال دام عشر ساعات، ارجع إلى الوثيقة: Irade Dahiliye, 44196, 23 May, 1287 Romi.

(٢) Irade Dahiliye, No. 44 186, 21 May 1287 Romi.

(٣) الجنان، العدد نفسه، ص ٥٤٩.

(٤) الزوراء، العدد (١٦٥)، جمادى الأولى ١٢٨٨هـ/١٧ تموز سنة ١٨٧١م.

المجالات، ولم تقف الأمور عند هذا الحد، فقد ظهر جيل آخر حمل المسؤولية على عاتقه، وكان هذا الجيل من أحفاد أحمد السديري (الأول) وأبنائهم الذين عاصروا الدولة السعودية الحديثة، وقد تقوّت أواصر العلاقة بين الأسرة السعودية الحاكمة وأسرة السديري من خلال روابط مصاهرة(١)، ويأتي على رأسهم الإمام عبدالرحمن والملك عبدالعزيز وأبناؤهما(٢).

إن الخبرة الطويلة في مجال إدارة المناطق تعود بالفائدة على السكان عندما ينعمون بالعدل والإنصاف والأمن ومراعاة مصالحهم وتأمين مطالبهم، وهي أيضاً ذات فائدة كبيرة للدولة التي يهمها أن يسود الأمن والاستقرار في ربوع البلاد، وهي مفيدة للوالي نفسه الذي يكرس وقته في خدمة الدولة ورعاياها.

على الرغم من تراجع قوة الأسرة (السدارى) في ظل موقف الإمام عبدالله ابن فيصل منها، وما حدث في البلاد السعودية من فتنة وحرب أهلية استمرت نحو خمس وعشرين سنة، إلا أن هذا التواري في السلطة انعكس تماماً في عهد الدولة السعودية الحديثة، فقد ظهر حفيد لأحمد السديري الأول هو أحمد بن محمد السديري (الثاني) الذي قدم هو وأبناؤه وأقاربه خدمة مميزة في إدارة شؤون المناطق السعودية، وهكذا ظهر جيل آخر عمل في إدارة المناطق والمشاركة في الوقعات الحربية التي دارت رحاها بين الملك عبدالعزيز وأعدائه قبل عهد

---

(١) لمعرفة المزيد عن هذا الأمر، ارجع إلى:

- Bligh, Alexander, From Prince to King, Royal Succession in House of Saud in the Twentieth Century, New York University Press, New York, 1884, p. 41, 60.
- Lackner, Helen, A House Built On Sand; A Political Economy of Saudi Arabia, Ithaca press, 1978, p. 29, 70, 108.
- De Gaury, Gerald, Faisal, King of Saudi Arabia, London, 1966, p. 52.
- Lacey, Robert, The Kindom, New York, London, p. 174, 175.
- Holden, David, The House of Saud: The Rise and Rule of Most Powerful Dynasty in the Arab World, New York, 1981, p. 202, 272.
- الحربي، دلال بنت مخلد، نساء شهيرات من نجد كتاب صدر عن دارة الملك عبدالعزيز بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص٥٧، ٥٨.

(٢) ارجع إلى سبانو، أحمد غسان، آل سعود: العائلة المالكة، ص ٥٧ – ٨٧.

التنظيمات السعودية الحديثة، وقبل قيام جيش سعودي منظم يقوم بكل الشؤون القتالية والدفاعية والأمنية.

يمكننا عقد مقارنة بين أحمد السديري (الأول) وأحمد السديري (الثاني) الحفيد، فكلاهما عمل في إدارة المناطق وقيادة قواتها، وكلاهما شارك في وقعات حربية ضد الأعداء، فشارك (الأول) في وقعات خاضتها الدولة السعودية الثانية ضد أعدائها، وشارك الحفيد في وقعات خاضتها الدولة السعودية الحديثة في عهد مؤسسها الملك عبدالعزيز آل سعود، مع الملاحظة أن شهرة (الأول) أخذت بعداً أوسع من شهرة الحفيد، ويرتبط هذا بالوظيفة الإدارية، فقد تولى (الأول) إمارات خليجية ساحلية إلى جانب ما كان يتولاه من إمارات نجدية داخلية، مما هيأ له الاتصال المباشر بمشيخات الخليج وإماراته العربية، وأصبح على احتكاك بالحكومة البريطانية ذات النفوذ الواسع والمؤثر في الخليج، وهو ما جعل السديري (الأول) مسؤولاً سعودياً مؤثراً في أحداث الخليج، ويحتل مساحة واسعة في الوثائق التاريخية والكتابات البريطانية، وهو أمر بالطبع لم يحظ به الحفيد.

استمر عمل السديري (الأول) في المجالات الإدارية والعسكرية التقليدية الموروثة ردحاً طويلاً من الزمن، فاقت تجربته فيها تجربة الحفيد، كما أن (الأول) عمل لدى عدد من حكام الدولة السعودية الثانية منهم، تركي بن عبدالله، وفيصل بن تركي، وخالد بن سعود، وعبد الله بن ثنيان، بينما قدم السديري الحفيد خدمات مميزة في الإدارة والقيادة العسكرية لدى الملك عبدالعزيز.

خلّف أحمد (الأول) عدداً من الأبناء عملوا كلهم في إدارة المناطق وقيادتها، وشكلوا جيلاً فاعلاً في خدمة الدولة السعودية الثانية، وكذا الحال بالنسبة للسديري الحفيد فقد خلّف أبناءً عملوا في الإدارة المحلية، وقادوا سرايا حربية في عهد الدولة السعودية الحديثة، ومن المعروف أن أحمد السديري (الأول) هو جدّ الملك عبدالعزيز من أمه.

حقاً إن أعمال أحمد السديري (الأول) وحفيده أحمد السديري (الثاني)

وأبنائهما وأحفادهما شكلا زعامة جعلت أسرته من الأسر النجدية ذات المكانة العالية في البلاد السعودية وخارجها، وصنع هؤلاء تاريخاً لتلك الأسرة وأمجاداً تعتز بهما.

أحمد (الثاني) وأبناؤه:

إذا أمعنا النظر في تاريخ أحمد بن محمد السديري (الثاني)، نجد أنه شارك في مطلع شبابه في وقعات حربية دارت رحاها بين آل سعود ومحمد بن عبدالله بن رشيد الذي يعدّ من أشهر أمراء جبل شمر، حيث توسعت إمارة ابن رشيد في عهده فشملت إلى جانب جبل شمر مناطق الجوف ووادي السرحان، إذ تدخل ابن رشيد في شؤون منطقتي القصيم وسدير، واستطاع ضم جميع تلك المناطق لإمارته، وكانت تلك الأحداث من علامات أفول نجم آل سعود ونهاية الدولة السعودية الثانية[١].

شارك رجال من السدارى في وقعة روضة أم العصافير قرب بلدة المجمعة، بين الإمام عبدالله بن فيصل والأمير محمد بن عبدالله بن رشيد عام ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م، وانتهت بانكسار القوات السعودية، وسقط في المعركة عدد كبير من القتلى، كان من بينهم أحمد بن عبدالمحسن بن أحمد السديري (الأول)[٢] أمير الغاط وأخوه مساعد بن عبدالمحسن السديري[٣].

شارك أحمد السديري (الثاني) في وقعة المليداء بين أهالي القصيم ومحمد العبد الله الرشيد عام ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م، والتي أسفرت عن هزيمة أهالي القصيم، وقتل من مؤخرتهم في حدود ألف قتيل، وتعدّ وقعة المليداء من أكبر الخطوات الحاسمة التي مكنت محمد بن عبدالله الرشيد من السيطرة على جميع نجد[٤]،

---

(١) - الريحاني، أمين، تاريخ نجد الحديث، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨م، ص١٠٢.
- أبو علية، الدولة السعودية الثانية، ص٢١٨.
- فيلبي، الذكرى الذهبية، ص٤٢٥.
(٢) ابن عيسى، عقد الدرر، ص ١٢٢ - ١٢٣.
(٣) البدراني ص ١١٣، نقلاً عن رواية محمد المحمد السديري، وفهد الخالد السديري، وسعد الناصر السديري.
(٤) الناصر، عبدالرحمن، مخطوط عنوان السعد والمجد، ورقة ٣٣.

ويرى فيلبي أن أحمد السديري (الثاني) لم يؤد أي دور في الحياة العامة في عهد آل رشيد[1]، وقد تجدد نشاطه العسكري والإداري مع ظهور نجم الملك عبدالعزيز آل سعود بعد استرداده الرياض عام ١٣١٩هـ/١٩٠٢م، وقدم السديري بدوره خدمات مميزة للملك عبدالعزيز في مرحلة تكوين المملكة وتوحيد مناطقها في بوتقة دولة واسعة مترامية الأطراف في الجزيرة العربية، وظل ملازماً للملك عبدالعزيز، علماً بأنه كان قبل ذلك قد قدم خدمات للدولة السعودية الثانية ولكن في السنوات الأخيرة من حكمها.

أسهم أحمد السديري (الثاني) في تثبيت دعائم السيادة السعودية على مناطق جنوبي الرياض، وفي الوقت نفسه شارك في الوقعات الحربية ضد ابن رشيد في بلدات الدلم مركز منطقة الخرج والسلمية والحوطة، علماً بأن السديري كان وقتها أميراً على الدلم[2] في بداية عهد الدولة السعودية الحديثة التي أسسها الملك عبدالعزيز، كما شارك في المعارك الحربية ضد ابن رشيد في مناطق شمالي الرياض، فنازل سرية ابن رشيد في بلدة الروضة واستولى على البلدة، وبعد هذه الوقعة دخلت بلدات سدير ما عدا المجمعة في الدولة السعودية الحديثة، وعين أحمد السديري أميراً على منطقة سدير[3]، وكان قبلها قد شارك في وقعة شقراء التي هزم فيها جيش ابن رشيد عام ١٣٢١هـ/١٩٠٣م، وعين بعدها أميراً على الوشم[4].

شارك أحمد السديري (الثاني) ومعه مساعد بن سعد بن عبدالمحسن السديري في معركة البكيرية في القصيم ضد قوات عبدالعزيز آل رشيد، وكانت معركة حامية الوطيس شاركت فيها القوات التركية العثمانية إلى جانب آل رشيد ضد القوات السعودية، وكانت خسارة الطرفين عظيمة، فقتل من القوات السعودية تسعمائة، وقتل من قوات ابن رشيد في حدود ثلاثمائة، وقتل من القوات التركية

---

(١) فيلبي، الذكرى الذهبية، ص٤٢٥.

(٢) لمزيد من التفصيلات عن هذه الوقعات ارجع إلى:
الريحاني، تاريخ نجد، ص ١٣٠ – ١٣٢.

(٣) – الريحاني، تاريخ نجد، ص ٣٥.
– الزعارير، محمد عبدالله، أمارة آل رشيد، بيسان للنشر والتوزيع، الأردن، ١٩٩٧م، ص ١٩٢ – ١٩٣.

(٤) فيلبي، الذكرى الذهبية، ص ٤٢٦.

في حدود ألف جندي من بينهم أربعة ضباط من ذوي الرتب العسكرية العليا[١].

أما عن إدارة المناطق في الدولة السعودية الحديثة، فقد تولى الأمير أحمد السديري (الثاني) إمارة عدد من المناطق كإمارة الدلم مركز منطقة الخرج، وإمارة منطقة الوشم، وإمارة منطقة سدير، وإمارة منطقة الأفلاج، وإمارة القصيم في الفترة بين ١٣٢٥ - ١٣٢٦هـ[٢]، وبالتحديد فقد مكث السديري في إمارة القصيم مدة عشرين شهراً، وكان مركزه في بلدة بريدة، وبعدها أعيد السديري أميراً على الأفلاج ثانية بسبب الخلافات الناشبة في تلك المنطقة، وظل على الإمارة حتى عام ١٣٣٥هـ/١٩١٦م، ويذكر فيلبي أن أحمد السديري تقاعد بعد إمارته الثانية على الأفلاج، وعندها اهتم بإدارة أمواله وممتلكاته في بلدة الغاط[٣]، وقدر مولده بنحو عام ١٨٦٩م، ١٨٧٠م[٤]، وقد خلف عدداً من الأولاد، هم بحسب تسلسلهم العُمري: تركي، وعبد العزيز، وخالد، ومحمد، وعبدالرحمن (صاحب هذه السيرة)، ومساعد، وسليمان، وبندر، والمعروف أنه توفي يوم ١٦/١٠/١٣٥٤هـ[٥].

مارس أبناء أحمد بن محمد السديري (الثاني) العمل في إدارة المناطق مماثلة لوظيفة والدهم وأجدادهم الأوائل، ويأتي من هؤلاء تركي بن أحمد السديري، وهو أكبر أبناء أحمد السديري الثاني، وله مكانة عالية، ويتحلى بخلق نبيل وطبع عربي أصيل، متواضع وزاهد في الإطراء، واسع الأفق، يتمتع بحنكة إدارية وسياسية، له خبرة إدارية كبيرة ودراية في أمور المناطق وإدارتها[٦]، وهو ركن من أركان الدولة ومن أبرز زعماء منطقة سدير، عُرف عنه الحزم والهيبة، مولود سنة ١٣١٧هـ/١٨٩٩م[٧]،

---

(١) الريحاني، تاريخ نجد، ص ١٤١.

(٢) العتيبي، إبراهيم، تنظيمات الدولة السعودية في عهد الملك عبدالعزيز، جدول رقم (٢) أمراء المقاطعات الرئيسة في عهد الملك عبدالعزيز.

(٣) فيلبي، الذكرى الذهبية، ص ٤٢٦.

(٤) فيلبي، الذكرى الذهبية، ص ٤٢٥.

(٥) ذكر ذلك المؤرخ عبدالرحمن بن ناصر، وأنه توفي عن ثمانين سنة من العمر.

(٦) العقيلي، محمد بن أحمد، تاريخ المخلاف السليماني، ج ٢، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص١١٦٣، ١١٩٢.

(٧) The International Who's Who of Arab World, London, 1984, p. 509.

عين **تركي السديري** في مطلع شبابه عام ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م مرافقاً للملك عبدالعزيز في فترة تأسيس الدولة السعودية الحديثة، مما أكسبه خبرة سياسية وإدارية، وفي الوقت نفسه نال ودّ الملك عبدالعزيز ورضاه، فعينه على إمارة منطقة الجوف عام ١٣٤٠هـ/١٩٢١م[١]، ومقرها بلدة دومة الجندل، وظل أميراً على المنطقة إلى عام ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م[٢]، علماً بأن إمارة الجوف كانت وقتذاك مرتبطة بمنطقة حائل، وقد عاد تركي السديري أميراً على الجوف للمرة الثانية عام ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م، وظل فيها حتى مطلع ١٣٥١هـ/١٩٣٢م[٣]، السنة التي تم فيها توحيد البلاد العربية السعودية تحت اسم المملكة العربية السعودية، وقد اقترح تركي السديري قبل تعيينه على إمارة منطقة الجوف للمرة الثانية فصل إمارة منطقة الجوف عن إمارة منطقة حائل وربطها بالنائب العام في الحجاز[٤]، واقترح في أثناء إمارته الثانية على الجوف نقل مقر منطقة إمارة الجوف من بلدة دومة الجندل إلى بلدة سكاكا[٥]، وقد قبل الملك عبدالعزيز هذين الاقتراحين ونفذا بالفعل.

وعلى الرغم من أن إمارة الجوف إمارة صغيرة جغرافياً نسبياً، إلا أنها تظل إمارة ذات تاريخ مهم، وهي في الوقت نفسه بوابة واسعة ومنفذ بري يوصل المملكة ببلاد الشام والعراق، وإمارة حدودية مهمة بالنسبة للمملكة، مما استوجب معه فصلها عن إمارة حائل، وهي بحاجة إلى أمير كفء يستطيع ضبط أمور المنطقة، وصفات توافرت في تركي بن أحمد السديري.

وجد الملك عبدالعزيز من واقع تجربته أن تركي الرجل القادر على تسلم إمارة حدودية مهمة جداً، وهي إمارة عسير، خاصة في أوقات الطوارئ والخلافات الحدودية، وقد وقع اختيار الملك عليه لما يتحلى به من مواصفات القيادة الإدارية والحنكة السياسية وأدب التعامل مع الأهالي، وقد ورد هذا الاختيار في برقية

---

(١) F.O. 406/71, Enclosure in No. 3, Personalities, in Saudi Arabia, Index, p. 32.

(٢) العتيبي، تنظيمات، جدول رقم (٢)، أمراء المقاطعات الرئيسة في الملك عبدالعزيز، في ملاحق الكتاب.

(٣) العتيبي، تنظيمات، جدول رقم (٢)، في ملاحق الكتاب.

(٤) لمعرفة المزيد ارجع إلى: عبدالرحمن بن أحمد السديري، الجوف: وادي النفاح، مؤسسة عبدالرحمن بن أحمد السديري، ص٦٣.

(٥) البدراني، المنتهى، ص١٢٢، وقد نقل البدراني ذلك من مخطوطة عبدالرحمن بن عبدالله اليوسف، ومن مقابلة أجراها مع عبدالرحمن بن محمد الملحم عام ١٤٢١هـ.

وجهها الملك عبدالعزيز إليه، جاء فيها: "**اليمن شغلنا ويبي له رجال منا يصير أمير فيه، وطاح نظرنا عليكم، وآخره، فالمسألة موجب أمرين الأول ما ندري أيش الذي بخاطرك، والثاني ما ندري منهو الذي يصلح في مكانك**"(١).

رد تركي على برقية الملك بأنه مستعد للخدمة في المكان الذي يراه الملك، رد الملك بعبارة: "**ولكن ما عرفنا الذي ترى أنه يصلح في مكانك في الجوف، فسواء كان من الأمراء السابقين أو من عائلتكم**"، فاختار أخاه عبدالعزيز بن أحمد السديري.

تولى تركي إمارة عسير - ومقرها أبها - مرتين، الأولى من مطلع سنة ١٣٥٢هـ وحتى سنة ١٣٥٤هـ، والثانية من سنة ١٣٥٦هـ حتى عام ١٣٧١هـ(٢)، وقد ورد في ملحق كتاب: تنظيمات الدولة في عهد الملك عبدالعزيز لإبراهيم العتيبي أن إمارة تركي السديري على عسير شملت المدة الزمنية من سنة ١٣٥٢هـ - ١٣٧٠هـ.

كانت مهمته في إمارة عسير غاية في المسؤولية، وكان هو في منتهى الدقة في تسيير شؤون الإمارة، فكان عليه أن يصلح القبائل الجبلية، التي تعاظم أمرها في آخر عهد الأمير السابق، فكانت تلك القبائل المتنازعة تحارب بعضها بعضاً، وقد وفق تركي في مهمته هذه، ونجح في وضع حد لتلك النزاعات والاختلافات والحروب لما يتمتع به من خبرة عملية ومرونة سياسية(٣)، إن محاولات تطبيع

---

(١) أورد البدراني تلك البرقية في المنتهى، ص ١٢٢، ١٢٣، نقلاً من مخطوطة عبدالرحمن بن عبدالله اليوسف.

(٢) - عسيري، علي أحمد عمر، حكام أبها ومقاطعاتها: أبها في التاريخ والأدب، ط ١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، نادي أبها، ص٦٩.

- الظاهري، أبو عبدالرحمن بن عقيل، ملحق كتاب إمتاع السامر بتكملة متعة الناظر لشعيب بن عبدالحميد ابن سالم الدوسري، قدم له وعلق عليه محمد بن عبدالله الحميد وعبد الرحمن بن سليمان الرويشد، إصدار دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص٥١٢.

- ورد تعيين تركي بن أحمد السديري على أمارة عسير في الوثيقة البريطانية:

- Public Record Office, Foreign Office (F.O) No. 406/71/ Enclosure in No. 6, Jeddah Report, dated on June, 1933, Inernational Affairs.

- F.O: 371/16856, April, 1933.

(٣) لمزيد من التفصيلات عن هذا الموضوع ارجع إلى:

- العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج ٢، ص٣٧١.

القبائل العسيرية الجبلية باتجاه الاستقرار هي جزء من الأمن العام والسلام اللذين سادا منطقة عسير في عهده.

ومسألة أخرى أسهم السديري في تطبيعها، وهي مسألة تعيين الحدود بين المملكة العربية السعودية والمملكة اليمنية تجاه نجران، وقد تم ذلك باتفاق بين الدولتين عرف باتفاق الطائف عام ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م[١]، ويعدّ هذا الاتفاق ركيزة من ركائز السلام والأمن بين الدولتين المتجاورتين.

كان تركي السديري يعرف جيداً احتياجات أهالي عسير ومطالبهم كجزء أساس من ركائز مهمته، وكان في الوقت نفسه، يقدر الصعوبات الإدارية والسياسية التي تظهر بين الآونة والأخرى في الإمارات الحدودية، خاصة تلك التي لم تعين حدودها بشكل كامل، أو لم تثبت تلك الحدود، أو ما زالت حدودها مدار نقاش ومحادثات وإجراءات، ومن خلال هذا التراكم كله تظهر شخصية تركي السديري وقدرته على معالجة تلك الأمور، وكان أهلاً لهذا كله، فقد مثل بلاده عضواً في مؤتمر أبها الذي عقد في شهر ذي القعدة من عام ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م، لحل الخلاف الدائر بين المملكة واليمن بالطرق السلمية، علماً بأن الأمير تركي كان قد اشترك في الحرب اليمنية السعودية، وكان مسؤولاً عن تجهيز الحملات والإشراف على التموين[٢].

ورد في وثيقة أمريكية أن تركي السديري كان يتصل مباشرة بالملك عبدالعزيز في جميع مكاتباته ومراسلاته، كما هو الحال بالنسبة لأمير منطقة الأحساء ووزير الدفاع والمستشارين وغيرهم[٣]، وهذا يدل على علو مكانته وأهمية مركزه الوظيفي في الدولة.

الواقع أن أمراء المناطق في عهد الملك عبدالعزيز كانوا موزعين، إما من البيت السعودي الحاكم كما هو الحال بالنسبة لآل جلوي في المنطقة الشرقية، أو من

---

(١) آل زلفة، محمد بن عبدالله، عسير في عهد الملك عبدالعزيز، دورها السياسي والاقتصادي والعسكري في بناء الدولة السعودية الحديثة، دراسة وثائقية، ط ١٩٩٥م، ص ١٧٨ .

(٢) المسلم، إبراهيم، عبدالعزيز بن سعود وشخصيات في الذاكرة، دار الثقافة للنشر (د، س)، ص٢٧.

(٣) The National Archives of the U.S.A., R. G. 59/L M 189, No. 786 A.02/ 11 – 1451, Chart of Saudi Arabia Government, from American Embassy, Jidda to Department of State, June 11, 1951.

عائلات قريبة للأسرة كما هو الحال بالنسبة لأسرة السديري، أو من شيوخ القبائل والأسر العريقة والفاعلة، أو من الشخصيات المعروفة بالكفاءة الإدارية.

أما عن **عبدالعزيز بن أحمد السديري** فقد تولى إمارة منطقة الجوف خلفاً لأخيه تركي الذي تولى إمارة منطقة عسير، وظل الأمير عبدالعزيز في إمارة منطقة الجوف أكثر من أربع سنوات، بدأت بعام ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م[(١)].

انتقل عبدالعزيز السديري بأمر ملكي من إمارة منطقة الجوف عام ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م إلى منطقة القريات، أميراً ومفتشاً عاماً للحدود الشمالية الغربية[(٢)]، وهي منطقة واسعة جداً لها حدود آنذاك مع كل من إمارة شرقي الأردن ومملكة العراق، وتصل في امتدادها إلى خليج العقبة، وكانت بلدة (كاف) مقراً لإمارة منطقة القريات، ورأى عبدالعزيز السديري أن بلدة (كاف) التي كانت مقراً لنواف الشعلان قبل ذلك، تقع بين جبال وسباخ مما لا يسمح بالتوسع العمراني النامي، فاقترح على الملك عبدالعزيز نقل مقر الإمارة إلى مكان آخر عُرف باسم (قريات الملح)، وهي مجموعة قرى صغيرة متقاربة بما فيها كاف، اشتهرت بوجود كميات من الملح في المنطقة[(٣)]، وعدّ هذا الأمر بداية لمشروع توطين البادية في منطقة القريات.

وفي اعتقادي أن مشروع توطين بادية القريات هذا هو امتداد طبيعي لمشروع التوطين الكبير الذي نفذه الملك عبدالعزيز في ربوع بادية بلاده[(٤)]، وهو أول مشروع بلا منازع لتوطين البدو في الجزيرة العربية في العصر الحديث، بل وفي العالم العربي بأسره، حقاً هناك اختلاف نسبي بين مشروع الملك عبدالعزيز للتوطين وبين توطين البادية في منطقة القريات، لكن يبقى الهدف واحداً وإن اختلفت الوسائل والأساليب.

---

(١) لمزيد من المعلومات راجع: عبدالرحمن بن أحمد السديري، الجوف: وادي النفاخ، ص٦٢.
- العتيبي، تنظيمات الدولة في عهد الملك عبدالعزيز، ملحق رقم (٢).

(٢) F.O. 371/ 23274, Annual Reprot, 1938.

(٣) البدراني، المنتهى، ص١٢٧، وقد نقل البدراني هذه المعلومات من مخطوطة عبدالرحمن بن عبدالله اليوسف، ومن تقرير عن آثار القريات نشر بجريدة الوطن العدد (١٨)، ومجلة القريات، العدد (٣٥).

(٤) لمعرفة المزيد عن هذا المشروع راجع: عبدالفتاح حسن أبو علية، الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز، الفصل الخامس، ص ١٣٩ - ١٧٠.

اهتم عبدالعزيز السديري بشؤون التعليم في القريات، ولعله من أوائل من فتح مدرسة لتعليم البنات بالمملكة كانت في بلدة القريات عام ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م، ونادى بتعليم بنات البادية، ومن أقدم من علّم بناته في أسرة السديري، كما أنشأ صندوقاً للبر والإحسان في بلدة القريات لمساعدة الفقراء والمعوزين[١]، وهو مشروع إنساني اجتماعي يخدم منطقة القريات.

أعتقد أن تولي عبدالعزيز السديري منصب مفتش الحدود الشمالية الغربية وتخويله إجراء محادثات بشأن الحدود مع كل من الأردن والعراق وسورية، أكسبه شهرة في مجال خدمة بلاده، وفي مجال معاملاته واتصالاته مع المسؤولين البريطانيين والأردنيين والعراقيين والسوريين، مما جعل اسمه يتصدّر في كثير من الوثائق البريطانية ذات الصلة بمحادثات الحدود السعودية الأردنية العراقية السورية، وأصبح خبيراً في شؤون قبائل الحدود ومشكلاتها، مما جعله يجتمع مراراً بالمسؤولين البريطانيين في شرقي الأردن مثل كيركبرايد (Kirkbride) وجلوب (أبو حنيك) وغيرهما لدراسة المسائل الحدودية وتجاوزات القبائل على الجانبين السعودي والأردني[٢]، وقد تصدى لحل مشكلات البدو على الحدود السعودية الأردنية، وتصدى لمسألة الخلاف حول مرور التجارة من سورية إلى السعودية عبر الأردن، وتمكن من إزالة سوء التفاهم الحدودي القائم بين بلاده والبلاد العربية المجاورة، ووطد العلاقة معها، وهو ما أكدته لنا الوثائق الهاشمية[٣]، وأعتقد أن عبدالعزيز السديري من خلال دوره الفاعل في المسائل الحدودية

(١) أوردها البدراني عن سلطانة بنت عبدالعزيز السديري.

(٢) لمعرفة محادثات الحدود السعودية الأردنية واجتماعاتها والإجراءات التي اتخذت حيالها، ارجع إلى الوثائق البريطانية في:

- Arabian Boundaries, Primary Documents, 1854 – 1957, Richard Schofield, Gerald Blake, Vol. 5, Archives Edition, 1988, pp. 568 – 589.
- Records of Jordan, 1919 – 1965, Vol. 4 (1932 – 1939) Edited by Jane Priestland, 1996, pp. 271 – 319, 509 – 529, 788 – 814.
- F.O. 371 / 23274, Annual Report, 1938.

(٣) الوثائق الهاشمية، أوراق عبدالله بن الحسين، مجلد (١٠)، طبع عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، وثيقة رقم ٦٦/ ٢٢٤ – ٦/٢٠٠، وكذلك وثيقة رقم (٦٧) (٢٢٥ – ٦/٢٠٠) مؤرخة في ١٣٦٦/٢/٨هـ، ووثيقة رقم (٤) (٨ – ١٧٥) مؤرخة في ١٩٢٩/٢/٢٨م.

ووقف تعديات القبائل الأردنية على الحدود، كلها تقرر أنه شارك بشكل جاد في مرحلة بناء الدولة السعودية الحديثة.

ودلالة على تحسن العلاقة بين السعودية والأردن من خلال نشاط عبدالعزيز بن أحمد السديري، تبادل الهدايا بين الملك عبدالعزيز والأمير عبدالله بن الحسين، فقد أرسل الملك عبدالعزيز عن طريق الأمير السديري إلى الأمير عبدالله (١٠٠) كيس أرز هندي، و(٩) براميل دهن، و(٥٠) قربة تمر خلاص، بالإضافة إلى فسائل النخيل، وقد أعقب ذلك تبادل خطابات الشكر والمودة في وثائق مهمة حفظتها لنا الوثائق الهاشمية[١].

أرّقت مشكلات القبائل الحدودية عبدالعزيز السديري، كما أرقت المسؤولين الأردنيين والبريطانيين، وعقدت عدة اجتماعات لحل تلك المشكلات وما لحق بها من سلب ونهب وقتل، وقد لعب الطرفان المتجاوران دوراً إيجابياً في حلها وفي إحلال الوئام، وإرساء قواعد السلام النسبي في المنطقة الحدودية[٢].

ورد عن جلوب (أبو حنيك) أن قبائل شرقي الأردن بحاجة إلى مئات الهجمات لكي تعيد أكبر عدد من الإبل التي أُخذت في حملة واحدة من الحملات المتبادلة[٣]، إن المتمعن في هذا الكلام يرى مدى صعوبة المسائل الحدودية التي تصدى لها عبدالعزيز بن أحمد السديري.

كان لدى السديري قوة حدودية قوية نسبياً شكلت من البدو (الهجانة Camel

---

(١) الوثائق الهاشمية، وثيقة رقم (٦٥ – ٤١٤) خطاب رقم ٢١٢٠/٣/٢٤ في ١٣٦٠/٦/١٨، مجلد (١٠)، ص (٢١٠)، وثيقة رقم (٦٧ – ٤١٤)، مؤرخة في ٢١ جمادى الآخر ١٣٦٠هـ، ووثيقة رقم (١٥٤ – ٤١٤)، في ٢ رمضان ١٣٦٥هـ.

- F.O. 371/23274, Annual Report on Saudi Arabia, 10 May, 1939.

(٢) الوثائق الهاشمية، وثيقة رقم (٦٣–٣٤٥) مؤرخة في ٢٤ سبتمبر ١٩٣٠م، وثيقة رقم (٧٠–٣٤٥) مؤرخة في ١٩٣٠/٧/٣٠م، ووثيقة رقم (٧١–٣٤٥) في ١٩٣٠/١٠/٩م.

– هناك وثائق عن هذا الموضوع محفوظة في مكتب السجلات البريطانية العامة بلندن، وزارة المستعمرات، مثل:

– CO/831/11/1 A Note On Situation on the Southern Forntiers of Trans Joradan, Undated.

– CO/831/7/18, dated on 19 Aug., 1930.

(٣) الصباغ، عبداللطيف محمد، بريطانيا ومشكلات الحدود بين السعودية وشرق الأردن، مكتبة مدبولي، ١٩٩٩، القاهرة، ص ١١٤ – ١١٦، ١٢٥.

Men)، وكانت موجودة في مناطق شمالي الحجاز، وظيفتها الأولى القيام بهجمات مضادة ضد القبائل الحدودية[١] التي تخل بأمن المنطقة الحدودية، وردع القبائل الجامحة التي اعتادت على الغزو والنهب والسلب والقتل، كلها مظاهر قبلية كانت تعمل على تعكير صفو السلام والهدوء في المنطقة، على الحدود السعودية الأردنية[٢].

اعتقد أن ممارسة عبدالعزيز بن أحمد السديري وتعاملاته مع البدو سكان البادية في مناطق إمارته وضمن حدود صلاحيته، قد جعلته يفكر في توطين البدو ونقلهم من حال الترحال والتنقل إلى حال الاستقرار، ومن حال الرعي كوظيفة اقتصادية إلى أعمال أخرى كالزراعة، ومن حال الخروج عن القانون إلى حال المواطنة وطاعة الدولة، مما يسهم في بناء المجتمع وتطوير موارده التنموية، وكان هذا الجهد امتداداً طبيعياً لجهود الملك عبدالعزيز في توطين البدو، وقد أفادت قبيلتا الشرارات التي كانت تقطن منطقة وادي السرحان والرولة على الحدود السعودية الأردنية السورية من هذه المشروعات التوطينية، وتشكل منطقة القريات منطقة حدودية مهمة، ومعبراً للبلاد العربية السعودية للقادمين براً من تركيا ولبنان وسورية والأردن، ومركز خروج سعودي للمسافرين براً باتجاه تلك البلدان.

وقبل وفاة عبدالعزيز السديري بقليل عيّنه الملك سعود وزيراً للزراعة عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م، بعد الأمير سلطان بن عبدالعزيز[٣]، وبعد وفاته عُين أخوه خالد ابن أحمد السديري خلفاً له في هذا المنصب، وبهذا يكون عبدالعزيز السديري قد تقلب في عدة مناصب في الدولة في عهد الملك عبدالعزيز وابنه الملك سعود في مجالات إدارة الأقاليم والسياسة وحروب الصحراء، وقد تشابهت وظيفة مفتش

---

(١) Arabian Boundaries, Primary Documents, 1853 – 1957, vol. 5, Archive Editions, 1988, Operations against Beni Atiya, pp. 567 – 587.

(٢) لمعرفة المزيد من المعلومات عن هذا الموضوع، ارجع إلى:
- F.O. 371/27268, dated on 26 Feb. 1941.
- F.O. 371/27268, 14 + / 5 Feb., 1941.

(٣) – F.O. 371/120753, Calender for 1955, dated on Jan. 22, 1956.
- F.O. 371/114874, ES 1015/18.

الحدود الشمالية الغربية السعودية مع وظيفة جون جلوب الذي قدم من العراق عام ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م إلى شرقي الأردن ليضع حداً للغزوات القبلية على الحدود السعودية الأردنية، وتولى جلوب منصب مفتش حدود على الجانب الأردني لما له من خبرة في مجال القتال الصحراوي في بادية العراق، وعند وصول جلوب إلى الأردن كانت الخلافات الحدودية السعودية الأردنية في أشدها من جراء مشكلات القبائل، حتى إن حرس الحدود الأردنية لم يستطع إيقافها[١].

أما عن **خالد بن أحمد السديري** فهو إداري ناجح، وصاحب تجربة إدارية كبيرة في مجال إدارة المناطق والتعامل مع أهاليها، وهو من خير من يقدر الظروف المحلية والظروف العامة المحيطة بالمنطقة التي يتولى إدارتها، وصفه مؤرخ المخلاف السليماني (العقيلي) بأنه يجمع بين سياسة السيف والقلم، منظم في تسيير الأعمال الإدارية وتطبيق نظام الإمارات الإداري، يساعده في ذلك مجلس من أعيان المنطقة حرص الأمير خالد على تشكيله[٢] من أجل تدارس شؤون المنطقة التي يتولى إمارتها، والتباحث مع أهلها بشأن احتياجاتها ومتطلباتها المحلية.

أما سياسة القلم، فالمقصود بها أنه أديب ضليع، واسع الثقافة[٣] والمعروف عنه أنه يقرض الشعر العربي الفصيح، وقد تأسس على حسب قواعد اللغة العربية وآدابها يوم أن كان تلميذاً للشيخ عبدالله الحصيّن المتخصص في قواعد اللغة العربية وآدابها، وظل خالد السديري يلازم هذا الشيخ الذي جاء من مدينة بريدة إلى الغاط لتعليم أبناء أحمد بن محمد السديري (الثاني) وغيرهم في الكُتَّاب الذي حوّله والدهم ليكون أول مدرسة حديثة نسبياً في الغاط[٤] يتعلم فيها أبناؤه وغيرهم من أبناء الغاط.

---

(١) لمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع، ارجع إلى:
- نواف، العقيد الركن المتقاعد فاروق، تاريخ الجيش العربي الأردني، ١٩٢١ – ١٩٦٧م (د، س) (د، م).
- أبو درية، سعد ومهدي، عبدالمجيد، الجيش العربي، دبلوماسية الصحراء، ١٩٨٧م (د، س)،

(٢) العقيلي، محمد بن أحمد، المخلاف السليماني، ج ٢، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ط ٢، ١٣٠٢هـ/١٩٨٢م، ص١١٦٢.

(٣) العقيلي، المخلاف، ج ٢، ص١١٦٢.

(٤) المسلم، إبراهيم، عبدالعزيز بن سعود وشخصيات في الذاكرة، ص٢٩.

لم يتوقف خالد السديري عند هذا الحد من التعليم، وإنما ذهب إلى الرياض ودرس فيها الفقه والحديث على يد الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وتلقى علوم اللغة العربية وآدابها على أخيه الشيخ عبداللطيف، ثم على يد مدرس مصري كان قد أحضره الملك عبدالعزيز لتدريس الأمراء[١].

احتك خالد السديري طويلاً بالمسؤولين العاملين في شركة الزيت العربية الأمريكية، وخاصة الأمريكيين منهم يوم أن كان أميراً على الظهران، في الوقت الذي وضعت فيه الحرب العالمية الثانية أوزارها، وفي وقت بدأ فيه السلم يخيم على العالم، وبدأت عجلة التطور التنموي العالمي تسير بشكل جاد في أعقاب الحرب، وبحكم منصبه المباشر بالبترول نال موقعاً في الوثائق الأمريكية، خاصة في التقارير والمراسلات والمكاتبات السرية بشأن البترول والظروف العامة المحيطة بمنطقة الظهران التي كانت تبعث بها القنصلية الأمريكية بالظهران إلى وزارة الخارجية الأمريكية، فقد وصفت الوثائق الأمريكية خالد السديري بأوصاف جدّ طيبة، فذكرت أنه ذكي، ويعالج الأمور بحكمة وروية، ووصفته بالإنسان الحباب لين المعشر، وله علاقة جيدة ومقبولة مع المسؤولين الأمريكيين في الشركة ويحاول تعلم اللغة الإنجليزية[٢]، والأمير خالد بلا أدنى شك يعدّ صاحب تجربة إدارية وسياسية كبيرة، وله مكانته في الدولة[٣].

أما في مجالات العمل الإداري في المناطق، فقد تولى منصب وكيل إمارة عسير في مطلع عام ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م في أثناء قيام أخيه تركي في مهمات رسمية خارج منطقة عسير[٤]، وكان أخوه وقتذاك أميراً على منطقة عسير ومقرها مدينة أبها، وفي صفر من عام ١٣٥٩هـ أسندت إمارة منطقة جازان إلى الأمير خالد، وكان موفقاً

---

(١) المسلم، عبدالعزيز بن سعود، ص٢٩.

(٢) The National Archives of the U.S.A., Microfilm R G 59/LM168, No. 890F. 00/12-345, Letter from Parker Hart, American Consul, Dhahran to the Secretary of State, dated on 3rd Dec., 1945, Rivalry between Amir of Al-Hasa and the Amir of Dhahran District.

(٣) A Study of the Council of Ministers, Westview Special Studies in Middle East, p. 58.

(٤) – من مخطوطة عبدالرحمن بن عبدالله اليوسف.

– Twitchell, K.S., Saudi Arabia with an Account of Its Natural Resources, Princeton University, 1953, p. 115.

إلى حد كبير في إدارتها من خلال أساليبه الإدارية الناجحة، فكان يستمع إلى مطالب الأهالي وشكاواهم، كما تمكن بصبره وشجاعته وقوة عزيمته من معالجة تمرّد بعض القبائل الجبلية، وتجريدها من السلاح ومنعها من الاعتداء على قبائل المنطقة.

يقول المؤرخ العقيلي: "**عمل خالد السديري في منطقة جازان على إرسال حملات عسكرية ضد القبائل الجبلية لإرغامها على الخضوع وعدم الاعتداء على غيرها، وجرد أغلب القبائل من سلاحها**"[(١)].

هكذا كانت تجربة خالد وتركي السديري في كبح جماح القبائل المتمردة والمتحاربة، واللذين حاولا، قدر المستطاع أن ينزعا من القبائل روح التمرد والجموح وينقلانها إلى حياة السلم والأمن والهدوء، وهو موقف يسجل للأميرين.

نُقل خالد من إمارة منطقة جازان إلى إمارة مقاطعة الظهران، وهي منطقة جدّ مهمة لأن فيها النفط، الشريان الحيوي للمملكة العربية السعودية، وفيها طبقة عمالية فنية واسعة من السعوديين وغيرهم، ومن جنسيات متعددة، كما أن شركة البترول (أرامكو) شهدت أحياناً اضطرابات عمالية، كما هو الحال في صيف عام ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م[(٢)]، وهو أمر غير مألوف في المملكة.

تبين بعض الكتابات المحلية والوثائق الأمريكية ذات الصلة، أن العلاقة بين سعود بن جلوي أمير منطقة الأحساء، وخالد السديري أمير الظهران، لم تكن على ما يرام بشأن صلاحيات كل منهما، وكان السديري يرى أن يكون اتصاله بالملك عبدالعزيز مباشراً[(٣)]، وقد استمر في عمله هذا زهاء عام أصبح بعده عضواً في مجلس المستشارين.

عندما تشكلت منطقة تبوك إدارياً عام ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م، عين خالد السديري

---

(١) لمعرفة المزيد من المعلومات عن هذا الأمر ارجع إلى:
- العقيلي، المخلاف، ج ٢، ص ١١٦٢ - ١١٦٤.

(٢) The National Archives of the U.S.A., Microfilm R G 59/LM168, Document No. 890F. 00/12-345, dated on Dec. 3rd, 1945, from Parker T. Hart, American Consul, Dhahran to the Secretary of State, Washington D.C. Rivalry between Amir of Al-Hasa and the Amir of Dhahran District.

وقد تحدث الشيخ حمد الجاسر في كتابه: من سوانح الذكريات (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م) عن خالد السديري في عدة مواقع، وأشار إلى أنه عندما كان أميراً في الظهران أناب أخاه سليمان عنه في أثناء سفره.

(٣) الوثيقة السابقة.

أميراً على المنطقة، حتى عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م، وكان للسديري دور فاعل في حل الخلافات والنزاعات القبلية في المنطقة، كما هو الحال بالنسبة للخلاف القائم بين قبيلة الأيدا من عنزة وقبيلة حامد بن رفادة شيخ بلي[١]، وهو أمر غير مستغرب من صاحب التجربة الكبيرة في مجال حل الخلافات القبلية الدائرة في المناطق التي تولى إمارتها.

عين الملك سعود خالد السديري عام ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م مشرفاً على منطقة نجران القبلية والمناطق الحدودية مع اليمن في فترة الاضطرابات التي شهدتها في أعقاب ثورة الجيش اليمني على الإمام البدر وإعلان الحكم الجمهوري، وقد أعقب ذلك حرب ضروس بين الملكيين مدعومين بالمملكة العربية السعودية والجمهوريين المدعومين بالجمهورية العربية المتحدة، وتولى قيادة القوات السعودية في معركة الوديعة[٢]، وظل السديري في المنطقة يعمل على النهوض بها والمحافظة عليها من الأخطار التي ظلت تهددها من جرّاء الحرب اليمنية التي طال أمدها، حيث إن منطقة نجران تعدّ منطقة ساخنة ومنطقة طوارئ، وقد توفي عام ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م، وعين ابنه فهد أميراً على المنطقة خلفاً لوالده.

أما عن **محمد بن أحمد السديري** فتتوافر فيه مقومات القيادة والحنكة السياسية، وحسن الأداء في تصريف الأمور، زد على هذا تجربته الإدارية التي مارسها منذ أن كان شاباً لا يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره، إذ تولى وقتها إمارة منطقة الجوف عام ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م، حتى الربع الأخير من عام ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م[٣]، وقد أدى مهمته هذه على خير وجه، خاصة وأنه يتمتع بمزايا اجتماعية إنسانية،

---

(١) – أورد ذلك معيض البخيتان في كتابه: خالد بن أحمد السديري شاعر من المعدودين، ص٢٣.
- إبراهيم المسلم، عبدالعزيز بن سعود، ص٣٠.
- قاد حامد بن رفادة ثورة فاشلة ضد الملك عبدالعزيز آل سعود، ارجع:
- Records of Jordan, 1919 – 1965, Vol. 3, Archive Editions, pp. 759-803.
- Records of the Hashimite Dynasties, Vol. 6, Trans Jordan, Amire Abdullah, Archive Editions, 1995.

(٢) – البخيتان، خالد بن أحمد السديري، ص٣٣.

(٣) – العتيبي، تنظيمات الدولة، ملحق رقم (٢)، أمراء المقاطعات الرئيسة.
- بديوي، حسين عبدالحميد، محمد بن أحمد السديري: أميراً وشاعراً، ص ٣٤.

فقد عالج في منطقة الجوف موضوعات ذات صلة مباشرة بأهالي المنطقة مثل موارد المياه ومناطق الرعي.

نقل محمد السديري من إمارة منطقة الجوف إلى إمارة منطقة جازان خلفاً لأخيه خالد، وقد وصفه المؤرخ العقيلي في كتابه المخلاف السليماني بأنه يتحلى بالخلق النبيل والسماحة والعلاقة الحسنة مع الأهالي والفتوة العربية الأصيلة، وجميعها صفات طيبة أهلت صاحبها لتولي مناصب قيادية في الدولة.

اختار الملك عبدالعزيز محمد السديري ليكون على رأس المتطوعين السعوديين الذين هبّوا لمساعدة الفلسطينيين في حرب عام ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م لما فيه من الصفات التي تؤهله لذلك من أجل قضية عربية إسلامية تستحق ذلك من حيث المنظورين الديني والقومي، إذ كانت الحماسة والواجب يغمران العالمين الإسلامي والعربي دفاعاً عن قضيتهم الأولى، ولقيت مسألة الدفاع عن فلسطين تجاوباً كبيراً في صفوف الشباب السعودي[١]، علماً بأن النفير المتطوع ظل مرابطاً على الحدود الشمالية دون أن يسمح له بدخول الأردن لأسباب سياسية[٢]، وقدر عدد الرجال بخمسة ألوية مجهزة لقتال العدو.

عُيّن محمد السديري محافظاً لخط أنابيب البترول (التابلاين)، وأميراً لمنطقة الحدود الشمالية، وكان مقرها بلدة الدويد، وقد نقل هذا المقر إلى عرعر التي كانت عُمرت حديثاً، وشجع السكان على التجمع في عرعر ومنطقتها، ووزع عليهم أراضي صالحة للسكن، وحفر الآبار الإرتوازية لاستخراج ماء الشرب، وأدخل الكهرباء، ولم يكن اهتمام السديري منصبّاً على عرعر فقط، وإنما اهتم بجميع البلدان التي يمر عبرها خط الأنابيب، وقد تبنى تعليم عدد من أبناء المنطقة على نفقته الخاصة، مساهمة منه في إعداد شباب متعلم يشارك في تطوير المنطقة[٣].

(١) أبو علية، عبدالفتاح حسن ورفيق النتشة، المملكة العربية السعودية وقضية فلسطين، صدر بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص٣٠٦، ٣٠٧.

(٢) المسلم، عبدالعزيز بن سعود، ص٣٥.

(٣) البدراني، ص ١٥٩، عن سيرة ذاتية بخط سلطانة بنت عبدالعزيز السديري.

ولما يتميز به من خبرة إدارية وسياسية، ولما يتمتع به من شخصية قوية، عينه الملك سعود أميراً على جازان والمنطقة الحدودية مع اليمن في إثر الانقلاب اليمني الجمهوري عام ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م، جدير بالذكر أن عبدالرحمن - شخصية هذا الكتاب - كان قد خلف أخاه محمداً في إمارة منطقة الجوف عام ١٣٦٢هـ.

إن الجهد العملي الإداري والسياسي لمحمد السديري وازاه موهبة شعرية فريدة في مجالات القصائد الطويلة المعروفة لدى الأدباء بالملاحم، ووفق في قصائده التاريخية التي خصصها لـ (أبطال من الصحراء) تناول فيها شخصيات من القبائل المتميزة بصفات حميدة كالشجاعة والكرم والفضائل الإنسانية والقيادة، وله قصائد ذات أهداف تربوية كما هو الحال بالنسبة لـ (الدمعة الحمراء)، وما تحويه من مضامين اجتماعية هادفة[١]، يقول فيها الأديب عبدالله بن خميس: "**هي مسرحية غنية بصورها، مستوفية لأدوارها، تمثل أول تجربة لشعرنا الشعبي الأصيل، ويعتبر صاحبها الرائد الأول في هذا المجال، فهي من حيث الهدف والمدلول تعالج مشكلة اجتماعية مستعصية وتلقي الضوء على طبيعة عرب الصحراء وواقعهم، وهي من حيث الشكل كائن متكامل لا ينقصه الإغراء ولا تعوزه الجدة والابتكار**"[٢].

أما **مساعد بن أحمد السديري** فقد عمل في الإدارة والسياسة، وهما مجالان ملتصقان عملياً، وقد وصفه المؤرخ العقيلي الذي عايش أوضاع منطقة جازان التي تولى السديري إمارة منطقتها في المدة بين ١٣٦٨ - ١٣٧١هـ/١٩٤٨ - ١٩٥١م، بأنه صاحب مبادرة، وسريع التنفيذ[٣]، نفذ مساعد السديري مشروع الإصلاح الإداري في جازان، فغيّر عدداً من رؤساء الدوائر، وركز على مصالح أهل المنطقة وشؤونهم المحلية، ودلل العقيلي على ذلك بالجهد الطيب الذي قام به مساعد في حل الخلاف والنزاع القائم منذ مدة طويلة بين أهالي بلدة حرض اليمنية وأهالي بلدة الموسّم السعودية، والذي امتد زهاء تسع سنوات بشأن سقي الموسم، وقد تمكن بدبلوماسيته الهادئة وأسلوبه السياسي من حل

(١) ارجع إلى ديوان محمد بن أحمد السديري.

(٢) محمد بن أحمد السديري، الدمعة الحمراء، الكويت، ١٩٨٠م، ص ١٢ - ١٣.

(٣) العقيلي، المخلاف، ج ٢، ص ١١٦٦.

المشكلة، وساعده في حلها الشيخ محمد بن علي البيز، وجاء الحل مرضياً للطرفين[(١)]، وتذكر المصادر التاريخية أن مساعد تولى إمارة منطقة تبوك عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م[(٢)]، وهي إمارة مهمة تشرف على الحدود مع الأردن.

اشتغل بعد ذلك، في العمل الدبلوماسي، فعين سفيراً للمملكة في اليمن، لما له من تجربة إدارية في منطقة جازان، بالإضافة إلى تجربته في التعامل مع السلطات اليمنية، وتقديراً لخدماته الدبلوماسية المميزة في اليمن منح وسام الملك عبدالعزيز من الطبقة الأولى، ووسام مأرب من رئيس الجمهورية اليمنية[(٣)].

إن تجربة رجالات هذه الأسرة في إدارة المناطق الجنوبية المتاخمة للحدود اليمنية، جعلت حكومة المملكة تنتدب عبدالله بن عبدالعزيز بن أحمد السديري ليرأس لجنة السلام في مؤتمر حرض على الحدود السعودية اليمنية الرامي إلى إقامة حكومة يمنية مؤقتة وعمل استفتاء شعبي لتقرير نوع الحكم في اليمن، وقد عقد المؤتمر في ٢٩ رجب ١٣٨٥هـ/٢٣ نوفمبر ١٩٦٥م، حضره (٢٥) ممثلاً ملكياً و(٢٥) ممثلاً جمهورياً[(٤)].

أما بالنسبة للابن الأصغر لأحمد السديري (الثاني) وهو بندر، فقد تفرّغ للعمل الخاص، وصدر عن سيرته بعد وفاته كتاب من تأليف ابنه نايف، وهو بعنوان: «موزاييك الذاكرة» (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٧م).

مما لا شك فيه أن تجربة أبناء أحمد السديري (الثاني)، هي امتداد طبيعي لتجربة أبناء أحمد السديري (الأول)، تلك التجربة الطويلة التي أسهمت في المسيرة التاريخية للدولتين السعوديتين الثانية والحديثة.

---

(١) العقيلي، المخلاف، ج ٢، ص ١١٦٦، ١١٦٧.

(٢) المسلم، عبدالعزيز بن سعود، ص٤٢.

(٣) المسلم، عبدالعزيز بن سعود، ص٤٢.

(٤) لمعرفة المزيد من المعلومات عن المؤتمر، ارجع إلى:

- أوبالانس، إدجار، الحرب في اليمن، ترجمة عبدالخالق محمد لاشين، الدوحة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ص١٢٩ - ١٣١.
- عفيف، أحمد جابر، الحركة الوطنية في اليمن: دراسة ووثائق، دار الفكر، دمشق ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ١٤٧ - ١٤٨.

إنه تاريخ عميق وممتد لقرون عدة، وإذا كانت الأجيال الأولى من هذه الأسرة قد شاركت مشاركة فاعلة وبناءة في التأسيس الإداري والسياسي للدولة السعودية، فإن الجيل المعاصر تعددت مجالات تعليمه وتخصصاته وثقافته وفكره، فاتسعت دائرة أعماله وجهده، وإذا كانت أجيال الأمس منها قد ركزت على إدارة الأقاليم في المقام الأول، فإن شباب اليوم درسوا في الجامعات والكثير منهم درس في جامعات أجنبية في الخارج، فتخصصوا وزاولوا أعمالاً في مجالاتهم، فمنهم من عمل في الوظائف الحكومية المختلفة، ومنهم من عمل في المحاماة وفي المجالات الاقتصادية والاجتماعية، لأن ظروف اليوم غير ظروف الأمس.

وكما أن رجالاً من أسرة السديري برزوا في أعمالهم وأنشطتهم المختلفة، فإن أجيالاً من النساء برزن في رعاية أسرهن، وفي خدمة المنشآت الاجتماعية كرعاية الأطفال المعوقين من خلال مبادرات إنسانية في مجالات خيرية، إن هذا الجانب، وأعني الجانب النسوي منها، جدير بالبحث والدراسة الجادة والتحليل في مجال الخط التاريخي للأسرة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده أولاً وآخراً الذي مكنت
هذه البلاد بنعمة الأمن والاستقرار حتى
يبذل كل مخلص لدينه ووطنه ما يستطيع
من أعمال الخير وهذه المؤسسة الخيرية
للأمير عبدالرحمن السديري ممتدة من مفاخر
المنطقة وهذا ما لا مراء فيه
ولا مصلحة مادية بل عملاً صالحاً
مبروراً للفخر في ظل الشريعة السمحة
ووفق الله كل عامل ومساعد على
إتمام رسالته

كلمة حررها الأمير سلطان بن عبدالعزيز في سجل الزيارات، عند زيارته للمؤسسة الخيرية بالجوف (الثلاثاء ١٤٠٩/٦/٢٤هـ).

الفصل الثاني

الأب .. الرئيس

فيصل بن عبدالرحمن السديري *

اكتشفت – في إطار السعي نحو جمع المعلومات التاريخية لخدمة أغراض هذا الكتاب – حقيقة عدم توافر مثل هذه التفاصيل، وبالأخص فيما يتعلق بالتاريخ الحديث، فعلى الرغم من أهمية الدور الذي قام به بعض رجال هذه الأسرة، إلا أن تلك المناصب لم تكن في دائرة الأضواء، ربما بسبب عدم سعي بعض أولئك الأشخاص للبروز.

من هنا، ارتأيت وإخواني أن نسعى إلى محاولة تسجيل ما نعرفه عن والدنا عبدالرحمن ابن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد السديري، وكنت قد عاصرته ابناً وعملت موظفاً تحت رئاسته.

عيّنه الملك عبدالعزيز أميراً لمنطقة الجوف في عام ١٣٦٢هـ (١٩٤٣م)، وهو في الرابعة والعشرين من عمره، في وقت كان معظم إخوته مكلفين لتأدية الواجب في جازان وأبها وتبوك والظهران والقريّات.

وكان الوالد قد حدثني أنه حين كلّفه الملك عبدالعزيز قام بتوجيهه، وأبدى الثقة فيه، ودعا له بالتوفيق، وطلب منه أن يضع مخافة الله نصب عينيه ويراقب الله في الناس، فشكره واستأذن هامّاً بالخروج، فإذا بالملك عبدالعزيز يناديه ثانية ويقول له: «**إن هناك موظفاً في الإمارة (حدد اسمه) قد يكون غير صالح**» فشكر الملك ثانية ومن ثم توجه إلى عمله، لكنه لم يشأ أن يتسرع في اتخاذ أي قرار.

وبعد عامين، استأذن من الملك، وكان يخاطبه إدارياً مباشرة آنذاك، بأن يستبدل ذلك الموظف، فرد عليه الملك: «**ما دمت اقتنعت الآن فلا بأس**»، وهو يروي هذه القصة معجباً بذاكرة الملك وأرويها لإظهار مدى التروّي وعدم الاستعجال

* أكبر أبناء شخصية الكتاب، وسيرد التعريف بسيرته في هوامش الفصل الثالث .

الذي أبداه في تصرفه.

لم تكن الأوضاع في ذلك الوقت مستتبة، وكانت المخالفات الأمنية كثيرة، مما استحوذ على جزء كبير من جهود الإمارة، حيث روى - على سبيل المثال، عندما كانت العشائر تتنقل عبر الحدود دون ضوابط - قصة مجموعة من البادية العراقية اغتصبت بعض قطعان الإبل العائدة إلى قبائل سعودية وأخرجتها إلى العراق، وتمّ توقيف بعض من تتهمهم الإمارة في الضلوع في هذه المخالفة إلى حين عودة الإبل المسروقة، وقد سعى رؤساء العشائر طالبين التوسط لدى الملك عبدالعزيز[1] لإطلاق سراحهم، بزعم أنهم أبرياء من التهم الموجّهة إليهم، فجاء توجيه الملك بإطلاق سراحهم.

يقول: «**صرت أفكر كيف سيؤثر هذا على الأمن في المنطقة، ومن يعيد حقوق أصحاب الإبل، فقررت إرجاء تنفيذ هذه الأوامر للتفكير في الأمر، ولما طال الوقت، ظن رؤساء العشائر العراقية الذين اتصلوا بالملك عبدالعزيز أن الملك صرفهم بقوله لقد كتبنا لأمير الجوف عن موضوع إطلاق سراحهم، ثم فوجئت في أحد الأيام، أن جاءني المضايفي (المسؤول عن الضيافة) وقال لي: إن فلاناً وفلاناً من كبار القوم قد حضروا ومعهم الإبل المسروقة، فوجهته بأن يعتني بهم ويدخلهم إلى القهوة (مجلس الاستقبال)، ويطلق سراح السجناء ويكسوهم بملابس جديدة ويدخلهم على الضيوف، وحمدت الله أن تأنّيت وحصلت النتيجة كما توقعت، وقد استقبلتهم بما يليق بهم ومن ثم رفعت برقية إلى الملك أقول له فيها إنني تلقيت أوامركم بإطلاق سراح لصوص الإبل، وبما إنني متأكد من فعلتهم فقد تأخرت في تنفيذ أوامركم وكانت النتيجة إعادة المسروقات إلى أصحابها، فما كان من الملك إلاّ أن أجاب مقدراً له حرصه**».

روى هذه الواقعة معرباً عن تقديره لحنكة الملك الذي لا يتمسك بشكليات الأمور بل بنتائجها، وأوردها دليلاً على الجرأة التي تحلّى بها في إرجاء تنفيذ الأوامر واستعداده لتحمّل تبعات قناعاته.

كما روى بالمناسبة عن هؤلاء السجناء أثناء فترة توقيفهم داخل أسوار قصر

---

(١) قيل إن الوساطة تمت من خلال عبدالعزيز الصقير، القائم بالأعمال في السفارة السعودية ببغداد، وفي رواية أخرى أنها تمت عبر أحد مشايخ الرولة.

الإمارة، أنه قام بتفقدهم في أحد الأيام ولاحظ عليهم الشحوب والهزال واستدعى المسؤول وأنّبه على ذلك، واستفسر عما إذا كان هناك تقصير في إعاشتهم، فأقسم له أن الإعاشة تأتيهم كاملة، فطلب منه أن يضيف التمر إلى وجبتهم، فيقول: «**وبعد فترة عاودت زيارتهم فإذا بهم بحال أفضل**»، وقد روى هذه الواقعة مستشهداً – وهو الخبير بالتمور والنخيل – على فائدة التمور في الغذاء، كما يدل اهتمامه بشؤون هؤلاء المساجين على عطفه وإنسانيته.

ولم يكن العمل الإداري في المنطقة سهلاً وبالأخص في البداية، والتي هي مرحلة اكتساب ثقة المواطن في أعقاب دخول المنطقة تحت لواء الحكم السعودي.

لم تكن للوالد هموم – في علاقاته مع الناس – غير خدمة الوطن، وكان يعتمد على الجوانب الإنسانية في إدارته، لا يرضى بالإهانة لأحد، ويسعى إلى الإصلاح بين ذات البين ويبذل الكثير في هذا السبيل من جاهه وماله.

وقد قام الملك سعود بعد مبايعته ملكاً بزيارة تفقدية لمناطق شمال المملكة فاجتمع الأمير مع أعيان المنطقة وذكر لهم فيها نيّة الملك وأهمية مثل هذه الزيارة، وضرورة استثمارها، والتآلف والظهور بالمظهر الموحد، وطلب منهم استعراض طلباتهم، وكان مما أسفرت عنه الزيارة إعفاء مقترضي الآلات الزراعية من باقي الأقساط وإقامة بعض الجوامع والمشروعات الأخرى، ويروي الوالد، وهو أول من وضع في المنطقة ماتوراً ميكانيكياً لاستخراج المياه، أنه سعى مع وزارة المالية في الفترة الأخيرة التي سبقت وفاة الملك عبدالعزيز لبيع مثل تلك الآلات على المزارعين بالتقسيط، مما ساعد في إيجاد نقلة كبيرة في مزارع النخيل في المنطقة.

وفي أثناء زيارة الملك، وبينما كان الوالد للتوّ خارجاً من مجلس الملك يرافقه سعيد كردي قائد الحرس الملكي آنذاك، إذا بأحد المواطنين يطالب بصوت مرتفع أن يقابل الملك، والحرس يحاولون إقناعه بأن عليه الحضور في المجلس العام، فتوجه الأمير إليه (وهو من أهالي سكاكا) فقال له: «**ماذا بك**»؟ فرد عليه بأنه يريد مقابلة الملك، فقال له: «**ماذا لديك؟**»، فرد عليه: «**أنا شاكيك**»، فطلب

أن يعطيه الخطاب فأخذه منه وعاد إلى مجلس الملك وقدم الشكوى إليه، قال الملك: «**هذا شاكيك يا عبدالرحمن، ما هي دعواه؟**»، فقال: «**إن المذكور سعى إلى إحداث بعض التشويش في وقت مبايعتكم ملكاً وقد لقي جزاءه وأنت مرجع الجميع**»، فقال الملك: «**ماذا ترى؟**» فرد عليه أنه يقترح أن تشكل لجنة تنظر في شكواه والنظر في الطلبات الأخرى للمنطقة، وقد تشكلت اللجنة فعلاً إلا أنها لم تستدل على حقائق ملموسة.

وقديماً لم يكن المواطنون يعتنون باستخراج صكوك شرعية بأملاكهم، مكتفين باتفاقيات المبايعات دون تسجيلها، ولما تقرر اعتماد إدارة للبلدية في المنطقة، ولمعرفة الأمير المبكرة بذلك، فقد كان يحث المواطنين في كل مناسبة على تثبيت أملاكهم واستخراج صكوك شرعية بها، كي لا تأتي البلدية وتصبح طرفاً فيما ينشأ عن ذلك من تعقيدات، إلا أن الكثيرين لم يعيروا تلك النصائح أي انتباه، وكان أن أُنشئت البلدية وأخذت بالفعل وحرصاً على الأملاك العامة تدقق في الأمور.

وهناك حادثة محددة تجسّد شفقة الوالد على هذا الأمر، إذ كان أحد المواطنين ضعيف الحال مالياً، ولم يستطع أن يثبت ملكيته للأرض المجاورة حوطته (بستانه) وليس بمقدوره أن يشتريها، فرأف لحاله عندما رفع الموضوع إليه، وقام تعاطفاً معه بدفع قيمة الأرض وتمليكها للمذكور، لكن المواطن رفع شكوى إلى الملك يذكر فيها أنه تم التجني عليه مع محاولة اغتصاب أرضه، فجاء الاستفسار عن الموضوع، وحينها طلب الوالد إعادة المبلغ الذي دفعه له وترك المعاملة تدور كما كانت عليه كي يتولّى الشخص بنفسه إثبات ملكيته لها شرعاً.

وحدث بعد سنوات، أن تأزمت حالة زوجة هذا الشخص عند الوضع، ولعدم وجود مستشفى يرعى مثل هذه الحالات في سكاكا، ولندرة السيارات آنذاك، فقد لجأ إلى الأمير طالباً نقل زوجته إلى عرعر حيث يوجد مستشفى لشركة التابلاين، وقد كلف الأمير السائق فهد الفهيد المنديل - وفي رواية أخرى إبراهيم العنان - وبسيارة الأمير الخاصة بإيصال المذكور وزوجته إلى عرعر - وفي رواية

أخرى إلى الأردن – وفي وسط الطريق، أخذ المذكور يبكي، فالتفت إليه السائق وقال: **ما يبكيك الآن؟ سنصل إلى المستشفى وزوجتك ولله الحمد بخير والأمور سوف تهون إن شاء الله**، فرد عليه: **أن زوجتي ليست هي التي تبكيني بل يبكيني عبدالرحمن السديري كيف أنه عمل معروفاً بي في السابق وأسأت فيه الظن واليوم ألجأ إليه، وبلا تردد يعود إلى نجدتي.. كيف بي أن أجزيه؟.**

وأذكر عندما عينت وكيلاً له في الإمارة، ومن ضمن نصائح كثيرة، أنه قال لي: **"يا فيصل أنت الآن مسؤول والمسؤول يجب أن لا ينزل إلى مستويات شخصية يكون فيها نداً للمواطن، فالآن لو تقابل شخصان وافترقا، أحدهم اتجه شمالاً والآخر جنوباً فقد لا يكتب لهما لقاء، ولكن لو أبعد أحدهم وبقي الآخر في مكانه فإن احتمال عودة المغادر عن رغبته وارد إذ أن الآخر ما زال في مكانه"**، أي بمعنى أنك يجب أن تترك مجالاً للتراجع بتسامحك والبعد عن الرغبة في الانتقام».

وكان مجال الاتصال به متاحاً في أغلب أوقات النهار والليل، فبعد دوامه الرسمي يتناول غداءه بصحبة ضيوفه ومرافقيه، وبعد فترة قيلولة قصيرة ومزاولته رياضة المشي متفقّداً مزرعته، يجلس بعد صلاة العصر لاستقبال العموم في مجلسه المفتوح، ويبقى إلى ما بعد تناول العشاء أيضاً مع ضيوفه ومرافقيه، وهو إن كان يستجيب لطلبات المراجعين ذات صفة الاستعجال، إلا أنه يفضّل حصر المراجعات العادية على وقت الدوام الرسمي، وهذا هو برنامجه سواء كان في المدينة أو خارجها.

روى مفرج بن بليهيد الرسام عن عبدالرحمن الشايع أحد مواطني منطقة الجوف، وهما يستذكران الصفات التي يتحلى بها الوالد، فيقول متعجباً: «**كيف أنه بمقدار ما نسيء إليه، يحسن إلينا فأسلوب تعامله معنا لا يتغير، يعمل على دعوتنا بالمناسبات ويستقبلنا بكل بشاشة مستفسراً عن أولادنا وأحوالنا ولا يتوانى عن تلبية طلباتنا الشخصية والعامة، وكان بالنسبة للخلافات الأسرية يلجأ إلى حلها سلمياً ويتفادى ما أمكن أن تأخذ دورتها الرسمية**».

في بداية هذا القرن الهجري (الثمانينيات الميلادية) كان أحد المواطنين راغباً في بيع رعيته من الإبل المغاتير، وكان الوالد قد خرج لمعاينتها في الحماد

(شمال الجوف)، وقد اشتراها ودفع للمواطن العربون، وبعد أيام قدم إلى سكاكا، وأبدى رغبته في التراجع عن البيع، وقال له الوالد: «**إذا كان قصدك القيمة كثرها أو قلها فهذا له باب، وإذا كان الهدف رغبتك في إبقاء إبلك وتربيتها فهذا أمر آخر**»، فذكر المواطن أن سبب تراجعه هو رغبته في الاحتفاظ بأباعره، فقال له: «**إذا كان هذا هو السبب فأنا أعين وأعاون**»، ومن ثم سامحه عن العربون الذي كان قد تسلمه، وأرسل له فوق ذلك حمل سيارة من الشعير، وبقيت الإبل بعد مماته عند أبناء ذلك المواطن[١].

كان من عادته أن يلبي دعوات المواطنين في المناسبات المختلفة، وبالأخص في موسم استواء الفاكهة من بطيخ وعنب وشمام وتمور، وربما لبّى، عند عودته من أسفاره، دعوات عدة يومياً من بعد صلاة العصر. يجد فيها المتعة بلقاء المواطنين رغم ما فيها من عناء عليهم وعليه، ويراها فرصة للتوجيه والتعرف على الأحوال ومداعبة الحضور، كما كان يحضر مناسباتهم في الأفراح والأتراح، ولقد مكّنه التواصل المباشر مع مواطني المنطقة دونما حواجز، من التعرف على الأسر وأحوال المجتمع.

وكانت علاقته بمرؤوسيه علاقة أبوية يحفظ لهم كراماتهم دون التنازل عن نقد مظاهر التسيّب والإهمال، وكانت طرق معالجته لأي من تلك الهفوات تتمّ بالصورة الإيجابية، كأن يشعر المتهاون باستغرابه صدور مثل هذا الخلل من شخص مثله، بحيث يسهل عليه التراجع مع حفظ ماء الوجه، فيكون هذا أشد أثراً على متلقي التأنيب ذاك، وقد كان يخص مديري الإدارات المختلفة في المنطقة برعاية غير عادية، يتحسس فيها احتياجاتهم ويذلل الصعوبات أمام من يعتقد أن فيهم منفعة للمنطقة لاستمرار بقائهم فيها، ولهذا تجد أن هناك صداقات قد نشأت من هذه العلاقة استمرت على المستويات الشخصية حتى بعد انتقال بعض هؤلاء المسؤولين خارج المنطقة.

لقد كان من عادته، على سبيل المثال، أن يطلب من سائقه التوقف لإركاب من يراه يمشي راجلاً في الطريق، أما إذا لم يتوافر له مكان معه، فإنه يطلب ذلك من

(١) عن صقر بن بشير دغمي الرويلي.

السيارة المرافقة له.

لم يكن – بوصفه أميراً – يرى لنفسه حقاً على الآخرين، فهو جد متواضع، ومع هذا فقد كان مهاباً ومكان تقدير الجميع، كان حليماً إلى أبعد الحدود وكتوماً، لا يظهر غضبه إلا في الحالات القصوى، وتكون ردود فعله عندئذ بالغة، كما كانت توجيهاته بالإيحاء تتم دون غلظة، وقد كان متيّماً بحب منطقة الجوف، وكانت علاقاته بأهلها بشكل عام صافية ونقية، وكان يتابع شؤونها بكل الوسائل.

وقد يكون المؤرخ النجدي المعروف عثمان بن عبدالله بن بشر الأبلغ عندما وصف جده أحمد السديري (الأول) بقول هو الأقرب – في نظري – إلى وصف الحفيد: «**وكان له معرفة ورأي وعقل وشجاعة وبراعة، وسخاء وبذل ولين وسماحة مع الناس، وشدة وقوة على الأنجاس، فلو نظرت إلى أصغرهم لقلت هذا بالأدب قد أحاط، وإن نظرت إلى الأكبر لرأيت فوق ما يذكر، لم يكن في عصرهم مثلهم للمطيع الصاحب، ولا أشد منهم على العدو المحارب، فهم عيبه نصح للإسلام والمسلمين وفظاً غليظاً على المحاربين يبادرون لطاعة الإمام ويقدمونها على مآلهم من الذمام**»[(١)].

وروى لي ذات مرة قصة إنشاء أول مدرسة ثانوية في سكاكا، فقد كان في زيارة لوزير المعارف آنذاك الشيخ حسن آل الشيخ، وحكى له الوزير أنه اعتُمد لمنطقة القصيم مدرسة ثانوية عامة، إلا أن كلاً من أهالي بريدة يريدونها في مدينتهم وأهالي عنيزة من جهة أخرى يطالبون أن تكون لديهم، فقال الأمير: لقد جئت في الواقع إلى هنا للمطالبة بمدرسة ثانوية فيا حبذا لو نقلت هذه المدرسة إلى الجوف حلاً للإشكال، وفي العام المالي القادم يمكنكم اعتماد ثانويتين، أحداها في بريدة والأخرى في عنيزة، وبهذا ترضون الجميع، فكان له ما طلب واعتمدت المدرسة وفتحت أبوابها للدارسين في مدينة سكاكا.

كان يتابع شؤون المنطقة بنفسه، وبالأخص عند سفره إلى الرياض أو حيثما تكون الحكومة وعلى جميع المستويات، وقد صادف أن التقيت بالدكتور محمد

---

(١) مصدر سابق.

السعدي، مدير عام وزارة الزراعة آنذاك، وكان لقاؤنا هذا في مطار بأوروبا، وكان حديثه متصلاً عن الوالد منذ الجلوس في المطار، وحين الإقلاع، إلى وقت الهبوط في مطار الرياض، فكان من قوله: «**إن الأمير كان يزوره في مكتبه يتابع شؤون المنطقة وأقول له يا سيدي لا حاجة بك للحضور يمكنك أن تطلبني لأحضر عندك أو ترسل لي من تراه بما تريد، فكان يرد بأنه لا يأبه لمثل هذه الشكليات، المهم عنده أن يتحقق المطلوب، وكان هذا بالفعل ديدنه، حيث كان يخرج عن الشكليات المألوفة في معالجته للأمور، غير آبه بما يتعلق في ذلك من إحراج أو مجهود، المهم لديه أن تتحقق النتائج**».

كان يسعى إلى امتصاص انفعال المواطن مقتنعاً من أن الدولة من كل خير قريب، وإذا حصل نقص أو قصور فهو المسؤول عنه وهو يلعب هنا دوراً يدافع فيه عن الإدارة، وعندما يكون اللقاء بالمسؤولين فإنه يتقمص شخصية المواطن وينقل الهموم والآمال بكل صدق وأمانة، وقد شاهدت هذا بنفسي مراراً وتكراراً.

فمن أمثلة متابعة شؤون المنطقة ما جاء في خطابه لي بتاريخ ١٣٩٦/٢/٢٩هـ (١٩٧٦م)، حيث يقول :

«**وأنا بصدد التوجه إلى طرفكم لعلي أعمل على بعض المصالح مع وزارة الداخلية ومع الوزارات الأخرى بالنسبة للمنطقة ككل خاصة مع وزارة الشؤون البلدية والقروية بما يتعلق في دراسات شركة دوكسيادس، لأنها بالواقع أساءت إلى منطقة الجوف بشكل يختلف مع الواقع والحقيقة تماماً**».

وأسوق على سبيل المثال موضوعاً لمقاول متعثر، توقفت أعماله، وهو مطالب بمبالغ كبيرة للأهالي والبنوك والتجار، التقى بالوالد بفندق العزيزية في الطائف شارحاً وضعه، فاستدعاني، وكنت وقتها أعمل وكيلاً له في إمارة الجوف، وقد وجدت المقاول عنده فاختلى بي وقال: «**أنت تعرف مشكلة الرجل وأنه يلزم حلها ليس فقط من أجل الشخص ذاته، وإن كان له حق كمواطن ويلزم علينا - بوصفنا مسؤولين - رعايته وأمثاله، ولكن من أجل أمور أخرى كثيرة ترتبط بهذه المشكلة، إن من السهل إجرائياً الأمر بسجن المذكور حتى يدفع حقوق الناس، ولكن من أين له ذلك وهو في السجن، ومثل هذا الإجراء سيكون سقيماً حيث**

تصبح النتيجة أن لا يحصل الناس على حقوقهم، ولا تنفذ المشاريع، والمنطقة بأشد الحاجة لها أو على الأقل يتأخر تنفيذها فتتأجل الاستفادة منها، والطرف المدعى عليه سوف يتأذى وأسرته من جرّاء السجن لا سيما وأنه لا يبدو أن هناك تلاعباً مقصوداً أدى إلى هذا الإفلاس وعلينا أن نعالج الموضوع بطريقة أخرى».

فسألته كيف؟ قال: «**إن المقاول بطبيعة الحال غير قادر على إصلاح الوضع، ثم إن أصحاب الحقوق لن يرضوا بإعادة أمر إدارة هذه المشاريع له، ولهذا فقد فكرت في تشكيل لجنة من الإدارات الحكومية المختلفة بالمنطقة للإشراف على هذا الموضوع، وينبغي أن نقنع الإدارات صاحبة المشاريع أن مشاريعها ستكون في أيد أمينة وسوف تنفذ وأن الأموال التي سوف تصرف ستوجه نحو استكمال تنفيذ مشاريعها وأمر مثل هذا ليس بالسهل لأنه لا تحكمه أنظمة معينة وقد يكون صعباً على تلك الجهات القبول به، ثم إن أصحاب الحقوق يريدون حقوقهم فوراً وليس همهم كيف يمكن للمذكور تسديدها، لهذا فإننا سنواجه إزعاجاً كبيراً من هذه الناحية خلال تلك الفترة ينبغي أن ندرك ذلك ونتحمل التبعات لصالح حفظ حقوق هؤلاء ومعالجة المشكلة»، ولن أقدم على هذه الخطة ما لم توافق أنت على أن ترأس هذه اللجنة.**

فكان له ما أراد، وقد عانى الكثير من سوء الظن والاتهام بالمحاباة من موقفه هذا، وبالفعل استكملت المشاريع واستعمل الفائض عنها من أموال، إضافة إلى العائد من بيع بعض ممتلكات المقاول لتسديد الحقوق، فتحققت الأهداف كلها، بدءاً باستكمال المشاريع وتسديد الحقوق لأصحابها، وقد ضرب بهذا مثلاً على واقعية العمل المخلص الذي خرج به عن المألوف وعرّض نفسه لشكوك كان في غنى عنها.

كان حساساً جداً فيما يتصل بشؤون الوطن، يتألم كثيراً عندما تكون هناك تصرفات من وجهة نظره لا تخدم المصلحة العامة، وكان بالإضافة إلى مسؤوليته بوصفه أميراً لمنطقة الجوف يلعب دوراً مهماً في تقريب وجهات النظر ونقل مشاعر المواطنين لولاة الأمر تخدمه في ذلك علاقته بهم والثقة التي يحظى بها.

ومن أمثلة رسائله التي يلتزم فيها بهذا النهج، ما جاء في رسالته إلي بتاريخ ١٣٩٤/٧/٢٨هـ (١٩٧٤م):

«بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أرجو لك من صميم قلبي دوام الصحة والتوفيق، كما أوصيك بنفسك مبتهلاً إلى الله العلي القدير أن يوفقك ويرعاك، وعلى الله يجب أن تعتمد قبل كل شيء، حيث قيمتك بعد حفاظك على جانب الله بأخلاقك وما يمكن أن تقوم به من خدمة مجتمعك، ودائم احرص على أمانتك مع ربك ومع الناس، وأن تكون على الدوام صدوقاً وتتعامل مع الناس بالصدق وأن تبتعد ما أمكن عن الإضرار بالآخرين وأن تجعل من نفسك متسعاً لمن هو بحاجة إليك حسب استطاعتك، وأن تحرص على تقويم أمورك الداخلية قبل كل شيء وأن تتعامل مع ذويك دون تمييز بما ترغب أن يتعاملون معك على أساسه، أقول هذا وأنا مقتنع منك وفيك ولي ثقة تامة برجاحة عقلك وبعد نظرك، وأنت الآن تدخل في طور جديد من العمل وهذا العمل يتطلب منك أمور قد لا أستطيع تعدادها واستيعابها الآن، ولا شك أن أهمها هي الأمانة وحسن الخلق والسيرة الحسنة».

بقي أميراً لمنطقة الجوف قرابة ثمانية وأربعين عاماً، تمكن من التعامل خلالها بحنكة مع الظروف الصعبة في المنطقة، وأثناء هذا كُلّف بعدة مهام منها مفاوضات الحدود بين المملكة والعراق في كل من جديدة عرعر والليفية والمعانيّة، كما كان عضواً في اللجنة التي درست نظام المقاطعات برئاسة الملك فهد حين كان وزيراً للداخلية آنذاك.

لم يكن مبذراً، ولكنه كان سخياً في نفسه وعند الواجبات، وكان عاشقاً لضيفه، حريصاً كل الحرص على راحته، ووضع المسؤولين الذين يتوقع فيهم مثل حرصه لرعايتهم وأخرهم كان المرحوم محمد السعران، وقد تميز في عادة توفير التمر في مجلسه ويقول إن وجود التمر يسد رمق الضيف الوافد الذي فاتته الوجبة أو لم يحن وقتها، وكان داعية للاستقامة والعلم الغانم متخذاً ذلك موضوعا للكثير من قصائده، وقد كان يتغنى بذكر دكّته التي كان يستقبل فيها الناس في منزله، والتي لم يكن لها باب ليفدها من شاء دون أي موانع.

بقي محباً للعلم والتعليم وكان يدعو إلى ذلك في كل مناسبة، وكان للإجراء

الذي اقترحه وإخوته عبدالعزيز مفتش الحدود الغربية وأمير القريات وخالد أمير تبوك - بوضع إعانة مالية قدرها (٤٠) ريالاً شهرياً من الدولة لأبناء البادية و(٣) ريالات شهرياً لأبناء الحاضرة - أثر كبير في تزايد الإقبال على التعليم في تلك المناطق.

وقد أنشأ مكتبة عامة في العام ١٣٨٣هـ (١٩٦٣م)، بدأت بمجموعة الكتب الخاصة به بحدود ثلاثة آلاف كتاب، ثم تطورت هذه المكتبة بعد أن استوعبتها دار العلوم بالجوف، أحد نشاطات مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية.

ومن الأمثلة على حبه للتعليم، إقدامه على تعليم أبنائه وبناته منذ الصغر، وذلك بإرسالهم إلى خارج البلاد لتلقي العلم في أحسن المؤسسات العلمية آنذاك، وقد ابتدأ بي، فأرسلني إلى مدرسة حضانة داخلية اسمها "هوم كرافت هاوس (Home Craft House)" في الإسكندرية في مصر، ومن ثم في "كلية فيكتوريا" وكلاهما مدرستان إنجليزيّتان خاصّتان كانتا تستقطبان الكثيرين في قسمهما الداخلي من أبناء المنطقة ومن دول الخليج ودول المغرب العربي وأوروبا، ثم ألحق أبناءه الآخرين بأخيهم، أما بناته فقد درسن في المدرسة الأمريكية للبنات في القاهرة.

وعلى الرغم من العناء النفسي الذي كان يتكبده في إرسال أبنائه، إلا أنه كان ينظر إلى مصلحتهم العلمية، ويضع العاطفة جانباً، فكان يقول لي بعد أن عدت مستكملاً دراستي «**إن قرار إرسالي لتلقي العلم في الخارج لم يكن سهلاً من الناحية العاطفية، بل كان مؤلماً وقاسياً ابتعادكم عنا، ولكن في سبيل مصلحتكم، كان لا بد لنا من تحمّل هذا العناء، ونتجاهل رغبتنا في وجودكم بيننا جانباً لعدد من الأسباب... أولها أن المدارس التي أنتم مرسلون إليها لم يكن لها مثيل في بلادنا وبالأخص بتعليم اللغات.. والأمر الثاني أنه لو بقيتم بيننا فسأضطر إلى التعامل معكم في أحد من خيارين.. إما أن أعاملكم مثل ما يعامل غيركم ممن هم في محيطكم وأنا لا أجد ذلك مناسباً، وإما أن أعاملكم بالطريقة التي أجدها مناسبة، وبالمقارنة قد لا تروقكم وبالتالي يؤثر ذلك على علاقتي بكم، وهذا أمر لا أجده مناسباً أيضاً، ولذلك رأيت أن أوكلكم إلى الله يرعاكم برعايته،**

وفترة وجودكم بيننا أثناء العطل المدرسية القصيرة والطويلة فرصة لتوجيهكم لتعطشكم لذلك».

وقد تمّ له بحمد الله ما أراد، إذ كان أسلوبه في ذلك إيجابياً يعتمد على الترغيب أكثر من غيره، وكان حمده وثناؤه على الخصال الطيبة حافزاً وغاية كنا نصبو إلى تحقيقها للنيل من رضا الوالدين.

من نصائحه الأبويه ما جاء في خطابه إليّ بتاريخ ١٣٨٨/٥/٢٨هـ (١٩٦٨م):

«من ناحية السفر التي وإن كانت مؤلمة لدينا إلا أنها ساعة انتظار نتائج ستكون بمشيئة الله حميدة في سبيل خدمة الله والمصلحة العامة، إنني أنتظر منكم فأرجو أن يتحقق وألمس من نتائجه بحياتي الكثير، والذي أحب أن أوصيكم فيه هي مراقبة الله والعمل على طاعته والمحافظة على استمرار هذه الطاعة والتشجيع عليها من يخصكم ومن لا يخصكم ممن تطمعون التأثير عليهم».

ابني الفاضل: «بودي التحدث إليك بواسطة قلمي الليل والنهار لأنني أرتاح لما أكتبه إليك وما أقرأه عنك، بارك الله فيك ورضي عنك بقدر ما أنا راضي عنك....».

وعند بدء التعليم الرسمي للبنات في المملكة ومن ضمنها منطقة الجوف، لاحظ أن هناك عزوفاً من قبل الأهالي لضم بناتهم للدراسة فكلف ابنتيه حصة ولطيفة اللتين تلقتا العلم من خلال مدرسات جلبهن لهذا الغرض في بيته، فعين واحدة مديرة والأخرى وكيلة، فكسر بذلك الحاجز النفسي لدى الأهالي فأخذوا بضم بناتهم إلى المدرسة.

كان على إلمام دائم ويومي بكل ما يدور في المنطقة حسبما تتيح له الإمكانيات، وشديد الحساسية من تفشّي ما قد يفسد الشباب وبالأخص المخدرات، وقد تحققت خلال فترة إدارته نتائج كبيرة في التعرف على مصادرها، وتعقّب المهربين والموزعين وإلقاء القبض عليهم.

وكان له ولع كبير في الزراعة، وقد جمع بين هذه الرغبة والاستزادة من العلم والمعرفة في هذا المجال، وكان البادىء في إدخال التقنيات في هذا المجال،

باستعمال مكائن رفع الماء، ووسائل الري الحديثة وإدخال الأنواع الجديدة على المنطقة من النخيل والزيتون والحمضيات، وكذا الحال بالنسبة لتربية المواشي، وخاصة الإبل التي اقتنى أفضلها، وسيكون لي بشأنها حديث آخر في الفصل (١٥).

وكان تعامله مع أبنائه على قدر كبير يخجلنا من التوقير، أما رفقته في مجلسه وأسفاره فهي لا تملّ، وكان مما أذكره مثالاً في هذا السياق مكوثي معه عدة أسابيع عندما سافر إلى مستشفى «باراكير» لطب العيون في برشلونه بإسبانيا، وكنت للتوّ قد عدت من الدراسة في أمريكا (صيف عام ١٩٦٤م).

فبعد العملية بعدة أيام، وعقب انتهائه من ممارسة رياضة المشي المسائية في ممرات المستشفى المعتمة، وبدلاً من أن يطلب مني أن أغسل يدي لوضع العدسات في عينيه نطق بالعكس.

ذهبت إلى الحمّام وبقيت فترة غارقاً في الضحك، ولا أرغب في إشعاره، وعندما عدت لخدمته وجدته هو الآخر مستغرقاً في الضحك لأنه انتبه إلى ما قال.

وبعد عدة محاولات فاشلة لتركيبها قال: «**ما الله أراد تركيبها الليلة خلها بكره**».

كانت تلك الغلطة باعثاً للمرح في تلك الليلة، لما كنا نحس به من كآبة المكان، فظللنا نتسامر إذ كان الليل في أوله، ثم قال: **هل تريد أن نقصد؟** أي ننظم القصائد، فقلت له: «**على هواك**»، وكان مما نظمه تلك الليلة قصيدته التي يقول في مطلعها، وهي موجهة إلى عيد بن سلطان، وتضمنها ديوان القصائد:

مـن يــردّ علـومـنـا لابــو مناحي الـرفـيـق الـلـي حـديـثـه مشتهينه

كان شديد الوصل بأسرته الكبيرة، يخص الكبير والصغير بزياراته عندما يأتي إلى الرياض أو جدة، وكان دائم التوجيه لأبنائه بضرورة تواصلهم مع ذويهم، لكن الحديث عن هذه الخصلة، ربما تناولته فصول أخرى من هذا الكتاب.



الأخوان عبدالرحمن وسليمان (إلى اليسار) في شبابهما.

الفصل الثالث

حياته

زياد بن عبدالرحمن السديري*

عندما عزمت على المشاركة في هذا المشروع قلت إن المقام لا يسمح لي أن أكون أحد المتحدثين عن موضوعه، وإن عليّ الالتزام بالنقل لا الإنشاء، قدر المستطاع، ولكن الحد بين هذا وذاك عصيٌّ على التمييز في كثير من الأحيان، ثم إن بعض الأمور التي لها علاقة بموضوع هذه السيرة، وتكشف عن تفرد شخصية صاحبها، لا يقف عليها أو يبديها إلا من هو في موقعي.

لهذا كله فلا مناص، وقد اخترت الكتابة في هذا البحث، إلا أن أدلي بدلوي فيه مغلّباً النقل، غير تارك لسواه، متى وجدت سبيلاً إلى ذلك، ولعلي أبيّن في مطلع هذه الكتابة أيضاً أن العمل على إعداد هذه السيرة وإصدارها هو، بالنسبة لي، أداء لواجب، وتحقيق لغايتين: أما الواجب فهو رصد سيرة مؤسس الدار الخيرية التي كلفت بإدارتها حفظاً لهذه السيرة وتوفيراً لمعلومتها لكل مرتاد يتوقع وجود هذه المعلومة في مكتبتها.

وأما الغاية الأولى فهي نقل ما أستطيع مما عاصرته مع أبي - الذي أنسب إليه، بعد الله، كل فضيلة تعلمتها وأُرجع إليه جل الأفضال التي نعمت بها - لأبنائنا، خاصة أولئك الذين لم يحالفهم الحظ بمعرفته كما عرفته، شخصية لا تهاب الخروج عن المألوف ولا تحجم عن بذل النفس ولا تضع اعتباراً لصاحبها، وقد لمست أثره الكبير في نفسي ورأيت مثله في إخوتي وفيمن عرفه من أبنائنا،

---

* أوسط أبنائه، وسيرد ملخص سيرته في الهوامش المقبلة.

وتقت لأن أمنح صغارنا الأخرين بعضاً من ذلك.

أما الغاية الثانية، وهي الأهم، فهي الكشف عن سيرة لها منزلة ومدلولات ثقافية جديرة بالاهتمام، خاصة في هذا المفترق الذي نحن فيه وكثر فيه الجدل عن وجه هذه الثقافة وحدود آفاقها، وسوف أقف عن الاستطراد الآن في هذا الجانب حتى أدع مجالاً للقارئ لمطالعة هذه السيرة وسبر جوانبها ثم أعود في ختامها فألقي مزيداً من الضوء على ما أردت قوله هنا.

ومما دفعني للكتابة أيضاً، أنني تشرفت بأن أكون الابن المرافق لصاحب السيرة منذ مطلع العقد الأول من هذا القرن الهجري (الثمانينات الميلادية من القرن الماضي) بعد أن أنهيت دراستي في الخارج وعدت إلى المملكة، فقد أتاح لي هذا الموقع أن أكون رفيقه في السفر، الأمين على ما يكتبه من خواطر أو يتلقاه من مراسلات خاصة وقصائد مهداة، المستمع إليه في المناسبات العابرة التي يتحدث فيها عما يدور في خَلَده أو يروي خلالها بعض ما مر به أو عانى منه، فتكوّن لدي رصيد من المعلومات، لا مجال لإبداء جُلّه إلا بالكتابة المباشرة عنه.

لهذا كله، فأنا أقدم ما سوف يتبع، متوخّياً الدقة والصدق قدر الإمكان، مذكراً بالدافع والمطلب، فإن كانت الموضوعية في قراءة أحداث هذه السيرة وتحليلها أمراً يكاد يستحيل - في الواقع وفي تصور القارئ - في كتابة من هو في موقعي ممن هو في موقع صاحبها، فإن توخي الدقة والصدق في تقديم وقائعها هو غير ذلك، وهو الأمر الذي سوف أبذل المستطاع للوفاء به.

وقد استندت في كتابتي هذه إلى وثائق ومقابلات مسجلة مع بعض الأشخاص، محفوظة في مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، وإلى أوراق تلقيتها من صاحب السيرة، وإلى ذاكرتي في بعض الأحيان[1]، وإلى الروايات الشفوية المتناقلة

(١) تشمل التسجيلات الموجودة في مجموعة المؤسسة مقابلات مع عبدالرحمن بن محمد الملحم وكيل إمارة الجوف المساعد سابقاً، وفيصل بن عبدالرحمن السديري وكيل إمارة الجوف سابقاً، وبجاد بن راشد وإبراهيم بن عنان والحميدي بن طلحاب وعبد الله الحمود العضيدان وأحمد الحيدر وأحمد بن فهد اليحيى وفواز بن فرحان الحساني، وكلهم ممن عمل مع الوالد أو عرفه في صغره، وقد جرى التعريف بهم في مواقع مختلفة من هذا الكتاب.

أما ما نسبته لمصادر أخرى فهو من ذاكرتي، وقد ساعدت الابنة جواهر والأبناء عبدالرحمن وخالد في مراجعة الأشرطة المسجلة الخاصة بالمقابلات وتصنيفها.

في مجتمع المنطقة وبين أهلها.

مولده ونشأته:

ولد الوالد في الغاط سنة ١٣٣٨هـ (١٩١٩)[١]، وفي ليلة مولده، رأى أبوه أحمد في منامه أنه رزق بمولود اسمه صالح، فلما كان اليوم التالي وعلم بولادة ابنه، ذكر لابنه الأكبر تركي ما رآه في المنام، وقال له إنه لم يعرف في الأسرة مثل هذا الاسم فأسمى المولود عبدالرحمن[٢].

أمه هي منيرة بنت زيد آل رشود[٣]، تزوجها والده عندما كان أميراً في الأفلاج

---

(١) وجدت هذا التاريخ مكتوباً بخط يده في مفكرة قديمة له، وورد فيها أيضاً أن زوجته منيرة بنت محمد الملحم ولدت بهذا التاريخ أيضاً، وقال عمي مساعد لي إن الوالد ولد في أول السنة وأنه هو ولد في آخرها.

(٢) روى هذه القصة سلطان ابن العم تركي بن أحمد السديري عن أبيه وقال إن والده كانت تربطه بالوالد علاقة الأب بابنه وكان يتحدث فيقول إن الوالد كان ضعيف البنية في صغره فكان تركي يوليه اهتماماً خاصاً ويبدي له كثيراً من العطف.

(٣) هي منيرة بنت زيد بن عبدالله بن رشود آل رشود من النبطة من سبيع، كتب لي سعود بن عبدالله بن زيد آل رشود ما رواه له والده عبدالله عن أسرة آل رشود، فقال: إنهم نزحوا من رماح في منتصف القرن الثاني عشر الهجري، فنزلوا أولاً في حوطة بني تميم واشتغلوا بالتجارة فيها ثم انتقلوا إلى الأفلاج واشتروا فيها مزارع نخيل من الشثور (آل الشثري) وبني خالد والشوايق (آل الشايقي) وآل داوود، وأورد أن زيداً، والد منيرة، تلقى التعليم على أيدي علماء من آل عتيق، ثم سافر إلى الهند وتنقل فيها طلباً للعلم الشرعي إضافة إلى تعلم الطب، فلما علم بوفاة والده عبدالله عاد إلى الأفلاج لرعاية والدته، وهي من آل دريس من قحطان سكان حوطة بني تميم، وجدّته أم والده وهي أيضاً من آل دريس وأخواته نظراً لأنه ليس لعبد الله ذكور غير زيد.

وأورد أن زيداً صار يقضي بين الناس خلال فترة حكم الدولة السعودية الثانية وجزء من فترة حكم آل رشيد، كما كان يسعى لمعالجة أقاربه وجيرانه نظراً لما تعلمه في الهند من علم الطب، وقد تزوج زيد من آل رحمة آل نمشان (من الفضول) وأنجب من زوجته هذه اثنين من البنين هما علي وإبراهيم، وبعد وفاة زوجته الأولى تزوج من ابنة عمه شيخة بنت راشد بن رشود آل رشود التي أنجبت منه راشداً وعبد الله وسعوداً ومنيرة وهيا وحصة ونورة، وتوفي زيد في غرة شهر محرم سنة ١٣٢٠هـ (١٩٠٢م) بين مكة المكرمة والخرمة أثناء عودته من الحج.

وورد أن راشد بن زيد عاد بعد وفاة والده لرعاية أسرته في الأفلاج وأن عبدالله وسعوداً أبناء زيد ومعهم ابن عمهم سعود بن محمد بن عبدالعزيز بن راشد بن رشود آل رشود شاركوا في فتوحات الحجاز مع خالد ابن لؤي، كما أن سعود بن زيد التحق بعد ذلك فعمل مع الوالد في منطقة الجوف وترأس عدداً من المراكز فيها، وواصل سعود بن محمد بن عبدالعزيز بن رشود دراسته وعين قاضياً في محكمة الرياض ثم رئيساً لها، واستقر عبدالله بن زيد بالخرمة وتملك فيها، وله ما يزيد على الأربعين من الأحفاد فيها وله ابن فيها اسمه زيد يناهز عمره الثمانين سنة، وإبان إمارة أحمد بن محمد السديري على الأفلاج أثناء حكم الملك عبدالعزيز، تزوج أحمد من منيرة بنت زيد آل رشود، وورد أن المهر الذي دفعه أحمد لمنيرة بنت زيد بلغ ثلاثمئة ريال فرنسي، وأن منيرة ولدت في يوم ١٣٠٤/٥/٧هـ وتزوجت من أحمد سنة ١٣٢٢هـ (١٩٠٤م). انتهى ما أورده سعود بن عبدالله بن زيد الرشود، ويعرف أن بريكة الأحمد، والدة أختيه نورة وطرفة بنات أحمد، أرضعته ثم لازمته فيما بعد فكانت له بمثابة الأم الثانية.

وذكرها من عرفها بالخير وقلة الأذى[(١)]، وبعطفها على أبناء زوجها وبناته من نسائه الأخريات،[(٢)] وصلتها للرحم وإشراكها لهم فيما كان يتيسر لها[(٣)]، ونعتها الوالد بالصبر الشديد[(٤)]، وحسبي أنه أخذ من صبرها الشيء الكثير، وتوفيت أم عبدالعزيز - وهو أكبر أبنائها - في الدمام سنة ١٣٦٤هـ (١٩٤٥م)[(٥)].

والده هو: أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد السديري.

تحدث وآخرون عن والده أحمد، فأشاروا إلى شدة عطفه على الأطفال عموماً، وأنه كان دائماً يحمل الحلوى ويوزعها عليهم، فإذا رأى بأحدهم أثاراً لرمد بعينه أو مثل ذلك من الأذى في جسمه أزاله بمناديل كان يحملها لهذا الغرض، فإن خلا

---

(١) عن والدتي منيرة بنت محمد الملحم.

(٢) عن عمتي منيرة بنت أحمد السديري.

(٣) عن أحمد بن فهد اليحيى، من البدارين من الدواسر ومن سكان الغاط، التحق بإمارة الجوف سنة ١٣٦٥هـ (١٩٤٥م)، وعمره ستة عشر عاماً فعمل كاتباً في مركز الجديدة لمدة سنتين ثم ترك العمل وعاد مع والده إلى الزلفي وبقي فيها بضعة أشهر ثم ذهب إلى الكويت وعمل عند أحد التجار لمدة (٤) سنوات محصلاً للمال، وفي سنة ١٣٦٩هـ (١٩٥٠م) ذهب قاصداً العمل مع الوالد في الجوف فلما حل في عرعر عرض عليه الأمير محمد السديري العمل معه وعينه كاتباً في مركز رفحا الذي أمضى فيه ثلاث سنوات ثم كاتباً في مركز شعبة نصاب لثلاث سنوات أخر، وعندما ترك الأمير محمد عرعر استقال أحمد من عمل الإمارة وعمل ناسخاً في بلدية عرعر وكانت في طور التأسيس لمدة سنتين ثم أمين صندوق لمدة ست سنوات ثم مأموراً لبلدية طريف لمدة ثلاثة سنوات ابتداءً من رمضان ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م) ثم رئيساً لبلدية دومة الجندل ابتداءً ١٣٩٠هـ وحتى ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م) ثم رئيساً لبلدية الغاط لمدة عشر سنوات حتى تقاعد. وهو يقيم في الغاط وله مكانة واحترام عند الجميع.

(٤) قال الوالد إن غاية ما كانت تبديه من الغضب هو لمس صدرها بأنامل يمناها مجتمعة وقولها "يا كيي كياه".

(٥) عن تركي بن خالد السديري قال: إنها كانت تقيم مع ابنها عبدالعزيز ثم مع ابنها محمد، فلما انتقل الأخير إلى إمارة جيزان انتقلت أم عبدالعزيز للإقامة مع ابنها خالد وكان أميراً في الظهران، قال: عندما مرضت أدخلها خالد في دار أو مستوصف للعلاج تابع لشركة آرامكو وقدم أبناؤها محمد وعبد الرحمن من مناطق إماراتهم لزيارتها كما قدم ابنها الأكبر عبدالعزيز ولكنه وصل بعد وفاتها، وقال إنه - أي تركي بن خالد - أمضى الليلة التي سبقت يوم وفاتها هو وابنة عمه شيخة بنت محمد السديري، وكان عمرهما حوالي سبع سنوات، في غرفة منامها معها في المنزل، فلما كان الصباح أفاقت معهم وقدمت لهم الحليب أو الشاي ثم ذهب إلى المدرسة، فلما عاد ظهراً سمع صوت العويل وعلم بوفاتها، وكان أبناؤها خالد ومحمد وعبد الرحمن ذاهبين لاستقبال أخيهم عبدالعزيز القادم من القريات، قال: فنقلوها إلى مكان خلف كثبان الرمال القريبة من الدمام (العدامة) فدفنوها في قبر هناك وكان حفيدها فهد بن خالد هو أكبر أقربائها الحاضرين فأنزلها في القبر وأسكنها لحدها.

منها استعمل طرف ردائه وربطها حتى يصل منزله فيغسلها[١]، وورد أن لأحمد أخوين هما زيد وعبد الله وشقيقة اسمها منيرة وأن أخوال أحمد ومنيرة هم آل مزروع (أهل منفوحة) وأخوال والد أحمد - أي محمد - هم العليوي (أهل الزلفي)[٢]، وقد تقلب أحمد في العمل مع الملك عبدالعزيز في أول عهده ثم ترك العمل ورعاً[٣]، وتوفي في ١٧ شوال ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م) عن عمر يناهز السبعين

---

(١) كذلك قال محمد بن صالح المنصور وبجاد بن راشد وعبد الرحمن العلي وأحمد بن فهد اليحيى، قال الأخير إن أحمد كان كريم عين (وهو تعبير محلي مهذب للدلالة على العور)، وكان مربوع القامة، ذا لحية بيضاء لا يصبغها، يلبس ثوباً ذا ردون (أكمام طويلة)، وكثيراً ما رآه بعباءةٍ بيضاء اللون خفيفة.

ومحمد بن صالح المنصور من أهل الغاط من بني ثور من سبيع، عمل مع العم محمد بن أحمد السديري في عرعر فلما انتهى عمل الأخير فيها انتقل المنصور إلى الجوف وعمل مع الوالد في إمارتها، وتوفي في حادث سيارة أثناء سفر من الغاط إلى الجوف في ١٤٠٦/١١/٢هـ (١٩٨٦م).

وبجاد بن راشد من الأساعدة من عتيبة عمل مع العم محمد أيضاً في الجوف ثم في عرعر، ثم أقام في الجوف ومارس التجارة فيها بنجاح.

وعبد الرحمن بن محمد العلي من سكان الغاط من النواصر عمل مع العم تركي بن أحمد السديري واستقر بالرياض وما زال فيه، وقد جرى التعريف بأحمد اليحيى في موضع سابق.

(٢) عن العم مساعد بن أحمد السديري، قال إن زيداً توفي ولم ينجب، وإن لعبد الله بنتاً واحدة اسمها حصة هي والدة ناصر ولولوة أبناء عبدالله الناصر السعد السديري، وإن عبدالله بن محمد توفي وهو في رحلة إلى بلاد الشام مع العقيلات (وهي قوافل نجد التي تتاجر مع بلاد الشام ومصر)، وقال إن منيرة - شقيقة أحمد - هي أم عبدالله الناصر السعد السديري.

وقال: إن والد أحمد - أي محمد بن أحمد - له سبعة إخوة هم عبدالمحسن وتركي وعبد العزيز وعبد الله وسليمان وسعد وعبد الرحمن، وإن عبدالعزيز وعبد الله وسليمان وسعد لم ينجبوا، وإن لتركي ابناً وبنتاً توفيا صغاراً، وقال إن لمحمد أربع أخوات هن سارة والدة الملك عبدالعزيز، ونورة أم عبدالله بن أحمد بن خميس من أهل الغاط، ولطيفة تزوجت من أهل الزلفي وأنجبت بنتاً هي أم سعود الجار الله، والجوهرة تزوجت تركي الناصر السديري وأنجبت لطيفة، ولطيفة بنت تركي هي أم عبدالله بن سعد السديري أمير المدينة المنورة سابقاً وناصر بن سعد أمير الغاط سابقاً، وسلطانة بنت سعد تزوجت الأمير محمد بن عبدالله آل سعود ولم تنجب منه، والجوهرة بنت سعد أم الأمراء عبدالمحسن ومساعد وسعد أبناء الملك عبدالعزيز، وكذلك أم الأمير سعود بن سعد بن عبدالرحمن من زواج سبق زواجها بالملك عبدالعزيز، وهيا بنت سعد أم الأمراء بدر وعبد الإله وعبد المجيد أبناء الملك عبدالعزيز.

وقال الوالد إن عمه زيد بن محمد توفي على إثر مشاحنة مع آخر وإن زيداً وجد ميتاً على متكئه.

(٣) روى الوالد أن والده أحمد بقي على بيعته للأمير عبدالعزيز بن رشيد حتى بعد دخول الملك عبدالعزيز الرياض سنة ١٣١٩هـ (١٩٠٢م)، وأنه قدم على ابن رشيد عندما دعاه الأخير لحضور إحدى حملاته العسكرية، وكان ابن رشيد مرتاباً من أحمد لصلة القربى التي تربطه بعبد العزيز آل سعود، فكان يكرر على أحمد السؤال عن ابن سعود قائلاً "وش جاك عن بِناخيك"، أي قريبك، وفهم أحمد هذا على أنه تشكيك =

= في ولائه لابن رشيد فأجاب ذات مرة معاتباً، وكان في مجلس ابن رشيد، أنه قدم إليه التزاماً ببيعته له ولو أراد ابن سعود لكان أقرب إليه عنوة، فاستشاط ابن رشيد غضباً لهذا الجواب وهب واقفاً سالاً سيفه على أحمد فتدخل كبار من في المجلس، ومنهم زامل - وقيل حمود - السبهان، مذكرين ابن رشيد بماضي أحمد معه ووفائه له، فلما عاد ابن رشيد إلى مجلسه أتى أحدهم إلى أحمد ودعاه لمغادرة المجلس فرفض أحمد الانصراف وبقي حتى انفض المجلس.

أدرك أحمد خطورة موقفه، وربما شعر أيضاً أن ما حدث في المجلس يرفع عنه الحرج في تركه لابن رشيد، فأرسل بطلب ركوبته وغادر في ليلته ومعه أحد مرافقيه قاصداً الغاط، فلما كان اليوم التالي وعلم ابن رشيد برحيل أحمد، أرسل بأثره سرية للقبض عليه أو قتله، إلا أن واحداً ممن كانوا مع ابن رشيد أرسل لأحمد رسولاً ينذره بما صار، فذهب إلى الغاط في الحال ووصلها ليلاً قبل مقدم سرية ابن رشيد فلما صوّت لأحمد أجابته زوجة أحمد (أم تركي) بأنه غير موجود فرد عليها قائلاً أخبروا أحمد أن "الذيب بالقليب " (وهو تعبير نجدي يدلل على وجود خطر)، ففهم أحمد الرسالة وغادر في الحال إلى شقراء، التي وجد أهلها منقسمين بين فريقين: أحدهما يدعو إلى مناصرة عبدالعزيز آل سعود، والآخر يدعو إلى الأناة حتى تتضح الأمور، فآزر أحمد الفريق الأول وكان بينهم البواردي الذي أنشد في تلك المناسبة عرضته المشهوره التي منها:

هيه ياللى تقول الخطا منا الخطا منك ياللى تعادينا
حربكم تونا به تبينا تونا في مراقيه بادينا

وأعلنت شقراء الحرب على ابن رشيد، وروى الوالد أن ابن رشيد أرسل إلى أحمد يدعوه إلى ترك ما هو عليه والعودة إلى نصرته وعرض عليه الأمان، فرفض أحمد الاستجابة لذلك ثم أرسل إليه ثانية مهدداً بأنه سوف يذهب إلى الغاط ويتلف نخلها ويقتل صغير الأسرة قبل كبيرها وامرأتهم قبل رجلهم، فأخرج أحمد رصاصاً من محزمه وأعطاه لمرسول ابن رشيد داعياً إياه أن يحمل الرصاص لابن رشيد عله يحتاج إليه لإكمال ما قد ينقصه منه عند ذهابه إلى الغاط.

فذهب ابن رشيد إلى الغاط وأمر رجاله أن يبدأوا بإتلاف نخل أحمد المسمى "الحوطة"، وكان ذلك في فصل الصيف وقبيلة عتيبة نازلة في محيط الغاط وتشرب منه، فلما شرع رجال ابن رشيد "بتشحيم" نخل الحوطه، أي نزع جمّارتها، قدم رجل من قبيلة عتيبة إلى محمد بن هندي بن حميد، شيخ قبيلة عتيبة، في مجلسه فقصد موقد النار وأخذ من رماده وكث منه في المجلس علامة للاستنكار والعيب، فلما سأله ابن هندي عن الداعي لذلك أجابه الرجل المسن بأن نخل أحمد الذي تشرب عتيبة من مائه وتأكل من تمره يتعرض للإتلاف في غيبة من صاحبه دون أن تحرك عتيبة ساكناً، فنهض ابن هندي ثم استدار وطلب ممن في المجلس أن يدعو أفراد القبيلة إلى إحضار الخيل وسار مسرعاً إلى حيث ابن رشيد، وكان رجال الأخير ينصبون خيمته فاتجه إليه وجلس بجانبه وأخذ يحدثه، في هذه الأثناء بدأت خيل رجال عتيبة تأتي بفرسانها، ولم يكن ابن رشيد متوقعاً مثل هذا الموقف ولا مستعداً لخوض معركة مع قبيلة عتيبة، فهب من مكانه وأمر رجاله بالرحيل، وقد أشاد الوالد بموقف قبيلة عتيبة هذا في قصيدة له وجهها لعمير بن زبن ابن عمير العتيبي جاء فيها:

أنخاك وانخى ثبيت وروق حمّاية الوجه والساقة

انظر مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، القصائد، ديوان الشاعر الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري ص (٢٠٦).

=

عاماً[١].

وللوالد ثمانية من الإخوة وخمس عشرة من الأخوات، وإخوانه هم: تركي - وهو أكبرهم - وعبد العزيز وخالد ومحمد ومساعد وسليمان وفهد - وقد توفي صغيراً - وبندر، وقد توفوا جميعاً قبله، وأخواته هن: الجوهرة وحصة وشيخة وسلطانة ومنيرة ولطيفة وموضي وعمشاء ولولوة وطرفة ونورة والبندري وسارة وشعيّع وهيا[٢].

وأشقاؤه هم: عبدالعزيز وخالد ومحمد، وله شقيقة اسمها سارة توفيت وهي صغيرة[٣].

وله[٤] خمسة عشر من الأولاد (بنين وبنات)، اثنان منهم، وهما سعد وسلمان، (توفيا صغاراً)، وأبناؤه حسب تسلسل ولادتهم هم: سعد[٥]

= وروى الوالد أن أحمداً تقلب في العمل مع الملك عبدالعزيز فتولى إمارتي القصيم والأفلاج (مرتين)، وأنه كان له دور أثناء وجوده في الأفلاج في إعادة الوئام بين الملك عبدالعزيز والأمير سعود بن عبدالعزيز بن سعود (الملقب بسعود الكبير)، وروى كذلك أن أحمداً كان يضطر إلى استعمال الشدة نظراً لتطاول القبائل على الحاضرة، فلما استتبت الأمور وتقدمت به السن أرسل إلى الملك عبدالعزيز طالباً منه إعفاءه من العمل موضحاً أنه قبل به وتحمل تبعاته عندما كانت الظروف تستدعي ذلك.

(١) عزا العم مساعد بن أحمد السديري، وفاة أبيه أحمد لالتهاب في الرئة وهو في الرياض، وتلقى العلاج من أحد أطباء الملك عبدالعزيز، وهو الدكتور محمد خاشقجي.

(٢) الجوهرة وحصة ولطيفة شقيقات لتركي، وشيخة وموضى وسارة شقيقات لمساعد، وشعيّع شقيقة لسليمان، وهيا شقيقة لبندر، وعمشاء والبندري شقيقات لفهد، وطرفة ونورة شقيقتان.

(٣) قال العم مساعد بن أحمد السديري إن تواريخ ميلاد إخوانه كالآتي: تركي (١٣١٨هـ) عبدالعزيز (١٣٢٤هـ) خالد (١٣٣٢هـ) محمد (١٣٣٣هـ) عبدالرحمن ومساعد (١٣٣٨هـ) سليمان (١٣٣٩هـ) فهد (١٣٣٩هـ) وبندر (١٣٥١هـ).

(٤) تزوج الوالد في سنة ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م) من منيرة الملحم وهي أم جل أبنائه وبناته، بقيت معه حتى وفاتها في ٦ شوال ١٤٢٤هـ (٢٠٠٣/١١/٣٠م)، وهي بنت محمد بن عبدالله بن محمد بن ملحم بن إبراهيم بن جاسر بن عواد، من عبيدة قحطان ومن سكان الغاط، وأمها هي لطيفة بنت عبدالله العواد من جلاجل توفيت وابنتها منيرة صغيرة، وآل ملحم فرع من آل عواد الموجودين في جلاجل والدرعية، وهم بيت تجارة عرف عنهم الفضل فكانت لهم مناخة في الغاط يقصدها الضيوف وطالبو الحاجة، ولمنيرة أخ غير شقيق هو عبدالرحمن وأختان غير شقيقتين هن الجوهرة ولطيفة.

قال أحمد بن فهد اليحيى إن منيرة كانت مخطوبة لجدي، فلما توفيت زوجة الوالد الأولى - حصة الزنيدي - طلب من ابنه أن يتزوج من منيرة، وقال الوالد إنه شاهد منيرة لأول مرة وهم صغار في مناسبة "القرقيعان" التي كان يجول فيها الأطفال على البيوت قبل عيد الفطر طلباً للحلوى، فلما طرق الوالد على بيت محمد الملحم فتحت منيرة الباب له فرآها، وقال الوالد متذكراً منيرة وهي صغيرة إنها "بنية لها جديلات".

(٥) توفي ولم يكمل سنة من العمر.

وفيصل[١] وسلطـان[٢] وسلمان (الأول)[٣] وزيـاد[٤] وعبدالعزيز[٥] وسلمان[٦]، وبناته هن: دليّل[٧]

(١) ولد في مدينة سكاكا في ٩ ربيع الأخر ١٣٦٣هـ (١٩٤٤م) ودرس الابتدائي والإعدادي والثانوي في كلية فكتوريا بالإسكندرية ثم بالقاهرة، ونال شهادة الجامعة ثم الماجستير في الاقتصاد من جامعة أريزونا بأمريكا، عمل وكيلاً لإمارة منطقة الجوف فوكيلاً لوزارة الداخلية للشؤون الأمنية، ثم انصرف للعمل الخاص فأنشأ شركة عريب، تزوج من منيرة بنت مساعد بن أحمد السديري وأنجب منها ماجد ونايف وسلطان وعبير ولطيفة وسارة ونوف، يقيم في الرياض والغاط.

(٢) ولد في مدينة سكاكا في ١٠ ربيع الأول ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م) ودرس الابتدائي والإعدادي وجزءاً من الثانوي في كلية فكتوريا في القاهرة، وأكمل الثانوي في سكاكا، حصل على الشهادة الجامعية ثم الماجستير في العلوم السياسية من جامعة أريزونا في توسان، عمل رئيساً لديوان إمارة منطقة الجوف ثم وكيلاً للإمارة ثم أميراً لمنطقة الجوف خلفاً لوالده في ١٤١٠/٧/١هـ (١٩٩٠م). وانتهت إمارته في الجوف في ١٤١٩/٥/١٢هـ، تزوج من حصة بنت مساعد بن أحمد السديري وأنجب منها أحمد ومحمد ومها ومرام ومشاعل وعبير، يقيم في الرياض والغاط.

(٣) ولد في سكاكا في ٣ جمادي الأول ١٣٦٧هـ (١٩٤٧م)، توفي في أثناء دراسته التمهيدي في مصر.

(٤) ولد في سكاكا في ١٧ شعبان ١٣٧٣هـ (١٩٥٤م)، درس الابتدائية في كلية فكتوريا بالقاهرة والكلية الإسلامية في عمان، الأردن، وأكمل الإعدادية والثانوية في مدرسة الشويفات في لبنان، والجامعية في جامعة أريزونا في توسان سنة ١٩٧٦م، ثم التحق بكلية الحقوق في جامعة فرجينيا وحصل على شهادة دكتوراه الفقه (Juris Doctors) سنة ١٩٨٠م، عمل متدرباً في مكتب شرمن وسترلنق القانوني في نيويورك (صيف ١٩٧٩م)، وعين مستشاراً في مكتب وزير الداخلية بعد إنهاء دراسته، استقال من العمل الحكومي في سنة ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م) وأنشأ شركة السديري والفهد للاستشارات القانونية في ١٤٠٦هـ حتى ١٤١٠هـ (١٩٨٦-١٩٩٠م)، عين عضواً في مجلس الشورى سنة ١٤١٤هـ وبقي فيه ثلاث دورات حتى سنة ١٤٢٦هـ (٢٠٠٥م)، يمارس العمل القانوني ويقيم في الرياض والغاط، له من الأبناء طارق وجواهر وسارة وعبد الرحمن وخالد، وزوجته منيرة بنت خالد بن أحمد السديري.

(٥) ولد في مدينة تيماء سنة ١٣٧٤هـ (١٩٥٥م)، وجاء في مفكرة قديمة للوالد ما يفيد بأنه ولد في شهر ذي القعدة، درس الابتدائية في كلية فكتوريا في القاهرة ومدرسة الصالحية في القدس ومدرسة الشويفات في لبنان وأكمل الإعدادية والثانوية في مدرسة الشويفات، تلقى دراسته الجامعية في جامعة أريزونا الأمريكية ثم أكملها في كلية تشابمن، وله من الأولاد حصة وسعود ووالدتهما هي مها بنت مشهور الشعلان.

(٦) ولد في بيروت في ٢٥ أكتوبر ١٩٥٩م (١٣٧٩هـ) ودرس الإبتدائية في مدرسة الصالحية في القدس ومدرسة المروج ومدرسة الشويفات في لبنان، وتابع الإعدادية وجزءًا من الثانوية في مدرسة الشويفات وأكمل الثانوية في توسان (أريزونا) في الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٧٧م، حصل على الشهادة الجامعية من جامعة أريزونا وشهادة الماجستير من جامعة نورث وسترن في شيكاغو وشهادة الدكتوراه في المحاسبة من جامعة تكساس، عمل وكيلاً لإمارة منطقة الجوف ثم نائباً لرئيس الهيئة العليا للسياحة ثم مستشاراً لرئيسها، تزوج من لاما بنت يحيى آل عايض وأنجب منها لطيفة وشيخة وهيفاء ومحمد ونجلاء، يقيم في الرياض والغاط.

(٧) تلقت التعليم في بيت والدها ولها من الأبناء محمد (توفي صغيراً) ورحاب ومنال وسحر وسلطان وصخر ومناهل أبناء عبدالرحمن بن محمد الملحم، تقيم في الرياض وسكاكا.

=

وحصة[١] والجوهرة[٢] ولطيفة[٣] وشيخة[٤] وجواهر[٥] ومشاعل[٦] وريم[٧].

تلقى تعليمه على يد الشيخ عبدالمحسن بن عبدالعزيز المنيع والشيخ سليمان ابن محمد بن عبدالله بن إسماعيل[٨]، وذكر من رفاق طفولته أخاه مساعد، الذي

---

(١) تلقت التعليم في بيت والدها قبل إنشاء مدارس للبنات في الجوف، ثم طلب والدها منها أن تتولى إدارة أول مدرسة في سكاكا وذلك لتشجيع الأهالي على الإقبال على تدريس بناتهم، ولها من الأولاد هناء ومشاعل وسلمان أبناء عبدالمحسن بن محمد المحمد السديري، تقيم في الرياض.

(٢) تلقت التعليم في بيت والدها، ولها من الأولاد خالد ووليد وزياد - توفي صغيراً - وريم وهلا وشيخة أبناء نايف بن مساعد النايف السديري، تقيم في الرياض.

(٣) تلقت التعليم في بيت والدها وفي مدرسة دار الحنان في جدة، فلما أنشئت أول مدرسة للبنات في سكاكا عملت مشرفة فيها فمديرة لها، ثم أصبحت رئيسة تعليم البنات في الجوف، ثم تولت شؤون القسم النسائي في مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، لها دور كبير في نشر التعليم بين البنات في المنطقة وفضل كبير في دفع النشاط النسائي في المؤسسة الخيرية، ولها من الأولاد ريم وعبد الله وسعد أبناء تركي بن سعد التركي السديري، تقيم في الرياض.

(٤) تلقت التعليم في بيت والدها. ولها من الأولاد ثامر وبدر أبناء تركي بن خالد بن أحمد السديري، تقيم في الرياض.

(٥) تلقت الدراسة الابتدائية في المدرسة الأمريكية للبنات في القاهرة، ثم في مدارس دار الحنان في جدة، وحصلت على الشهادة الجامعية من جامعة أريزونا، صار لها شرف ملازمة والدها وخدمته في مرضه، ولها من الأولاد سلطان ومنيرة من مثقال بن فايز الشعلان، تقيم في الرياض.

(٦) تلقت الدراسة الابتدائية في المدرسة الأمريكية للبنات في القاهرة ثم في مدرسة الصالحية في القدس، ثم في مدارس دار الحنان في جدة حيث أكملت دراستها الإعدادية والثانوية، حصلت على شهادة الجامعة والماجستير من جامعة أريزونا في توسان، وعملت محاضرة في الكلية المتوسطة في منطقة الجوف ثم مساعدة المدير العام لشؤون القسم النسائي في مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، ولها فضل في خدمة النشاط النسائي في المؤسسة، ولها من الأبناء عبدالرحمن ويزيد وبدر أبناء تركي بن فايز الغبين، تقيم في الرياض.

(٧) تلقت دراستها الابتدائية في المدرسة الأمريكية للبنات في القاهرة ثم مدرسة الصالحية في القدس ثم مدارس دار الحنان في جدة حيث أكملت دراستها الإعدادية والثانوية، ولها من الأبناء محمد وممدوح وفلوة ونواف أبناء سلطان بن تركي بن أحمد السديري، تقيم في الرياض.

(٨) قال أحمد بن فهد اليحيى إن الشيخ عبدالمحسن بن عبدالعزيز بن سليمان بن منيع من قحطان انتقل جده سليمان من شقراء إلى الغاط بعد أن عُين إمام جامع فيه، ثم تولى عبدالعزيز بن سليمان إمامة الجامع ثم تولاها عبدالمحسن، وقال إن عبدالعزيز بن سليمان تولى إمامة جامع في الزلفي بعد الغاط وله أولاد في الزلفي ثم عاد إلى الغاط وتوفى فيه، وأن عبدالمحسن ولد في الغاط وأخواله الجاسر من العواد من قحطان ومن سكان الغاط وأنه كان يدرس في الكُتاب ثم في أول مدرسة فُتحت في الغاط وتوفي فيه سنة ١٣٩٥هـ. =

يصغره سناً ببضعه شهور، وابن عمه أحمد العبد المحسن السعد السديري[1]، وندى بن دحيم بن بصّيص ومحمد بن صالح المنصور وعبد الله الحمود العضيدان وبجاد بن راشد الزحاف والحميدي بن هليل العتيبي وباني بن مشلح العازمي وكان يكبره في السن كثيراً[2].

كان منذ صغره يهوى القنص بالصقور مشياً على الأقدام أو ركوباً على ظهور المطايا، وركوب الخيل والسباق عليها وعلى الأقدام[3]، فكان وأخوه الأكبر محمد من أسرع المتنافسين في السباقات على الأقدام[4]، كما أنه عرف بتداوله للشعر

= وقال أحمد إن الشيخ سليمان بن محمد بن عبدالله بن إسماعيل من آل أبو عليان من تميم وأمه بنت الشيخ عبدالعزيز بن منيع وأن جده عبدالله ارتحل إلى الغاط من القصيم بعد أن اتهمه ابن رشيد بمكاتبة الملك عبدالعزيز ومضايقته له، وأن عبدالله صار إمام جامع في الغاط وتزوج فيه وأنجب أربعة من الأبناء أحدهم اسمه عبدالعزيز ذهب إلى الهند ولم يعد، ومحمد عُين قاضياً في أبها وقُتل فيها أثناء إمارة عبدالعزيز العسكر، وعبد المحسن وإسماعيل أقاما في الغاط ولهما مزارع فيه، وقد درس الشيخ سليمان في الكتّاب ثم في أول مدرسة فتحت في الغاط كما تولى رئاسة هيئة الأمر بالمعروف فيه وأخيراً انتقل إلى القصيم بعد تقاعده وتوفي هناك.

(١) أمير مدينة العلا سابقاً.

(٢) ندى بن دحيم من البصايصة من مطير عمل مع الوالد في إمارة الجوف ثم انتقل إلى حفر الباطن وصار له مزرعة هناك وتوفي فيه،
ومحمد بن صالح بن علي المنصور من أهل الغاط من بني ثور من سبيع، عمل مع الأمير محمد بن أحمد السديري في عرعر فلما انتهى عمل الأخير في عرعر انتقل محمد بن صالح إلى الجوف وعمل مع الوالد في إمارة الجوف وتوفي في حادث سيارة أثناء سفره من الغاط إلى الجوف في ١٤٠٦/١١/٢هـ (١٩٨٦م).
وعبد الله الحمود من أهل عضيدان من العوازم رافق الوالد عندما عُين أميراً في الجوف وبقي معه ستة شهور ثم عاد إلى الغاط بسبب مرض والده وبقي فيه حتى وافاه الأجل، وبجاد بن راشد من الأساعدة من عتيبة عمل مع الأمير محمد بن أحمد السديري في الجوف ثم في عرعر ثم أقام في الجوف ومارس التجارة فيها بنجاح وتوفي في الرياض في ١٤٢٣/٦/١١هـ (٢٠٠٢/٨/٢٠م)،
والحميدي بن هليل من الحمران من عتيبة عمل مع الأمير محمد بن أحمد السديري في الجوف ثم في عرعر وتولى رئاسة مركز أم الضيّان التابع لعرعر ثم التحق للعمل مع الوالد وتولى رئاسة مركز الطيري وتوفي في الرياض في ١٤١٤/٩/١٥هـ (١٩٩٤/٢/٢٦م).
وباني بن مشلح من أهل مشاش مشلح من العوازم عمل مع أتباع فيصل الدويش من "الإخوان" وشارك في بعض الحملات العسكرية التي قام بها الدويش، ثم التحق بالوالد وانتقل معه إلى الجوف وعمل معه وبقي في الجوف حتى وافاه الأجل، وقد جرى التعريف بمحمد بن صالح وبجاد بن راشد في موضع سابق.

(٣) عن الوالد.

(٤) عن الحميدي بن هليل.

منذ صغره وترديد أناشيد "المّرادّ" غناءً مع أقرانه[1]، وورد أنه كان يجلس صباحاً في قهوة المنزل ومساءً في "البرحة" أمامه[2].

تحدث عن بعض ذكريات طفولته فقال: إن الأرز - الذي كانوا يسمونه "طبيخاً" - كان نادر الوجود ولا يقدم إلا في المناسبات الخاصة، قال: سرَت شائعة أن يوم القيامة سوف يحل قريباً، فكان يتواصى هو وأقرانه من الأطفال أن يأكلوا ما لدى أهلهم من الطبيخ قبل أن تحل القيامة[3].

ومن القصص التي سمعتها منه عن تلك الفترة الأولى من حياته ما رواه عن ضيوف حلوا عليهم في الغاط في ساعة من الضيق، وكانت القوافل الآتية من الشمال إلى الرياض قد تمر بالغاط فيكون أهل تلك القوافل عادة ضيوفاً على الأسرة وعلى آخرين من أهل الغاط[4]، وفي ذات مرة، أتت قافلة من أهل الجوف فحلوا ضيوفاً على بيت آل أحمد[5] وكان هو الموجود في حينه وهو صغير، فلما تبيّن أن ليس في البيت ما يقري ضيوفه أرسل إلى تاجر في الغاط يطلب ابتياع (شراء) ما يلزمه، فعاد المرسول يحمل اعتذار التاجر بعدم توافر المطلوب، فذهب إلى التاجر ظناً منه أن بالأمر خطأ أو أسوأ من ذلك، فلما وصل منزل التاجر ودعاه باسمه أجابته زوجة التاجر، وقد أدركت ما بخاطره، فطلبت منه الحلم وأقسمت له بالله أن ليس لديهم ما يفوق كفاية مؤونة أبنائهم، قال فاقتنعت وعدت إلى منزلي محتاراً بأمري، وبينما هو كذلك جالساً بمفرده في روشن (الغرفة العلوية) المنزل سمع خطى دخيل بن ناشي، المكلف بمتابعة شؤون بيت آل أحمد الخاصة، وهو يصعد عتبات الدرج - وكان أعرجاً - إلى الروشن، دعاه بن ناشي

---

(١) عن محمد بن منصور وإبراهيم بن عنان.

(٢) عن إبراهيم بن عنان.

(٣) وتحدث الوالد فقال إنه ذات مرة وكان مع أبيه أحمد في الرياض، دار الحديث حول شدة الحر فأشار أحدهم إلى أن تزايد أعداد سكان الرياض قد يكون عنصراً في شدة حر المدينة، وكما وصف الوالد، فقد كان عمره آنذاك حوالي سبع سنوات.

(٤) من البيوت التي كان لها مناخ في الغاط تقصده الضيوف بيت آل ملحم.

(٥) المقصود الجد أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد السديري.

فأجابه بحدة معبّراً عن سخطه على ما هو فيه من حرج، فأجابه ابن ناشي أن الموقف قد فرج موضحاً أن قافلة أهل الزلفي القادمة من الأحساء قد وفدت ومعها ما كان مخصصاً لآل أحمد، وأن راعي غنمهم الموجودة في المستوي (على بعد مسار يوم من الغاط) أتى وهو يحمل كبشاً كسيراً.

وفي هذا السياق روى قصة لوالده (جدي أحمد)، فقال: «**كان لديه ضيوف فلما طلب تقديم وجبتهم وكرر الطلب فلم يتم له ذلك دخل إلى البيت متسائلاً عن سبب التأخير، وبعد فترة عم فيها الصمت على الجميع أجابته الوالدة قائلة إنهم ينتظرون مجيء سفرة نظيفة قبل تقديم الطعام، فعرف أحمد أن المعترض على استعمال السفرة الموجودة هو أحد أبنائه الصغار، فقال موجهاً حديثه له إن السفرة التي يظهر عليها أثر الطعام دليل على كثرة الضيوف وتعدد الولائم، بينما لا تكون السفرة النظيفة الجديدة إلا عند من لا يستعملونها كثيراً، فاقتنع الابن بهذا الجواب**».

كما روى قصة لجده أحمد (الأول) قائلاً: «**جاء ذات مرة من يخبره بمقدم ابن هذال ومعه عدد كبير من رجال قبيلته (العمارات من عنزة) التي كانت آنذاك ما زالت تقيم في أرجاء القصيم، فلما أدرك أحمد أن ليس لديه ما يقري به ابن هذال وجمعه الكبير، ركب فرسه مغادراً الغاط وقال لأحدهم أن يخبر ابن هذال بغيابه، فلما خرج أحمد من البلدة وقع على مطية عليها حملها من مؤونة الطعام ضالة في البر، فاقتفاها أحمد إلى الغاط وأمر أحد رجاله بنحر المطية وإعداد وليمة منها ومن نصف حملها لابن هذال وطلب إليه دعوة الجماعة - أي أهل الغاط - على الوليمة ودخل على ابن هذال، وبعد برهة، أتاهم رجل من العقيلات توسم أحمد أنه صاحب المطية فلما صافحه أحمد أسر إليه بصوت خافت قائلاً "أبشر بالذاهبة " أي أن ضالتك محفوظة، فرد عليه العقيلي وقد رأى ضيوف أحمد الكثر قائلاً: "عساها قضت اللازم" أي لعلها أصابت حاجة عندك، وثمّن أحمد المطيّة وحملها ودفعه للعقيلي، فلما كان اليوم التالي إذا ابن هذال ما زال في المقام فأمر أحمد رجاله بنحر إحدى**

ركائب ابن هذال واستعمال ما تبقى من حمل المطية الأولى وإعداد وليمة أخرى لابن هذال وأهل الغاط، وبعد هذه الوليمة الثانية خاطب ابن هذال أحمد قائلاً إنه وفد إليه يطلب الزواج من إحدى بناته أو أخواته، فأجابه أحمد معتذراً بأن جميع بناته وأخواته متزوجات باستثناء أخت له يلقبونها بشويشة لعتهٍ بها، فقبل ابن هذال الزواج من شويشة قائلاً: إنه راغب في النسب لا بالمرأة لحسنها، فتزوج ابن هذال منها وذهبت معه على ظهر بعير وهي باكية، وقد قتل ابن هذال في معركة بعد زواجه هذا بوقت قصير، وذكر أن العمارات - قبيلة ابن هذال - هاجرت بعد هذا إلى العراق، ولا نعرف إذا كانت زوجته هذه قد أنجبت منه»[١].

أسفاره في صغره:

روى الوالد أن الملك عبدالعزيز أرسل بطلب خاله أحمد - أي خال الملك عبدالعزيز - فأوفد سيارة تحضره إلى الرياض، وذهب الوالد والعم مساعد مع والدهما، وكانا في بحر العشر سنوات من العمر[٢]، وأنهم وصلوا إلى الرياض فجراً فاتجهوا إلى قصر الملك وأذن لهم بالدخول فأتوه وقد جلس

---

(١) عرف عن أحمد السديري (الأول) هذا الكرم البالغ فامتدحه بهذه الصفة الكثير من شعراء زمانه بمن في ذلك ابن لعبون والقاضي والسهلي وابن مشرف وآخرون، وقيل إن الملك عبدالعزيز كان يلقبه - وأحمد هو جده لأمه - "بمعشّي الشجر"، وقد تقلب أحمد في العمل بعد سقوط الدرعية فكان - كما ورد في مطلع هذا الكتاب - رئيساً لبيت المال في الأحساء ثم أميراً لها، كما أنه قاد جيش الإمام فيصل بن تركي آل سعود إلى البريمى وعُمان وتولى الإمارة في البريمي ثم عاد إلى إمارته في الأحساء تاركاً ابنه تركي في إمارة البريمي، ويروى أن تركي وابناً صغيراً له قتلا في معركة في البريمي. انظر عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، جزءان، مكة المكرمة، الطبعة الثانية ١٩٣٠م، وانظر عبدالفتاح حسن أبو عليّه، تاريخ الدولة السعودية الثانية، الرياض، الطبعة السادسة ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، وانظر مقالة أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري، أحمد السديري (الأول)، مجلة الدرعية، محرم ١٤١٩هـ / مايو ١٩٩٨م.

(٢) كان معهم كذلك محمد بن صالح المنصور الذي أنشد في هذه المناسبة قصيدة جاء فيها:

يا ناس أنا وين رحتوبي ... وأنا عشيري يراعي لي
تمشون وامشي على دوبي ... عن دربكم باردٍ حيلي
كني على القلب مصيوبي ... من شوفتي له يومي لي
خلوني أرجع لمحبوبي ... ما ريد منكم محاصيلي

فسلموا عليه وجلسوا معه، ومما ذكره عن تلك المناسبة أن الملك عبدالعزيز كان ينظر في بعض الأوراق، فعلق باستغراب واستياء أن مصروفات الدولة قد شارفت على مبلغ خمسمئة ألف ريال، ولم يشر الوالد إلى المدة التي تعلقت بتلك المصروفات، ولكنه استطرد قائلاً إن الملك عبدالعزيز قارن بينها وبين مبلغ مئتي ريال كان أحمد قد استدانها للملك عبدالعزيز من تجار الأفلاج، عندما كان أميراً فيها، للإسهام في تمويل حملة كان الملك يستعد لها، معلقاً - الملك - أن تلك الريالات كانت أبرك بكثير من ريالات الزمان الذي هم فيه وقت ذاك المجلس.

وفي مجلس آخر للملك عبدالعزيز، قد يكون أثناء الزيارة ذاتها، دار الحديث حول مقر عاصمة الدولة التي بدأت في تكوّنها آنذاك وعن ملاءمة استمرار الرياض لذلك، وأن أحمد أشار إلى قلة الماء المتوافر في الرياض واقترح على الملك أن يفكر في الخرج بدلاً منها.

وفي إحدى مناسبات حضور (جدي) أحمد إلى الرياض، طلب إليه والده أن يعود إلى مقر إقامتهم فيقدم الطعام لمرافقيه ويرفع منه ما يكفي لأحمد وآخرين سيقدمون معه، فلما قدم أحمد كان معه نايف بن هذال بن بصّيص ورجل آخر، فجلسوا في روشن البيت(١) وتناولوا الطعام وخلعوا عن رؤوسهم فكانت جرداء من الشعر كرؤوس النسور، ثم دار الحديث بينهم فروى نايف قصة مقتل الأمير عبدالعزيز بن رشيد في روضة مهنا بالقصيم أنه - أي نايف الذي كان موالياً لابن رشيد في حينه وكان معه في روضة مهنا - شعر بخطأ بقاء ابن رشيد في هذا المكان لمدة طويلة، فذهب إليه وأشار عليه بالتحرك من موقعه فلم يأخذ ابن رشيد قول نايف مأخذ الجد، وأجابه بأنه لا بد أنه مشتاق لزوجته وسمح له بزيارة أهله، فعاد نايف إلى ربعه (مرافقيه) وكان بينهم مشاري بن بصّيص وابن دعجون، ويقول نايف إنه كان يشعر بشعور غريب فأمر ربعه بالاستعداد للرحيل مباشرة لكنهم طلبوا منه التمهل

(١) يقال "الروشن" للغرف العلوية كما سبق، و"الصفّة" للغرف السفلية.

والانتظار حتى الصباح فرفض وأصر على المغادرة في حينه حتى وإن كان الوقت متأخراً من الليل.

وبالفعل سرى نايف وربعه وبقي على إصراره يلح عليهم بالاستمرار والاستعجال وكأنه كان على علم بشيء ما، وفجأة أوقف نايف ذلوله وسأل ربعه عما إذا كانوا يسمعون ما يسمع، فلما أصغوا أجمعوا على أنه صوت الملك عبدالعزيز يوجه جنوده وهو على رأسهم في طريقه إلى ابن رشيد، فعاد نايف وربعه مسرعين واتجه نايف إلى خيمة ابن رشيد فحاول الحرس منع نايف، ولكن ابن رشيد أفاق على أثر الضجيج وسأل عن الأمر فأخبره نايف أن عبدالعزيز بن سعود قادم على رأس جيشه فأمر ابن رشيد قومه بإشعال النار ودق الطبول في محاولة للإيحاء لابن سعود باستعداد ابن رشيد فيرتبك الأول لذلك، وعارض نايف هذا الرأي واقترح أن يتقدم جنود ابن رشيد ويتمركزون حتى إذا قرب جيش الملك عبدالعزيز فاجأوه، فلم يقبل ابن رشيد بهذا الرأي[(١)]، وبالفعل أُشعلت النار ودقت الطبول ولكن هذا لم يؤثر على القادمين حتى إن طلائعهم وصلت إلى خيمة ابن رشيد والأخير يعتقد أنهم من جنوده فكان يخاطبهم معاتباً لوجودهم في ذلك المكان فعرفه جنود عبدالعزيز وقتلوه كما هو معروف[(٢)].

ويتحدث وآخرون عن رحلة أخرى قام بها الوالد إلى الرياض وهو صغير

---

(١) قال الوالد إن نايف نسب لابن رشيد قوله في إجابته على اقتراح نايف "**ما هي سويليفات بدو، الله يسلمك**".

(٢) جريدة الجزيرة، الجمعة ١٧ محرم ١٤٠٢هـ - الموافق ١٣ نوفمبر ١٩٨١م - العدد ٣٣٥٨،ص٥.

قال الوالد في مناسبة أخرى: إن نايف بن بصيّص روى كذلك قصة أخرى حدثت له في معركة شارك بها مع فيصل الدويش كان خصمهم فيها قبيلة شمر.

قال نايف إنه التقى بفارس من شمر فنال منه وأخذ فرسه أو حصانه، فلما أدبر بكسبه وهو ما تسميه البادية "قلاعه" إذا كان كسباً من الخيل، تذكر أن الدويش سوف يأخذ هذا الكسب كما جرت العادة في قبيلة مطير، فاستدار إلى الفارس الجريح على الأرض وسأله إن كان يريد ابتياع قلاعته التي كسبها منه فرد الشمري بالإيجاب فاتفقا على البيع والشراء في أرض المعركة بثمن قدره ثماني لقحات من الإبل، قال نايف فسألت الشمري عن ضمان الوفاء فأجابه أن على ذلك أمان الله، قال فتركته ولم أذكر هذه الواقعه خوفاً من سخرية الآخرين بي، فلما كان الخريف من ذاك العام وإذا بركب قادم حيث يقطنون ومعه اللقحات التي دفعها الشمري ثمناً لفرسه.

على ظهور المطايا[1]، وأبرز ما أشار إليه الوالد عن تلك الرحلة هو السيول العظيمة التي شهدوها أثناء عودتهم إلى الغاط، حيث أمضوا أياماً منعهم السيل فيها من تجاوز بنبان (المعروف شمال الرياض)[2]، فلما تجاوزوا بنبان ووصلوا إلى عشيرة (سدير) قابلهم شاب اسمه عبدالعزيز بن عبدالله الموسى[3]، كان يرعى إبل أهل عشيرة فطلبوا منه أن يدلهم إلى منزل أمير البلدة[4] ففعل ولكنه عندما أوصلهم المنزل أشار إلى منزله القريب من منزل أمير البلدة وأصر على الوالد ورفاقه أن يكونوا ضيوفاً له، فكان له ما شاء، وأشاد الجميع في هذه الرحلة بأريحية مضيفهم وكرمه، وقالوا إنه لم يكن معه في بيته سوى أمه المسنة، مقدّرين نجدته لمطاياهم التي حرمها السيل والمطر من المرعى، إذ كان أحضر العلف المجفف لها من مخزن عنده، وأغدق عليهم بما طاب من لذيذ الطعام الذي كانت أم عبدالعزيز تعده لهم[5]، وقد أمضوا ثلاثة أيام بضيافة عبدالعزيز الموسى بسبب استمرار هطول الأمطار بغزارة ثم غادروا إلى الغاط، وقد عاد الوالد بعد مدة إلى عشيرة يبحث عن مضيفه عبدالعزيز، فوجده وقد فقد بصره ونالت منه السنون فسعى لعلاجه ولكن المنية سبقت ما أراده الوالد فلقد توفي عبدالعزيز فاقد البصر.

وورد أنه ذهب ثلاث مرات إلى الجوف قبل أن يعين أميراً فيه[6]، كانت

---

(١) قال بجاد بن راشد الذي رافق الوالد في هذه الرحلة إن عمر الوالد عند قيامه بالرحلة كان حوالي (١٤) سنة أي أنها كانت في سنة ١٣٥٢هـ (١٩٣٤م)، وأن رفاق الرحلة كانوا خال الوالد الشيخ سعود بن زيد الرشود وبجاد بن راشد وأحمد الرزق وراشد العريفج، وأن الوالد أقام في الرياض في بيت أخته حصة بنت أحمد أم الأمير عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن والملك فهد وأشقائه، وأن رفاقه نزلوا في بيت في "حلة الأجناب"، وأنهم أمضوا حوالي عشرين يوماً في الرياض.

وذكر بجاد أن الوالد تزوج في تلك السنة من حصة بنت ناصر بن محمد بن ناصر الزنيدي من عبده من شمر، من سكان الغاط، ولم تنجب، وتوفيت بعد وقت قصير من زواجه منها. قلت: دأب الوالد على تقديم أضحية عن زوجته حصة في مناسبة كل عيد أضحى، وهو يضحي أيضاً عن والديه وأخيه عبدالعزيز وخاله سعود آل رشود إضافة إلى أضحيته.

(٢) قال بجاد بن راشد إنهم أمضوا ثلاثة أيام قبل أن يتمكنوا من تجاوز بنبان فأقاموا عند "الحريش" وكان له ثلاث من النساء وقرابة عشرين طفلاً.

(٣) من قبيلة بني تميم.

(٤) قال بجاد إن أمير البلدة كان يدعى ابن مزروع، وفي رواية - لعلها الأرجح - أنه ابن صالح.

(٥) قال بجاد إن طعامهم كان يشمل القرصان والبصل والفلفل والقفر.

(٦) عن بجاد بن راشد وعبد الله الحمود.

الأولى على المطايا في سنة ١٣٥٢ أو ١٣٥٣هـ (١٩٣٣م)، ومعه أخوه مساعد وآخرون[١]، وكان أخوه عبدالعزيز أميراً فيه، ومن هناك ذهب إلى بلاد الشام لعلاج إصابة حدثت لعينه اليسرى وهو صغير[٢]، وقد روى الوالد أن غصن ذُرة جرح عينه على غفلة منه عندما كان يصطاد الطيور في إحدى مزارع نخيل الغاط، وقد أضعفت هـذه الإصابة بصر عينه المضرورة، ولم يُفِدْه ما تلقاه من علاج في سفره هذا، إذ استمر يعاني من الضعف الشديد في بصره[٣].

عاد من الجوف إلى الغاط على ظهور المطايا مرة أخرى، وأبرز ما رواه عن رحلة عودتهم هذه التي كانت في أخر فصل الربيع أو أول فصل الصيف هو ضياع دليلتهم عن الحيانية، مورد الماء الذي كانوا يقصدونه للاستزادة منه وإسقاء مطاياهم، فباتوا وكانوا على شفا الهلاك من العطش، فلما أفاقوا في اليوم التالي إذا بإحدى ركائبهم غير موجودة في معقلها فذكر صاحبها أنها كانت قد وردت الحيانية معه وهي حوارة، أي رضيعة، قال، فتبعنا أثر الذلول فوجدناها تنتظرنا على بئر الحيانية التي كنا نبحث عنها، فكانت هي - بإذن الله - سبب نجاتنا.

وكانت رحلته الثانية إلى الشمال في شهر ذي القعدة من سنة ١٣٥٨هـ (١٩٣٩م) في فصل الشتاء[٤]، يروى أنه ذهب أولاً إلى الرياض ومنها اتجه إلى الجوف ومعه

---

(١) عن العم مساعد بن أحمد السديري، قال إنه لم يرافق الوالد في سفره إلى بلاد الشام.

(٢) قال بجاد بن راشد إن رفيق الوالد في سفره إلى بلاد الشام هو فارس الجميل، وإن الوالد أمضى قرابة ثلاثة أشهر في الجوف ومثلها في بلاد الشام، ولم يتسنَ لي سؤاله عن زيارته هذه لبلاد الشام وعن مشاهداته وانطباعاته عنها.

(٣) خضع الوالد في ٢٧ أغسطس ١٩٩٠م لعملية زراعة قرنية في مايوكلينك في الولايات المتحدة الأمريكية في محاولة لعلاج ضعف بصر عينه اليسرى إلا أنه لم يفد من الزراعة رغم نجاح عمليتها، وقد كان الأطباء قالوا للوالد إن إصابة العين وقعت قبل بلوغه سن الرشد ولذا فإن الزراعة لن تجدي، لأن شبكية العين قد تأثرت هي الأخرى.

(٤) عن عبدالله الحمود، قال بجاد إن هذه هي الرحلة الثالثة، وقال عبدالله الحمود إنها الرحلة الثانية. وقد انتهيت إلى أن رواية عبدالله هي الصحيحة حيث إنه أورد تاريخ سفرهم إلى الجوف وتاريخ عودتهم منها وتفاصيل أخرى تشير إلى دقة روايته، روى الإثنان أن رفاق الوالد في هذه الرحلة هم بجاد بن راشد وعبد الله الحمود ومحيسن الحيدر وباني بن مشلح وراشد العريفج وسيف العجمي وربما آخرون، وروى عبدالله الحمود أن رحلتهم من الرياض إلى سكاكا استغرقت سبعة أيام.

عشرون سيارة مرسلة من الملك عبدالعزيز، أربع عشرة سيارة منها مرسلة لأمير القريات ومفتش الحدود الغربية عبدالعزيز بن أحمد السديري، وست منها مرسلة لأمير الجوف محمد بن أحمد السديري، إضافة إلى سيارتين مع الوالد[١]، وكان مع السيارات المرسلة عشرة من رجال ديوان الملك ومعهم دليلة اسمه غليفص المري[٢]، كما ذهب معهم في إحدى السيارات هزاع بن بدر الدويش قاصداً قرية، ودحام بن درداح الصخري في سيارة أخرى قاصداً الأردن[٣]، وعند وصولهم إلى الشملول رغب الوالد في إكرام رفاق الرحلة وكانت كل مجموعة منهم تنزل على حدة، بمن في ذلك رجال الديوان وبدر الدويش ومن معه، ولم يكن مع رفاقه ما يكفي من أواني الطبخ فطلب إلى رجاله أن يستعيروا ما يلزمهم منها من بادية مرّوا بها[٤].

بعد هذا مروا بحفر الباطن فأقاموا ليلة ضيوفاً على أميرها صالح بن عبدالواحد ثم ساروا فمروا لوقة[٥]، ويبدو أن الوالد استعجل الوصول إلى سكاكا فاستبق القافلة بمن في ذلك رفاقه في سيارته الأخرى وواعدهم جميعاً في سكاكا، فلما وصل شعيب أبا رواث نقص زيت سيارتهم ولم يكن معهم شيء منه فاقترح سائق السيارة أن يضيفوا عليه بعضاً من سمن معهم وفعلوا ذلك[٦]، ولما تجاوزوا خوعاء ووصلوا عدايم خوعاء فرغت سيارتهم من الوقود، وكان الوقت مساءً والليل شتاءً قارساً وليس معهم لحاف لمنام أو ثياب واقية من البرد باستثناء عباءة واحدة كان يلبسها أحدهم[٧]، فأرسل الوالد كلاً من باني بن مشلح ومحيسن

---

(١) قال بجاد إن السيارات العشرين منها ٤ "بقوس" والأخريات شاحنات وكلهن من ماركة شفروليه.

(٢) عن بجاد بن راشد وعبد الله الحمود.

(٣) المصدر السابق. قال بجاد إن دحام بن درداح هو الأخ غير الشقيق لنوف الشعلان والدة الأمراء ثامر وممدوح أبناء الملك عبدالعزيز، وقال عبدالله الحمود إن أورنس (لورنس) الشعلان كان معهم أيضاً ولكن بجاد نفى ذلك.

(٤) قال بجاد إنه ابتاع خروفين للوليمة كل واحد منهما بسعر (١٦) ريالاً فرنسياً، وفي رواية أخرى (٣٦) ريالاً للخروفين.

(٥) قال بجاد بن راشد إنهم اصطادوا أربعة من الظباء بالقرب من لوقة، فوزعها الوالد على من كانوا في هذه الرحلة.

(٦) عن بجاد بن راشد.

(٧) قال بجاد إن صاحب العباءة هو سيف العجمي.

الحيدر لطلب النجدة وبقي هو ومعه بجاد وسيف العجمي والسائق، لا ناراً تدفئهم ولا طعاماً يقريهم ولا لحافاً يحميهم من البرد[١].

سار باني ومحيسن إلى قارا مشياً على الأقدام، ثم امتطوا مطيتين إلى سكاكا فأتوها ليلاً وأوصلوا الخبر إلى محمد بن أحمد السديري وفي الصباح قدم محمد على أخيه في "العدايم"[٢].

وصل الوالد سكاكا وأمضى فيها شهرين، ثم ذهب إلى أخيه عبدالعزيز في القريات وبقي عنده خمسة شهور، ثم أمضى شهرين آخرين في مخيم في "حصيدة" حيث كان موسم ربيع، وبعد ذلك عاد إلى أخيه محمد في سكاكا وأمضى فيها المقيظ[٣]، ويروى أنه أثناء وجوده في سكاكا خرج محمد في مهمة إلى الشقيق وأثناء غيابه أغار فريق من الدهامشة وسلبوا إبلاً من آخرين، فلما أتى الخبر بذلك كان الوالد الموجود في سكاكا موكلاً بالإمارة من قِبَل أخيه محمد، فتصدى للأمر وأرسل سرية للحاق بالمعتدين وكان عددهم ثمانية فلحقت بهم وقتلت بعضهم وأسرت الآخرين وأعادت الإبل المسلوبة[٤].

عاد إلى الغاط على المطايا في فصل الخريف من عام ١٣٥٩هـ (١٩٤٠م) ووصلوه في شهر شعبان بعد مسار خمسة عشر يوماً مروراً بعذفا فالحيانية فالبدع فالطليحي[٥]، وورد أنه كان معهم في هذه الرحلة صقور يصطادون بها الحباري[٦]، فلما وصلوا الغاط وجدوا القحط يعمه والجدري ينتشر في البلدان

(١) قال بجاد إنه لم يكن معهم وسيلة لإيقاد النار ولم يكونوا وقتها يعرفون أن بطارية السيارة تؤدي هذه الوظيفة، فأفرغوا بعض طلقات بندق شوزن كانت معهم ووضعوا قطعة من القماش على فم البندق وأطلقوا البارود ظناً منهم أن هذا قد يساعدهم في إشعال النار فلم تفلح هذه المحاولة، قال، لما أتى محمد ومن معه أحضروا معهم وجبة معدة لهم وتمراً من حلوة الجوف.

(٢) عن بجاد.

(٣) عن عبدالله الحمود، قال إن الوالد أمضى معظم الشتاء في القريات يصطاد الحباري بالصقور، وقال إن مائدة عبدالعزيز بن أحمد كانت دائماً تحوي التمر والزبد.

(٤) المصدر السابق. قال إن السرية قتلت اثنين أو ثلاثة من الغزاة.

(٥) عن عبدالله الحمود، قال إن رفاق الوالد في رحلة العودة هذه هم محمد بن منصور وباني بن مشلح وراشد الخوصان وراشد العريفج وشقير أبو دحم وعبد الله الحمود وعبد المحسن بن سلمان وأبو حفير ومحمد الخميس.

(٦) المصدر السابق، قال إن باني كان يسبقهم صباح كل يوم فيصطاد لهم ظبياً لغدائهم.

المجاورة له[١]، وفي يوم عيد الفطر من ذلك العام، سافر إلى الرياض وأقام فيه حتى نهاية شهر ذي القعدة ثم رافق الملك عبدالعزيز للحج[٢].

ولما فرغ من أداء المناسك ذهب إلى الجوف، يبدو بطلب من أخيه عبدالعزيز، مصطحباً أسرة أخويه عبدالعزيز ومحمد، الذين حجوا أيضاً في ذلك العام[٣]، وقد كانت الرحلة على سيارات، انطلقت من مكة المكرمة مروراً بالمدينة المنورة، حيث أقاموا فيها ليلة بضيافة أميرها عبدالله بن سعد السديري، ثم بحائل حيث حلوا ضيوفاً على أميرها عبدالعزيز بن مساعد[٤].

بعد حائل، وردوا تربة ثم التيسية حيث وجدوا الغدران ملآى بمياه الأمطار

---

(١) قال الوالد إنهم عندما وصلوا إلى الزلفى واستضافهم أحد أهل البلدة، سألوه عن أثار الجدري في الغاط، فأخبرهم أن أسرتهم نجت منه فلم يتوف منها سوى اثنان، ويبدو أن أحد الاثنين هو سعد، أول أبناء الوالد، توفي ولم يصل سنة من العمر.
قال الوالد، لما ساروا من الزلفي كانوا يحرصون على الابتعاد عن المقابر نظراً لكثرة المتوفين من المرض، فكانوا يتجنبون أن تكون المقابر بينهم وبين مسار الرياح حتى لا تنقل لهم العدوى، وكان الوالد قد روى أنه أحضر معه إلى الغاط في إحدى أسفاره السابقة إلى الرياض لقاحاً ضد الجدري، وطعّم من استطاع من أفراد الأسرة ومن سواهم، وأن أخاه بندر وشقيقة بندر هيا هربا فعطفت عليهم والدتهم وطلبت من الوالد عدم الإصرار على تطعيمهم من لقاح الجدري فكان ذلك وقد أُصيب بندر وأُصيبت هيا بالجدري عندما انتشر المرض في المنطقة في ذلك الوقت.

(٢) عن عبدالله الحمود وبجاد بن راشد.

(٣) عن بجاد بن راشد وعبد الله الحمود، قالا إنه كان بين هؤلاء والدة عبدالله بن عبدالعزيز السديري، وهي الجوهرة بنت نايف السعد السديري، وابنها عبدالله، ووالدة زيد بن محمد السديري، وهي شريفة السلمان من أهل الزلفي، وابنها زيد، ووالدة نورة بنت محمد السديري وهي مها بنت شاهر المتعب العبد الله من أهل دومة الجندل، وقالا إن رفاق هذه الرحلة هم عبدالله آل رشود وسعود المتعب وبجاد بن راشد وعثمان بن أحمد ومحيسن الحيدر وعبد الله الحمود وباني بن مشلح ومرجح (هكذا ورد اسمه) وحمد العويس وعبد الله السماحي، الذي كان يرأس خويا عبدالعزيز بن أحمد، وصويلح الغانم مهندس للسيارات، وفهد اليحيى وابنه أحمد اللذان رافقاهم حتى حائل.

(٤) المصدر السابق، قالا كان معهم (١٢) سيارة شاحنة وأربع سيارات صغيرة، وروى الوالد أنهم عندما أفاقوا في أول أيام الرحلة وجدوا سائق إحدى السيارات وقد ولى عائداً إلى جدة خوفاً من خوض الصحراء ولم يكن معهم سائق آخر للسيارة التي تركها سائقها، فسأل الوالد أحد السائقين الآخرين عن طريقة قيادة السيارة - ولم يكن يحسنها من قبل - فعلموه فركبها وقادها، وقال عبدالله الحمود إن هذا حدث بعد مغادرتهم المدينة المنورة وأنهم عادوا إلى المدينة وأخذوا سائقاً للسيارة التي تركها سائقها.
وأثنى بجاد على حسن استقبال أميري المدينة وحائل لهم وقال إن الأمير عبدالعزيز بن مساعد كان يقف حتى يجلسون على مائدة الطعام ثم يغيب عنهم فيعود ويقف حتى يكملوا غسيل أيديهم بعد الطعام، وعندما غادروا حائل أرسل معهم شاحنة تحمل حبالاً لمساعدتهم على تجاوز النفود.

فاستزادوا منها عوضاً عن ماء تربة[١]، وعند شعيب أبا رواث وجدوا أخويه عبدالعزيز ومحمد في استقبالهم في مخيم أقاموه هناك، فباتوا ليلة في المخيم ثم ساروا في اليوم التالي إلى سكاكا، أما عبدالعزيز فذهب إلى القريات[٢]، وأمضى الوالد قرابة خمسة شهور في سكاكا وشهرين في القريات في رحلته هذه[٣].

وكانت عودته من الجوف إلى الرياض قاصداً الملك عبدالعزيز[٤] على سيارات رافقه فيها عواد بن فايز، شيخ قبيلة بني صخر، وقد كانت رحلة العودة هذه في فصل القيظ تعرضوا أثناءها لحالات متكررة من عطب عجلات السيارات[٥]،

---

(١) أشار بجاد إلى ما هو متداول عن ملوحة ماء تربة.

(٢) ذكر عبدالله الحمود أن محمد السديري أنزل رفاق الوالد في سكاكا في بيت " الخميس ".

(٣) قال بجاد إنهم أمضوا بعض الوقت في مخيم أقامه الأمير محمد في الحقنة لوجود الربيع فيها، وقال إن الوالد تزوج من شوقة المتعب أثناء وجوده في الجوف في رحلته هذه، وشوقة هي بنت عبدالله المتعب العبد الله من الأسلم من الطواله من شمر ومن كبار سكان دومة الجندل، وتشير وثائق تحملها الأسرة إلى أن جد الأسرة الشيخ عبدالله الصالح عين عضواً في مجلس قضاء الجوف من قبل الأتراك سنة ١٢٩٠هـ عند قدومهم إليها. انظر عبدالرحمن بن أحمد السديري، الجوف وادي النفاخ، الطبعة الثانية ص. ١٣٦، وقد أنجبت شوقة من الوالد ابنته الجوهرة وشقيقها فهد المتوفى في صغره ثم انفصل عنها.

(٤) عن بجاد بن راشد وعبد الله الحمود، قالا إن مع عواد اثنين من جماعته وسائقاً وقال عبدالله إن حديثة الخريشه – وهو من شيوخ قبيلة بني صخر – كان مع عواد ونفى ذلك بجاد، وقال بجاد إنه كان مع الوالد أربع سيارات ومع عواد بن فايز سيارة واحدة، قالا إن رفاق هذه الرحلة هم عبدالله السماحي وعثمان بن أحمد وبجاد بن راشد وعبد الله الحمود، وقال بجاد إن الوالد حمل معه في عودته هذه مالاً اشترك فيه الأشقاء عبدالعزيز وخالد ومحمد والوالد لإقامة مزرعة نخل لهم في الغاط، وأتم ذلك الوالد فأقام المزرعة التي عرفت فيما بعد باسم البديعة في أعلى شعيب الغاط، وروى محمد بن صالح المنصور أنهم كانوا ينقلون أشتال النخل من نخيل الغاط إلى حيث البديعة على ظهور الدواب، وروى عبدالرحمن ابن يوسف أنه وقف على الوالد وهو يغرس الأشتال بيده مع آخرين، وقال أحمد الحيدر إن بئر البديعة كلف حفرها ثمانين ريالاً فرنسياً بينما كلّف طيّها بالحجر ستين ريالاً فرنسياً.

وقد أصبحت البديعة بعد حين من الوقت ملكاً للوالد بعد أن تقاسم وأشقاؤه – بالتراضي – ما كان مشاعاً بينهم، والبديعة بها (٤٧١) من النخل، وكان الوالد يقول إنه لو خير في كل ماله فإنه كان سيختارها عن سواها، ومع هذا، فقد وهب الوالد البديعة لزوجته منيرة بنت محمد الملحم دلالة على ما يحمله لها من محبة كبيرة، وبعد وفاة أم فيصل في سنة ١٤٢٤هـ عادت البديعة لصاحبها ومحبها الأول.

(٥) حدث الوالد عن هذه الرحلة فأشار إلى أن أحداً ممن كانوا مع عواد بن فايز أصابه الذعر خوفاً من العطش فكان يجلس بمحاذاة قربة الماء وكلما شرب أحدهم منها طلب منه ما تبقى في الإناء من ماء فشربه، قال عبدالله الحمود إن الوالد كان يرسل برقية من كل مركز يمره لإشعار المركز التالي بقدومهم، وذلك نظراً لظروف سياراتهم وفصل القيظ الشديد الذي كانوا يسيرون فيه.

وورد أنهم ساروا من قارا بعد العصر فمروا لوقة فلينة فأم رضمة فالحفر ففليق فالهشامى - وهو بئر في محاذاة نفود الدهناء - فرماح فأبو مخروق فالرياض[١].

قدومه إلى الجوف:

قدم الوالد أميراً على منطقة الجوف في الخامس من رمضان المبارك من سنة ١٣٦٢هـ[٢] (١٩٤٣/٩/٤م)، وقبل مجيئه إليها ذهب إلى الرياض لمقابلة الملك عبدالعزيز وتلقي توجيهاته[٣]، ثم سار من الرياض على سيارات ومعه أسرته[٤] والشيخ فيصل بن مبارك موفداً لتولي قضاء الجوف[٥] وفريق من

---

(١) قال بجاد إنهم أقاموا ليلة ضيوفاً على أمير لوقة الذي أشار إليه باسم " البقعاوي " وباتوا على مقربة من لينه، ووقفوا للقيلولة في أم رضمة وبعد مسار حوالي مئة كيلو متر من أم رظمة استقبلتهم سيارة كان قد أرسلها أمير الحفر صالح بن عبدالواحد تحمل وقوداً وزيتاً للسيارات وماء لهم وبها أربعة من رجال ابن عبدالواحد، وقال إنهم عندما وصلوا الحفر كان أميرها بانتظارهم فاستقبلهم خير استقبال وأمن عجلات جديدة بدلاً من العجلات التالفة معهم وأقاموا ليلة بضيافته فكان لا يفارقهم طيلة وجودهم عنده فلما غادروا الحفر أصر على مرافقتهم حتى أوصلهم فليق، وقال بجاد إنهم ساروا من فليق ووقفوا للقيلولة في الهشامى، فلما ساروا مساءً وتجاوزوا أول عروق الدهناء استقبلتهم سيارة أوفدها الملك عبدالعزيز تحمل الوقود والزيت والماء ووجبة ذكر أنها احتوت على " شلف قرصان " و " مطبقة مغمي "، وكان في السيارة صالح الشلهوب ومعه سائق، ثم ساروا ومعهم ابن شلهوب حتى كانوا على مقربة من رماح فأمسوا فيه، أما صالح الشلهوب فاستأذن وتوجه إلى الرياض بسيارته ومعه سائقه، وفي اليوم التالي ساروا حتى وصلوا أبو مخروق فتوقفوا للقيلولة فيه فكانوا بالكاد يرون مدينة الرياض، وبعد الغداء والقيلولة اتجه الوالد ومعه عواد بن فايز لمقابلة الملك عبدالعزيز وذهب رفاقه إلى بيت الضيافة الذي خصص لهم، وقال بجاد إن عواد بن فايز رغب أن يسهم بمقابلة بعض مصاريف الرحلة وعرض ستة دنانير أردنية مشاركة منه في هذا السبيل، فلما علم الوالد ابتسم وطلب إلى بجاد أن يشكر ابن فايز ويخبره بأن لا داعي لذلك، وقال بجاد إن الوالد كان يقيم في الرياض في منزل حصة بنت أحمد السديري زوجه الملك عبدالعزيز، أخت الوالد.

(٢) قال مطلق بن راضي الجبل إنه عندما قدم الوالد إلى الجوف كان شاباً ذا شعر مجدل وكان شعر شاربه في أول ظهوره.

(٣) انظر ما كتبه فيصل بن عبدالرحمن السديري في موقع آخر من الكتاب، عن مقابلة الوالد للملك عبدالعزيز.

(٤) عن إبراهيم بن عنان، قال معه زوجته أم فيصل وبناته حصة ولطيفة، وعدد سياراتهم خمس موديل ١٩٤٢م إحداها بكس فورد والأخريات شاحنات، وقال إن شهر رمضان المبارك دخل في اليوم الثاني من بدء رحلتهم.

(٥) المصدر السابق. قال كان مع الشيخ فيصل اثنان من المرافقين أحدهم هو عبدالله بن عبدالوهاب الذي تولى قضاء القريات في وقت لاحق، وورد في كتاب (المتدارك من تاريخ الشيخ فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك ١٣١٣ - ١٣٧٦هـ) للمؤلف محمد حسن عبدالله آل مبارك، الذي نُشر عن طريق مكتبة الرشد =

الشرطة قوامه خمسة عشر فرداً يرأسهم عبيد الخالد[1]، ومجموعة من رجال الوالد[2]، وورد أنهم ساروا مروراً برماح فأم عقلا فقرية فاللصافة فحفر الباطن فالدويد فأم رضمة فلينة فأبا رواث فلوقة، وكانوا في القيظ وأمضوا خمس ليال أو نحوها في رحلتهم[3]، فلما قدم إلى سكاكا، كان أخوه محمد موجوداً فيها فاستلم العمل منه[4].

تحدثوا عن تلك الأيام الأولى من قدومه إلى الجوف، فقالوا إن الإدارات الحكومية وقتذاك كانت تتكون من الإمارة التي تتبعها الشرطة والجمارك والمالية والجوازات - تابعة للشرطة - والبرقية وكلها كانت في قصر الإمارة[5]، هذا عدا المحكمة التي كانت في مقر مستقل، وكان موظفا الإمارة في تلك الأيام - ممن يعدان "داخل الهيئة" حسب التنظيم الساري في حينه - هما مدير مكتب الأمير عبدالله الشقاوي وموظف آخر هو سليمان الراشد، وكانت هناك ثلاثة منازل للضيوف[6]، أحدها هو بيت خميس الغدير والآخر روشن كبير بجانب مكتب الأمير به ثلاث غرف مستطيلة ومجلس كبير ودورة مياه، والثالث قهوة كبيرة مفتوحة على

= بالرياض عام ١٤٢١هـ، عن الشيخ فيصل أنه ابن عبدالعزيز بن فيصل بن حمد بن مبارك بن عبدالرحمن ابن حسن بن عبدالله بن حسن بن راشد بن محمد بن عبدالله آل حمد الرباعي الحسني البشري العنزي الوائلي، وأن أسرته آل مبارك من آل راشد أمراء حريملاء، وأنه ولد في حريملاء سنة ١٣١٣هـ، وانتقل مع بعض أقاربه إلى الرياض وله من العمر سبع سنوات، وتعلم على عدد من العلماء والمشايخ وانضم إلى القوات السعودية التي فتحت الأحساء سنة ١٣٣١هـ، كما شارك في معركة جراب سنة ١٣٣٣هـ، وفتح حائل سنة ١٣٤٠هـ ثم عين قاضياً في عددٍ من البلدات كان آخرها منطقة الجوف - كما ورد ذكره - التي بقي فيها حتى توفي سنة ١٣٧٦هـ.

(١) المصدر السابق. قال إن عبيد الخالد من أهل عسير.

(٢) المصدر السابق. قال معه زيد بن عماش وإبراهيم بن مقبل وسليم الضرماوي وباني بن مشلح وفهد بن عمران ودغيشم العمار وعبد الله الزومان وزوجته وإبراهيم العنان وآخرون.

(٣) المصدر السابق. قال إن إحدى السيارات حملت الوالد وأخرى حملت أسرته ومن معهم وثالثة حملت الشيخ فيصل ومرافقيه ورابعة حملت الشرطة وخامسة حملت مرافقي الوالد، وقال إنهم عندما أتوا الدويد وجدوا الكاسب بن عبكلي فيه فأخذه الوالد معهم وكان هو دليلهم إلى الجوف.

(٤) عن إبراهيم بن عنان، قال إن محمداً كان في العمارة وهي قصر طين يسكنه أمير المنطقة وقتذاك.

(٥) عن عبدالرحمن بن محمد الملحم، قال إن مدير البرقية الأول كان من أصل تركي واسمه زكي ومهندسها من أصل أندونيسي واسمه جعفر.

(٦) يظهر من بيان الديوان العام للخدمة المدنية أن راتب الوالد عند مجيئه إلى الجوف كان (٨٠٠) ريال، قال عبدالرحمن الملحم إنه كان يستلم أيضاً (١٠٠٠) ريال للضيافة.

الدوام[١].

وكان الرز (التمّن) وكذا وقود البانزين، الذي يحفظ في قصر الإمارة، يجلبان من العراق.

وورد أنه كان إذا أفطر جلس في مكتبه واستعرض ما فيه من أوراق وبرقيات، ثم يجلس للعموم فيحضر كبار القوم من حاضرة وبادية وسواهم فيُبدأ بقراءة القرآن الكريم، ثم تلاوة الحديث الشريف ثم يجاب على ما يطرح من أسئلة في الدين[٢]، فإذا فرغوا من ذلك قدمت القهوة[٣]، بعد هذا يدور حديث عام يتخلله إعلام للحضور بأخبار الملك ثم استماع لأخبار المذياع ونقاش حوله[٤]، فإذا انتهوا من هذا كله عاد إلى مكتبه وتبعه من له موضوع خاص يرغب في بحثه معه، بعد هذا يجلس للغداء مع العموم[٥].

تحدث عن الأيام الأولى لإمارته، فأشار إلى استمرار حوادث الغزو أو السلب المتفرقة في المنطقة وقتذاك، وإلى جنوحه إلى الحزم في تعامله مع هذه الحوادث مضطراً في بعض الحالات إلى تجاوز ما كان يرده من تعليمات، وذلك قناعة منه بأن أيَ تساهل يبديه كان سيفضي إلى تطاول وتجرؤ على جهاز الدولة الفتية

(١) المصدر السابق، قال إن بيت خميس الغدير كان لشيوخ القبائل والروشن للوفود من المسؤولين والقادمين من الخارج والقهوة للعامة وقدر أطوالها بستة أمتار في العرض وعشرين متراً بالطول، وقال إن بها مستودعاً (غرفة) لحفظ أمتعة الضيوف، وقال إن التمر كان دائماً موجوداً في القهوة، وقد استمرت هذه العادة في مكان استقبال الوالد في الجوف حتى ترك الجوف واستمر عليها هو وأبناؤه في بيوتهم في الرياض والغاط حتى الآن.

(٢) المصدر السابق، قال كان القارئ هو محمد الظميري والمجيب على الأسئلة الدينية عادة هو الشيخ فيصل ابن مبارك.

(٣) المصدر السابق، قال كان القائم بالقهوة وقتذاك هو محمد بن سعران المفلح، وقد تولى ابن سعران فيما بعد شؤون ضيافة الوالد وكان محل تقديره وتقدير جميع من عرفه.

(٤) المصدر السابق. قال إنه كان يوجد مذياعان، أحدهما بحوزة الوالد والآخر بحوزة مدير مكتبه عبدالله الشقاوي، وقال إنهم كانوا وقتذاك يستمعون لأخبار إذاعة الشرق الأدنى وإذاعة لندن وإن الوالد كان يشرح للحضور ما يتلى من أخبار ترد بلغة فصحى لا يفهمها بعضهم.

(٥) المصدر السابق. قال أيضاً إن طباخ الوالد كان يقوم أيضاً بتوزيع الطعام على من كان يأتيه وبعضهم كان يأخذ معه ما تيسر من الطعام لأهله، وقد دأب الوالد على تناول الغداء والعشاء دائماً على مائدة مفتوحة للجميع واستمر في ذلك حتى مرضه الأخير.

واستخفاف بها، وروى مثالاً على ذلك قصة الغزاة – سبق ذكرها – الذين سلبوا إبلاً وهربوا بها إلى العراق، وقد نجح في اتخاذ التدابير لاسترجاعها، قال: فأخبرت الملك بكل ما حدث مشيراً إلى أوامره السابقة وأسباب تأخره في تنفيذها فأجابه الملك شاكراً له حسن تقديره وتصرفه غير معاتب على تجاوزه أوامره[1].

وتحدث الوالد كذلك، فأشار إلى أن أكبر التحديات التي واجهها عند مجيئه إلى إمارة منطقة الجوف، هو التعامل مع الإرث الذي تركه في المنطقة الصراع الطويل القديم عليها، إلا أنه أشاد في الوقت ذاته بالدور الذي كانت تقوم به فئات المواطنين في دعم الإدارة المحلية في مجال ترسيخ الأمن، فذكر أن المسؤول كان كثيراً ما يحتاج إلى استنفار أبناء القبائل المقيمة في المنطقة للتعامل مع بعض الأحداث وتجهيز الحملات الأمنية، فكانوا لا يترددون أبداً في الاستجابة لمثل هذا النداء وعمل ما يطلب منهم.

وتحدث أيضاً فأشار إلى انتشار الفقر العام بين صفوف المواطنين في شتى المناطق وقتذاك، وأورد على هذا مثالاً أن حدث ذات مرة سرقة في أحد أحياء حاضرة سكاكا، ولما كانت مثل هذه الحوادث مستغربة في الأوساط الحضرية في المنطقة، أمر فريقاً من رجال الإمارة بتفتيش بيوت مجاورة لموقع السرقة فدخلوا سبعة وعشرين بيتاً لم يجدوا أثاراً للنار – أي الطبخ – إلا في ثلاثة منها[2]، وأشار إلى أنه رغم أن حال البادية كانت نسبياً أكثر يسراً من الحاضرة نظراً لتوافر المواشي لديهم وتنقلهم بين صحراء المملكة وبلاد الشام حيث العيش الأوفر، إلا أن البادية أيضاً كانت تمر بها سنون عجاف تهلك ما لديها من ماشية فتكون في

---

(١) وجدت صورة برقيه من الملك عبدالعزيز ضمن أوراق احتفظ بها الوالد رقمها ١٤٤٦٩ وتاريخها (على ما يبدو) ١٣ ذي الحجة ١٣٦٤هـ (١٩٤٥م)، ورد فيها " بارك الله فيكم ".

(٢) حضرت مناسبة ذات مرة أقامها أحد أهل سكاكا تكريماً للوالد بعد عودته من سفر إلى خارج المنطقة وقد عم الرخاء جل الناس، فكان حاضراً المناسبة رجل مسن فاقد البصر، فلما جلس الجمع على موائد الطعام ودار الحديث عن كثرة النعم والإسراف في بذلها في المناسبات سأل الوالد الرجل المسن عن رأيه في الأمر، فأجابه أنه يتذكر ذات يوم في عهد شبابه وقد خرج هو ورفيق له من منزلهما أملاً في أن يستضيفهما كريم بعد أن نال الجوع منهما، قال، فرآهما كريم من جماعتهم فعرف ما بهما فدعاهما لمنزله فلما دخلوه أجلسهم في ديوانيته وغاب عنهم فلما عاد إليهم وإذا به يحمل أواني ملآى بالماء فأخرج من جيبه صرة بها خليط من سحيق الكراث ونباتات مجففة أخرى، فأخذ منه مقدار الكف لكل إناء وقدم ذلك لضيفيه اللذين شرباه وتحمدا الله، وكان هذا هو كل قوتهما لذلك اليوم.

أشد حالات العوز.

وليس للوالد مجلس خاص أو جلساء خاصون يقتصر لقاؤه عليهم دون سواهم، فمجلسه كان دائماً عاماً يحضره كل من أراد حضوره، ويضم كبار أهل الجوف وعامّتهم حاضرة وبادية.

أسلوب إدارته:

وصفه أخوه عبدالعزيز فقال إنه "**هادئ الطباع قليل الأذى واصل بأقاربه إلى درجة كبيرة**"[(١)]، وتكلم عنه من عرفوه صغيراً فنعتوه بالأناة وطيب المعشر والبعد عن سرعة الغضب أو إظهاره للصديق[(٢)].

وتحدث من عاصروه في العمل فقالوا: **إنه مارس سياسة الباب المفتوح حرفياً، فكان مكتبه وبيته مفتوحين دائماً للمراجع والزائر والضيف**[(٣)]**، ولم يكن على باب مكتبه حاجب، فإذا وجب عليه عقد اجتماع أو أراد تبادل حديث أو مكالمة تستدعي الخصوصية انصرف عن المكتب إلى قاعة للاجتماع بجوار مكتبه لمثل هذه الحالات، ثم عاد وباشر عمله بحضور كل من يرغب الحضور في المكتب**[(٤)].

وكان المراجعون يقدمون طلباتهم إليه ويحدثونه بما يشاؤون فلا يقاطعهم - حتى وإن تجاوزوا في الكلام - حتى ينتهون[(٥)] فإن كان ذلك وشعر بأن المراجع محتد في شكواه طلب منه الجلوس وتناول القهوة ليكون له فسحة من التفكير

---

(١) في مذكرات كتبها الأمير عبدالعزيز بخط يده أطلعني عليها مساعد بن نايف بن عبدالعزيز السديري.

(٢) عن عبدالله بن حمود العضيدان وبجاد بن راشد وإبراهيم بن عنان.

(٣) عن وكيل الإمارة سابقاً فيصل بن عبدالرحمن السديري، ووكيل الإمارة المساعد سابقاً عبدالرحمن بن محمد الملحم، قلت: شهدت ذلك كلما زرته في مكتبه.

(٤) المصدر السابق.

قال عبدالرحمن بن محمد الملحم إنه حدث في مناسبة زيارة لوزير الداخلية، سمو الأمير نايف بن عبدالعزيز، إلى الجوف أن أتى الوالد أحد المواطنين فقدم إليه ورقة يحملها، فلما طالعها الوالد وجد أنها خطاب موجه للوزير يحمل شكوى المواطن ضده فأعاد الورقة إلى صاحبها وقال له ما مفاده إنه ربما يحمل ورقة أخرى غير تلك التي قدمها، فأدرك المواطن ما وقع به من خطأ وغير الورقة الأولى بورقة أخرى موجهة للوالد وهو في حالة من الارتباك، ولم يشعر الحضور بما كان وتعامل الوالد مع ورقة المواطن الموجهة إليه وكأنه لم يطلع على سواها.

(٥) قال ظاهر بن بريد الفهيقي، وهو موظف في إمارة الجوف، إن الوالد كان أحياناً يقف عند باب مكتبه أو عند سيارته بانتظار معاملة تأخر تجهيزها حتى يوقعها قبل انصرافه.

ومجال لمراجعة النفس[١]، وأخذ من الصبر نصيباً كبيراً فلا يترك مشاعره تسيطر على أفعاله ولا يؤاخذ المراجع في خطئه ولا ينقاد إلى الخلاف مع المواطن أو الإساءة إليه[٢]، فإن أساء إليه أحد أحسن إليه بالمقابل[٣]، وهو يحكم عقله في الأمور فيحللها ويذهب في ذلك مذهباً بعيداً متحسباً لرد الفعل وخياراته التابعة لذلك فردود الفعل التالية[٤].

وتحدث عنه آخرون - كما ورد في ذكريات الرواة الواردة في موقع آخر من هذا الكتاب - فأشاروا إلى أنه كان لا يبتعد بنفسه عن مباشرة المهام التي يستدعيها الواجب، مهما بلغ الخطر منها أو قست الظروف فيها، فإن واجهته ورفاقه الصعاب، اشتدت عزيمته ورجح رأيه ولمعت شخصيته.

وأشاروا إلى أنه كان يحرص على معرفة أهل المنطقة بأسمائهم وبتفاصيل أسرهم ذكوراً وإناثاً فيسأل عنهم إذا التقى أحدهم ويبادلهم الهدايا، ويجمعهم ويستشيرهم في المناسبات التي تستدعي ذلك سواءً كان الأمر زيارة مسؤول كبير إلى المنطقة أو تحديداً لاحتياجاتها أو تشاوراً في مبادرة من المبادرات، وكان يحرص كل الحرص على عدم إثارة الخلافات الزوجية رسمياً ويسعى بمبادراته الخاصة لمعالجتها والستر عليها.

وتكلموا عن وقوفه دائماً مع المواطن وسعيه لحفظه والستر عليه ودفاعه عنه وتحمل المسؤولية في ذلك حتى عندما لم يكن معنياً بالأمر.

وأشاروا إلى أنه يشارك المواطنين أفراحهم وأحزانهم، فيحضر مناسبات

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق. قلت أخذ موضوع الصبر نصيباً كبيراً من شعر الوالد. ومن ذلك قوله:

زياد لا تغبن ترى الصبر للفتى حصن حصين لو غثاه مديم

أشكي عليك الصبر وأنا لقيته يا قاك لطمات وتعباه لطيم

انظر مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، ديوان القصائد ص (١٣٨).

(٣) وقال أحمد بن محارب إن هذا كان سنة ١٣٨٢هـ (١٩٦٢م)، وقد تكرر استعمال سيارة الوالد لإسعاف المرضى من أهل الجوف وزائريها مرات عديدة ذكر منها إبراهيم بن عنان نقل نزال البيالي إلى عمان لعلاجه من حساسية أصابته على إثر دواء تلقاه، ونقل رجل أوفده إلى الجوف أحد الأشراف في الأردن لجلب النخل فأصابه عارض أوجب ترحيله إلى الأردن لعلاجه.

(٤) المصدر السابق. قلت وقفت على مثل هذا مراراً في مواقف حضرتها.

الزواج التي يقيمونها ويشارك في الاحتفالات التي تصحبها ويرتجل الشعر في رقصة العرضة المقامة في المناسبة[1].

وقد لقبته البادية - كما في موقع آخر - بعشير ضيفه[2] نسبة لحسن استقباله الضيف واهتمامه به ومعاشرته له[3]، ووجوده دائماً على رأس مائدته المفتوحة للجميع فلا يغيب هو عنها إلا لمرض أو سفر، وقد جعل مجلسه في منزله في دكة محاذية للشارع العام دون باب أو حراسة، يأتيها من شاء في كل وقت[4]، يهتم كثيراً في المناسبات العامة ويعد لها العدة وتكون دعوته فيها مفتوحة لجميع المواطنين، فيحضرها المئات منهم[5]. وكان يرى أن في المناسبات العامة، سواء كانت مناسبات أعياد، أو سباقات هجن أو جوائز مزارعين وصانعي سجاد أو زيارات مسؤولين إلى المنطقة أو غير ذلك، مجالاً للتصدي لمواضيع الساعة التي تهم المنطقة والتكلم في هذه المواضيع فيما فيه المصلحة العامة.

عني بشؤون المنطقة عامة، فكان يقترح المشاريع اللازمة لها على المسؤولين ويتابع هذه الطلبات فيذهب بنفسه - حتى بعد أن كبرت سنه - فيدخل على موظفي الوزارات الحكومية في الرياض في مكاتبهم متابعاً لمعاملات المنطقة ومتتبعاً لها حتى يصل بها إلى الوزير المعني بموضوعها.

---

(١) شهدت هذا مراراً وجل قصائد العرضات التي قالها كانت مرتجلة في مناسبات عامة.

(٢) قال فواز بن فرحان الحساني الذي كان وكيلاً على غنم الوالد، إنه، أي فواز، مر ذات يوم على منزل بدو فلما علمت صاحبته بهوية صاحب الغنم لحقت بفواز وأصرت على إقرائه ومن معه ودعتهم لرعي الأرض التي تنزل بها قائلة إن هذا هو أقل ما تملك تقديمه لرجال عشير ضيفه.

وقال فواز إن الوالد كان يأمر بتجهيز طعام وحليب إبل تحسباً لضيف يأتي في وقت متأخر من الليل.

(٣) الجاسر، ص. ١٠١

(٤) قال الوالد في هذه الدكة قصيدة جاء في مطلها:

ولي دكةٍ ما صرّ من دونها باب   حطيتها في جانب السوق راده

(٥) خصص ساحة للمناسبات في مقر إقامته طولها (١٠٠ م) وعرضها (١٠٠ م)، وكان في البدء يستعمل بيوت شعر تعد تحت إشرافه لهذه المناسبات، فكان لديه بيت شعر للاستقبال طوله (٨٠ م) وعرضه (١٥ م) وخيمة للمأكل طولها (١٠٠ م) وعرضها (٢٠ م)، ثم أنشأ مجلساً طوله (١٢٠ م) وعرضه (٤٠ م) يتسع لـ (٥٠٠٠) مقعداً وصالة طعام طولها (١٢٠ م) وعرضها (٢٢ م).

ويُذكر أن صواني الطعام التي تستعمل في هذه المناسبات يصل عددها إلى مئة صينية، وقال فواز بن فرحان الحساني إن المواطنين كانوا يقصدونه في أوقات المناسبات لديهم فيطلبون من أوانيه وخيامه وفراشه لمناسباتهم.

كما عنى بشؤون البادية التي عرف أوضاعها عن كثب فسعى إلى توطينها، وكان له رأي في المحافظة على مراعي ماشيتها[١]، حتى إنه طلب عدم السماح بحفر الأبار في المراعي النائية حتى لا يسهل الوصول إلى هذه المراعي إلا في المواسم التي تسمح بذلك فيكون مجالاً لنمو النبات واستفادة الراعين منه بدلاً من إتلافه صغيراً، وذكر أنه سعى لدى الجهات المختصة لتنظيم الرعي في منطقة الجوف بحيث لا تدخل الماشية إلى النفود إلا في الشتاء ولا تدخل منطقة الحماد إلا في الربيع، كما كانت الحال قديماً قبل ظهور وسائل المواصلات الحديثة.

وعلى مستوى المحافظة على الأمن، عرفت الجوف في وقت ولايته بهدوئها وبعدها عن المنازعات والفتن، فلم تظهر بها خلافات مقلقة بين مواطنيها ولم يعرف عنها تجاوزات أمنية[٢].

ربطته بمنطقة الجوف وأهلها علاقة قوامها المودة كما يظهر في شعره وشعر أبناء المنطقة الموجه له، فاختارها مكاناً لمؤسسته الخيرية، وأشاد بها وبكرم أهلها في كل مناسبة تمر به[٣]، وعمل على تدوين تاريخها في كتاب نشرته مؤسسته الخيرية، وسعى بكل ما يستطيع لتقدم المنطقة ورفعتها وحصولها على نصيبها من المشاريع الحكومية التنموية، ولا أبلغ في إظهار مشاعره نحو الجوف وأهله من وصيته لأبنائه عند خضوعه لعملية القلب في سنة ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) التي ورد بها "**رغبتي أن تهتمون ببناء المكتبة العامة بالجوف وتنفذونها بموجب مخططاتها الموجودة ضمن المكتبة وهذا كل ما أطلبه منكم ... كما أرغب أن تصدروا الكتاب الذي نحن بصدد إخراجه عن منطقة الجوف...**"[٤].

---

(١) قال عبدالرحمن بن محمد الملحم إنه عمد منذ أول أيام قدومه أميراً للجوف إلى تسجيل كبار رجال البادية ضمن قائمة رجال الإمارة.

(٢) قال رئيس دوريات إمارة الجوف سابقاً الحميدي بن طلحاب، إن دوريات الإمارة كانت تسير بانتظام فإذا عادت دورية إلى سكاكا انطلقت الأخرى مكانها في ذات اليوم.

(٣) أسمى كتابه عن الجوف "الجوف، وادي النفاخ" إبرازاً لكرم أهل الجوف.

(٤) وصية مكتوبه بخط الوالد وجدتها في أوراقه، كتبها ليلة خضوعة لعملية القلب.

قلت، عندما أفاق من غيبوبته التي زادت عن شهرين بعد إصابته بمرضه الأخير سنة ١٤١٠هـ (١٩٩١م)، فكنت ألقمه الماء بملعقة صغيرة وكان الأطباء يحثون على الاقتصاد في ذلك، سألته إن كان قد اكتفى من الماء فأجاب متبسماً بما مفاده أنه سيكتفي عندما يكتفي أهل الجوف منه، أي الماء.

هواياته:

عُرِفَ بحبه لممارسة الرياضة والتزامه بذلك وتشجيعه الآخرين عليها، فكان يمشي ويهرول إذا صلى الفجر ويمشي مرة أخرى بعد صلاة العصر ومرة ثالثة بعد العشاء، يشاركه في الشوطين الأخيرين من استجاب لدعوته ممن حضروا مجلسه[1]، قال: «**إن الله يخلق الإنسان طفلاً فيعوض نقص فهمه بغريزة اللعب لإتمام حاجة جسمه إلى الرياضة، فإذا كبر كان له العقل الذي يمكنه من إدراك هذه الحاجة وأدائها**»، وكان لا يترك ممارسة الرياضة حتى في سفره وفي رحلاته العلاجية[2].

عُرف عنه - كما في الفصل الخامس عشر - حبه للزراعة بعامة وزراعة النخيل بخاصة، وكان ينظر إلى النخلة نظرة الابن البار بوالديه، وشغف بتطوير أساليب الزراعة وتجربة كل جديد منها فكان سباقاً إلى ذلك، وقد أدخل العديد من الزراعات إلى الجوف، وكان يوزع على المزارعين من فسائلها المختارة ضمن الجوائز التي يقدمها في مسابقة المزارعين وفي مناسبات أخرى، وكان شديد الإعجاب بالفلاح المعتني بمزرعته محباً للاطلاع على تجاربه ومنوهاً بذلك للآخرين.

له من مزارع النخل (البديعة) التي غرسها في الغاط سنة ١٣٦٠ - ١٣٦١هـ (١٩٤٠م)، وبها (٤٧١) من النخل، وكانت أحب مزارعه إليه، مارس فيها عناية واضحة بحسن تنظيم خطوط النخل، رغم أنه كان غرسها في وقت لم يعرف فيه مثل هذا التنظيم ولم تتوافر فيه أساليب التخطيط المساحي.

وله مزرعة (السديرية) التي غرسها في سكاكا سنة ١٣٧٠هـ (١٩٥٠م) وكان بها

---

(١) بدأ الوالد بممارسة الرياضة في وقت مبكر جداً، وقبل أن ينتشر الوعي بأهميتها بين الناس، وقد عرفت ذلك عنه منذ وعيت بنفسي، كان إذا ذهب إلى الرياض وخرج ماشياً في الشارع يلحظه بعض من عرفوه فيتوقفون عارضين عليه سياراتهم، وإنني أقدر مجموع ما كان يمشيه يومياً بما لا يقل عن عشرة كيلو مترات، وكان إضافة إلى المشي يمارس تمارين تقوية الجسم وتليين العضلات صباحاً بعد المشي والهرولة، وكان بين من يحرصون على حضور الشوط المسائي عبدالرحمن بن محمد الملحم وسامي سليم وآخرون.

(٢) كان يمشي في ممرات الفندق عندما كان يتلقى العلاج في مستشفى كليفلاند كلينيك نظراً لأن الفندق القريب من المستشفى الذي كان يقيم فيه موجود في حي غير آمن ليلاً، قال الحميدي بن طلحاب - الذي كان يقود سيارة الوالد - أنه إذا خرج إلى القنيطرة التي تبعد (١٥) كيلو متر عن سكاكا، يوعز إليه بمغادرة المخيم دون علم الآخرين فلا يكون لهم وسيلة سوى المشي معه إلى سكاكا.

حوالي (٤٥٠) من النخل أصابته السوسة الحمراء فأتلفته، وله مزرعة (الفاخرة) في حمادة الغاط غرسها سنة ١٣٨٨هـ (١٩٦٦م) وبها (٢٤٠٥) من النخل، وله مزرعة (العرنية) في الغاط غرسها سنة ١٣٩٨هـ (١٩٧٨م) وبها حوالي (١٠٠٠) نخلة أوقفها على والديه وأقيمت فيها مكتبة عامة، وله مزرعة (السديرية) بالغاط التي غرسها سنة ١٤٠٨هـ وبها (٦٠٠) من النخل، وله مزرعة (المربعة) بالغاط التي غرسها سنة ١٤٠٩هـ (١٩٨٩م) وبها (٢٠٥٢) من النخل، وله مزرعة (الجنوبية) بالغاط التي غرسها سنة ١٤٠٩هـ (١٩٨٩م) وبها (٤٠٠) من النخل، وقد أقام أبناؤه شركة لإدارة مزارع نخله في الغاط وتسويق منتجاتها هي شركة (الفاخرة) للتمور التي توسعت في زراعة النخل فأضافت ما يربو على عشرة آلاف نخلة في مزارع الغاط، ولأبنائه مزارعهم الخاصة في الغاط ساروا فيها على نهج أبيهم فأكثروا بها من زراعة النخل.

عُرف من أساليبه تيسير دخول السيل إلى النخيل في مزارعه وتنظيم ذلك لتلافي جرف التربة، مع استعمال الأسمدة العضوية لتسميدها.

حدثته ذات مرة وهو في غرفة نومه في مزرعة (الفاخرة) فقلت معلقاً على النخل الحاجب للرؤيا من نافذة غرفته: **حبذا لو لم يكن النخل حاجباً للرؤيا**، فأجاب وقد أزعجه قولي، بأن النخل الذي رغبت زواله أهم عليه وأحب له من البيت الذي أتحدث عنه.

وكان أنشأ داراً للضيافة وسط مزرعته التي يسكنها في سكاكا فطلب أن تخطط الدار بحيث لا يُزال من النخل إلا الحد الأدنى، فتم ذلك وأقيمت الدار ولم يُزل من النخل سوى واحدة.

ثم كان من شدة حبه للبديعة يقول مبتسماً: «**إنه يود لو أن ماءها دائماً معه فيشربه مع أن ماءها ليس من أحلى المياه**»، وكان يستطرد قائلاً: «**إن أباه أحمد كان يلوم من يلومه بحب شرب ماء مزرعته بالغاط المسماة (الحوطة)، رغم أن ماء الحوطة لم يكن حلواً**».

وعرفت من تجاربه تجربته في زراعة البطيخ على الأمطار في وادي أبا رواث في الجوف ثم في مزرعة (طعمة) الواقعة في شمال بريدة في القصيم، وزراعة

الحمضيات في سكاكا - ذات الشتاء القارس الجاف - بين أشجار النخيل، وتجدر الإشارة إلى أن مزرعة (طعمة) المذكورة كانت مشتركه بينه وأخيه مساعد ثم اختص بها الأخير، وكان أحد أول من طبّق استعمال أسلوب الري بالأنابيب للنخيل والري بالرش للمحاصيل في منطقة الجوف.

أدخل زراعة الزيتون والبرتقال والنكتارين (اليوسفي) والليمون الحلو والجريب فروت والتفاح واللوزيات وأنواعاً من الخضروات وأصنافاً من النخل المميزة مثل السكري والبرحي، كما أدخل نخلة الخضري التي كان يوزع فسائلها على المزارعين، وكان ينصح مزارعي النخيل في الجوف بعدم التركيز على زراعة "الحلوة" والاهتمام أكثر بما سواها من أنواع النخيل نظراً لصعوبة تسويق منتج الحلوة وسرعة تلفه، وهو أول من جرب تربية الأبقار (الفريزين) الهولندية في الجوف، قال عبدالرحمن الملحم: **إنه أهدى من هذه الأبقار إلى مزارعي الجوف واستمر بالإهداء من نتاجها حتى تقاعد.**

قلت: كان إذا سافر للعلاج في الخارج يحرص على العودة إلى أرض الوطن بمجرد انتهاء الداعي للسفر، فلم يبد اهتماماً بالسياحة في الخارج إلا عندما سمع عن مزارع النخيل في ولاية كاليفورنيا فذهب لزيارتها، وكان كثير السؤال عن أحدث وسائل الأمريكان في زراعة النخيل والعناية بها والتعامل مع إنتاجها.

ومارس تربية الماشية، وبخاصة الإبل، وكان ينظر إلى هذه المسألة على أنها وسيلة لتوثيق الصلة بالبادية والإكثار من الاحتكاك بها والتعرف على أوضاعها. كما عُنِيَ بتربية الخيل العربية الأصيلة، وكان في البدء يحرص على إيجاد الخيل لتعليم أبنائه ركوبها ثم بدأ بتربيتها حباً لذلك خاصة عندما أتته فرس عجوز من مربط كحيله (اسمها عائشة) كنية للقب صاحبها الأول[١].

(١) صاحبها هو محروت بن مطلق بن شاحوف بن عايش الهدبا من التومان من قبيلة شمر، كان محروت محتفظاً بفرس وابنتها وكان يأبى تشبيتهما بعد أن فقد الحصان الأصيل الذي يرتضيه حرصاً على صفاء مربطها، كما كان يأبى إهداء أي من خيله أو بيعها ولكنه أقدم على إهداء الوالد الصغيرة من خيله تقديراً له وربما أيضاً في محاولة منه لحفظ هذا المربط خشية اندثاره لديه، وقد عُنِيَ الوالد بهدية محروت =

وقد كان في شبابه يمارس - كما سلف - هواية القنص بالصقور، وعرف عنه تميزه بمعرفة أجودها إلا أنه ترك هذه الهواية بعد مجيئه أميراً للجوف بوقت قصير، شعوراً منه بأن متطلبات العمل لم تعد تسمح له بهذه الرياضة، التي تتطلب الانصراف لها ردحاً من الوقت في موسم الشتاء(١).

علاقته بأسرته وبمسقط رأسه:

كان شديد الاعتزاز بأسرته وكثير الحديث عن ماضيها ومآثرها، ولكنه أيضاً كان يتحمل عبء هذا الإرث وصاحب معاناة فيه، فهو في منهجه وحديثه وأشعاره يصبو للصعود بنفسه إلى مستوى أسلافه، وقد انعكس هذا كله على النهج الذي ارتضاه لنفسه وهدف إليه في تنشئته لأبنائه، فالخيار الأوحد له ولهم هو الخدمة العامة(٢)، والتضحية ببذل النفس وما تملك في سبيل أداء الواجب، عملاً لا قولاً

= عناية فائقة وحرص على تشبيتها من أفضل الأحصنة الموجودة في إسطبل الحكومة في ديراب، وأرسل إلى محروت حصاناً لتشبية فرسه التي أبقاها وعندما علم لاحقاً بموت فرس محروت أرسل إليه إحدى بنات عائشة عوضاً عنها، وقد نقل الوالد عائشة وبناتها إلى مزرعة الفاخرة بالغاط، وعائشة ما زالت بإسطبل الفاخرة وقد ناهز عمرها ثلاثين عاماً، عند تأليف هذا الكتاب.

(١) روى الحميدي بن طلحاب أن محمد بن أحمد السديري قال لناصر بن بليهيد ذات مرة إنه سوف يهديه صقراً من أفضل صقوره وأنه سوف يترك له الخيار في ذلك، فأخبر ناصر الوالد بذلك فقال له الوالد إن محمداً قد يعرض عليك بعض أجمل صقوره ولكن اطلب منه صقراً آخر، وذكر لناصر أوصاف الصقر الذي أوصى به، وكان يوضع في مكان الصقور غير المعتنى بها وليس فيه ما يميزه في شكله عن سواه لمن لا يفقه كثيراً بالصقور، فلما أتى وقت الخيار لناصر وقدمت له الصقور شكر أبا زيد على ما عرضه عليه وأبدى رغبته بالصقر الذي وصفه له الوالد فأقسم أبو زيد يميناً أن ناصر ما اهتدى إلى ذاك الصقر بمعرفته وإنما بمساعدة من الوالد.

قلت، حضرت حديثاً دار ذات مرة حول الصقور بحضور خالد بن أحمد السديري، وكان يتلقى العلاج في نيويورك بأمريكا، فعلق قائلاً إن أخاه عبدالرحمن هو أحد أحسن العارفين بالصقور.

(٢) يقول في قصيدة له:

لعل غمر قاصراتٍ مداليه ... تشلق عليه جْيوبها مرضعاته
لى صار ما يحجي ويذري عوانيه ... وش عاد من حي حياته سُباته
مالك على غيرك مجال ومشاريه ... إلا بما تفعل ويظهر ثباته

ويقول في أخرى:

ترى الحرار اللي ترجّى نفوعها ... الكل منها للمقام زعيم
اختر لنفسك ماكرٍ تشتهر به ... بروس العوالي للهُوات كليم

مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، القصائد، ديوان الشاعر الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري ص ٤٠، ٧٦.

فقط[١] والمال عنده ما هو إلا وسيلة وما يمكن أبداً أن يكون الغاية والمنال[٢]، والبذل في المناسبات العامة يصل إلى حد الإسراف.

ربطته ببلدته الغاط مشاعر يتصل أكثرها بما ترمز إليه هذه البلدة من علاقة بماضي أسرته فيها[٣]، فالوقت الطويل الذي أمضاه في منطقة الجوف والعلاقات والصداقات والروابط التي كوّنها فيها، كادت أن تصرفه عن بلدته القديمة كما حدث لآخرين من أفراد الأسرة لولا الجذور القوية المترسخة في أعماقه، وهكذا، فعندما تيسرت سبل المواصلات إلى الغاط دأب على زيارتها كلما سافر إلى الرياض، وكان أحد أول أعماله في الغاط هو إصلاح سدود مزرعة وقف أبيه أحمد (الحوطة) وتعزيز مجاري سيولها وتوسعتها بتكلفة باهظة عليه رغم أنه ما كان الوصي على هذا الوقف، ثم تقرأ شعره فترى الغاط وذاك الماضي صنوين لا يفترقان[٤].

---

(١) يقول في قصيدة له:

لنا في سنام المجد ما قف وبه مِقعاد	**حميناه بنفُوسٍ الى ضدها الضديد**
تِفاعَل وتبذل ما تمن الدما والزاد	**ولا ننثني والله وخلقه لنا شهيد**
على انفوسنا بنفوسنا واجبٍ سَنَاد	**نحظه ولو هو صعب والهُون ما يفيد**

المصدر السابق ص ٨٨ - ٨٩.

(٢) يقول في قصيدة له:

ولا يدرك الطولات رجلٍ بماله	**إلا إذا أدى حقوق المال**

ويقول في أخرى:

زياد بياع العز بالمال خاسر	**جداه ينقض محكم البريم**
وسيلته هي غايته ومصدر ملذته	**البطن عايم والجناب حريم**

المصدر السابق ص ٤٦، ٧٥.

(٣) حدثني ذات مرة فقال: إنه في مناسبة عيد أمضاه في الغاط، بعد انقطاع طويل عن حضور مثل هذه المناسبة فيه، غمرته وهو في طريقه إلى صلاة العيد حالة من الحنين الشديد لماضي الغاط وشخصياته وذكرياته، فأخذ يجهش بالبكاء كالطفل وما استطاع أن يسيطر على هذه المشاعر كل ذاك الصباح.

(٤) يقول في قصيدته " الغاط "، مشيراً إلى ما عرف عن جده سليمان الذي عاش قبل أكثر من قرنين وكان يلتزم بحماية كل من كان على مرأى من جبل مطل على الغاط اسمه "خشم العرنية "

سليمان سماها أو كبّر سهمها	**يامن بها الطرقي وتامن بها النيب**
أبروس الخشوم الغر حدد علمها	**مدهال قرناس الوحش واشهب الذيب**

انظر ديوان القصائد، ص. ٦٢.

ويقول في قصيدة " خَشوم العراني ":

دار عليها واضحات المواريد	**ما هي عطا ورثتها عن جدودي**
من شافها يامن عن الغدر والكيد	**حموا حماها عن حسود وحقودي**

=

وقد أسهم في جلب المشاريع الحكومية التنموية إلى الغاط[1]، ووجه نشاطه الزراعي الاستثماري لها وكان هو وأخوه الأكبر تركي[2] أول من أقدم على ذلك في حمادة الغاط

=

أعلامها بجبالها والتواكيد	خشوم العراني ثبتن الحدودي

انظر ديوان القصائد ص ٩٠-٩١.

ويقول في قصيدة " الرجم " متحدثاً عن الغاط:

كدحنا باول الوقت وبنينا	ورثنا مجدها عبر السنينا
مقام عمروه الأولينا	أعيون ساهره من جا كحلها

انظر ديوان القصائد ص. ٥٩.

(١) ذكر يحيى بن فهد اليحيى - وهو من البدارين الدواسر ومن سكان الغاط، تفرغ بأمر الأمير سلمان بن عبدالعزيز بطلب من الوالد لمتابعة مشاريع الغاط حتى تقاعد - إن للوالد دوراً في كثير من الأمور التي تخدم الغاط، ومن ذلك تثبيت تبعية هجرة العبدلية والمستوي للغاط ومتابعة إيصال الخدمات إليها، وسعيه لسفلتة خط أبا الصلابيخ، وتبرعه بجزء من مزرعته لإقامة مهبط للطائرات، وتبرعه بأرض زراعية لوزارة الزراعة لإقامة حقل تجارب، ومتابعته لإيجاد شبكة للهاتف الثابت في الغاط، والمطالبة بإيجاد سد للغاط وطريق إسفلت يصل الغاط بالسد، والمطالبة بإقامة سد لوادي الوسيعة وآخر لوادي عضيدان وسعيه لإحضار مساحين من وزارة الدفاع والطيران لعمل مخطط لشوارع منطقة الحمادة الزراعية، ومتابعته لإقامة فروع لمصلحة الضمان الاجتماعي، والأحوال المدنية، والجوازات، وتحويل فرع وزارة الزراعة إلى مديرية، وإقامة مخرج (المخرج ١٩) وطريق خاص من الطريق السريع إلى الغاط، ومعالجة المنحنى في طريق الرياض - الغاط القديم، وذكر سلمان بن عبدالرحمن السديري أن للوالد دوراً في إقامة مبنى نادي الحمادة الذي أنشأته في الغاط الرئاسة العامة لرعاية الشباب. وذكر عبدالله بن إبراهيم الملحم - من العواد من قحطان ومن سكان الغاط - أنه في وقت تنفيذ طريق سدير القديم ظهرت بعض الأراء المخالفة لمسار الطريق عند وصوله إلى الغاط وكان للوالد دور في متابعة هذا الموضوع وتثبيت مسار الطريق وذكر بأنه طلب إلى المساحين القادمين من وزارة الدفاع والطيران لعمل مخطط لمنطقة الحماده الزراعية أن يشمل المخطط شوارع لا يقل عرضها عن عشرين متراً وأنه كلفه بتأمين منزل لهم في الغاط وتأثيثه وتقديم كل ما يلزم الفريق من خدمات وذلك من حساب الوالد.

ويحيى بن فهد اليحيى، بدأ حياته العملية كاتباً سنة ١٣٧٩هـ في وزارة المعارف لمدة سنتين، ثم ناسخاً في وزارة التجارة لمدة سنتين، ثم ناسخاً في وزارة الزراعة لمدة عشر سنوات، ثم سكرتيراً في إمارة الرياض ابتداء من نهاية سنة ١٣٩٦هـ عندما فرغه الأمير سلمان بن عبدالعزيز بطلب من الوالد لمتابعة مشاريع الغاط حتى تقاعد سنة ١٤١٩هـ، وهو منذ ذلك الحين وحتى الآن يعمل في متابعة شؤون مزارع الوالد في الغاط.

وعبد الله بن إبراهيم الملحم من العواد (من قحطان) ومن سكان الغاط، تلقى التعليم على يد الشيخ عبدالمحسن المنيع والشيخ سليمان السماعيل ثم التحق بالمدارس الحكومية، انتقل مع والديه إلى الجوف سنة ١٣٧٣هـ وبدأ حياته العملية سنة ١٣٨٠هـ بجامعة الملك سعود ثم التحق بإمارة الجوف سنة ١٣٨٥هـ، وعمل بوظيفة سكرتير سري ثم محقق قضايا ثم رئيس مكتب إمارة دومة الجندل ثم طلب التقاعد المبكر ليكون بقرب والديه في الغاط، حيث عينه الوالد مشرفاً على مزارعه فيها وهو يعمل الآن، حين طُبع هذا الكتاب، مع أبناء الوالد في الغاط.

(٢) نسب إلى أخيه تركي قوله مازحاً - واصفاً شدة حبه للغاط - إن ثلاثاً لا يعلمها إلا الله: ما في الأرحام ويوم القيامة ومتى يعود - أي تركي - من الغاط. وكان الوالد يمازح رفاقه، ومنهم علي العبد المحسن الشايع، المنتمين إلى الزلفي المجاورة للغاط، فيقول إن زيارة الغاط عن عمرة.

منذ أكثر من أربعة عقود، قبل قيام الإعانات والقروض الزراعية الحكومية، فأنشأ - كما سلف تفصيله - مزرعته المسماة (الفاخرة)، ومزرعة (العرنية) التي أوقفها لوالديه، ومزارع (المربعة والجنوبية والسديرية) المجاورة لمزرعته القديمة (البديعة) في أعلى شعيب الغاط. ولا شك أن اتجاهه لجعل معظم نشاطه الزراعي في الغاط، نابع من ارتباطه بها وحبه لها، ولكنني أرى أيضاً أن لرغبته الابتعاد عن منافسة أهل الجوف على الأراضي الزراعية دوراً في ذلك أيضاً.

جدير بالذكر هنا، أن أبناءه وبناته، قد أقاموا، في أثناء مرضه، وبناء على رغبته، وقفاً ثقافياً (في مزرعة العرنية) يحمل اسمه في الغاط (مركز الرحمانية الثقافي)، يضم مكتبة للرجال، ومكتبة للسيدات تحمل اسم حرمه (أم فيصل)، وأصبح المركز فرعاً من المؤسسة الخيرية بالجوف بوقف مستقل، وقد افتتح الأمير سلطان بن عبدالعزيز هذا المشروع بتاريخ ١٧/١١/١٤٢٥هـ (٢٩/١٢/٢٠٠٤م)، وكانت أم فيصل قد أوصت بثلث مالها لأعمال البر، وهو ما خصص للمصارفة على مكتبتها في الغاط وعلى منح دراسية داخلية وخارجية سنوية للمتفوقين والمتفوقات من خريجي المنطقة.

وتمثّل علاقته بإخوانه شيئاً مقدساً له، يتنازل في سبيلها عن كل ثمين، ويبذل من أجلها ما يستطيع، إذا تحدث عنهم تغنّى بأمجادهم مفتخراً متباهياً[1]، وإذا التقاهم تعامل مع من يكبره منهم وكأنه ابن له، ومع من يصغره وكأنه الصغير بالنسبة إليه، رأيته مراراً في مجلس أخيه تركي جالساً تحت مقعده وكأنه أحد أبنائه، ورأيته كذلك مع إخوانه الأصغرين يجلس فلا يتكئ بحضورهم.

كانت له مع شقيقه الأكبر عبدالعزيز علاقة خاصة، يتحدث عنه فيظهر بسرعة إعجابه الشديد به وتقديره لذكائه وتأثره البالغ بشخصيته، وقد كان عبدالعزيز - الذي تولى إمارة الجوف ثم القريات ومفتشيّة الحدود الغربية وكان أثناء إمارته بالقريات المعني بالعلاقات مع المندوب السامي البريطاني في الأردن الملقب "جلوب باشا"، وأصبح أخيراً وزيراً للزراعة - ذا تجربة واسعة في الإدارة وذا احتكاك بالعالم الخارجي الذي سافر إليه وعلم بمجرياته، تحدث عنه الوالد فقال

(١) انظر رثائياته بإخوانه في ديوان القصائد.

إنه كان يقرأ للأحداث وذا رأي واضح بها[١]، **وكان سابقاً لزمانه فكان أحد أول من تكلم بطلب تعليم المرأة**[٢]، **فلما لم يستجب لطلبه أقام مدرسة في القريات على نفقته الخاصة لتعليم بناته وبنات المواطنين هناك سنة ١٣٧٣هـ (١٩٥٣م)، فكانت أول مدرسة للبنات في المملكة**[٣]، **واقترح على إخوانه في مناسبة أخرى أن يجعلوا بيت والدهم في الغاط مدرسة لأبناء الغاط فوافقوه على ذلك**[٤]، وقد تأثر الوالد كثيراً بوفاة أخيه عبدالعزيز ورثاه مراراً وكان يظهر عليه التأثر كلما تذكره[٥].

وعلى مستوى أسرته الصغيرة التي كان يجالسها صباحاً على وجبة الإفطار ثم عصراً على صحن فاكهة ومرة ثالثة قبل النوم، أذكر في صغري أن العلاقة بينه وبين زوجته، والدة جل أبنائه، أم فيصل، كانت تميل إلى الرسمية في التعامل، فهي تبدي له الاحترام البالغ وتظهر له لين الجانب وهو رب البيت الحازم الحذر من كل ما قد يفلت زمام الأمور من يده.

ومع مرور الوقت أخذت هذه الرسمية تذوب وحل محلها مودة وألفة بل حميمية وصداقة من نوع خاص، يخاطبها برسائله باسم "**الأخت منيرة المحمد الملحم**"، ويقول الشعر بها[٦]، ويمازحها ويلاطفها بحضورنا ويشفق عليها كثيراً في مرضها الذي لازمها سنين طويلة، يستجيب لكل طلب تبديه ويستشيرها في كل ما له صله بأسرتهما وبيتهما، وينبه أبناءه إذا لحظ غفلة منهم نحوها.

---

(١) قال الوالد إنه كان في مجلس أخيه عبدالعزيز ذات يوم فكان الأخير يستمع إلى الأخبار، فلما ورد بها أن المملكة وافقت على التحكيم في مسالة البريمي صفق بيديه وقال، " راحت البريمي ".

(٢) قال الوالد إن أخاه عبدالعزيز حدث الملك سعود بشأن تعليم المرأة فطلب منه الملك محادثة الشيخ محمد ابن إبراهيم في الأمر وأن لا مانع لديه إن وافق الشيخ عليه، فلما حادث عبدالعزيز الشيخ استغرب الأخير عليه الحديث في المسألة ولامه عليه فأجابه عبدالعزيز أن تعليم المرأة لازم لها حتى تعرف دينها وتحسن تنشئة أبنائها فلم يوافق الشيخ على طلبه، قال الوالد إن الشيخ محمد أحضر في سنته تلك مدرسات لتعليم بناته.

(٣) حمد الجاسر، في شمال غرب الجزيرة: نصوص، مشاهدات، انطباعات، الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٩٧٠ ص. ٢٣، ٢٥.

(٤) عن الوالد، قال إن البيت أصبح مدرسة وعندما أتى طريق الإسفلت إلى الغاط مر على البيت فأزاله وغفلت الأسرة عن محاولة حفظ البيت.

(٥) انظر قصيدة " الطير " وقصيدة " المراح " في ديوان القصائد.

(٦) انظر ديوان القاصائد ص. ١١٩، ١٣١، ١٣٧، ١٤١، ٢١٣.

أوصى أبناءه عندما خضع لعملية القلب "**أن يبقى كل شيء قد ترثونه بعدي تحت تصرف الوالدة منيرة الملحم، وأن لا يتغير من وضعها القائم شيء وأن تحاولوا تذليل جميع المشاكل والصعوبات التي تواجهها، وأن لا تخرجوا لها عن رأي، لمعرفتي التامة برجاحة عقلها وسلامة تفكيرها**"[١]، وقد وهبها مزرعة (البديعة) التي قال إنها أعز ما يملك من مال[٢]، وبادلته هي كل هذا بمثله ولازمته في مرضه على أوفى ما تكون الملازمة[٣].

وبالنسبة لعلاقته بأبنائه فهي علاقة قوامها الاحترام، حرص في صغرنا أن نكون بقربه دائماً فكان يصطحبنا، ولم نبلغ الخمس سنوات بعد، إلى البر في القيظ الحار والشتاء القارس، في رحلات تدوم أياماً، وعني بتعليمنا صغاراً الرماية وركوب الخيل وحضور مجلسه والاستماع إلى ما يدور فيه من حديث والالتقاء بمن يفد إليه من الجوف ومن خارجه، يشعرنا باحترامه لخصوصيتنا واستقلاليتنا فيوجهنا بطريقة غير مباشرة، ويحرص كل الحرص على أن لا يصطدم بنا فلا يضعنا في موقف يوجب علينا الخيار بين قول الصدق أو الكذب فلا يسألنا، مثلاً إن كنا قد أدينا فريضة الصلاة وإنما يذكرنا بحلول موعدها، وهو صبور في تحمله لأخطائنا مرتضياً المعاناة بصمت عن إزعاجنا، وأشد ما يقلقه ويؤلمه ما قد يشهده فينا أحياناً من تجاهل لحقوق الإخوة وواجباتها، كتب في وصيته لنا: "**أوصيكم بتقوى الله والحفاظ على جانبه يحفظكم ويوفقكم، وبحفاظكم على إخوتكم التي هي بنظري أثمن شيء بالحياة ولعل أسباب مرضي بالقلب ناتج عن حالات كهذه**".

عني كثيراً بتعليمنا فأرسلنا صغاراً للدراسة في مصر والأردن ولبنان وكباراً في الولايات المتحدة الأمريكية، وشمل هذا الصغار من أخواتنا، وكان يقول - مخففاً علينا ألم الفراق، مؤكداً لنا معاناته هو أيضاً من البُعد - إنه اختار ابتعاثنا للدراسة

(١) وصية كتبها الوالد عشية إجرائه لعملية القلب سنة ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م).

(٢) عادت البديعة إلى صاحبها الأول عندما توفيت أم فيصل فابتاع البديعة من إرثها، قلت إن الوالد دأب على وهب أبنائه وأحفاده ما طلبوه منه غير ما أهداه لهم.

(٣) قال طبيبه: إنه لحظ عدم استقراره وارتفاع ضغطه في الأيام التي صحبت مرض أم فيصل ثم وفاتها، رغم أنه طريح الفراش من أثر نزيف الدماغ الذي ألمّ به فيبدو لزائره وكأنه لا يلم بما يدور حوله.

بعيداً عنه قناعة بفائدة ذلك لنا وخوفاً علينا أن ننشأ في محيط نتأثر فيه بأمور قد تصرفنا عن دراستنا إلى ما لا طائل منه[١].

وكانت علاقته بأحفاده علاقة يغمرها الحنان والعطف والابتهاج، يحتضنهم صغاراً ويغني لهم الهجيني فيرقصون لغنائه، فإذا كبروا قليلاً ولاح لهم ركضوا نحوه وراح يلاعبهم بعباءته التي تخالهم يضيعون فيها، يأخذهم معه في جولاته ويأنس بوجودهم معه في مجلسه ويتحمل منهم كما كان معنا في كل ذلك، لامني ذات مرة على شدتي مع أكبر أبنائي وكان صغيراً، وقال لي ناصحاً، **لا تكسر شوكته فتضعف شخصيته**.

أسفاره العلاجية:

أمضى الوالد طفولته وشبابه وأول كهولته صحيحاً قليل العلل[٢]، وفي منتصف العقد السادس من عمره ظهر معه تصلب في شرايين القلب فخضع لعملية لذلك في كليفلاند كلينك في الولايات المتحدة الأمريكية بتاريخ ١٣٩٤/٩/١٤هـ (١٩٧٤/٩/٣٠م)[٣]، تحدث عن هذا فقال: **إنه شعر بمرضه لأول مرة بينما كان في مكتبه، وبعد الفحص تبيّن أنها نوبة في القلب، قال الطبيب: إن الأمير طلبه إلى مكتبه**، وكانت المرة الأولى التي يحدث فيها مثل ذلك، ولما كشف عليه وعرف طبيعة مرضه طلب إليه العودة إلى المنزل وأخْذِ قسطٍ من الراحة، فرفض ذلك واستمر في عمله[٤]، وقد شملت العملية التي أجريت له ثلاثة من شرايين قلبه تبين بعد سنة من إجرائها أن أحد الشرايين

---

(١) تحدث الأخ فيصل فقال: إن الوالد أرسله للدراسة في مصر وكان عمره خمس سنوات وقبل ذلك كان يرسله لشيخ لتعلم القراءة والكتابة وصيدلي لتعلم اللغة الإنجليزية.

(٢) أصيب - كما سبق - في طفولته بعينه اليسرى فتأثر نظرها إلى حد بعيد كما أنه تعرض لإصابة في ظهره على أثر سقوطه من فرسٍ وهي تعدو، قال الأخ سلطان إن الوالد ذكر أن حادث الفرس هذا أبقاه طريح الفراش لمدة شهرين، وأصيب الوالد في أول سنين إمارته بالجوف بحصوة في الكلى شفي منها أثناء وجوده في مستشفى شركة الزيت في عرعر للعلاج منها.

(٣) ورد في مفكرة قديمة للوالد أنه دخل المستشفى في ١٩٧٤/٩/٢٦م (١٣٩٤هـ)، وأجرى قسطرة الشرايين في ١٩٧٤/٩/٢٧م وخضع للعملية في ١٩٧٤/٩/٣٠م وخرج من المستشفى في ١٩٧٤/١٠/١٢م، وقد أُصِيبَ الوالد بعد يومين من إجراء العملية بنوبة من الشهاق ظلت تعاوده لمدة تسعة أيام قبل أن تتوقف.

(٤) عن الدكتور مير مزمل علي، قال إن النوبة حدثت في نهاية سنة ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ).

الثلاثة المزروعة لم يدم، وصار للشريانين الآخرين الفضل بعد الله بشفائه ومعاودته نشاطه وعمله كما كان في السابق.

وفي صيف سنة ١٤٠٨هـ (١٩٨٨م) وأثناء وجوده في إسطنبول في طريقه إلى الولايات المتحدة للفحص ومتابعة العلاج، شكى من ضعف أصاب يده تبين فيما بعد أنها جلطة دماغية لم تترك لديه أثاراً بالغة[١]، وقد كان في هذه الأثناء قد بدأت تظهر عليه أعراض مرض الباركنسون[٢].

وفي ١٤١٠/٥/٧هـ (١٩٨٩/١٢/٦م)، خرج للغداء في مكان إلى الجنوب من مطار الجوف حيث كان يحتفظ ببعض إبله[٣]، وفي الطريق اصطدمت بسيارته سيارة أخرى تبين فيما بعد أن سائقها كان قد أصيب بنوبة قلبية فقد على أثرها الوعي والسيطرة على سيارته، وقد ترتب على هذا الحادث وفاة اثنين ممن كانوا بسيارة الوالد ووفاة قائد السيارة الأخرى وإصابة الوالد وآخرين معه[٤]، ورغم أن إصابة الوالد هذه كانت بسيطة نسبياً إلا أن أثارها عليه كانت بالغة جداً نظراً لوفاة من كانوا معه وكانت لهم منزلة كبيرة في نفسه، وقد أمضى عدة أيام في مستشفى القوات المسلحة بالرياض مستشفياً من آثار هذا الحادث (١٤١٠/٥/١٥هـ).

وفي الرابعة عصراً من أخر أيام شعبان سنة ١٤١١هـ (١٦ مارس ١٩٩١م) تعرض الوالد لنزيف كبير في الدماغ دخل على أثره في غيبوبة[٥].

وقد كان في جميع سفراته العلاجية إلى كليفلاند كلينك ثم مايو كلينك،

---

(١) ذكرت الأخت جواهر أنه شكى من هذه الأعراض نفسها قبل سفره وكان في الغاط.

(٢) أبدى الوالد ذات مرة - على غير عادته - ما أشعرنا باكتئابه الشديد من أسباب أعراض مرضه التي صارت تحد كثيراً من نشاطه واستقلاليته.

(٣) كنت في زيارته في سكاكا فدعاني لحضور الغداء فلما أخبرته بالتزامي بأداء بعض العمل في مؤسسته الخيرية التي أتابع شؤونها، أخبرني بأنه سوف يسبقني إلى حيث الغداء وينتظرنا هناك.

(٤) المتوفيان هما رفيقه على الدوام علي بن عبدالمحسن الشايع وسائقه حمود بن سلامة العبكلي، والمصابان الأُخران معه هما الشيخ متعب بن فيصل بن سقيان وفرحان الحساني.

(٥) دخل مستشفى الملك فيصل التخصصي وأمضى فيه شهرين، فأمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز بإحضار أطباء متخصصين من مايوكلينيك في الولايات المتحدة الأمريكية للكشف عليه، فلما قدموا عرضوا ترحيله إلى أمريكا لمتابعة حالته فكان ذلك، وقد خرج الوالد من غيبوبته بعد دخوله مايوكلينك بأيام ووصل إلى حد مخاطبتنا وإن كان بصوت واه وبعبارات قليلة، إلا أن آثار العلاج الذي كان يتلقاه أخذت تؤثر فيه فتزيد من ضغط دمه وتقلقه فأوقفت عنه فتراجع مستوى وعيه كثيراً.

يصطحب معه بعض كبار السن من رفاقه لفحصهم وعلاجهم، وكان دائماً يبدي رغبته بالعودة إلى الوطن حال انتهاء إجراءات الفحص أو العلاج إذ لم يكن يقبل على السياحة أثناء السفر باستثناء مرة واحدة عندما علم بوجود مزارع نخل في ولاية كاليفورنيا فرغب زيارتها والإطلاع عليها[١].

اعتزاله العمل:

بعد ما تزايدت أعراض مرض الباركنسون، الذي كان قد بدأ معه عام ١٤٠٨هـ، قرر، رحمه الله، طلب التقاعد، فتقدم برغبته هذه بخطاب إلى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد، رحمه الله، برقم (١٥٣٤خ) وتاريخ ١٤١٠/٦/٢هـ، ومما جاء في هذه الرسالة التي ضمنها شكره للملك على دعمه المتواصل لمنطقة الجوف في كل ما فيه خدمة الصالح العام:

«لقد اجتهدت في سبيل أداء الواجب، معتمداً على الله، ومقتدياً، ما استطعت، بالأسس التي رسمها والدكم الملك عبدالعزيز، طيب الله ثراه.

ولا يفوتني في هذه المناسبة، أن أنوّه لخادم الحرمين الشريفين، عن التاريخ المشرّف لمنطقة الجوف، منذ اللحظات الأولى لقيام الدولة السعودية تحت لواء الملك عبدالعزيز وحتى الآن.

فمنطقة الجوف، كانت من البلاد التي فتحت أبوابها للحكم السعودي، وسعى أهلها لطلبه ومساندته، وإن أهل الجوف، حاضرة وبادية، كانوا دائماً على استعداد لبذل أنفسهم وممتلكاتهم، استجابة لأوامر حكومتهم، سواء في أيام الحكم الأولى، التي كانت تستلزم الكفاح المسلح، أو في الوقت الحاضر، الذي، بحمد الله، لا يستلزم إلا التقوى والاستقامة والشكر لله على نعمه الكثيرة، والعمل على المحافظة عليها.

---

(١) تلقى في طريقه إلى ولاية كاليفورنيا حيث مزارع النخل دعوة من أحد كبار الصناعيين المقيمين في ولاية الينوي لزيارة مزرعته التي يحتفظ بها بقطيع من الخيل من سلالة الليبزوين ذات المنشأ الأسباني، وقد استجاب للدعوة وأمضى ليلة في مزرعة السيد سميث وفي ضيافته، وقد عرض المضيف على الوالد بعضاً من خيله وعرض الوالد على مضيفه بعضاً من الإبل، ولكن مشاريع الإهداءات هذه لم تتم.

ولذا، وعلماً بأن لا كمال إلا لوجه الله، فالحق يقال بأن الجوف خلت من كثير من الأخطاء، وإن أهل الجوف، كانوا وما يزالون، فئة يغلب عليهم الصلاح والولاء لمليكهم، وهم لذلك يستحقون رعاية خادم الحرمين الشريفين وعنايته».

وقد صدرت موافقة الملك فهد على طلب الوالد اعتزال العمل الحكومي، فتقاعد بموجب الأمر الملكي رقم ١/٢٧١ في ١/٧/١٤١٠هـ (٢٧/١/١٩٩٠م).

وفاته:

أمضى الوالد خمسة عشر عاماً وهو طريح الفراش منذ عاد من رحلته العلاجية الأخيرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وقد خرج من غيبوبته واستعاد مقدرته على التحدث قليلاً وظهرت على محياه تلك الابتسامة التي ألفناها جميعاً، إلا أن ذلك لم يدم طويلاً، فقد اضطر الأطباء إلى حجب بعض العلاج الذي كان يتلقاه بعد أن ظهرت أعراض تأثره السلبي من ذاك العلاج، وكان من نتيجة ذلك تراجع مستوى وعيه وتضاؤل مقدرته على المحادثة أو التعبير عما يريد، وقد ظل على هذه الحال طيلة هذه السنين تخدمه أسرته وطبيبه د. مير مزمل علي وفريق من الممرضات الملازم له على مدار الساعة، وكان بين الحين والآخر يدخل المستشفى كلما استدعت حالته ذلك، ثم يعود بعدها إلى منزله، حتى كان آخر شتاء ١٤٢٧هـ عندما تعرض لانتكاسة شديدة في حالته الصحية دخل على أثرها المستشفى مرة أخرى، حيث وافاه الأجل، رحمه الله، فجر يوم الأحد ١٤٢٧/٢/٢٦هـ الموافق ٢٠٠٦/٣/٢٦م، عن تسعين عاماً.

ختـــام:

بدأت هذه الكتابة بالإشارة إلى أمر كان ذا وقع كبير في نفسي، والحقيقة أن كل ذي صلة بأبي له ذلك الأثر، وكان لأسلوبه معي وعلاقته بي صغيراً وكبيراً شديد الأثر في نفسي، إيجاباً وسلباً، هو دائماً الغائب الحاضر عندما كنت بعيداً عنه أثناء دراستي طفلاً ثم شاباً في الخارج، دفعني حثّه لي وحبي الشديد له إلى المثابرة وردعني طلب رضاه عن الجنوح لما لا يود لي في محيط تقل فيه

الضوابط وتكثر فيه المغريات[1].

التصقت به طفلاً ثم عدت لذلك كبيراً بعد أن أكملت دراستي فكنت معه في أوقات ومناسبات فتحت لي نافذة جديدة لمعرفته، فهو لا يميل إلى الخصوصية، بل يمضي جل وقته في محيط عام، مكتباً كان أو مجلساً، أما في السفر للعلاج فكانت تمر بنا ساعات بمفردنا، وكان يقضي معظم الساعات في وقت ممارسته لرياضة المشي الطويل[2]، استمعت في خلالها إلى كثير من القصص والأراء والتحليلات التي لم أسمعها من قبل، واكتشفت أثناءها بأن تحت ذاك الوقار، ووراء تلك الشخصية الصبورة الصامتة، نفساً بالغة الحساسية وروحاً شديدة التأثر بالأحداث.

كان جل حديثه في كل الأحوال يتركز في الشؤون والقضايا العامة ولكنه في هذه المناسبات العابرة كان أكثر ميلاً لتحليل الأمور والوقوف على بواعثها وتبعاتها، استمعت لآرائه في الشؤون الخارجية ففاجأني بطروحات استعصى علي قبولها آنذاك، ثم اكتشفت صدقها عند ما صارت الظروف التي تحسب لها[3]، وأنصت إلى قراءاته لواقعنا ومستقبلنا فوقفت على تحليلات له غير ما تحمله الأدبيات المتداولة شهدت كثيرها واقعاً حياً مع مرور الأيام.

إن والدي ذو شخصية ذات أبعاد مركبة ومتضادة، لا تخضع للتحليل المسطّح أو التفسير البسيط، يتناول الأمور بأناة بالغة فيحللها ويذهب فيها مذاهب بعيدة فتكاد تشعر أحياناً وكأنه غير قادر على اتخاذ القرار، ثم تراه مقداماً لا تثنيه عن غايته الظنون ولا تثبطه فيها المخاوف والانتقادات، وهو متقشف في متطلباته،

(١) ليس بين بنيه وبناته حسب علمي من يمارس عادة التدخين أو سواها مما لا يحمد من العادات، كان يتكلم في أمر التدخين فيقول متمثلاً إنه لو طلب من أحد المدخنين تقبيل ناصية أحد والديه عشرين مرة كل يوم لأنف من ذلك، وفي الوقت ذاته فهو لا يأنف من تقبيل دبر السيجارة مرات قد تزيد عن العشرين في كل يوم.

(٢) كان جل من يصحب الوالد في هذه الرحلات من كبار السن الذين لا يمارسون الرياضة عادة.

(٣) قال لي سنة ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) بعد خضوعه لعملية القلب إنه لو طرأ في المنطقة أحداث مهددة لأمن المملكة فإن دولة عربية مجاورة للمملكة ستكون أول المبادرين بعدائها ومناصرة خصومها، فأجبته أن الدولة المذكورة هي إحدى أكثر الدول العربية صداقة للمملكة وهي تعتمد إلى حد بعيد في استقرارها واقتصادها على دعم المملكة لها، فأصر على رأيه وأكد أن ما قلته لن يكون له أثر في إطار الأحداث التي افترض حدوثها، وعندما وقع غزو العراق للكويت في سنة ١٩٩٠م في موقف فاجأ الكثيرين فنشأت الظروف التي خشي منها الوالد، حدث ما توقعه ورفضت أنا قبوله.

بسيط في هندامه لكنه لا يتورع عن البذل والجزالة في المناسبات العامة، متواضع خلوق، عشر، خفيض الصوت ولكنه ذو حضور وهيبة واحترام، إيجابي ومتفائل، يأنف من قول "لا"، ويبذل جاهه وماله في كل مبادرة تطلب فيها مساعدته ولكنه آخر من يطلب العون، أو يتعلق بقشور الحياة.

كان يُعجب دائماً بالعصامي ويشجعه في مبادرته، فلا أذكر أنه ردّني عن مبادرة سرت فيها، وعرفته مسانداً لكل فكرة جديدة يأتي بها إليه مواطن يطلب دعمه ومساعدته له فيها، حدثني في هذا فقال: **إن المبادرين المستعدين لاستقبال المخاطر هم عادة من يكون لهم الفوز والفضل.**

ولعل أهم ما يبرز من هذه السيرة هو موقع صاحبها وموضعه، فجذوره ضاربة في عمق هذا المجتمع وهو من صميم ثقافته، وفي الوقت ذاته، فهو يتقبّل التجديد، ويرفض التقليد الأعمى، فإن كانت هذه السيرة تفيد بشيء فهو ميل صاحبها دائماً للريادة وحبه لخوض التجربة واستعداده للنظر في كل مستحدث، تجد هذا في تنشئته لأبنائه وبناته وتعليمه لهم في الخارج في وقت لم تجر العادة على ذلك، وتراه في مكتباته العامة ومؤسسته الخيرية التي خرجت عن الإطار المألوف لعمل البر، وتلحظه في جوائزه المتعددة التي كان له السبق في التفكير بها، وتجده في مبادراته المتعلقة بالمرأة، وفي تجاربه في حقل الزراعة، وفي أعمال أخرى مرت عليها هذه السيرة.

وهذا كله ربما جدير باهتمامنا، خاصة ونحن نمر في هذا المنعطف في مسارنا والأزمة في علاقاتنا والتصادم في محاور ثقافتنا، ففي وسط هذا الخضم من المتغيرات والتحديات نفيد كثيراً كلما وقفنا على سيرة مثل هذه تؤكد أن ثقافتنا ليست ذات وجه واحد كما يقولون، وتبين أن الأصالة ليست صفة يدعيها بعضنا عن سوانا، كما يودون.

مراسلاته وشعره

٥١٢

فضيلة الشيخ العم حمد الجاسر المحترم

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :ـ

أرجو لكم دوام الصحه والتوفيق .

العم حمد لقد تلقيت خطابكم المؤرخ في بغاية من الشوق والتقدير ولاشك أن الأخ سعد الجنيدل كله بركة بما قام به من مجهود قيم عن منطقتنا الحبيبه بالشمال وسماحتكم تشكرون عليها وليس هذا بكثير بالنسبه لكم وفقكم الله والنسخه المرسله من قبلكم وصلت كما وصلتنا نسختين من الأخ الجنيدل وبعد وصولها في حينه طلبت من الابن /زياد بن عبدالرحمن السديري الحصول على خمسمائة نسخة من هذا الكتاب القيم . لهذا أرجو أن تأمرون بتسليم الخمسمائة نسخه الى الابن زياد مع الشكر لكم وقد أعطيناه صورة من هذا الخطاب وبالمناسبه أحيط العم حمد باننا بصدد اخراج الكتاب التي كنا نعمل من أجله منذ وقت طويل والحمد لله من أطلاعكم عليه بالنهايه أنشاء الله هذا مع رجائي اذا أمكن تكرمكم بالزياره الى هذه المنطقه بالوقت المناسب لكم هذا مع ابلاغ تحياتي . والسلام ....

أخوكم

عبدالرحمن الأحمد السديري

ص/لسعادة الابن زياد المحترم ٧١...

الفصل الرابع

مراسلاته

د. سعد البازعي*

يمكن القول بثقة إن كتابة التاريخ في العالم العربي لم تحفل بعد بالرسائل بوصفها مصدراً رئيساً للمعلومة، أو للمعرفة إجمالاً، ويصدق هذا بشكل واضح على كتابة تاريخ المملكة العربية السعودية.

فالرسائل التي تملأ مكاناً ضخماً في المكتبة الغربية ليس لها مكان موازٍ في المكتبة العربية، والحكم على مدى الاستفادة من الرسائل في التاريخ العربي عموماً يقوم على المقارنة بما هو قائم في التأريخ الغربي، سواء الأوروبي أو الأمريكي، أما أسباب ذلك فليست صعبة أو بعيدة المنال، ليس للرسائل بحد ذاتها حضور كبير في الثقافة العربية، إذ أن ما يكتب منها قليل - قياساً بما يكتب في الأدبيات الأوروبية وما ينشر أقل - والقليل الذي ينشر يصعب الاعتماد على مصداقيته.

وإذا كانت النهضة العربية منذ القرن التاسع عشر قد بعثت الرسائل ومنحتها الأهمية، فإن ذلك كان بالدرجة الأولى نتيجة للاهتداء بالنموذج الثقافي الغربي وليس استعادة لنموذج عربي سابق، في هذا المجال بخاصة، فليس في تراثنا كمٌّ هائل من الرسائل الشخصية يضارع تلك المجلدات الضخمة التي تزخر بها المكتبة الغربية، والتي جاءت نتيجة التاريخ الطويل من انتشار الكتابة والقراءة وعمق التطور الحضاري الغربي على مدى ما يزيد على سبعة قرون على الأقل.

غير أن ضعف حضور الرسائل في الكتابات التاريخية العربية، الحديثة خاصة، لا يعود كله إلى غياب أو ضعف حضور الرسائل نفسها، وإنما أيضاً إلى عدم التفات المؤرخين إليها بالشكل الكافي، صحيح أن كثيراً من الرسائل التي كتبت غير متاحة غالباً للمؤرخ، لا سيما الرسائل الشخصية، وذلك لأسباب تعود إلى طبيعة الثقافة

* أستاذ الأدب الإنجليزي والمقارن في جامعة الملك سعود، ورئيس النادي الأدبي بالرياض، وأمين عام جائزة الملك خالد، له مشاركات ثقافية واسعة.

وحرص الكثير من أصحاب الرسائل على عدم إذاعتها أو نشرها (رغبة في السرية، أو محافظة على الخصوصية، أو لكثرة المحاذير، أو لغير ذلك من الأسباب)، غير أن هناك رسائل يمكن الحصول عليها والإفادة منها، ولاشك أن المهم أن يتاح ما لم يتح منها بعد، لاسيما إذا انتفت المحاذير الشخصية أو كانت ضعيفة، كيما يستفاد منها في كتابة تاريخ أوثق وأشمل وتنتشر معرفة أوسع، فالرسائل تظل مصدراً مميزاً لمعرفة لا تتيحها المصادر الأخرى، ففيها صراحة أكبر وتفاصيل أكثر، إضافة إلى مصداقية الشاهد على الحدث، لاسيما إذا كان مشاركاً في صنعه.

هذه السمات التي تتسم بها الرسائل هي ما لن يخطئه القارئ للرسائل التي بين أيدينا هنا، فالاطلاع على رسائل عبدالرحمن السديري، وإن جزئياً، كفيل بالتذكير بأهمية هذا المصدر التاريخي الوثائقي وقيمة المعرفة التي يتيحها، ليس على مستوى التأريخ للأحداث فحسب، وإنما أيضاً، وربما هذا هو الأهم، في التوثيق لتطورات اجتماعية واقتصادية وإنسانية يحسن بنا التعرف عليها والإفادة منها.

هنا نتخفف من عباءة التاريخ المدرسي بصرامته وجفافه، لنتفيأ مظلة حميمة من المشاهدة الشخصية والمعايشة المباشرة للأحداث، مع رسم متواصل للآراء والرؤى.

ثمة تفاصيل دقيقة يصعب العثور عليها في مصادر أخرى، مما يمنح الرسائل خصوصية وأهمية بالغة.

على أنه لا ينبغي أن يفهم من هذا أن الرسائل المشار إليها تخوض في مسائل شخصية بحتة، أو تتناول ما تتناوله ببساطة وقلة اكتراث، فعلى العكس من ذلك ما نقرأه هنا هو في المجمل مكاتبات رسمية بل ومهنية، لكنها ببساطة ومباشرة وصدق، كثيراً ما تفتقر إليها التواريخ الرسمية ذات الطابع المدرسي أو التلقيني.

خصوصية الرسائل التي نتحدث عنها وأهميتها، تعود إلى أنها تتقاطع بشكل واضح مع فصول مهمة بل وحاسمة من تاريخ المملكة العربية السعودية، وترسم مشاهد مهمة لتطورات سياسية واقتصادية واجتماعية عاشها الجزء الشمالي من المملكة في وقت لم تكن توجد وسائل إعلام تنقل وترصد، ولا شهود عيان كثيرون

يكتبون ويوثقون للأجيال.

ومما يزيد من قيمة الرسائل المشار إليها، أي رسائل الأمير، أنها تصدر عن رجل لم يعش الأحداث والتطورات فحسب، وإنما شارك وبفاعلية في صنعها، إن لم يكن دائماً أو بالضرورة الصانع الرئيس، أضف إلى ذلك أنها رسائل لم تكتب أو ترسل وفي ذهن صاحبها أنها ستنتشر يوماً (وهو ما يميزها عن الرسائل التي قد نجدها في بيئة ثقافية متطورة كالبيئات الغربية، يدرك كاتبوها أنها قد تنشر)، ومن شأن هذا أن يمنحها مصداقية ومباشرة، الأمر الذي يزيد من قيمتها.

تمثل الرسائل التي بين أيدينا عينة من عدد اكبر من الرسائل كتبها عبدالرحمن السديري على مدى الأربعة عقود، التي تمثل فترة توليه إمارة منطقة الجوف، وهي عينة تمثيلية نستشف منها نوع القضايا والمشاغل التي يتوقع أن يتسم بها عمل أمير منطقة حساسة من مناطق المملكة، مثلما أنها تتيح لنا فرصة أن نطل على فترة من الزمن حفلت بتطورات بالغة الدلالة على طبيعة النمو الذي مرت به المملكة، علماً بأن ثمة خصوصية للمنطقة التي تشير إليها الرسائل، أي منطقة الجوف، على مختلف المستويات الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية، وهي خصوصية تشترك في بعضها مع مناطق أخرى وتستقل ببعضها الآخر، إذ إنها في النهاية خصوصية للمملكة ككل بتاريخها وتكوينها من كافة جوانبه.

المجموعة الأولى من الرسائل، هي تلك المتبادلة بين الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه وعبدالرحمن السديري في بداية توليه الإمارة، وهي في مجملها رسائل تعود إلى الفترة من أواسط الستينات الهجرية (الأربعينيات الميلادية)، حتى أوائل السبعينات الهجرية (الخمسينيات الميلادية).

أما المجموعة الثانية، فكانت ما بين أمير منطقة الجوف وسمو وزير الداخلية عندئذ، الأمير فهد بن عبدالعزيز (خادم الحرمين الشريفين الملك فهد طيب الله ثراه)، تليها مجموعة ثالثة ما بين عبدالرحمن السديري وسمو وزير الزراعة آنذاك، الأمير سلطان بن عبدالعزيز (ولي العهد ووزير الدفاع حالياً)، تلي ذلك مجموعات من الرسائل مع عدد من الوزراء آنذاك، هم: وزير المعارف، وزير

المالية والاقتصاد الوطني، وزير المواصلات، بالإضافة إلى عدد من الرسائل ذات الطابع الثقافي والشخصي.

هذه الرسائل تدور جميعاً حول مسائل تتصل بعمل الإمارة في منطقة الجوف ومهام الأمير ودور مؤسسات الدولة المختلفة وعلى أكثر من مستوى، لكن إذا كان الشاغل الرسمي للدولة ومهامها ومشاريعها هو المهيمن على الرسائل المشار إليها، فإنه يظل وثيق الصلة بشاغلٍ آخر هو الشاغل الإنساني الذي يتبينه القارئ من الروح التي كتبت بها تلك المكاتبات: إنه الهم الكبير الذي ظل عبدالرحمن السديري يحمله للمنطقة الواقعة تحت مسؤوليته، وحرصه الشديد والمتواصل على راحة أهلها وتطور مؤسساتها وخدماتها، بحيث تحتل أرفع الأماكن، ويجد أهلها أفضل الخدمات وأيسر سبل العيش، والرسائل من هذه الناحية ترسم صورة أو رسماً بيانياً للكيفية التي عمل بها مسؤول في الدولة وأمير لإحدى مناطقها، وتتيح لنا، من ثم، فرصة للتعرف على جهاز حساس من أجهزة الدولة السعودية وهو يعمل ويتفاعل مع القضايا الأمنية تارة، والتطويرية تارة أخرى، والإنسانية البحتة تارة ثالثة.

مسألة أخرى في غاية الأهمية، هي أن الرسائل ترسم صورة لأجهزة الدولة وهي تولد وتتطور في دولة نامية مثل المملكة العربية السعودية، ولأن الرسائل تمتد من الستينيات الهجرية (الأربعينيات الميلادية) فإنها تواكب أكثر مراحل النمو حساسية وصعوبة لأنها مرحلة التأسيس، صحيح أن منطقة الجوف لا تمثل كل مناطق المملكة بخصوصيتها، لكن هذه الخصوصية بحد ذاتها مهمة، فالجوف على الحدود الشمالية تمثل تخماً تلتقي عنده الحضارة بالبداوة، وهي بالتالي جبهة من جبهات المعركة السعودية الطويلة ضد التخلف سعياً لتأصيل المدنية عن طريق التوطين وإنشاء المؤسسات الفاعلة وفرص العيش التي تعوض المواطن إبان انتقاله الصعب من حياة الترحال إلى حياة الاستيطان.

ولأن الجوف مجموعة من المدن والواحات التي يقوم اقتصادها على الزراعة، فإن مسؤولية أمير المنطقة مزدوجة، فهو، كما يتضح من الرسائل، يسعى إلى خدمة الجانبين معاً: أهل المناطق الزراعية بدعمهم وتطوير نشاطهم، وأهل

البادية بتيسير العيش لهم وتشجيعهم على الاستيطان، مع حفظ الأمن في كل الحالات وتحقيق العدالة للجميع.

الرسائل المتبادلة مع الملك عبدالعزيز رحمه الله، تمثل أنموذجاً لما أشير إليه، ففي أقدم الرسائل، وتعود إلى عام ١٣٦٢هـ (١٩٤٢م)، يطلب فصل كتابة العدل بسكاكا عن المحكمة، وهو طلب اعترضت عليه وزارة المالية بحجة أن المحكمة "**صغيرة لا تزيد عن أمثالها في تبوك والعلا وضبا**"، وتتضمن البرقية الموقعة من "معاون نائب جلالة الملك" تغليب رأي الأمير بفصل المؤسستين عن بعضهما البعض، لأن "**منطقة الجوف لا تقاس بضبا وتبوك، وذلك لكبرها وأتساعها وكثرة سكانها من حاضرة وبادية حسبما أشير إليه في البرقية الواردة من إمارة الجوف وفيها قرى وبلدان وبادية كثيرون**"، ثم تشير برقية معاون نائب الملك إلى أهمية بناء المؤسسات على أسس نظامية اعتباراً لموقع الجوف: "**والجوف قريبة من الحدود. والمناطق المتاخمة للحدود يحسن أن تكون دوائرها في غاية الانتظام ويختار لها موظفون أكفاء**".

ومن ناحية أخرى، تطالعنا مجموعة خطابات موجهة إلى الملك عبدالعزيز قاسمها المشترك إيضاح الصعوبات التي يواجهها سكان المنطقة، حاضرة وبادية، وطلب النظر بعين العطف لأوضاعهم تذليلاً لتلك الصعوبات، تلك الخطابات التي تعود إلى أواسط الستينيات الهجرية (الأربعينيات الميلادية) تنقلنا إلى أجواء الحرب العالمية الثانية وآثارها الضارة على المنطقة، لا سيما دولة صحراوية مثل المملكة تعيش مخاطر النقص في الأطعمة وموارد العيش إجمالاً.

فمن تلك الرسائل ما يشير إلى نقص الأطعمة وطلب التسهيلات لورودها، ومنها ما يطلب التخفيف عن بعض المواطنين الذين ارتكبوا مخالفات وساءت أحوالهم بحيث صار في معاقبتهم مضاعفة في القسوة، ففي خطاب يعود إلى ١٣٦٤/٧/١٤هـ (١٩٤٥/٦/٢٤م) يشير الأمير إلى مواطن صدر أمر بحبسه "**وأخذ الذي معه، ولا يخفى على جلالتكم أن بضاعته حمل بشوت وبمناسبة الصيف أصبحت مخطورة من الحرق ثم أن بعارينه جرب (أي مصابة بداء الجرب)، هذا ونظر جلالتكم أعلى**".

ونطالع بعد ذلك بأربع سنوات خطاباً يلتمس فيه الرأفة بقبيلتي الشرارات والرولة لأن "**أحوال القبيلتين في هذين العامين متأخرة (أي ضعيفة)**".

وبعد ذلك بعامين، أي عام ١٣٧٠هـ (١٩٥٠م) نجده يقترح في خطاب آخر مساعدة أهل المواطير، أي المزارعين ممن دعمت الدولة شراء ماكينات زراعية (مواطير) لهم، ويصعب عليهم دفع ما تبقى من المبلغ الذي استلفوه لشرائها، واقتراحه هو أن «يستحصل منهم نصف قيمتها وترك لهم النصف الآخر».

هذه الروح الإنسانية هي ما يتواصل في الخطابات إلى بقية مسؤولي الدولة في الأعوام التالية، على ما في تلك الخطابات من تنوع حسب الأجهزة الحكومية واختلاف مسؤوليتها، فهناك رسائل موجهه إلى سمو وزير الداخلية حينئذ، وهو الأمير فهد بن عبدالعزيز (خادم الحرمين الشريفين الملك فهد، رحمه الله)، منها، مثلاً، رسالة في ١٣٨٢/١/٧هـ (١٩٦٢/٦/٩م)، بطلب إنشاء دار للعجزة، إضافة إلى رسائل أخرى إلى سمو الوزير نفسه في أوقات مختلفة من العام ١٣٨٤هـ (١٩٦٤م) بطلب مشاريع للنهوض بدومة الجندل، وفي الشمال عموماً.

كما أن من تلك رسائل إلى سمو وزير الزراعة آنذاك، الأمير سلطان بن عبدالعزيز، يعود أحدها إلى العام ١٣٧٣هـ (١٩٥٣م) تتضمن طلباً بمشاريع تطور المنطقة زراعياً، ثم رسالة عام ١٣٨١هـ (١٩٦١م) إلى الشيخ عبدالله الدباغ حين تولى الوزارة نفسها تتضمن مقترحات بمشاريع مفصلة للنهوض بالزراعة في المنطقة، والحق أن الرسالة المشار إليها هي أقرب ما تكون إلى التقرير أو الدراسة لوضع المنطقة وكيفية دعمه.

والملاحظ هنا هو أنه لم يكن يطلب مشاريع وكفى، إي أن المسألة لم تكن سباقاً، كما قد يتخيل البعض، للحصول على أكبر قدر من المشاريع، وإنما كانت محاولة للحصول على المشاريع المناسبة، من ناحية، ولترشيد الإفادة من تلك المشاريع أو تنفيذها بالشكل الصحيح، من ناحية أخرى. فنجده يوضح لوزير الزراعة أن تشجيع الزراعة ينبغي أن يكون بشكل مدروس، تفادياً للمشكلات التي قد تحدث وتحقيقاً للهدف الأساسي من المشاريع نفسها، فهو يشير إلى اندفاع أبناء البادية للحصول على المكائن التي أعلنت عنها الوزارة مما نجم عن مشكلات

قد تكون أكبر من تلك التي سعت المشاريع الزراعية إلى حلها ثم لا تؤدي الغرض المقصود، ولننظر إلى بعض ما جاء في الرسالة من مقترحات وبلغة صاحبها ذات الطابع الإملائي الشفاهي:

حيث أنهم ما أن فهموا أهل البادية: بهذا الطرف بأن حكومة صاحب الجلالة الملك المعظم ستمدهم بماتورات مائية وغيرها بالمجان حتى اندفعوا بشكل كبير جداً إلى حفر الآبار، منهم من يستطيع العمل لرغبته الأكيدة بالعمل، ومنهم من لا يستطيع لظروف عديدة: وقد تركوا طلب المعيشة في سبيل انتظار مساعدات الحكومة، وهذه الحال في نظري سينتج عنها بطالة: وتعجيز لمقام وزارة الزراعة لكثرة الطلبات التي ليس، بالإمكان مطلقاً تنفيذها وتحقيقها جميعها على ما علمته من عدد الماتورات المستوردة لغرض توزيعها على البادية، وإذا أعطي زيد وتُرك عمرو كيف يكون ذلك بالنسبة لنفسيتهم وشعورهم تجاه الحكومة وموظفيها، ومع أنه قد يأخذ من هذه الماتورات من لا يستطيع العمل والمثابرة ثم تأتي النتائج غير مشجعة كما هو مقصود: لهذا كله أعتقد لو أعطيت الماتورات إلى أرباب المزارع القديمة من البادية الذين عملوا منذ سنتين وأكثر بالقيمة موجب أسعار مبسطة جداً وبالتقسيط لأمكن توزيعها بسهولة ثم أنهم إذا لمسوا بأن هذه الماتورات بالقيمة وليست بالمجان فسيتراجع عنها من ليست لديه الرغبة الأكيدة بالعمل.

وفي جانب آخر من جوانب التنمية، نجده يخاطب وزير المعارف آنذاك (حسن بن عبدالله آل الشيخ) حول مسائل تتعلق بالتعليم في المنطقة الشمالية لاسيما أن الأمير كان يرأس لجنة لتحسين أحوال المنطقة الشمالية عموماً، فنجد في هذا السياق رسالة غير مؤرخة لكنها تتضمن إشارة إلى لجنة تشكلت عام ١٣٧٩هـ (١٩٦٠م)، وفيها يطلب الأمير من وزير المعارف تنفيذ ما أوصت به اللجنة وهو افتتاح مدارس مهنية، صناعية في كل من الجوف وتبوك وأخرى زراعية في الجوف، علماً بأن تلك المدارس كانت قد انتهى بناؤها ولم يبق سوى افتتاحها وذلك بتهيئتها بمستلزمات العمل، ويلاحظ هذا التأكيد على أهمية التوسع في المدارس المهنية نظراً «**لأن عدداً من الطلاب هذا العام لم يقبلوا في المعهد**

والمدرسة المتوسطة، لأن عددهم يزيد بكثير عن العدد المحدد في موازنة هاتين المدرستين».

وفي السياق نفسه، نجده يكتب لوزير المعارف آنذاك، في ١٣٨٤/١١/٢٩هـ (١٩٦٥/٤/١م)، يؤكد فيه أهمية التعليم المهني ليس في الجوف فحسب، فالتفكير هنا يصدر عن مسؤول تهمه المملكة كلها وليس الجوف فقط:

والذي أرجوه يا معالي الوزير أن تهتموا بالعلم المهني بالنسبة إلى عموم المملكة حيث المملكة بحاجة أكثر من ضرورية إلى تأهيل تام لكي تقوم بدورها الفعال للبناء ومسابقة الوقت حيث ظروفها والحمد لله مناسبة وقابلة للتطوير المستمر والسريع.

نطالع بعد ذلك خطاباً في ١٣٨٨/١١/٨هـ (١٩٦٩/١/٢٦م) إلى "الرئيس العام لمدارس البنات" للمطالبة بتحسين الأداء الإداري بربط منطقة الجوف مباشرة بالرئاسة بدلاً من بيروقراطية الاتصال عن طريق "مندوبية" عرعر، وتضمن الخطاب طلباً بفتح معهد معلمات بالجوف بالإضافة إلى مدارس للبنات في جهات مختلفة من المنطقة مثل: اللقائط وطبرجل والطوير وفي الجهة الغربية من سكاكا.

إن هذا كله، إذا ما أضيف إلى ما كتبه إلى مسؤولين آخرين في الدولة، مثل وزيري المالية والمواصلات وغيرهما، يؤكد شيئاً واحداً هو حرص متصل على تنمية المنطقة الواقعة تحت مسؤوليته على نحو مدروس ومتأنٍ يتوخى خدمة الجوانب المهمة والحيوية قبل غيرها، والملاحظ في هذا كله التركيز على الشأن الإنساني، على نمو المواطن الواعي الذي يدرك مسؤولياته من خلال التعليم الجيد، ومن خلال التنمية وتوفير الخدمات الممكنة كلها.

وفي هذا السياق لابد لقارئ رسائل عبدالرحمن السديري، سواء الشخصي منها أو الرسمي، أن يتوقف عند إسهاماته الشخصية في الجوانب التي يتوقع أن تتولاها الدولة فقط، لاسيما أنه مسؤول وبإمكانه أن يوكل إلى الدولة كل الأعمال التنموية، لكننا نجد أنه يسهم شخصياً في "**إصلاح خراب مدرسة**"، كما تشير إلى ذلك رسالة من مدير مدرسة دومة الجندل في ١٣٧٦/٢/٢٨هـ (١٩٥٦/١٠/٢م)،

ثم يساعد على توصيل بعض المساعدات من القطاع الخاص إلى المحتاجين، كما في الرسائل المتبادلة بينه وبين الشيخ محمد العبد الله الجميح، في أوائل الثمانينيات الهجرية (الستينيات الميلادية)، والتي يشير رجل الأعمال المعروف في إحداها إلى أن «**مندوباً من قبلنا سيصلكم قريباً، وذلك فيما يتعلق بشأن تسليم مواد إعاشة البادية وإننا لن نستغني عن مساعدتكم بهذا الشأن**»، لكن لعل الأبرز في السياق نفسه ما قام به الأمير من إنجازات في الشأن الثقافي سواء مما فيه خدمة للمنطقة الشمالية أو غيرها، وهو ما أود التوقف عنده في ختام هذه الملاحظات.

من بين الرسائل التي يضمها الملف الذي اطلعت عليه، لفتت انتباهي رسالة من عبدالرحمن السديري إلى الشيخ حمد الجاسر، رحمه الله، بتاريخ ١٤٠١/١٠/٢٥هـ (١٩٨١/٨/٢٥م)، يخاطبه فيها بطريقة تسترعي الاهتمام، فهو "**فضيلة الشيخ**"[١] ثم هو "**العم حمد**"، أما خطابه الذي تلقاه الأمير فقد تبلغه "**بغاية من الشوق والتقدير**"، والحق أن لغة الخطاب هنا تنم عن أشياء كثيرة، في طليعتها تقدير الأمير للعلم ورجاله ممثلين في علاّمة الجزيرة من قبل رجل يدرك ذلك ويتواضع علماً بأن محصوله الثقافي، وإن لم يكن العلمي بالضرورة، هو من التميّز بحيث يدركه كل من قابله أو جلس معه، فالمخاطبة وموضوع الرسالة نفسها يدلان على أننا إزاء رجل ثقافة حقاً، وإن لم يتلق تعليماً نظامياً متطوراً أو يحصل على شهادات، فرسالة الشيخ حمد تتصل، على ما يبدو من النص، بكتاب «المعجم الجغرافي» الذي أشرف عليه الشيخ ونفذه بالتعاون مع العديد من رجال العلم الجغرافي والتاريخي في الجزيرة العربية، منهم الأساتذة: عبدالله بن خميس ومحمد العبودي ومحمد العقيلي وسعد الجنيدل، فالرسالة تضمنت أن الأمير تلقى من الشيخ حمد نسخة من المعجم، وأنه يشكره ويشعره بتعميده ابنه زياد بشراء خمسمائة نسخة من المعجم، وهو عدد يلفت الاهتمام بضخامته قياساً إلى ما يشترى من الكتب حتى في أيامنا هذه.

غير أنه لا يكتفي بدعم مشروع المعجم الجغرافي، وإنما يشعر الشيخ حمد

(١) كان الشيخ الجاسر قد تولىّ القضاء في ضباء في أواخر الخمسينيات الهجرية (الثلاثينيات الميلادية).

بأنه هو نفسه يعمل على كتاب خاص به يبدو أنه كتاب "الجوف وادي النفاخ" الذي صدر فيما بعد، والذي يعد إسهاماً قيماً في التأريخ للمنطقة والتعريف بها.

وما يهمنا هنا، أن هذه المراسلات والإنجازات إنما هي مؤشر على ما هو أهم، فمن يعرف منطقة الجوف، يدرك الإسهام الذي قام به الأمير في تطوير الحياة الثقافية هناك وإلى الحد الذي امتد تأثيره إلى مناطق أخرى، فمؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية والمنشآت التابعة لها، لاسيما المكتبة الشهيرة في سكاكا، هي معالم ليس في تطور المنطقة الشمالية فحسب وإنما في تطور المملكة ككل، فالمكتبة مهمة في حاضرها كما في بداياتها المتواضعة ولكن الأهمية بالغة، فكثير ممن عاشوا في المنطقة في فترة الثمانينيات الهجرية (الستينيات الميلادية)، ومنهم كاتب هذه الملاحظات، يدركون أي دور لعبته تلك المكتبة في مرحلتها الأولى التي لم يعقها صغر حجمها آنذاك عن أن تضطلع بدور كبير قياساً إلى محيطها القروي، فقد كان تأسيس المكتبة عاملاً مهماً في نشر الوعي وتطويره سواء من خلال الكتب أو الدوريات أو الصحف والتي كانت في مجملها في عداد النادر عندئذ، وحين تطورت المكتبة إلى ما هي عليه الآن، بوصفها واحدة من المكتبات العامة الرئيسة في المملكة، كان طبيعياً أن تواصل أداء رسالتها الكبيرة من خلال المؤسسة الخيرية وأنشطتها الثقافية المتعددة، بما تضمنه ذلك من بعثات للمتفوقين للدراسة خارج المملكة ونشر الكتب وإصدار الدوريات وعقد الندوات والمحاضرات.

إن التأكيد على أهمية هذه الجهود لا يحتاج إلى شهادات كثيرة فهي جهود واضحة للجميع، لكن حين تأتي الشهادة من شخص أجنبي فإنها دون شك تكتسب دلالة خاصة، ولعل من بالغ الدلالة أن تأتي الشهادة هنا من صحفي أمريكي زار المملكة وأعجب كثيراً بنشاط المؤسسة والمكتبة بوجه خاص وبشخصية المؤسس، بل وشاهد عن كثب مظاهر التنمية في منطقة الجوف فعبر عن إعجابه ضمن ما كتبه عن المملكة في كتاب أصدره مؤخراً[(١)].

---

(١) جون برادلي : العربية السعودية مكشوفة (نيويورك : بالغريف ماكملان، ٢٠٠٥) ص ٤٨-٥٢ :
John R. Bradley, Saudi Arabia Exposed (New York: Palgrave Macmillan. 2005) pp.48 – 52.

يتحدث ذلك الصحفي، وهو جون برادلي، أولاً، عن تطور الجوف في عهد عبدالرحمن السديري واصفاً إياه بـ «**الشخص الاستثنائي بجميع المقاييس (وإن كان شديد التواضع) الذي أشرف شخصياً على تطور المنطقة**»، ثم يشير إلى بصماته في المنطقة التي تشمل «**مكتبة ذات مستوى عالمي سميت باسمه**»، مضيفاً في حديثه عن المكتبة أنها بدأت عام ١٩٦٣م بثلاثة آلاف مجلد وأن إنشاءها كان خطوة رائدة في المملكة عندئذٍ، مع ملاحظة أنه «**حتى الآن قد لا توجد في المملكة مكتبة تضاهيها**» بمجلداتها التي فاقت مئة ألف (عام ٢٠٠٥م)، وتنمو بمعدل ثلاثة آلاف عنوان سنوياً، أما فيما يتعلق بالمؤسسة فيلاحظ أنها تضم قاعات محاضرات تتسع لثلاثمائة وثمانين شخصاً «**لو وضعت في هارفارد لما استغرب ذلك**»، ويشير إلى اهتمام المؤسسة بطباعة رسائل الماجستير والدكتوراه المتعلقة بالمنطقة والوطن العربي إجمالاً.

تلك هي الشهادة التي تعزز ما نجد في الرسائل من اهتمام رائد بالثقافة، ولكن الرسائل، كما تبيّنا، ليست سجلاً لنشاط ثقافي فحسب بل لكل ذلك الجهد الخارق لبناء الإنسان وإعمار الأرض بكل الوسائل المتاحة، وما الثقافة إلا إحدى تلك الوسائل المهمة. فجزى الله صاحب ذلك الجهد خير الجزاء وأجزل له المثوبة.

بداية

ارى الأيام تمضي والليالي

تشابه والغفله من حال يدومه

الى ضاعت غزالي الغوالي

فلا والله ينفع لو تلومه

والى هاله الحيا سار الضلالي

والى طمس البصر غاية منقومه

يفوت الفهم أول وتالي

لطفه ولاته [illegible] دنومه

تسجرت بـ مازال زالي

ترى الدنيا طويله وممدومه

صاحبك كلها شل الضلالي

فلا انشا كود ماتيقا سرومه

إحدى قصائده بخط يده

شعره

د. سعد الصويّان*

في صيف عام ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م) بدأت العمل على مشروع جمع الشعر النبطي من مصادره الشفهية الذي موّله مركز البحوث بكلية الآداب، جامعة الملك سعود. وكانت البداية في منطقة حائل والقرى والهجر المحيطة بها المأهولة بمختلف فروع قبيلة شمر وبني رشيد، من الحفير إلى قنا وأم القلبان إلى الخبة إلى طويّة إلى الصنينا إلى جبة إلى ضرغط إلى النبوان، وأماكن أخرى عديدة.

ولم يكن البحث مقصوراً على الشعر، بل كنت أبحث عن كل ما له علاقة بالتاريخ القبلي والحياة البدوية والأنساب والوسوم والشيوخ والفرسان والعُقِدا والدلِلا(١) وأساليب الغزو وتقاسم الغنائم، إضافة إلى الديار والموارد والمراعي والحدود، وكل ما يمس حياة الصحراء وثقافة البدو وتنظيمهم الاجتماعي والاقتصادي، وقد أمضيت معظم الوقت مع قبيلة سنجارة الشمرية، خصوصاً فروعها الثلاثة الرئيسية: الغفيلة والزميل والسويد.

وأثناء لقاءاتي مع العديد من الرواة لفت انتباهي أمران: الأول أن كثيراً من رواة القصائد والسوالف والأحداث التي أسأل أولئك الرواة عنها كانوا يحيلونني بشأنها إلى رواة آخرين يقولون إنهم يقطنون في منطقة الجوف أو الهجر المنتشرة على خط التابلاين شمال المملكة، والأمر الآخر أن العديد من عُقِدا سنجارة وشيوخها المتأخرين الذين كنت أسأل عنهم وأتتبع أخبارهم قال لي الرواة إنهم

---

* أستاذ الدراسات الاجتماعية بجامعة الملك سعود، دكتوراه في الفلكلور والأنثروبولوجيا من جامعة كاليفورنيا (بيركلي) ونشر بالعربية والإنجليزية العديد من الكتب والأبحاث في ثقافة المجتمع ولهجاته والأدب الشعبي.

(١) العُقِدا: مفردها عقيد، وهو قائد الغزو وزعيمهم الذي يأتمرون بأمره. الدلِلا: مفردها دليلة، وهو من يرشد الغزاة إلى الطرق وموارد الماء في متاهات الصحراء.

أمضوا السنين الأخيرة من حياتهم بعد استتباب الأمن وانقطاع الغزو في معيّة عبدالرحمن بن أحمد السديري، أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر من ينتسبون إلى قبيلة الرمال مثل: هتّاش بن شريّان، ومرعيد بن مطير، وعبدالله ابن جحفل، وخاتم الجمّاش، وهو ما جعلني أتطلع إلى فرصة زيارة منطقة الجوف للسلام على الأمير عبدالرحمن ومقابلة الرواة الذين ذُكروا لي، وكان مما شجعني على ذلك ما أسمعه وما أعرفه عن عائلة السديري العريقة واهتمامها الأصيل بالتاريخ والشعر وعلوم العرب، وما سمعته من أن الأمير عبدالرحمن نفسه شاعر مجيد وراوية لا يشق له غبار، حتى قال لي رواة شمّر إنه هو مرجعهم في المسائل الخلافية المتعلقة بالتاريخ القبلي والأنساب، قلت في نفسي لعلنا، هو وأنا، ممن ينطبق عليهم المثل: وافق شن طبقة.

ومن محاسن المصادفات أنه في عام ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م) رتب قسم الدراسات الاجتماعية في كلية الآداب بجامعة الملك سعود رحلة لطلاب القسم إلى سكاكا بمنطقة الجوف للاطلاع على المنطقة، وبحكم انتمائي للقسم وقع الاختيار علي، من ضمن أساتذة آخرين، لمصاحبة الطلاب، وأمضينا بضعة أيام هناك أقمناها في بيت الطلبة، ولم يكن الأمير عبدالرحمن موجوداً آنذاك ووجدنا ابنه سلطان وكيل الإمارة الذي ينوب عنه في غيابه، واستقبلنا هو والعاملون معه في الإمارة استقبالاً لائقاً، ولم يدخروا وسعاً في تسهيل الأمور لنا وإنجاح مهمتنا.

وعن سلطان بن عبدالرحمن السديري يقول سعد الجنيدل في كتابه بلاد الجوف أو دومة الجندل: «**شاب متعلّم حصل على شهادة الماجستير في الإدارة. يتسم بدماثة الخلق والحيوية، كريم المعشر.**

بعد سلامنا عليه في مكتبه دعانا إلى زيارته في منزله وأكد علينا في ذلك فذهبنا إليه بعد صلاة العشاء... كان مجلس وكيل الإمارة هادئاً، وكان يتحدث بأناة ورويّة ويتناول في حديثه كثيراً من المواضيع التي يقود بعضها بعضاً، وقد ساعده على ذلك ما يتمتّع به من ثقافة عالية وسماحة في خلقه وما أكسبه منصبه - بحكم طبيعته - من خبرات اجتماعية نتيجة لاحتكاكه المستمر بمختلف طبقات الناس وشتى قضاياهم».

ونظراً لضيق الوقت وانشغالي مع طلاب القسم لم أتمكن من إجراء الكثير من المقابلات أو مغادرة المدينة إلى مضارب البادية المحيطة بالمنطقة، كل ما تمكنت من عمله هو إجراء مقابلات مع بعض رواة تصادف وجودهم هناك لمراجعة الإمارة في بعض شؤونهم، كما تمكنت من التعرف على المنطقة ومن إقامة علاقات ودية مع بعض "رجاجيل" الأمير العاملين في الإمارة من قبيلة شمر والرولة والشرارات، وقبائل أخرى وهي علاقات آتت ثمارها فيما بعد.

وفي صيف تلك السنة كنت قد رتبت الأمور وعقدت العزم على السفر إلى الجوف، وكان وصولي إلى هناك يوم خميس، وذهبت فوراً لمقابلة الأمير عبدالرحمن في مزرعته واستقبلني بهدوء ظننته في البداية فتوراً، ثم صار يتحدث حديث الخبير العارف عن شؤون الزراعة والتجارب التي كان يجريها في مزرعته على الزيتون والنخيل ومختلف أنواع الفاكهة، وحتى تربية ونتاج الإبل، وتطرق الحديث إلى قضايا المنطقة التعليمية والإدارية ومؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية ودار الجوف للعلوم والمكتبة، وانتقل الحديث إلى المسابقات والنشاطات الدورية التي تقام في المنطقة تحت رعاية الأمير لتشجيع الأهالي على أن يكونوا عاملين منتجين لتنمية مواردهم، وأذكر أن من أهم النشاطات التي استحوذت على الحديث ذلك اليوم سباقات الإبل التي تقام سنوياً في الجوف ومشروع تشجيع السدو والنسيج.

في الطريق من المطار إلى مزرعة الأمير تملكتني الدهشة والنشوة، كعادة الإنسان حينما يشاهد مناظر غير مألوفة لديه يراها لأول مرة، الكثبان الرملية، بيوت الشعر لجماعة الفهيقات، الإحساس بأنني أصبحت قاب قوسين أو أدنى من صوير والطوير ومليح وهديب وزلوم وقارة وميقوع وخوعا والشقيق ومغيرا وغيرها من الهجر والقرى التي كانت في الزمن الغابر، وحسب ما سمعت من الروايات التي سبق لي تسجيلها من رواة شمّر، مجرد موارد مياه يرتادها الغزاة والبدو الرحل.

حينما وصلنا إلى المزرعة جلس الأمير يحدثني بلغة عصرية عن الزراعة والتعليم ومشاريع التنمية وتطوير منطقة الجوف، واهتمام الأمير عبدالرحمن بتطوير المنطقة وتنمية مواردها اهتمام أصيل بدأ منذ تولّى إمارتها، يقول الأستاذ

سعد الجنيدل في كتابه عن الجوف يصف مقابلته مع الأمير سنة ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م) «**وعبدالرحمن السديري له قدرة فائقة على التحدث عن التطورات التاريخية وتأثيراتها وعن ربط النتائج بأسبابها بأسلوب تاريخي جذاب، لا سيما ما يخص بلاد الجوف، وقد عيّن أميراً على هذه البلاد في وقت مبكر من شبابه، ووصل إليها أميراً في شهر رمضان سنة ١٣٦٢هـ وما زال في هذا المنصب، فهو خلال هذه الحقبة قد عايش نمو هذه البلاد العمراني والاجتماعي مدة ثلث قرن من الزمان، ولا شك أن له أثراً ملحوظاً في تنمية هذا التطور وعناية في تطوير كل مرفق حيوي في هذه البلاد حسب مقتضيات الظروف ومناسبات الأحوال**"، ثم يضيف الجنيدل "**وعبدالرحمن بن أحمد السديري إلى جانب حنكته الإدارية وتجربته الطويلة يتحلّى بدماثة الخلق والكرم، وله باع طويلة في الشعر ويتميّز شعره بطول النفس وجودة الألفاظ وسهولة الأسلوب**».

كان حديثه ممتعاً ومفيداً، والمواضيع التي تطرق لها مواضيع حيوية، وقد أذهلني باطلاعه التام على مجريات الأمور وإلمامه بما يتم تداوله من لدن صناع القرار في العاصمة، من مشاريع تنموية ورؤى مستقبلية للمنطقة ولكافة البلاد، لكن ليس هذا ما جئت أبحث عنه، الأمير يحدثني عن الحاضر والمستقبل وأنا أبحث عن الماضي.

بعد ذلك الحديث المستفيض عن شؤون المنطقة وتطويرها وتنمية مواردها بدأت جذوة الحماس تخبو في داخلي، ودّعت الأمير على أن أعود للمزرعة في المساء لتناول العشاء وذهبت إلى غرفتي وجلست أرتّب أوراقي وأرسم خط رحلتي بشيء من الفتور والإحساس بأن الماضي الذي جئت أبحث عنه ذَرَتْه رياح التغيير ولم يعد له وجود أمام تحديات الحاضر وطموحات المستقبل.

جاءني السائق بعد صلاة العشاء ليأخذني إلى المزرعة، كنت أتوقع أنه سيقودني إلى المكان نفسه الذي قابلني فيه الأمير على الغداء، لكنه أخذني إلى "الدكة"، وكانت المفاجأة! الدكة مجلس مفتوح وفسيح جداً يرتفع عن الأرض حوالي المتر، حدثتني نفسي أن أقيس طوله وعرضه بالخطوات، ولكن الفرصة لم تسنح لي لأنه لم يخل قط من الضيوف والوافدين، رأيت حشداً كبيرًا، معظمهم

من وجهاء البادية وشيوخ القبائل إضافة إلى أعيان المنطقة ورجالات القصر والإمارة، حاولت أن أحصي عددهم لكنني أيضاً لم أتمكن من ذلك لكثرة الحركة وكثرة الغادين والرائحين.

وهذه الدكة مشهورة ومعروفة تغنى بها الشعراء وبكرم صاحبها وبشاشته وسماحته وحسن استقباله وإكرامه للضيوف، فقد وصفها الشاعر سعود بن سالم الحربي في قوله:

له دكّةٍ ملفى مسايير وضيوف   يشهد على ما اقول كل القبايل
ما حطّ له ناسٍ على بابه وقوف   يجيه من له حاجةٍ ما يسايل

وقال فيها عبدالله بن محمد الغميز:

ياراعي الدكّه تعيبه مراقيك   ما كل من هام المراجل وصلها
حاولت اعبّر ما سمعته بطاريك   في مجلسٍ كل القبايل شملْها
مفتوح بابك للمواطن يحاكيك   هذي بك الميزة ولا احدٍ فعلها

ويقول في الدكة أيضاً عبدالهادي المريزيق النصيري:

له دكّةٍ صارت مِثَل للعرب دوم   بناه ابو فيصل ومكّن جداره
تعنى لها الزوّار بالليل واليوم   تْسَلّم على اللي مجلسه بالصداره
تلقى بها الاخبار وتلقى به علوم   وتلقى بها جَدْل الصحون بغزاره
تلقى بها الضيفان والزاد مرجوم   غير الدلال اللي يزوّد بهاره
ياما عطى المحتاج من رزق وهدوم   وياما كلوا عصم الشوارب بداره

جمع غفير من البشر شاهدتهم تلك الليلة، لم أكن أعرف أحداً منهم معرفة شخصية، لكن الأسماء التي ترددت لم تكن غريبة علي، فقد سمعتها مراراً وتكراراً في السابق تَرِد على ألسنة الرواة من خلال السوالف والقصائد التي سجلتها من قبل، هؤلاء هم سلالة أولئك الأسلاف الذين كان لهم شأنهم ومكانتهم في التاريخ القبلي، رجال فحول يبهرونك بسمتهم وفصاحتهم ونبرات الصوت، طريقتهم في اللبس والجلوس وتعابير الوجه ولغة الجسد، كلها حركات موزونة موقّعة محاطة

بالطقوس والمعاني والرموز، حتى ارتشاف القهوة ومناولة الفنجال والتحية والمصافحة والتقبيل وإشارات اليد المصاحبة للكلام تشاهدها وكأنك تشاهد حركات مسرحية في فيلم كلاسيكي.

كم كانت المفاجأة سعيدة والتجربة مدهشة بالنسبة لي، كنت أجلس قريباً من الأمير فانتهزت فرصة انشغاله بالحديث إلى أحد مساعديه لألتفت إلى الشخص الذي كان يجلس بجواري وأسأله ما المناسبة لهذا التجمع الكبير.

نظر إليّ الرجل بشيء من التعجب وتساءل: ألا تدري أن هذه عادة الأمير؟ فهمت منه أن الكثيرين يأتون من مضارب البادية ومن مختلف القرى والهجر لمراجعة الإمارة في شؤونهم، وإذا انتهى العمل في الإمارة وأغلقت الدوائر الحكومية قبل إنهاء حوائجهم والعودة إلى أهاليهم توافدوا إلى قصر الأمير وحلوا ضيوفاً عليه.

أما الأمير، فقد لاحظت أنه في ذلك المجلس تحول إلى شخص آخر مختلف تماماً عن الشخص الذي عهدته في النهار، ذلك الرجل الذي أعطاني الانطباع في أحاديثه النهارية عن الثقافة والزراعة والخطة الخمسية بأنه ابن مدينة وحضري لا يعرف شيئاً عن البادية والبداوة، صار يصول ويجول ويشرّق ويغرّب في أحاديثه عن المغازي والنكايف(١)، وعن الموارد والمراعي والأنساب والوسوم(٢) وسلالات الخيل ونجائب الإبل ونباتات الصحراء والقنص، وكل ما هب ودب، رجل يقرأ الصحراء ومتاهاتها كما يقرأ راحة كفه، لاحظت أنه كلما علت أصوات الحضور واحتدم الخلاف بينهم واختلف رأيهم حول شأن من شؤون البادية أو قضية من قضايا التاريخ القبلي لا يفض النزاع إلا كلمة منه تكون فصل الخطاب، ولم يكن ذلك استبداداً منه ولا استئثاراً بالرأي لأنه إذا عرف أن من بين الحضور من هو على علم بالمسألة أحال الأمر إليه، فإن كانت المسألة تخص قبيلة الرمال مثلاً أحالها إلى نوّاف بن طعيسان بن رمال من هجرة السادة، وإن كانت تخص قبيلة الشلقان أحالها إلى الكاسب بن عَبَكّلي الفالح من هجرة الفيضة، وإن كانت تخص الزمَيّل أحالها إلى عبيد بن بايق بن ثنيان من هجرة أبا رواث، وهكذا. وإذا تشتتت

---

(١) النكايف: من "أنكف" أي عاد أدراجه من الغزو (لعلها من انكفأ أو من نكص، كما في قولنا: نكص على عقبيه).
(٢) الوسوم: جمع "وسم"، علامة بالكي توضع على الإبل للدلالة على ملكيتها.

الأهواء وتهدلت أغصان الحديث وتشعبت مسالكه بادر الأمير إلى شدّه ولمّه بأن يلقي ملاحظة هادفة أو يطرح سؤالاً مبطّناً فتعود للحديث انسيابيّته وترابطه.

ولم تكن تلك الجموع وأحاديثهم المتشعبة لتشغل الأمير عن تصريف شؤون الإمارة، فبينما هم يتحدثون ويهرجون ويمرجون ترى موظفي الإمارة رائحين غادين بأحاديثهم الهامسة في أذن الأمير أو يعرضون أكداساً من الأوراق تحتاج منه إلى شروحات أو تواقيع، تحسبه مع كل هذه المشاغل، إضافة إلى كثرة نهوضه وجلوسه للسلام على كل قادم جديد لن يكون بمستطاعه التركيز ومتابعة ما يدور في مجلسه من أحاديث ونقاشات، لكنه ما أن يلتقط أنفاسه ويستقر به المقام فيما يتخلل هذه الشواغل من فواصل راحة قصيرة، حتى تجده يشارك في الحديث كما لو كان يتابعه كلمة كلمة، ولاحظت أن الأمير عبدالرحمن لا يستأثر بالحديث وإنما يترك الحديث للآخرين، لكنه يحاول من خلال مداخلاته أن يكون الحديث انسيابياً يتركز حول مواضيع مفيدة، وهو أبعد ما يكون عن التباهي والاستعراض الخطابي في المجالس، لكنه حينما يتطلب منه الموقف أن يبدي رأياً أو يدلي بحديث أتى حديثه مسترسلاً ومنطقياً ومتماسكاً، حججه قوية وحقائقه مؤكدة ومعلوماته موثوقة ودقيقة.

وقد لخص محمود عبدالله الرمحي - في مقدمته لكتيّب من إعداد نوارة عرسان الدغمي عنوانه: حب ووفاء، بمناسبة تقاعد عبدالرحمن السديري من منصب الإمارة - ما يدور في مجلسه في قوله "**خمسون عاماً من البناء والعطاء سيذكرها أهالي منطقة الجوف آباء وأبناء، رجالاً ونساءً على مدى الأجيال، عايشته منها ثلاثين عاماً عرفته من خلالها الأب البار والأمير العادل والشاعر الفذ، مجلسه عامر بالأحبة يحرص عليه الأدباء، يستمعون إليه في حديث شيق مليء بالحكم ورجاحة الرأي، يودّون ألا ينتهي ذلك الحديث لما فيه من حكمة المجرب وبراعة الأديب**".

مفارقة أخرى لاحظتها تلك الليلة، حينما كنت معه على الغداء كنا نتناول الطعام بالشوك والملاعق على الطاولة جالسين على الكراسي، أما حينما دعونا إلى العشاء في ذلك المساء، دخلنا صالة لا يقل طولها على ما أعتقد عن ثمانين

متراً مُدت فيها الأسمطة والصحون الكبيرة في صفين متوازيين، كل صف فيه ما لا يقل عن خمسة صحون، وكل صحن يتسع لخمس ذبائح من الغنم أو جزور بالكامل[١]، وجلسنا على الأرض نأكل بأيدينا وكان الأمير بنفسه يخدم الضيوف الجالسين معه على الصينية ويقطّع لهم من اللحم بيده، وكان الخدم يقفون على رؤوسنا ومعهم طياس من حليب الخلفات[٢]، وأذكر من المواقف الطريفة في تلك الليلة أن أحد الضيوف كان قصير القامة وكان جالساً إلى صينية من صواني النحاس المرتفعة من نوع "أم وكر" وكان على الصينية ذبائح حجبت الرؤية بينه وبين الشخص الجالس قباله على الجهة الأخرى من الصينية والذي كان يحاول التحدث إليه لكن الذبائح حجبت عنه الرؤية فكان أحياناً يميل بجسمه يمنة أو يسرة أو يحاول مدّ عنقه ورفع جسمه على عقبيه ليرى ذلك الشخص الذي كان يحاول التحدث معه، مما كان مثار تندر الحاضرين وتعليقاتهم.

وفي صباح اليوم التالي، دعاني لتناول الفطور معه حيث كانت تنتظرني مفاجأة أخرى، رأيته في هذه المرة وقد تحلّل تماماً من القيود الرسمية، كان يجلس لوحده ومعه ابن سعران، أحد رجاله[٣]، وشخصان آخران من رجاله لا أذكرهما الآن، كان بسيطاً جداً ومتواضعاً جداً كما كان يتعامل مع (الخويا) ويداعبهم ويشاطرهم طعامه ويؤانسهم كما لو كانوا أبناءه وإخوانه، ولم يكن ذلك تصنعاً منه ولا رياء بل سجية وطبعاً، فهو أبعد الناس عن التصنّع والافتعال في كل أموره وشؤون حياته، تشعر بذلك حالما تقابله ويشد يدك مصافحاً وتتفرّس ملامحه وتقاطيع وجهه وابتسامته العذبة التي لا تفارق محياه، كانت فرصة مواتية لأعرض عليه فكرة المشروع الذي أعمل عليه والهدف من قدومي للجوف وبرنامج رحلتي، وجدته من النوع اللمّاح الذي لا يجد الإنسان عناء في إقناعه وإيصال الفكرة إليه، فقد تفهّم على الفور قصدي، وأبدى بعض الملاحظات وأدخل بعض التعديلات على برنامجي التي ثبت لي وجاهتها فيما بعد، وكانت سبباً في نجاح مهمتي، كما

(١) الجزور: الناقة المذبوحة والمعدة للأكل.

(٢) الخلّفات: جمع "خلّفة" وهي الناقة الحلوب، ربما لأنهم يخلفون ولدها عليها لحلبها بعد الرضاعة.

(٣) ابن سعران: محمد بن مفلح بن سعران من عائلة الكبيدات من فرقة المعاقلة في منطقة الجوف، وينتمي إلى فرقة الدهامشة من قبيلة عنزه، التحق للعمل بإمارة الجوف منذ صباه، وعمل مسؤولاً عن الضيافة.

اقترح علي زيارة بعض الأماكن ومقابلة بعض الأشخاص والرواة الذين لم أكن أعرف عنهم، وقبل أن أتركه أوصى بي أحد رجاله ليوفر لي وسائل المواصلات والمرافقين وكل المستلزمات الضرورية للرحلة.

لم يكن ذلك آخر عهدي به، فقد تطلب مني مشروع جمع الشعر النبطي من مصادره الشفهية أن تتكرر زيارتي للمنطقة، وكان في كل مرة يشملني بعطفه ورعايته وتشجيعه ويقدم لي كل ما أحتاجه من مساعدة، كما أنني، من باب رد الجميل، حاولت ما وسعني الجهد أن أشارك في النشاطات الثقافية لمؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية ودار الجوف للعلوم، وكلما توثقت علاقتي بالأمير عبدالرحمن وازدادت معرفتي به ازددت حباً له وإعجاباً بشخصيته وصدقه وشفافيته، قابلت في حياتي الكثير من الوجهاء والأعيان والمسؤولين الكبار، لكنه كان من بينهم نسيجاً وحده ومثالاً فريداً من نوعه، لم يكن المنصب بالنسبة له سلماً لتحقيق مطامح شخصية ولا وسيلة لتضخيم الذات والاستعلاء على الآخرين، لا هيبة المنصب الذي يتسنمه ولا عراقة الاسم الذي يحمله جعل منه شخصاً متعالياً، فهو أبعد الناس عن التباهي والتعالي والادعاء، الاسم والمنصب وما يتعلق بهما من امتيازات هي بالنسبة له نعمة من نعم الله تستحق الشكر أولاً، وهي بعد ذلك مسؤلية وأمانة ورسالة ينبغي تأديتها بكل التزاماتها وواجباتها على الوجه الأكمل، فهو لا يرى في المنصب والجاه والسمعة إلا عوامل مساعدة لفعل الخير ومساعدة المحتاج وخدمة الناس ورعاية مصالحهم.

كان رجل دولة بامتياز، يعي تمام الوعي دوره ومسؤوليته في تنمية وتوعية تلك المنطقة النائية التي آلت إليه مسؤولية إدارتها، وكان الشخص المناسب لأداء تلك المهام لأن منطقة الجوف كانت في الزمن الغابر مسرحاً للصراعات المريرة المتواصلة بين مختلف القوى المحيطة بها، خصوصاً بين ابن شعلان وابن رشيد، مما زرع بذور الفتنة والشقاق بين الأهالي، ثم جاء الأمير عبدالرحمن ليؤلف القلوب ويوحد الكلمة ويلم الشمل ويصلح ذات البين متسلحاً بالحلم والحنكة ورجاحة الرأي وبعد النظر، شعاره حزم بلا شدة ولين بلا تراخي، جعل من سلوكه المهذب وتعامله الراقي ومجمل أسلوب حياته وتصرفاته مثالاً يحتذيه الآخرون

ويقتدون به ويتعلمون منه ويجارونه.

ولكي يصرف الأهالي عن خلافاتهم الداخلية، حاول أن يشغلهم بكل ما هو مفيد ونافع، فشجع الحاضرة على مزاولة الأعمال التجارية والزراعية، كما شجّع البادية على تنمية ثروتهم الحيوانية من الإبل والأغنام، إضافة إلى الأعمال اليدوية التي تشكل مصادر للدخل، مثل المشغولات الخوصية (من سعف النخل) ومثل النطي والسدو التي تستعمل مواداً خاماً من الإنتاج المحلي من أصواف الأغنام وأوبار الإبل وتحوكها بنات البادية، إلى غيرها من المهن والحرف التقليدية التي شجعها الأمير مادياً ومعنوياً وشملها برعايته، ومعروف أن منطقة الجوف قد اشتهرت منذ القدم بصناعة العباءات الصوفية الجيدة وكذلك البسط والسجاد، وصارت المسابقات والمعارض لمشغولات السدو وغيرها لعرض أجود المشغولات تقام سنوياً، ويمنح الأمير خلالها القطع الفائزة منها جوائز نقدية.

ولتوضيح أهمية هذه المعارض والمسابقات السنوية، يكفي أن نشير إلى أنه في عام ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م)، حضر افتتاح معرض السجاد أكثر من (٣,٠٠٠) ثلاثة آلاف شخص، يقول الشاعر عبدالهادي مريزيق النصيري مشيراً إلى معرض النسيج:

يامرحبا في كل زاير تحلاه عرض النسيج اللي عْرف كل عامِ
الجوف زادت نهضته واشرق ضياه بجهود ابو فيصل رفيع المقامِ

كما أصبحت تقام في المنطقة مهرجانات سنوية لسباق الهجن، تقدم فيها جوائز تشجيعية، وتفد إليها البادية من كل حدب وصوب، وذلك بهدف تشجيعهم على استنسال السلالات الجيدة، كما جعل الأمير من مزرعته حقلاً للتجارب الزراعية وإدخال طرق وممارسات جديدة في الزراعة وتحسين الإنتاج وزيادته، وأدخل للمنطقة محاصيل وسلالات من الحبوب والفواكه والخضروات لم تكن معروفة من قبل، كل ذلك من أجل توعية الأهالي وتعليمهم الاعتماد على النفس ورفع مستوى الدخل وتحسين الأوضاع المعيشية لديهم.

ومن السنن الحسنة التي سنها لتشجيع الزراعة، إقامة مسابقة سنوية للمزارعين

وتنظيم حفل سنوي يقدم فيه الجوائز النقدية المجزية بنفسه للفائزين، ويتم التحكيم واختيار الفائزين بواسطة لجان متخصصة تزور المزارع وتقيّم أداءها وإنتاجها حسب الكمية ومستوى المحاصيل وجودتها ونوعيتها وتنوعها، ومن الأمور التي تأخذها اللجنة في الاعتبار مقدار المساحة المزروعة وحسن استغلال الموارد المائية وتنسيق المزرعة ومدى تجاوب المزارع مع توجيهات الأجهزة الفنية والخبراء، مما جعل الجوف تصل الآن إلى تحقيق الاكتفاء الذاتي، بل إنها أصبحت تصدر المحاصيل إلى بقية مناطق المملكة وإلى البلدان الأخرى.

كان حريصاً على ألّا تكون المنطقة بمعزل عن ما يحدث في المملكة من تنمية وتطور وتحديث على مستوى البنية التحتية، وكذلك على مستوى العنصر البشري والتأهيل، كان ذلك واضحاً من حثه للأهالي على تعليم أولادهم وبناتهم وبذله من ماله الخاص لإنشاء المؤسسات التعليمية والتثقيفية من أجل تهيئة الظروف وتوفير الفرص للمحتاجين وتشجيع الجميع على الانخراط في مضمار التعليم، ومع أن أول مدرّس على حساب وزارة المعارف لم يصل إلى المنطقة إلا بُعيد وصول الأمير عبدالرحمن إلى المنطقة بأقل من سنة حيث بدأ التعليم النظامي هناك بداية متواضعة سنة ١٣٦٣هـ (١٩٤٣م)، إلا أن المنطقة قطعت شأواً بعيداً في هذا المجال ووصل عدد الطلاب فيها إلى أرقام قياسية، وافتتح فيها العديد من المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية للبنين والبنات، وصارت تعم كل أنحاء المنطقة، بما في ذلك القرى والهجر، ومن هنا أيضاً كان حرصه على تأسيس دار الجوف للعلوم التي شُيّد بناؤها على مدخل مدينة سكاكا، وهي تضم مكتبة تحتوي على الآلاف من الكتب والمراجع والدوريات، كما افتتح رياض ومدارس الرحمانية للبنين والبنات من أجل تشجيع العلم وإتاحته للجميع، وتضم مكتبة دار الجوف للعلوم كل ما هو متوفر من مراجع عن جغرافية المنطقة وتاريخها، وما كتبه عنها الرحالة والمستشرقون وعلماء الآثار.

وحرصاً منه على توثيق كل ما يتعلق بتاريخ المنطقة وشمال الجزيرة قديماً وحديثاً قامت مؤسسته بنشر العديد من الدراسات عن طبيعة المنطقة وتاريخها وآثارها، علاوة على إصدار دورية ثقافية تحمل اسم (الجوبة) وأخرى مختصة في

الآثار تحمل اسم (أدوماتو)، وهو الاسم القديم لدومة الجندل، ولم يكتف بذلك بل إنه هو نفسه أسهم في تأليف كتابٍ عن تاريخ المنطقة عَنْوَنَه (الجوف: وادي النفاخ) حيث كان أهالي نجد وشمال الجزيرة قديماً يسمون الجوف وادي النفاخ لشدة كرم أهله وكثرة ما يقدمونه لضيوفهم من الطعام الدي ينفخ بطونهم.

ويتميز تعامله مع أهل المنطقة في رفع الكلفة وإزالة كل الحواجز بينه وبين الناس كافة، صغيرهم وكبيرهم، غنيّهم وفقيرهم، وذلك رغبة منه في التواصل مع الجميع والاحتكاك بهم من أجل تفقّد أحوالهم وبذل النصح لهم وإرشادهم لما فيه خيرهم، ومساعدتهم على مواكبة المستجدات والتكيّف مع التغيرات الاجتماعية والاقتصادية، وكان في سلوكه وشخصيته نموذجاً يحتذى ومثالاً يقتدى به في رزانته ورصانته وهدوء طبعه وحبه للخير، وكان دائماً يأخذ الأمور من جانب العطف واللين والشفقة وبالتي هي أحسن، يصف أحد الشعراء تعامله الودي مع الأهالي في قوله:

مبدا التواضع والتفاني مباديك   على العلا ممشاك في فهم وادراك
في منهجك للخير هاديك واليك   ولا غرّتك في زود الانعام دنياك
طبع المروّه والوفا ورث اهاليك   ياقدوة اهل الجوف في صايب ارياك

ويقول عبدالله محمد الغميز:

نبكيك من لطفك وكثرة حسانيك   تصفح عن الجاهل وتدمح زللها
يبكيك مظلوم يبى الحق يبكيك   يرجيك فكّة نشبته من عضلها
تسمع كلامٍ منه ياخذ ويعطيك   حتّى تفهّم زلّته وتْعَدِلها
السيرة الحسنه مْزِج دمها فيك   تهيأت لك لين دمك قبلها
عفٍّ عفيفٍ متّزن في مماشيك   متمسّكٍ بحبال ربٍّ فتلها

ويقول صيّاح مناحي الوردة:

من جاه فَزّ وقام مثل الوزيرِ   يمد يمنىً واقف ما قصرها
كلٍّ حِفِظ قدره كبير وصغيرِ   ما هو من اللي ضْعوف شعبه حَقَرها
ياما عطى للشور من يستشيرِ   وياما هدى بالراي من يعتبرها

ويـامـا نـصـح بـالـزود راعـى البعيرِ   يـنـزل خـيـار الارض منبت شجرها
ويـــزرع بـهـا ويـحـط قـمـح وشعير   وتـنـبـت غـــلال وكـل عـــامٍ بـذرهـا
ويــحــط بـــالاركـــان بـيـرٍ غـزيـرِ   ويـسقـي فـيـاضٍ دوم يـاكـل ثـمـرها
وعَمَـر وحـط الحوش ما له خشيرِ   ويـذكـر سـنـيـنٍ مـاضـيـاتٍ صبرها

وحينما نتحدث عن البذل والعطاء نجده كريماً سخياً لا يرد محتاجاً ولا يتوانى عن مساعدة من هو في حاجة للمساعدة، يعمل الخير لوجه الله ولذات الخير وليس للتباهي ولا لنيل المدح والتبجيل، ولشدة كرمه وطيب معشره لُقّب "**عشير ضيفه**"، لكنه مع جوده وكرمه كان شديد الحرص ألا يبدو عليه البذخ والإسراف حرصاً منه على تعويد الأهالي على الترشيد في الاستهلاك والاقتصاد في الانفاق وعدم التبذير والابتعاد عن التهوّر والتباهي المفرط والمحافظة على الموارد والثروات، وقد ألمح الأمير إلى طريقة تعامله مع أهالي المنطقة وسياسته معهم وأسلوبه في تصريف شؤونهم في قصيدة له منها قوله:

أرّثـــت بـالـجـوف غـــرس ودار   ولا تـــشـــبّـــثـــت بـــتْـــجـــاره
تـــجـــارتـــي صـحـبـة الاخـــيـــار   هـــذا هـــوى الـقـلـب وشْـعـاره
نـــبـــذل ولا نـــبـــدي الاعـــــذار   فـــي ســاعــة الــكـــود صـبّـــاره
مـــا اقـــول قـــولٍ وهـــو مـــا صـار   الـــلـــي مـضـى تـكـفـي اخـبـاره

وقد برزت هذه العلاقة الودية الحميمة بينه وأهالي منطقة الجوف في الأشعار المتبادلة بينه وبينهم، فهو حينما تضطره الظروف للسفر والابتعاد عن المنطقة، يشتاق لهم ويخاطبهم كما يخاطب أهله وأولاده وإخوانه.

وقد شخّص هذه العلاقة ولخّصها الدكتور أحمد اللهيب في قوله: "**الذي لم أقرأه حسب اطلاعي المحدود في الشعر الشعبي إلا لهذا الأمير هو الناحية السياسية الاجتماعية بينه وبين رعيته وهي المجتمع الذي هو أمير عليه، فهو يشكو من ألم فراق ذلك البلد وأهله إذا سافر عنهم ويرسل لهم القصائد العاطفية كأنما يرسل لأبنائه ولا يخص أحدا دون أحد... ويجيبونه بالمثل، فأهل الجوف في مساجلات شعرية ودية مع أميرهم... في حين أن كثيراً من البلدان مشغولون**

بالمساجلات الخلافية... والحق يقال أن هذه الناحية السياسية الهامة فريدة جداً... وهي فعالة ناجحة استطاع الأمير من خلالها أن ينتقل من قصر الإمارة ولغتها إلى عطف الأبوة وشفقتها".

استمع إليه يخاطب أهل الجوف في قصيدة بعثها لهم مع سعد اللحاوي حينما كان في رحلة علاجية إلى أمريكا:

يـالـلـي تـحـضّـرت للمسير أوصـيـك لـى جـاك نـشّـادي
من صوب عذفا[1] وصوب الشِّير[2] إلـى أسفـل طْـريـف[3] والـوادي[4]
وْمِـن حد تيـمـا[5] وحـد صْـويـر[6] سـلّـم عـلـى هـاك الاجـوادِي
الـلـي لُـهـم فـي دْروب الخير مَـسـنَـد وْمـصْـدَر وْمـيـرادِي

وقد رد العديد من شعراء الجوف على هذه القصيدة ومن ضمنهم خلف العواجي الذي قال قصيدة منها هذه الأبيات:

الـكـل يـحـمـل لـك الـتـقـديـر شِـيّـابـنـا هـم والاولادِي
حـيـثـك بْـحـالاتـنـا بـصـيـر وْمـن شـان مـصلـوحـنـا إتْـفـادي
وْحـيـثـك الْـيـا خـنّـقـت بـالـبـيـر[7] وصـارت جـمـاعـات وافـرادِي
أوغَـدَا بـهـا شـايـرٍ ومْـشـيـر[8] يـصـيـر شُـورك هـو الـبـادي
لْـكِـلّ ظـرفٍ مـعـك تـدبـيـر إبـنٍ حـلـيـمٍ وبُـولادِي

وقد شكّل النهج التطوّري والتوجّهات التنموية للمنطقة مواضيع شعرية جديدة لم تكن مطروقة من قبل في شعر المديح، بلورها شعراء الجوف وطوّروها على شكل "موتيفات وثيمات" طعّموا بها قصائد المدح الموجهة للأمير عبدالرحمن يبيّنون فيها

---

(١) عذفا: مورد مياه في منطقة اللبه في شرق جنوب منطقة الجوف.
(٢) الشير: من سهول منطقة الصحن الواقعة شمال شرق الدويد.
(٣) طريف: بلدة طريف.
(٤) الوادي: وادي السرحان.
(٥) تيما: مدينة تيماء.
(٦) صوير: إحدى واحات الجوف الزراعية تقع شرق مدينة سكاكا
(٧) خنقت بالبير: تأزمت الأمور.
(٨) شاير وامشير: كثرت الآراء

ما يبذله من جهود استثنائية في سبيل تطوير المنطقة للّحاق بركب الحضارة والتنمية الشاملة المتكاملة، وفي هذه القصائد لا يكتفي الشعراء بمواضيع المدح التقليدية مثل الكرم والشجاعة، بل أضافوا لذلك تعداد المشاريع التنموية والتطويرية التي حظيت بها منطقة الجوف بقيادة الأمير عبدالرحمن، وهذا من المواضيع الجديدة التي دخلت في نسيج الشعر النبطي، يقول عيد ملفي القوس العتيبي:

خلّيت صحرا الجوف جنّات وزهور　وتقدّمت صوب البنا والحضاره
بجهودكم يامير والسعي مشكور　واصل مسيرتها بحسن الاداره
علّى مبانيها وشيّد لها قْصور　وصلت الى القمّه وزاد ازدهاره

ويقول ندا نمش المطيري مشيداً بالمشاريع الزراعية والعمرانية التي حوّلت منطقة الجوف من صحراء إلى جنّة غناء من المزارع والمباني، ويبيّن كيف استبدل المزارعون طرقهم القديمة في رَيّ حقولهم بواسطة السانية بالمضخات والمكائن الحديثة، أما البدو فقد استقروا وأسسوا مشاريع تجارية من بناء مضخات البنزين حتى فتح الدكاكين:

كلٍّ يجي يم ابو فيصل لعنوانه　اللي ذِكَر خوّتِه ما هوب ناسيها
الجوف كد كوّنوه وزانت اوطانه　الله يعز البلد ويعز راعيها
ديرة سكاكا تفوز وتشكر احسانه　خمسينٍ سنينها ياخذ ويعطيها
من يوم جاها وهي ترقص وفرحانه　تشدي هنوفٍ تزيّن عند غاليها
جاهاالسديريوهيصحراوعطشانه　وحط المزارع وطوّل في مبانيها
البدو حطت لها شيشه ودكّانه　والحضر عقب السنا خلّت سوانيها
واليوم عنده جميع الناس شبعانه　اللي بوسط البلد واللي حواليها

ويقول محمد بن منوّخ بن دعيجا الشراري يمدح عبدالرحمن السديري بمشاركته أهل المنطقة معاناتهم في السنين العجاف، ثم يشيد بسداد رأيه وحنكته الإدارية التي ساعدت في تطوير المنطقة وتحديث مرافقها وجلب المشاريع التنموية لها، ثم يختتم بتبيان حرصه على النظر في شؤون الرعيّة والسهر على راحتهم:

الخير معكم يابو فيصل عهدناه　بالمنطقه شواهده تفتخر بيه
عانيت معنا يوم فيها معاناه　وشاركتنا صلف المعيشه وقاسيه
وامضيت معنا مطلع العمر وصباه　شمعه ورا شمعه على الدرب تضويه
وجّهتنا يوم ارتبك راينا وتاه　والباديه منا جهلها سطى فيه
روّضت منّا راعي الذود والشاه　واستبدل الرجال غرسٍ يسقّيه
وتواصلت صحراه بالمدن وقراه　من فوقي الوادي ليا هْديب حَدْريه
خير الحكومه عمّنا وانت ترعاه　ولْيا سعيت بخير كنّك مسوّيه
ياميرنا ياصاحب الجود والجاه　يامكرم اللافي وياعز عانيه
يامن شكى منه آخر الليل مركاه　ثابت بمجلاسه ويلقاه ناصيه

ويقول صيّاح مناحي الورده الشراري متحدّثاً عن مشاريع الكهرباء وسفلتة الطرق وتوسعتها:

كل الهجر في مرتع الصيد غطّاه　غطّاه بالكهرب ظياها مواليع
وعمّر بلادٍ زاد فيها قراياه　وكل الشوارع نظّموها بتوسيع
وبنى قصور بالحجر زان مبناه　بطرقٍ علَمهن يوم وجهه مع الريع
كم واحد يزرع على الارض واسقاه　ويثمر بقاعٍ طوّع الارض تطويع
ياما وقف مع جانب الشعب واهداه　وعطى الجوايز والشهادات توزيع

وحينما يتحدث عبدالرحمن السديري عن الجوف وأهلها ويخاطبهم في أشعاره لا يتحدث على أنه مسؤول تنتهي إقامته فيها وعلاقته بها بمجرد أن تنتهي مهمته، بل إنه يتحدث عنها ويخاطب أهلها كما لو كان واحداً منهم، وكما لو أن الجوف ديرته وبلده، وكما لو أنه ولد وترعرع فيها كواحد من أبنائها، نبت في أرضها وتغذى من تربتها كما تتغذى أشجارها ونخيلها المغروسة فيها، إنه يحبها ويشتاق إليها كما يحب أي إنسان بلده وأهله، حتى إن الأشعار التي قالها الأمير عبدالرحمن في الجوف قد تفوق ما قاله فيها أهلها الأصليون، استمع إليه يخاطب هتّاش بن شريّان بن رمال موضحاً أن قربه من الجوف وأهله بالنسبة له نعيم وإن بعدهم ضيق لا يطاق، ثم يتمنى لها السقيا ليعمها الخصب والخير والنماء:

هيه ياللي نوِّيتوا على المِطراش[1] خـبّـروني عـن الـــدّرب وادلّـــه
جِسمي اللي على شُوفكم معتاش إن رحلـتـوا تـبـيّـن عـلـيّ خِـلّـه

عـنـدكم كـن لـي بـالـنعيم فْـراش اوبـعـدكم صـالـي الـنـار والـمَـلّـه[2]
خـبـروني عـن الـدار يـا هـتّـاش[3] وارفـعــوا لـي صـدا صـوتـكم كلّه
جِعِّل وبل الحيا لى نِشَا واهتاش يسقي الجوف من بيط[4] لمظلّه[5]
انحدر واعترض للجنوب اوناش[6] مـن وديـعـه[7] جـنـوبٍ ظِـفـا ظلّه
سيِّل الأرض واخطر على الادباش بـأوّل الـوسـم[8] واتـلاه يَـتْـلِـنْ لَـه[9]
شُـمَّـخ الـمِـزن تنـثـر عـليـه ارْشـاش كل مـا أقـفـى ثـراه الـمطر عـلـه[10]
ربّعتواخصبتوالجلوب[11]إتحاش[12] كـل حـيٍّ بـغـا حـي يـفـطـن لـه[13]
دارنـا حـبـهـا مـن صـمـيـم الجاش مـن نـساهـا عـسـى الـنـار مـثـوىً له

ويخاطب قادي بن صحن الظلماوي[14] طالباً منه أن ينقل سلامه لأهل الجوف، بدوهم وحضرهم، ويمتدحهم في البيت الأخير بالوفاء، وبكرمهم وحفاوتهم بالضيوف:

مـا تُـوصِـل الـقـول يـاقـادي لـلـدار والـلـي سِـكَـن فيها
جـمِـلَـة هـل الـجـوف والـوادي[15] لـلـحـضـر والـبـدو تـهـديـهـا
بـلّـغ سـلامـي بـلا عْـدادي حـاذور لـيّـاك تِـخـفـيـهـا
دارٍ ورا الـعِـرق[16] مـن غـادِي لـو غـبـت مـا نـيـب نـاسـيـهـا

(١) المطراش: السفر. (٢) الملة: الجمر.
(٣) هتاش: هتاش بن شريان بن رمال من كبار فرقة الكلاب من الرمال من شمر.
(٤) بيط: مورد ماء جنوب شرق وادي نيان في منطقة العسافية.
(٥) مظله: إحدى شعب وادي تبل بالقرب من لاهه.
(٦) ناش: وصل. (٧) وديعة: منطقة الوديعة في الجنوب.
(٨) الوسم: اسم الأمطار التي تأتي بعد أربعين يوماً بعد دخول الخريف.
(٩) يتلنله: تتبعه. (١٠) علّه: جدد ثراه.
(١١) الجلوب: ما يجلب للبيع في السوق. (١٢) اتحاش: تجمع.
(١٣) يفطن له: ينتبه له.
(١٤) قادي بن صحن الظلماوي من فرقة الشلقان من قبيلة شمر. كان سائقاً للأمير عبدالرحمن، ومن رفاقه في الأسفار الطويلة.
(١٥) الوادي: وادي السرحان. (١٦) العرق: النفوذ.

دارٍ بـهـا الـجـود واجـودادي غـيـر الـوفـا الـضِّيـف يغليهاّ

ومثل ذلك قوله يدعو للجوف بالسقيا ويبيّن حرصه على تتبع أخبارها حينما يكون بعيداً عنها:

الـدار عـنـهـا الـعـلـوم شْحـاح وانـا حـريـصٍ عـلـى الاخـبـار
عـلـمـي بـهـا والـمـطـر مـا طـاح عـامـيـن مـا طـاح فـيـهـا امـطـار
الـلـه كـريـمٍ وانـا مـلـحـاح يـنـعـم عـلـى ديـرة الاخـيـار
الـحـضـر والـبـدو والـفـلاح الـجـود فـيـهـم وْمـنـهـم صـار

ومهما دققت وتمعنت وأجلت النظر في قصائد الأمير عبدالرحمن فلن تجد فيها ما يتمناه لنفسه، فهو لا يريد شيئاً لذاته، كل أمانيه وآماله وطموحاته تنصب على المنطقة وأهل المنطقة، ما فيه خيرهم وازدهارهم وراحتهم وسعادتهم.

ومن استقرائي لديوانه (القصائد) تأكد لي أن القصائد التي قالها في الجوف وأهل الجوف تفوق كثيراً في كمّيتها تلك التي قالها في الغاط وأهل الغاط وعائلة السدارى، وفي ديوانه فصل كامل عنوانه "الجوفيات" يحتوي على كمّ لا بأس به من القصائد التي قيلت في الجوف وأهل الجوف، وهل من دليل أقوى من ذلك على تعلّقه بالمنطقة التي انتُدب ليكون أميراً عليها، فتماهى فيها وتشرّب حبها كأحد أبنائها، واندمج مع أهلها وامتزجت مشاعره ومشاعرهم حتى أصبح واحداً منهم.

وللأمير قصيدة طويلة عصماء تبلغ ستاً وثلاثين بيتاً قالها بعد أن أمضى تسعاً وثلاثين سنة في إمارة الجوف، القصيدة أشبه بالسيرة الذاتية، يتحدث فيها عن منطقة الجوف وحبه لها ولأهلها وعن حياته فيها وتفانيه في السهر على رعاية مصالحها، ثم يعرّج على الحديث عن سياسته في الإمارة وأسلوبه في التعامل مع الآخرين بالرفق واللين وحب الخير والحرص على أداء مهامه على أكمل وجه، ويتعرض في القصيدة إلى الدكة التي سبق لنا الحديث عنها، وعن ابن سعران الذي كان من مهامه القيام على شؤون الدكة والاعتناء بالضيوف الوافدين عليها وإكرامهم، ويقول إنه بنى دكته خارج القصر وعلى جانب السوق حتى لا يتهيّب

الغريب ولا يتردد الضيف في المجيء إليها، ليستقبله الأمير بكل بشاشة وترحاب ويقضي حاجته، وهذه بعض أبيات من هذه القصيدة الجزلة:

عاصرت دارٍ[1] جعلها وبل سحّاب خصّيتها مما إبنفسي ازياده
أمضيت فيها لذّة العمر بحْساب تسع اوثلاثينٍ حسبت امتداده[2]

بذلت فيها ما استطيعه وانا شاب واليوم اشوف الشيب غطّى سواده
والحمد لله شبت والجاه ما عاب من عاب جاهه ما تسرّه عَضاده
سعيت واستقصيت تقدير واحساب وكظمت[3] وادركت الحيا والجلاده

نطلب دْروب الخير لو دونها حْجاب النفس والشيطان صعبٍ اجْهاده

ولي دكّةٍ[4] ما صرّ[5] من دونها باب بنيتها في جانب السوق راده
أبي اليا جا هاشل[6] الليل ما هاب يلقى بها مما يودّه امراده

وْيلقى بها من خيرة الربع شبّاب[7] قرمٍ يحظ الضيف رغبه وْعاده
يلقون ابن سعران بالضيف مِرْحاب من غير طيب النفس جود وْرِكاده
ويلقى بها العمسان[8] من كيف شرّاب بنٍّ يجينا في مواسم حصاده

ويلقى بها الوافد من الرزق ما طاب ميسورنا ميسور عجلٍ نفاده
نفرح اليا منّه لِفا الدار نبّاب[9] نِعطيه حق الله وحق الوفاده

---

(١) المقصود الجوف.

(٢) تولى عبدالرحمن السديري إمارة الجوف سنة ١٣٦٢هـ.

(٣) كظمت: صبرت وتحملت.

(٤) دكة: مجلس مرتفع عن الأرض يكون عادة مكشوفاً في الهواء الطلق.

(٥) وفي رواية: ما صار. (٦) هاشل الليل: ضيف الليل.

(٧) شباب: من يتولى تحضير القهوة.

(٨) العمسان: المتعب الذي اعتاد شرب القهوة. (٩) نباب: الضيف.

وعلى هذا المنوال له قصيدة تزيد عن سبعين بيتاً، يسخر فيها من الذين يعاتبونه على جوده وسخائه، ويشيرون عليه بالكف عن البذل والحفاظ على ثروته وادّخارها لنفسه وقت الحاجة حين المشيب، وفي القصيدة يتحاور مع نفسه التي، على عكس أولئك العذال، تحثه على السير في دروب الخير والابتعاد عن مسالك الريبة وما يجلب الملامة، ثم يسرد أبياتاً من الحكمة تعكس شخصيته وتجربته الثرية في الحياة ونظرته العميقة للأمور التي جعلت منه شخصاً محنّكاً عارفاً بطبائع الناس وشؤون الدنيا وحالاتها المتقلبة، وفي البيت السادس وما بعده يبيّن أن الإمكانات المادية والمكانة الاجتماعية مع الرجل البخيل والجبان لا فائدة منها وليست ناجعة، فهي أشبه بالرمح الذي كلّت حربته بحيث لا يفيد وطعنته لا تصيب مقتلاً من العدو، والشخصية القيادية، لكي تكون مؤثرة، تلزمها مؤهلات منها الكرم والشجاعة والرأي الراجح والدهاء وعلو الهمة والجد في العمل والاستقامة والنزاهة التي تصون العرض والسمعة الطيبة، لتبقى الصورة ناصعة في أعين الناس، ونختار من القصيدة هذه الأبيات الجميلة:

وأشوف لي ناسٍ وهو من غَشَمها　　تصدّني عن نيّة الخير والطيب
تقول جمّعها او جوِّد احْزَمْها　　دنياك لا تامن خطرها ولا الشيب
احرص عليها والفُرَص من غَنَمْها　　يحوش بالدنيا جميع المطاليب

نفسي اتعاتبني وهو من كرمها　　تقول حذراك انتبه ماقف الريب

ترى العفون[1] عفون لو تحترمها　　ما يصلحون اضيوف ولا معازيب[2]
أقل ما سنّ الرماح ودِجَمها[3]　　دِجْمٍ مع الانذال فيهن حراديب[4]

ولا كل من سيّر اجموعٍ حكمها　　تطلع عليه الشمس عقب المغاريب
ولا كل من خاصم خصومه خصمها　　عصمات[5] الاريا عند حصن المطاليب

---

(١) العفون: جمع عفن وهو الرديء من الرجال.
(٢) معازيب: مضيّفون.
(٣) دجمها: ابطل مفعولها.
(٤) حراديب: ثلوم.
(٥) عصمات الاريا: الآراء السديدة.

ولا كل من يـزرع زروعٍ صرمها ومن فضّل الراحه تهيّب ولا هيب
ولا كل من حاول اعقودٍ نظمها وعلمٍ بلا عقلٍ دمارٍ بلا ريب
أدنات ما قَطّ البيوت وهدمها ومن لا يصون الدار يظهر بها العيب
عيني تقل دلوٍ تبتّت وِذَمْها[1] وقلبي كما الفطبول[2] بين اللواعيب

وترى الرجال فعولها من اهْمَمْها وكل الدروب الى المراجل ظنابيب[3]
من جاد ساد ومن تدانى حرمها ومن لا بنى مجده عَدَته المواجيب

لأتوقف هنا، وألفت انتباه القارئ إلى أن مكانة عبدالرحمن السديري وقيمته وقدره تستند أولاً وقبل كل شيء إلى موقعه كرجل دولة وشخصية اجتماعية وقيادية لها وزنها، وليس الشعر بالنسبة له إلا مجرد عنصر مكمل وأداة من ضمن أدوات أخرى، يلجأ لها ويوظفها لإنجاح بعض المقاصد وتوثيق بعض الأحداث وإيصال الرسائل وبث الآراء والقناعات، فهو لا يقول القصيدة ليطفئ جذوة الإبداع ولا ليحقق الشهرة ويحفر اسمه في عالم الشعر ضمن قائمة الشعراء، فليس هذا هدفه من قول الشعر، من هذا المنطلق جاء اهتمامه بالفحوى والمضمون على حساب الشكل والصورة الفنية، فأنت لا تلاحظ في قصائده التقيّد الصارم بالعمود الشعري التقليدي والاستهلالات الشعرية التقليدية من غزل وإركاب وبكاء على الأطلال، كما أنه لا يهتم كثيراً بالمحسّنات البديعية ورسم الصور التخيلية والاستطرادات والأسلوب التراكمي، لكنه حريص في اختيار المفردة، وفي نحت العبارة المعبّرة التي توصل الفكرة وتخدم المضمون وتعبر عنه بشكل واضح، لأن رسالته الشعرية رسالة سياسية واجتماعية قبل أن تكون رسالة فنية.

هذا التركيز على الفحوى والمضمون أعطى لإنتاجه الشعري قيمة تاريخية توثيقية وجعل منه رصداً للمحطات المهمة في سيرة حياته ومسيرته المهنية، كما لاحظناه في المختارات التي تطرقنا لها أعلاه، لذا جاء شعره صورة وسجلاً للطموحات والصعوبات التي واجهها في حياته العملية والمهام التي تقلّب فيها والإنجازات التي تحققت على يديه، كل ذلك يعطي إنتاجه الشعري قيمة مستديمة

(١) وذمها: مربط الدلو بالحبل. (٢) الفطبول: كرة القدم. (٣) ظنابيب: ضيقة.

مستقرة لا تخضع للأهواء الشخصية ولا لتقلبات الأذواق ولا تبدل الأمزجة من عصر إلى آخر، فمهما كانت ميولك الفنية ومهما كان ذوقك الشخصي فإنك حينما تقرأ هذا النوع من الشعر ستجد فيه على الأقل ما يفيد إن لم تجد فيه ما يروق لك، ستجد إنساناً يحاول من خلال الشعر أن يرسم خطاً بيانياً لنجاحاته وإخفاقاته وتطلعاته وعلاقاته ونظراته في شؤون الحياة وطبائع البشر، ستجد فيه توثيقاً لمرحلة من مراحل تاريخ هذه البلاد من خلال حياة هذا الإنسان، ولهذا السبب لم يكن من الممكن تناول شعره دون الحديث في الوقت نفسه عن حياته وسيرته الذاتية.

هذا يجعل من الصعب تحديد المدرسة التي ينتمي لها شعره. فهو ليس شاعراً محترفاً يهجو ويمدح، وهو ليس من شعراء اللهو الرومانسيين والوجدانيين الحالمين، وإذا كان لا بد من تصنيف عبدالرحمن السديري، فإن أقرب مدرسة يمكن أن ينتمي إليها شعره هي المدرسة الواقعية الذاتية، وانتماؤه للمدرسة الواقعية لا يحدد مواضيع شعره بقدر ما يحدد طريقته في الطرح وأسلوبه في تناول المواضيع الشعرية، مهما كانت هذه المواضيع، ويعد إنتاجه الشعري غزيراً بمقاييس الشعر النبطي، فديوانه المطبوع (القصائد) بلغ عدد صفحاته (٣٤٩) صفحة تطرق فيه للعديد من مواضيع الشعر وبمختلف الأوزان، من الهلالي إلى المسحوب، إلى مختلف طروق الهجيني وشيلات الطار والمنكوس والسامريات والعرضات، ومع ذلك يبقى الطابع الغالب على شعره هو طابع الحكمة الذي تنضح به معظم قصائده، خصوصاً المراثي والوجدانيات، لكنه لا يتجشم الطريق إلى الحكمة كما يفعل شعراء الحكمة، لأن الحكمة عنده تأتي عفو الخاطر وعصارة تجربة ومعايشة حقيقية لمهام عظام وأحداث جسام، فحياته كلها جد وكد وعمل متواصل، لذا عرف النجاح والفشل وخَبَر الطرق المؤدية إلى كُلٍّ وبيّنها في شعره، حكمته حكمة الشيوخ الذين عركتهم التجارب وضرّستهم الحياة بحلوها ومرها ومباهجها ومآسيها، لقد عرف المرض العضال وجرّب موت الأشقاء وفراق الأحبة ومآسي الحياة الأخرى ومنغّصات العيش التي تذكرنا بضعف الإنسان، لكن الإنسان الطموح صاحب الهمة العالية لا يتخذ من هذه الصعوبات والمآسي عذراً للتقاعس والتخاذل عن أداء الواجب والسعي المشروع.

لا أقصد أن شعره شعر خطب ومواعظ، ولا أقصد أنه شعر جاف يصدّك عن قراءته والتمعّن فيه، بل إنه، بالرغم من واقعيته وحكمته وجدية محتواه، شعر عذب الألفاظ سلس العبارة رقيق الحواشي تطربك أوزانه وقوافيه، وأثناء قراءتي لديوان (القصائد) توقفت كثيراً عند بعض المقاطع الجميلة التي تتضح شاعرية وتسيل عذوبة ورقة، مثل قوله في هذه الصورة البديعة لجمال الطبيعة ومباهج الربيع:

سلامٍ احلى من حليب المصاعيد[١]	**في خايعٍ[٢] ماسوم[٣] وارضه مْجِدّه[٤]**
يشبع به الحاشي[٥] وسيله تراديد	**اوعشبه دماج[٦] وزايد البَرْد ضَدّه**
بين السُمار[٧] وبين حزم الجلاميد[٨]	**جنوبه الامحاص[٩] لاهه[١٠] تحدّه**
نباته الروثه[١١] وسكّانه الصيد	**تلقى الوحوش[١٢] بجانبه مستهدّه**
يلقى به القنّاص شِرْد وملابيد[١٣]	**وْيلقى به المشطون[١٤] هاللي يودّه**
يسلي به الناظر لْيا طالع البيد	**ارضَه سِماح او سهلته مجرهدّه[١٥]**
عذبٍ هواه وْمثّلوه القواصيد[١٦]	**من طاب له طايب تهيّض وعدّه[١٧]**

ولا أعذب من قصيدة له يخاطب فيها حفيده ماجد، جاءت قافيتها على حرف الجيم المجلجلة بالإيقاع والموسيقى الصاخبة العذبة التي تعبر عن القلق واضطراب المشاعر:

وراك يا ماجد تهضّم ومزعوج	**كدّر مِزاجي من تكدّر مزاجه**
يبكي ويرغمني على دْروبه العوج	**له حاجةٍ وانا ثمانين حاجه**

(١) المصاعيد: الناقة التي تفقد جنينها. (٢) خايع: ارض خصبة
(٣) ماسوم: جاءه مطر الوسم. (٤) مجده: عشبها جديد.
(٥) الحاشي: الصغير من الإبل. (٦) دماج: رهيف.
(٧) السمار: المقصود الحرة (قديماً تعرف باسم الحرة الرجلاء) الواقعة بين وادي السرحان ومنطقة الحماد.
(٨) حزم الجلاميد: موقع بمنطقة الحماد بين عرعر وطريف. (٩) الأمحاص: موقع بمنطقة الحماد.
(١٠) لاهه: موقع بمنطقة الحماد. (١١) الروثة: نبات تعشقه الإبل.
(١٢) الوحوش: الصقور.
(١٣) شرد وملابيد: الحبارى، الشرد: الحبارى المتفرقة، والملابيد: الحبارى المختبئة.
(١٤) المشطون: المشتاق، من به لهفة. (١٥) سهلته مجرهده: أرض منبسطة.
(١٦) مثلوه القواصيد: تغنى به الشعراء. (١٧) عدّه: وصفه.

الطفل لا فالج[1] ولا هوب مفلوج   عياه[2] واجد مار يصعب عْلاجه
ذكّر علي اتراح وافراح ومروج   جنات وانعامٍ عذيٍّ مداجه[3]
لكن[4] قلبي بين الاضلاع مزروج   بمشلشلٍ[5] ولّع ابكبدي سْراجه
ظليت اهظم الغيظ وخفيه والوج   لولاه هيّظني ابكثر اللجاجه

ومن القوافي التي يطرب لها "الشيّالة" وعازفوا الربابة قافية العجز من قوله في إحدى قصائده الطوال:

عنق المهاة اللي ذعرها التصاويت   تحيّلت بك حيلةٍ وادركَتْها

يوم التقيت ابغايتك عقب ما أشفيت   وراك ما بـرّدت كبدٍ كُوَتها
وراك من خِشف[6] المها ما تقاضيت   ترى الفْرَص مثل السحاب اعْجَلَتها

وانت الذي في طورق[7] الغي لك صيت[8]   مثلك يعرف أسرارها وحْرِكَتها

ومن القوافي والأوزان الصعبة والجميلة معاً والتي تدل على قدرة الشاعر في تسخير القوافي واعتساف الأوزان لو أراد ذلك، قوله في قصيدة وجّهها لعلي بن عبدالمحسن الشايع[9]:

ياعلي قلبي تصدّع من عْلوّه   آه واويلاه من كِثر البلاوي
ضربةٍ حصّلتها بالراس قوه   عقبها[10] قلبي تفلّت به عراوي[11]
كلما عزّيت قلبي زاد سُوّه   ارتبك واهْتز من أمرٍ سماوي[12]

---

(١) فالج: غالب أو منتصر.   (٢) عياه: شكواه.
(٣) عذي مداجه: يحلو فيها المشي والفسحة.   (٤) لكن: كأن.
(٥) إمشلشل: الرمح.
(٦) خشف: الغزال الصغير.   (٧) طورق: مجال.
(٨) صيت: شهرة.
(٩) علي بن عبدالمحسن الشايع: من الدواسر من أهل الزلفى عمل بإمارة الجوف منذ مجيء الأمير تركي السديري عام ١٣٤٦هـ. وكان يمضي الكثير من وقته مع الأمير.
(١٠) عقبها: بعد حدوثها.
(١١) عراوي: ما يعلّق به الشيء ليمنعه من السقوط.   (١٢) سماوي: قضاء وقدر.

وعلى نفس الوزن أيضاً هذه القصيدة يخاطب بها الشاعر المعروف نمر بن صنت العتيبي التي نلاحظ فيها صعوبة القافية، خصوصاً الشطر الأول المقفّى على حرفي الراء والزاء:

لو بغيت النوم عن عيني تبرّز[١]   ما يطيق النوم من فكره يهزّه

او لا يعوضك بالشرف ثوبٍ امطرّز   من تهاون بالشرف بالعمر عَزِّه
اولا تْسَدّ الريع[٢] بجلود اتْخَرّز   والهيار[٣] ادنات[٤] ما شاله اودزّه[٥]

ما يصيب الرمح والقنطار ما نرَز[٦]   واحذر الرمح الردي لا لا تهزه

وله مساجلات أخرى مع الشاعر العاطفي نمر بن صنت العتيبي المعروف بأوزانه وقوافيه المتميزة التي قلما يستطيع الشعراء الآخرون مجاراته فيها، ومن هذه المساجلات قصيدة على وزن "المنكوس" مطلعها:

عَن نِمِر ما عاد نسمع ولا نقْرا جواب   وش علامك يارفيقٍ تَعَرف الموجبات
يذكرونك يافتى الجود مع تلع الرقاب[٧]   دلّهنّك واشغلنّك مفاتين البنات

وإضافة إلى مساجلاته مع نمر بن صنت، كان له العديد من المساجلات والمراسلات مع شعراء بارزين، منهم إخوانه، وخصوصاً أخاه المرحوم محمد الأحمد، ومن الشعراء الذين كانت له معهم وقفات المرحوم مرشد البذّال وعبدالرحمن العطاوي وعبدالله بن عون، إضافة إلى العديد من الشعراء الآخرين الذين كانوا في معيّته مثل ناصر بن بليهيد، وغالباً ما تعتمد هذه المساجلات الشعرية على التعجيز والتحدي وامتحان القدرات الشعرية، خصوصاً فيما يتعلق بصعوبة الوزن والقافية والتلغيز واستغلاق المعاني والمضامين، وهي أمور لا يقدم

---

(١) تبرز: ابتعد.
(٢) الريع: الممر بين الجبال.
(٣) الهيار: البناء القابل للانهيار.
(٤) أدنات: أقل.
(٥) دزّه: رماه.
(٦) ما أنزر: غير مستقيم.
(٧) تلِّع الرقاب «جمع تلعاء»: طويلات الأعناق.

عليها إلا الفحول من الشعراء المتمكّنين من أدواتهم الفنية والذين يستطيعون مجاراة بعضهم البعض في هذه المباريات.

ومن المواضيع التي شغلت حيزاً لا بأس به في ديوان (القصائد) موضوع المرثيات، رثى الملوك والأمراء وإخوانه وأفراد أسرته، لكن القصيدة الأبلغ أثراً في النفس والأكثر ملامسة للمشاعر الإنسانية، والتي كان لها وقع خاص بالنسبة لي مرثيته في راشد بن صالح بن دماغ المرّي، أحد رجاله الذي سقط شهيد الواجب في مطاردة مثيرة لمهربي المخدرات شمال منطقة الجوف، كان الأمير عبدالرحمن يقود تلك المطاردة بنفسه وشاهد راشد يصاب ويسقط أمامه، وكان ذلك مشهداً مؤثراً وأليماً بالنسبة له فرثاه بأهزوجة على "طرق" الهجيني تذكرنا لغتها وصورها ووزنها وإيقاعها وجوها العام بتلك الأهازيج التي كان يتغنى بها الغزاة في عصر الفروسية والبطولات، حينما يعودون من غزواتهم القبلية ويرتجلون أهازيج يحدُون بها على ركائبهم ويشيدون بالبطولات التي حققوها في أرض المعركة ويترحمون على من سقط منهم دفاعاً عن رفاقه ويشيدون ببطولاتهم:

لو درينا بالقدر خيره وشرّه ... ما تركنا خصمنا يجهل[1] علينا
يوم صارت باوّل الهيّه[2] مغرّه ... ما ارهبتنا النار مع موتة حدينا
ابو صالح[3] عنده اللذات مِرّه ... والله إنا بالسلامه ما اهتنينا
الله اعطاه الشهاده له مبره ... واشهد انّا دون حقّه ما انثنينا
لو يشوف اللي جرى عقبه يسره ... واجبه خذناه غصبٍ في يدينا[4]

وبالمناسبة، فإن هذه الحادثة تلقي بمزيد من الضوء على جسامة المسؤوليات وخطورة المهام التي كان عليه أن يضطلع بها من واقع منصبه بوصفه أميراً

(١) يجهل: يتجرأ.
(٢) الهيه: المعركة.
(٣) ابو صالح: هو راشد بن صالح بن دماغ من فرقة الغفران من قبيلة آل مرة، قتل وهو في رفقة الشاعر في اشتباك مع فرقة من مهربي المخدرات في شمالي منطقة الجوف.
(٤) قتل أحد المهربين أثناء المطاردة والآخرين الذين قبض عليهم وعددهم ثلاثة جرت محاكمتهم وأقيم عليهم الحد بالرياض.

لمنطقة الجوف، التي كانت في بداية توليه لذلك المنصب منطقة حدودية نائية شاسعة الأطراف تمثل مرتعاً خصباً ومجالاً مفتوحاً لنشاطات المهربين والعصابات الخطيرة، التي كان عليه أن يستأصل شأفتها ويضع حداً لها، هذا عدا ما سبق ذكره من الفتن الداخلية والخلافات المستعصية على الحل التي كانت تعصف بالمنطقة وتمزّق نسيجها الاجتماعي وتعطل نموها الاقتصادي، ناهيك عما كانت تعاني منه المنطقة من آفات الجهل والتخلف والفقر، ولا أدل على نجاح الأمير عبدالرحمن في معالجة هذه القضايا وتعلق أهل المنطقة به وحبهم له من استمراره في منصبه لمدة خمسين عاماً، حتى لم يتخلّ عن موقعه إلا بعدما كبر سنه واضطر إلى التقاعد برغبة منه طلباً للراحة.

وقد نمى إلى علمي أنه قرض الشعر في صغره، ولعل أقدم ما عرف منه قصيدة "سمح ادروبي" التي أرسلها لأخيه محمد بعد تولي الأخير لإمارة الجوف بوقت قصير[(١)]، ويشير من عرفوه صغيراً، إلى أنه وأقرانه كانوا يتداولون الشعر كثيراً في مجالسهم، وقد عرف الشاعر في صباه بعض شعراء النبط[(٢)].

وبعد بضع سنوات من قدومه أميراً لمنطقة الجوف عُيّن أخوه محمد أميراً في عرعر القريبة من الجوف، وكان معهما عدد من الشعراء المعروفين بمن في ذلك ناصر بن بليهيد ومحمد الديري ونمر بن صنت وهزاع بن هزاع وغيرهم، ودار بين الأخوين والشعراء الآخرين في ذلك الوقت كثير من المساجلات الشعرية إلا أن جلها فقد ولم أجد إلا القليل منها[(٣)]، ويغلب على قصائد تلك الفترة مما عثرت

---

(١) قال الأمير إن أخاه الأمير محمداً أطلع أخاهم الأكبر عبدالعزيز على القصيدة فأرسل الأخير إلى عبدالرحمن مشيراً إلى القصيدة وممتدحاً إياها، فكتب له الشاعر قصيدة " المرقاب "، وقد فهمت من الأمير أن عبدالعزيز لم يعرف بقرضه للشعر حتى سماعة للقصيدة المرسلة لمحمد، وقد عين محمد أميراً للجوف في ١٣٥٨/١/١٥ هـ (١٩٣٨/٣/١٨ م) ومضمون قصيدة " سمح دروبي " وفحوى حديث الأمير يشيران إلى أنها كتبت في أول إمارة محمد في الجوف.

(٢) ذكر منهم الشاعر حنيف بن سعيدان من الصعران من مطير ومحمد بن صالح المنصور من بني ثور من سبيع، وذكر أحمد اليحيى حمود الحسن العضيدان وسليمان بن عبدالله الصعب من النواصر من تميم.

(٣) قيل إنه كان يودع ما يرد له من قصيد في ذلك الوقت لدى الشاعر ناصر بن بليهيد وبسؤال الأخير عما لديه ذكر أنه فقد الحقيبة التي كان يحفظ ما لديه من شعر فيها، ولذا لم يعثر من شعر تلك الحقبة إلا على ما كان محفوظاً في الذاكرة.

للتعريف بالشاعر ابن بليهيد، انظر هوامش الفصل السادس.

عليه طابع الوجدان ويظهر فيها بداية استعماله للرمز كما في قصيدة "الطير".

ومن خلال الاطلاع على ديوانه، دخل مرحلة من العطاء الشعري الغزير نسبياً، ومع بداية العقد السادس من العمر، وتزامن هذا مع بداية أسفاره العلاجية، ويغلب في شعر هذه المرحلة التأمل والنقد الاجتماعي والحكمة، وكثيره ذو نفَس طويل، كما كثرت في هذه المرحلة قصائده في الجوف وأهل الجوف وهو ما يطلق عليه اسم "الجوفيات"، وهنا أشير إلى جوانب من شعره أرى أنها مما يسعف في فهمه وتقويمه، فهو – كما سلف – لا يقرض الشعر من باب الحرفة أو الهواية العابرة أو رغبة التجربة، وهو بالنسبة إليه ليس مجرد وسيلة أو أداة من أدوات الإدارة بيد مسؤول يحسنها مثله، فقط، الشعر بالنسبة له مسألة خاصة جداً.

وهو رجل صبور وكتوم، ذو مقدرة كبيرة على التحكم في نفسه وإخفاء مشاعرها، وسواءً كانت هذه صفة جبل عليها أو كانت من الصفات التي تعلم إجادتها نتيجة لطبيعة عمله ومتطلباته، فمن الواضح أنها أصبحت سمة من سماته وأسلوب عمله وربما سبباً كبيراً في شيخوخته المبكرة ومرضه الطويل الجسيم.

كان الشعر متنفساً له، والوسيلة شبه الوحيدة التي كان يستطيع من خلالها الإشارة ولو رمزاً إلى معاناته وإبداء شجونه وتفريغ بعض ما يختزنه من ألم، الشعر كان له الصديق الملازم والنديم الأنيس، يقول في مطلع قصيدة الرفيق:

الله من عمر تداعت تواليه ظلت لواليسه وْفاتت طراته
جرحي غميق وْبالغات مصاطيه كني صويب الغلث قربت حراته
ولو ان ما يطري على البال يبديه كان استرحت وقلت ياقلب هاته
وابديت ما تبدى على الله مشاكيه وْفرجت عن قلب عبث به اسكاته

وابديت ما ظليت وقتي مخفيه يلوج بلساني وْضاقت لهاته
وأبديت ما يبرد على القلب صاليه وْجمعت به شمل تزايد شتاته

أقرأ هذه الأبيات فكأني به وقد أزال عن كاهله بعض ما أثقل شجونه بتشخيصه

لأسبابها وإفصاحه عن طبيعتها، وأقرأ الشطر الأول من البيت الأخير فكأني به يكاد يتطعم لذة الراحة التي لم يهنأ بها.

وهكذا نجد هذا الموضوع يتكرر كثيراً في شعره وفي مطالع قصائده وكأنه مفتاحه إليها.

ولأن الشعر يؤدي هذه الوظيفة – وظيفة التفريغ النفسي – نجده كثيراً ما ينزع إلى الاستطراد في التعبير عن معاناته في لحظات من النداء اللحوح أو الدعاء البالغ الخشوع، يقول:

يا لله تعاوني على ما جرى لي   أنت الودود الواحد الرحيم
أنت الذي تدعى لْيا حان ضيقه   وأنت الذي فوق العظام عظيم
وانت الذي كوّنت كونك بقدرتك   وانت الذي سّيرت حتى الغيم
وانت الذي تدرك خفيات ما خفا   وانت السميع السامع الكريم
أسألك بآياتك ولطفك وقدرتك   يامنتهى كل الوجود عليم
تعلم خفيات وتدرك بواطن   ما غيرك أحد يجبر الكصيم
ألطف بقلب كل ما غاظ يمتلي   عليه من غبن الليالي ضيم

لهذا، فالشعر بالنسبة إليه مسألة حيوية تدفعه إليه شجونه الكثيرة ويعيده له حسه المرهف، وتفرضه عليه حاجته الماسة للتعبير عما في نفسه.

ولأن ما يثقل عليه عادة يكون من الأمور الخاصة أو العامة الحساسة التي لا يسمح له تكوينه أو مركزه أن يفصح عنها بوضوح، تجده كثيراً ما يستعمل الرمز للتعامل مع هذه الأمور، فتارة يكون الرمز فتاة وتارة أخرى يكون طيراً، أو "رجماً" أو بئراً وهكذا.

وهذا لا يعني أنه كان دائماً ينزع إلى الرمز، فأنت تفاجأ به في بعض القصائد وقد خلع عن نفسه كل غطاء وتكلم بإفصاح عما يدور في خلده، وأقرب الأمثلة على هذا قصائده التي حملت نقده لأوضاع الأمة ومستقبلها المهدد، مثلما فعل في قصيدة "اللطرون" وأخر قصيدة "الرجم" والنصف الأخير من قصيدة "اخشوم العراني" ومواقع أخرى.

كما أنه صرح في أكثر من موقع عن موضوع كان دائماً يرد في شعره ويبدو وكأنه يمثل عبئاً كبيراً عليه، ألا وهو إرثه الأسري ذو التبعات الكثيرة الواجبة الوفاء، يقول في قصيدة الرجم:

دْروب الخير صعبه ومحفوفه مخاطرها كبيرة وامعروفه
ألا واويل من قل معروفه فعول اجداده أخفق ما فعلها

ويقول في قصيدة "الغاط":

سليمان سماها وكبّر سهمها يامن بها الطرقي وتا من بها النيب
أرث لنا الكايد بعالي قممها والسان حاله يندب الابن والصيب

ومن الجوانب البارزة في شعره، خاصة شعره المتأخر، هي نزعته إلى التغني بالأخلاقيات والقيم التي أكبرها وسعى للتحلي بها، حتى لا تكاد أي قصيدة من قصائده "الشوارد" تخلو من هذه الجوانب.

وقد كان الأمير إذا استمع إلى الشعر وتكلم عنه أو نقده يولي جل اهتمامه لما يتضمنه من معاني جديدة، وقد انعكس هذا الاهتمام على شعره فتجده يحرص كثيراً على اقتناص الصور والمعاني غير المستهلكة، فإذا وجدها أسهب فيها ولم يبخل عليها بالبناء، يقول في قصيدة "الحكيم" متحدثاً عن قدرته على التحكم بجوارحه جميعها سوى عينه التي أعياه علاجها فكشفت معاناته فيقول:

ما ودي المخلوق تكشف خواطري لا شك عيني عازها التنظيم
السمع يسمع ويتجاهل ويختشي يصغى لنصح الناصح الفهيم
والأنف يروِْح رايحات تلذله ويشم ريح الورد بالنسيم
ألا ومع هذا صبور لحاجتي لو هو على مثل اللهيب مقيم
والرجل امشيها وتاقف وتمتثل وترحل وتنزل بالمقام تقيم
ويسراي لليمنى تعود وتنثني كما يعاود للطريح عديم
ولسان حالي لو تكلم وهزني أقدر على صده مع التصميم
أقدر على صده ويصير لحاجتي لو هو يحن ويذكر الرزيم

ومن الصور التي وقفت عندها كثيراً وعدت إليها مراراً تشبيهه لليالي الخوالي المحببة للنفس بالتجارة التي لا يكف أصحابها عن تدوين تفاصيلها والرجوع إليها كل وقت، وتمنيه لو أن قبور بعض السالفين سجوناً يؤمل خروجهم منها، وتشبيهه لمن صرفتهم ملذات الحياة عن مهماتهم الكبار بالأحياء الأموات، ووصفه لبزوغ الصبح في أرض كساها الربيع ولم يسكنها سوى الوحش والطير والإبل فتسمع فيها صوت "أم سالم"(١)، وقد لاقى صوت صغار الإبل بينما النور يمتد ناشراً ضياءه على الأرض، وهي صورة يعرفها ويحن إليها كل من عاش مثل هذه اللحظات.

ورغم ما يطغى على شعره من حكمة وتأمل، إلا أنه مع هذا يبقى دائماً غنياً بالعاطفة سواء كانت شكوى أو حماسة أو فخراً.

ويحرص على اختيار قوافيه فتجدها كثيراً ما تضيف إلى جو القصيدة العام، ومن أبرز الأمثلة على ذلك مرثيته في أخيه تركي وقصيدته المسماة "المرقاب".

وانعكاساً لشخصية عبدالرحمن السديري وتكوينه، فشعره كذلك لا يجنح عادة إلى التطرف أو المبالغة، فهو إذا طرق باب الفخر توقف وأقر بواقع التقصير المحتمل الحدوث دائماً، وإذا نقد عاد فشمل نفسه بالنقد، يقول في قصيدة "الدكة" التي يفخر بها بدكته ذات الأبواب المشرّعة المهيئة دائماً لكل زائر يأتيها:

نفرح اليا منه لفا الدار نباب نعطيه حق الله وحق الوفاده
وان عاظبت بنفوسنا، واجبه صاب والصيد ما يلقى لزوم بمصاده

ويقول في قصيدة "اللطرون" الناقدة:

---

(١) "أم سالم" طير صغير يعيش في صحراء الجزيرة العربية له صوت مميز. تحدث عنه الشاعر محمد الأزيمع فقال:

ياام سالم واثريك منافقيه بالمفيظ وتزعجين من الغواني
لو يجيك مطوع بالشوزنيه لا قصف عمرك حسب عمره جناني

ويقول:

يسلى به الناظر لْيا طالع البيد أرضه سماح وسهلته مجرهده
فيه أم سالم ما تمل التناشيد يا سرع مبداها ومسرع مرده
أصواتها وأصوات خلج المفاريد تعانقت والصبح نوره يمده

أراهم وأنا عندي من الميل مثلهم وعلى الله عسرات الأمور تهون
اراهم وأنا عجز عن النفس والهوى أصارع شْجون ورثتها شجون

ويظهر في قصيده المتأخر إحساسه بمرضه وشيخوخته فيتناوله بما يشبه رثاء النفس، يقول في قصيدة "الدهر":

كثير العمر فات ورحت شايب على وجهي وراسي عم شيبه
تعرضت الحياة بلا ركايب وصبرت ويسر الله ما احتري به

ويقول في قصيدة " الدكة "، السابقة الإشارة إليها:

عاصرت دار جعلها وبل سحاب خصّيتها مما بنفسي زياده
أمضيت فيها لذة العمر بحساب تسع وثلاثين حسبت امتداده

بذلت فيها ما استطيعه وانا شاب واليوم اشوف الشيب غطّى سواده

ويتوج هذا كله بقصيدة " الوصية " التي يقول فيها:

أبيك يافيصل تسمّع شجوني ما دام دنياكم عليكم وسيعة
لى مِتّ في راس الشعيب ادفنوني بالرجم بين المالحة والبديعة

أنا من الدنيا خلصت اعذروني لي جانب الله عن حياة وضيعة

إن قراءة سريعة لديوان القصائد تبرهن على أن تلك المسافة بين الإنسان والمسؤول في شخصية عبدالرحمن السديري ضيقة لدرجة التطابق، ولا يحتاج القارئ للانتقاء منها، فقصيدة (الرفيق) على سبيل المثال ومطلعها:

الله من عمر تداعت تواليه ظلت لواليسه وفاتت طراته

إلى أن يقول:

وين الرفيق اللي نوده ونغليه نغليه لو يعرض بتالي حياته

والـلـه لـو تـكـثـر عـلـيـنـا مـواذيــه حـلـفـت بـالـلـه مـا انــسـوي سواته
إلا ومــع هــذا عـسـى الـلـه يـجازيـه عـنــي بـخـيــر بـالـحـيــاة ومماته
أنـا رفيقي لو غلط ما أقدر أجزيـه إلا بـصـفـح وعـفـة عـن شناته

وهي فاتحة الديوان، تلخص فلسفة الشاعر وعمق خبرته في الحياة وحكمته وبعد نظره عدا عن توفره على ملكة شعرية عالية، بحيث ينتقل من مشهد إلى آخر بسلاسة قل أن تجد لها نظيراً، خاصة وأن القصيدة هي إحدى المطولات في الديوان.

لنتوقف قليلاً أمام البيت السابق ذكره من القصيدة التي يرثي فيها نفسه:

أنـا مـن الـدنـيـا خـلـصـت اعـذروني لـي جـانـب الـلـه عـن حـيـاة وضيعة

إنه يوجز فلسفة الشاعر وموقفه المطمئن من الموت، لأنه لا يرى أنه - أي الموت - بوابة خلاص من حياة تتسم بالوضاعة وحسب، بل يراه ببصيرة المؤمن المتلهف إلى لقاء ربه، كما أن أجواء القصيدة منذ بداياتها تمثل صدى فصيحاً يحيل على الفور لرثاء الشاعر الجاهلي مالك بن الريب لنفسه عندما أدركته المنية في طريقه إلى خراسان، بيد أن الفرق بين الشاعرين أن ابن الريب أنشدها وهو يعاني من سكرات الموت فيما شاعرنا الذي نحن بإزائه قال قصيدته بعد شوط طويل من الخبرة في الحياة وأنشدها بكامل وعيه في لحظة صفاء قل أن نجد لها نظيراً.

علاوة على هذا، فبقدر ما يولي عبدالرحمن السديري عنايته لكل المشروعات الوطنية مثل توطين البادية ونشر التعليم واستصلاح الأراضي الزراعية، فهو مواطن عربي غيور يتفاعل مع هموم أمته العربية، ومن يقرأ ديوانه سوف يعثر على العديد من القصائد التي تكشف هذا البعد.

قصيدة «جبال أوراس» مثلاً التي قالها بمناسبة تحرر الجزائر من الاستعمار الفرنسي، وهي قصيدة تفيض بألم الشاعر على بقاء فلسطين مغتصبة في قبضة اليهود وتبكي حال منطقة البريمي في الخليج العربي الذي كان خاضعاً للاستعمار الإنجليزي، وهذه مقتطفات من القصيدة:

المجد الأول عاد كله من جديد   أحفاد طارق شمروا وابن الوليد
عادوا لنا مجد على مر السنين   ذابت مقاويمه كما ذوب الحديد
على جبال أوراس عدلنا اعوجاج   الطاغي الباغي ولو باسه شديد
اليوم هذا عيد للعالم جميع   وان يسر الله عيدنا الثاني يعيد
هذي فلسطين الجريحة يا شباب   تلونت بالعار من جور المريد
حتى البريمي والجنوب من الخليج   يعيش في حال من الذل الشديد

إلى آخر القصيدة التي يختمها بعرض بطولات الملك المؤسس عبدالعزيز وتحقيق مشروع الوحدة الوطنية، ومن يقرأ القصيدة سيدرك على الفور بلاغة اللغة الشعرية التي يكتبها الشاعر وذكاءه في انتقاء مفردات هذه القصيدة التي تقترب كثيراً من اللغة الفصيحة، كما لو أنها مكتوبة للقارئ العربي عامة وكأن شكلها يعكس مضمونها، وبدورهما يعكسان عبقرية الشاعر.

ولا شك أن البعد الإسلامي حاضر ليس في شعره وحسب، بل في كل شؤونه، لدرجة يتعذر علينا عرض الشواهد التي تبرهن على هذا البعد غير أننا سننتقي من ديوانه قصيدة (اللطرون)، وهو عنوان مستعار من اسم قرية في فلسطين يمتزج فيها الهم العربي والإسلامي، وهو يعرض للحال التي آلت إليها أوضاع العرب والمسلمين على حد سواء، مفتتحاً إياها بقوله:

أرى الناس تِخطي والزمان حنُون   على غير تشريع الإله يبون

ثم يسترسل في رسم لوحات بصرية تشرق وتغرب على كل القضايا والهموم لتكون جماعاً يعبر عما يستشعره المواطن المؤمن من ألم وأمل، يقدمها بصياغة غير مسبوقة على حد علمي، فجميع أبياتها تبدأ بكلمة (أراهم).

ومن غير المستغرب أن تحتوي القصيدة على رؤيا تستشرف المستقبل ببصيرة ثاقبة كأنه يعيش في أكثر من زمن، كما في قوله على سبيل المثال:

أراهم ورا الإسلام مصدر مجدهم   يعضون بسنونه بدون سنون
أراهم للإسلام تطبل طبولهم   على المظاهر يظهرون بهون

أراهم يشيلون وميلهم في شيلهم هانوا وتاهوا وأسلموا للهون

وإذا ما توقفنا لاستقراء هذا البعد في شخصيته، رحمه الله، فإننا سنجد بعض الشهادات التي أشارت إلى هذه السمات بشكل موجز حيناً ومفصل أحياناً أخرى.

وقد كنت أحسب أنه ترك الشعر كليّة في السنين الأخيرة حتى تسّنى لأولاده مطالعة بعض أوراقه التي كان يحملها فوجدوا بها عدداً من القصائد المكتوبة بخط يده التي لم يطلع عليها أحد من قبل، وبعضها لم يكتمل بناؤه، وقد وضع ما وجد من هذه القصائد ضمن ملحقات الكتاب.

وأود أن أختتم بإيراد قصة وقصيدة في مدح عبدالرحمن السديري سمعتها من عدة رواة من قبيلة السويد من شمّر ولم أرها منشورة من قبل.

في بداية تولّيه لمنصبه أميراً لمنطقة الجوف اجتاحت شمال المملكة عواصف رملية عاتية أثارت الغبار والأتربة التي غطت كل شيء مما أدى إلى هلاك العشب والشجر في المراعي، وتبعه هلاك الزرع والضرع وحلال البادية، والبدو يسمون تلك السنة "سنة الغبار"، وكانت النتيجة أن ساءت أحوال معظم أبناء البادية ولم يجدوا حتى لقمة العيش التي تقيم أَوَدَهم ولا الزمل (الحيوانات) التي يستطيعون ركوبها للهجرة والانتقال إلى أماكن أخرى، ومن الذين ذهب حلالهم وطرشهم بدوي مسن يسمّى مطلق بن هزاع العميم فالتجأ هو وأولاده وعائلته إلى عبدالرحمن السديري الذي تكفل بإعاشتهم ورعايتهم سنين عدة حتى تحسنت أحوالهم.

يقول الراوي: **هذا مطلق بن هزاع العميم صارت احواله مصلّحة وهو بهالنفود ورحل زِيَن على السديري بعياله، قال: يالسديري أنا داخلٍ على الله ثم عليك عن عيالي لا يذبحهم الجوع، قال: زِيَنت وخاب طالبك، أما أنا يدي ويدك مع الخويا واما اللي قاسمٍ الله للبيت يجيهم في بيتهم، ابطى عنده طال عمرك ورحل، بعد ست سنين ما أدري سبع سنين، ورحل وأرسل له قصيدة:**

يا راكب اللي كنّها الطير جايل تسهيم شيهانٍ من الخم طاره[1]

ترعى ثلاث سنين بالقفر حايل   بالطول ما دورج باثرها حواره
تلفي لشيّال الحمول الثقايل   تلفي لابو فيصل كمالَه وكاره
يوم الدهور ومجدبات السحايل   صارت علينا مثل صيحة عزاره
جينا تزبّنّا رفاع الحمايل   وصاروا لنا سورٍ ذِرِيّ جداره
ياهل الصخا يامدركين النفايل   الزرع يطلع من مغاني بذاره
أقولها صدقٍ صحيحٍ صمايل   رد الثنا للشيخ ما هي قْماره
ياعل عمرك يافتى الجود طايل   يكفيك شرّ اللى تطاير شراره
عساه يا جت من صدوق المخايل   ملكٍ يدرهش له عليكم مزاره
عسى وطنكم يافتى الجود سايل   اللي يمين القصر واللي يساره
ينبت بها الزملوق هول الهوايل   تلقى الزبيدي بيعوالي زياره
نزعج لكم من غانمات الرسايل   بيضٍ تبنّى فوق قصر العماره
قال العميم وبادي بالمثايل   حقٍّ عليّ ردّ الثنا بيخباره
نزعج كلامٍ مع مناجيب حايل   نذكر ثنا شيخٍ ذِرِيّ لجاره
ياما ذبحتوا من خروفٍ وحايل   كم حايلٍ بالفوس هِزّع فقاره
تعطون سمحات الوجيه الجلايل   وابوك قبلك ما يهاب الخساره
ياصْطام مصطورٍ عن الحق عايل   وامر الشريعه قايمٍ بوقاره

(١) طاره: طارت بلهجة شمّر.

في عيون الآخرين





(في الأعلى) شباب من الجوف يؤدون الدحّة، وفي الصورة الشاعران محمد بن علية (يمين) وسعيد بن غيثة (يسار).
وفي الصورة الثانية شباب يؤدون العرضة بقصيدة من نظم عبدالرحمن السديري (مقدمة الصورة).

الفصل السادس

شخصيته كما رسمها الشعراء

فايز الحربي*

الشعر ديوان العرب، والديوان: هو السجل الذي يرصد كل مظاهر حياتهم، ومن هنا فالشعر من المصادر المهمة لمن يريد أن يتتبع المظاهر الاجتماعية والسياسية في عصر معين، وهو رافد قوي ومهم لدراسة حياة الشخصيات البارزة في المجتمع العربي على مر العصور.

ولكون عبدالرحمن السديري، رحمه الله، من تلك الشخصيات التي تمثل ظاهرة غير عادية، فقد كان للشعر معه علاقة وطيدة، وحظي من الشعر والشعراء بنصيب وافر من العناية والاهتمام، فخلد الشعر كثيراً من ملامحه، وسجل العديد من مناقبه ومزاياه، وأبرز جوانب من أعماله وإنجازاته، وأعاد عرضها بصور فنية ورؤى جميلة تبلورت من خلال مشاهد حقيقية، ومواقف خاصة عاشها الشعراء بأنفسهم، فجاء الشعر معاضداً للنثر، وشاهداً على الحال في وصف تلك الملامح والخصال، وإظهار تلك الإنجازات والأعمال.

ولا غرو في ذلك، فقد كانت شخصيته مغرية للشعراء، وموضوعاً خصباً للشعر لما أعطاه الله من تلك الخصائص التي تميز بها، إذ كان إنساناً متواضعاً، جواداً كريماً، وأميراً مسدداً، وشاعراً كبيراً، وراوياً متحدثاً، فضلاً عن كونه صاحب تاريخ أسري مجيد.

لم تكن هذه المزايا وتلك الخصائص وحدها هي التي ألهبت حماس الشعراء، ولفتت أنظارهم إليه، وإنما كانت أعماله وإنجازاته أيضاً مثار الإعجاب والقبول، فجعلت منه مقصداً للشعراء وغرضاً لقصائد المديح والثناء، فتسابقوا إلى

* له اهتمام خاص في بحوث التاريخ والأنساب، ونحو (٢٠) مؤلفاً، يحمل ماجستير إدارة الصحة والمستشفيات (١٤١٠هـ ١٩٩٠-م)، شغل منصب مدير مركز حمد الجاسر الثقافي.

مساجلته تارة، والثناء عليه تارة، والتعبير عن الإعجاب به تارة أخرى، حتى تكوَّن لدينا هذا السجل الشعري الضخم الذي رسم لنا الكثير من معالم شخصيته، وخلّد العديد من مكارمه بقصائد معبرة، تتضح بعفوية المشاعر وصدق الأحاسيس لترسم لوحات من الاعتزاز والشموخ.

عندما أردت أن أدرس شخصيته من خلال ما قاله عنه الشعراء، ذهلت لهذا التفاعل الوجداني الذي اتشحت به القصائد والأشعار، ودهشت لكثرة الجوانب الإنسانية، وعظمة الإنجازات التي تطرق إليها الشعراء، وأدركت أن ما قيل عنه نثراً لا يفي بحقه، ولا يحيط بكل خصاله وأعماله..

لقد تطرق الشعراء إلى تفاصيل شخصيته، وكشفوا عن جوانب مهمة من حياته الإدارية والاجتماعية والإنسانية والفكرية التي لم تدونها الكتابة النثرية، ولم تحفظها الرواية الشفهية، فكان الشعر سجلاً وثيقاً يتحتم الرجوع إليه، ويلزم التوقف عنده لمن أراد دراسة شخصية معاليه في أدق تفاصيلها، وأسمى معانيها.

ولكثرة القصائد التي قيلت فيه وغزارة المادة الشعرية التي تناولت شخصيته من جوانب متعددة، كان لا بد من اختيار نماذج من تلك الأشعار، وكان الاختيار صعباً أيضاً، خوفاً من أن يكون مجحفاً بحق بعض الشعراء الذين لم تورد نماذج من أشعارهم، فالمجال هنا لا يتسع لعرض كل ما قيل عنه، فاخترت النماذج التي سأعرضها بإيجاز في هذا الفصل، متوخياً الموضوعية دونما الزعم أنها أفضل ما قيل، ولكنها أمثلة مختارة تضيء لنا جوانب لم أستطع حصرها أيضاً.

والسبب الآخر للانتقاء بدلاً من الاستقصاء، هو علمي أن تلك الأشعار التي قيلت فيه، سواء في حياته أو بعد مماته، قد تصدر في كتاب شامل إن شاء الله، فكان لا بد من الاختصار في الاختيار خوفاً من الإطالة والتكرار، فأوردنا نماذج مختارة، مكتفين من القلادة بما أحاط بالعنق.

وعندما فكرت في تصنيف الجوانب التي تناولها الشعراء في شخصية معاليه إلى موضوعات متجانسة، وإيراد ما يخص كل موضوع على حدة، وجدت صعوبة في ذلك، لأن الشاعر قد يذكر أكثر من صفة في بيت واحد، بل في شطر واحد أحياناً، ومع ذلك، فقد قسمت الجوانب التي تناولها الشعراء إلى موضوعات عدة ليسهل تتبع النماذج

الشعرية التي تصور كل جانب.

وعلى هذا الأساس، تم تصنيف أهم الموضوعات التي تناولها الشعراء، وأسهبوا في وصفها، وسنتناول كل موضوع على حدة من خلال الاستشهاد بأقوال الشعراء الذين وصفوا تلك الجوانب، ورسموا ملامح شخصيته بوضوح، وصوروا مظاهر إنجازاته تصويراً دقيقاً، كما سنرى.

أما النهج الذي تم اتباعه في اختيار الأشعار فليس له ضوابط محددة، وإنما يقوم على الانتقاء من القصائد التي ارتأينا أنها مستقيمة الوزن والقافية، وذات مدلولات واضحة ومعَبِّرة، كما حاولنا قدر الإمكان تجاوز القصائد التي يكون لقائلها حاجة وقتية، أو طلب مسبق وذلك خوفاً من الطعن في موضوعية القصيدة أو مصداقيتها، فكانت الأولوية للقصائد التي قيلت دون أن يكون لأصحابها مطلب أو غرض مسبق، وإنما كان الشعر بمبادرة من الشاعر لإظهار الثناء، أو التعبير عن رد الجميل لمن طاله جود معاليه أو عطفه، أو وصف موقف إنساني أو تسجيل إنجاز وطني ممن رأى بعينه ما يستحق الإشادة والثناء، فكانت هذه الشهادات أكثر موضوعية وأصدق توثيقاً، مع الإشارة إلى أننا قد أثبتنا في الهوامش من استطعنا الحصول على سيرهم من الشعراء، مع الاعتذار لغيرهم.

من هنا، فإن من يقرأ ما قيل فيه من الأشعار سيعرف الكثير عن سجاياه، وسيطلع على ملامح شخصيته، وسيقف احتراماً لمكارمه التي أبدع الشعراء في تصويرها ونقلها إلى من لم يعايش ذلك الرجل ولم يعرف شخصيته عن كثب، وهنا يبرز دور الشعر في حفظ المكارم وتخليدها..

كرمه:

يحظى الكرم عند العرب بمنزلة رفيعة، وله في أعرافهم مكانة عالية، لا يصل إليها إلاَّ ذوو النفوس الكبيرة، التي اختصها الله بالإيثار، وعافاها من الشح، فهو خصلة عربية عرف بها العرب منذ جاهليتهم، وتميزوا بها عن غيرهم من الأمم، وعندما جاء الإسلام ليتمم مكارم الأخلاق أثنى على أهل الكرم والإيثار، فقال تعالى: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾[1].

---

(١) سورة الحشر.

وقد احتفظ أهل الجزيرة عموماً، وأهل هذه البلاد خصوصاً بمكانة الكرم، ونظروا إليها بوصفها أعلى خصال المروءة، يقيسون رجولة المرء بكرمه وشجاعته، وغرسوا ذلك في نفوس أبنائهم، وتوارثوه تمشياً مع طباعهم الحميدة، وانسجاماً مع ظروف حياتهم القاسية، واتباعاً لأوامر دينهم بالبذل والإيثار وإكرام الضيف ومساعدة المحتاج، والحض على إطعام المسكين، وإيتاء ذي القربى، وإيواء ابن السبيل.

في ذلك الوسط الاجتماعي الذي يعظِّم الكريم ويحتقر البخيل، تربى نبلاء الرجال على الكرم، وحرصوا على تنشئة أبنائهم عليه، فكان العربي يبيت طاوياً في سبيل أن يقدم لضيفه ما يستحقه من متطلبات الإكرام وحسن القِرَى.

وللكرم درجات وأوجه يتنافس عليها الرجال الكرماء، بحيث لا ينحصر في تقديم الزاد والشراب، وإنما يتميز الكرم الحقيقي بخصال وآداب أخرى أولها البشاشة، وحسن استقبال الضيوف، ومعاشرتهم وملاطفتهم.

وقد جمع عبدالرحمن السديري رحمه الله، مظاهر الكرم، وتخلق بأخلاقه، وكان يفعل ذلك سجية لا تكلفاً، وحقيقة لا رياء، وطبعاً لا تطبعاً، وتمثل ذلك في مظاهر كثيرة من سجاياه، وسوف نتوقف قليلاً عند بعض ملامح كرمه التي اشتهر بها، وتحدث عنها الشعراء، وتواترت في قصائدهم وأشعارهم:

سخاؤه: السخاء هو البذل بلا خوف من الفقر، هو أعلى درجات الكرم، لأنه العطاء بلا حدود، وسخاء عبدالرحمن السديري ظاهرة شهد لها الداني والقاصي، ومن لم يتعامل معه سمع بسخائه الذي سارت بأخباره الركبان، وأهل نجد عموماً والبادية خصوصاً يبدلون السين صاداً، فيقولون: الصخا، أو فلان صخي، أي سخي.

فهذا الشاعر أسد بن سليم الأطرش(١) الذي وقف على سخاء الرجل، فلم يصفه بالسخاء، بل قال إنه آية السخاء وشعلة الإحسان، حيث يقول من قصيدة فصيحة، تبلغ (١٥) بيتاً:

---

(١) أسد بن سليم الأطرش: من شيوخ الطرشان من الدروز أهل مدينة السويداء في سوريا، زار منطقة الجوف ومكث بها أياماً عدة في ضيافة الأمير عبدالرحمن واطلع على أسلوب حياته، ورأى تفانيه في خدمة ضيوفه، وفي عمله، كما شاهد إنجازاته ومبادراته الشخصية، وبخاصة مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية وأنشطتها.

فيا شعلة الإحسانِ، بل آية السخا تحيط بك العَلياءُ والقلبُ زاهدُ

ولا غرو أن يستهل الشاعر عبدالرزاق الهذيل[١] مناقب الأمير بسجية السخاء حينما جمع أربع خصال كريمة في بيت واحد من قصيدة مكونة من (١٦) بيتاً:

يا سخيّ الكف، يا ريف الندا يا عزا المضيوم، يا ستر القصير[٢]

وهذا الشاعر رضا بن طارف الشمري[٣] يذكر سبب مجيئه وزياراته لهذا الشهم صاحب الشخصية المحبوبة، ويوضح أنه لم يأت إلاَّ للسلام والمشاهدة والمعايدة وزيارة رجل كريم، اشتهر بيته ببيت السخا:

يا امير جينا لك مسايير من غاد غير السلام وشوفة الوجه ما اريد
لبيت الصخا[٤] بيت الندا بيت الاجواد ذروة سنام المجد من دون تمجيد

وإلى سخائه أيضاً يشير أحد المواطنين في قصيدة رثائية مؤثرة رمز صاحبها لاسمه ب: (مواطن)، جاء فيها:

مرحوم يا رمز السخا والرحابة ما تاه من سَمَّى عشير المسايير[٥]

واعتاد الشعراء أن يصفوا صاحب السخاء الزائد بتعبير: هَدَّاج تيماء، تشبيهاً له بتلك البئر العظيمة المشهورة بغزارة مائها عند العرب عبر العصور الماضية، ومن ذلك قول الشاعر شايع بن فراج السهلي في قصيدة رثاء بلغت (١٢) بيتاً[٦]:

(١) هو الشاعر: عبدالرزاق بن حسين الهذيل من أبناء منطقة الجوف، وهو من الشعراء السعوديين البارزين.
(٢) المضيوم: هو من وقع عليه الضيم والحيف، والقصير: هو الجار بالجنب.
(٣) هو الشاعر المعروف: رضا بن طارف بن محارب، من المفضل، من عبدة، من قبيلة شمر، ولد في بلدة لينة سنة ١٣٦١هـ، له ديوان شعر مطبوع، نشره فائز بن موسى البدراني الحربي سنة ١٤٢٠هـ.
(٤) هكذا في الأصل، والمراد: السخاء، وهو الكرم.
(٥) قصيدة رثائية منشورة في جريدة الجزيرة، العدد (١٢٢٤٤) الصادرة يوم الجمعة ٩ ربيع الأول ١٤٢٧هـ. والمسايير: أي الزوار من المعارف والأصدقاء.
(٦) هو: شايع بن فراج السهَلي، من قبيلة السهول العامرية النجدية، وهو أحد منسوبي إمارة منطقة الجوف.

(هَــدَّاج تيـمـا) مـا بَـعَـد قـيـل جَفّا   من جـاه يَـرْوَى بالسنين الشحيحات

ويؤكد الشاعر الكبير مرشد البذال[1] أن هذه السمعة التي بناها الأمير عبدالرحمن السديري بالجود والكرم لم تأت من فراغ، ولا من ادعاء كاذب للكرم، ولا حصل عليها بكلام معسول يقدمه لأضيافه، بل بكرم حقيقي، وتضحية صادقة:

كـان لـلـمـعـروف هـا الـوقـت اشتهار   الـسـديـري مـع هـل الـجـودا خشير
مـا بَنَى السمعة على مِلْسَ العَذَار   مـا بـنـاهـا إلاَّ عـلـى فـعـل ثـمـيـر[2]

مضيف مفتوح: الذين عرفوه رحمه الله، وجدوا فيه معاني الكرم والسخاء، فقد كان كريم النفس واليد واللسان، كان بيته مفتوحاً للأضياف في كل الأوقات، وكانت نار قهوته عامرة على مدار الساعة، سواء كان حاضراً أو غائباً، إن كان حاضراً استقبل الضيوف بنفسه، ورحب بهم، وجلس معهم يؤانسهم ويشاركهم القهوة والزاد، وإن كان غائباً فتعليماته صارمة لأولاده ورجاله للتأكد من حسن استقبال الضيوف والزائرين، والقيام بواجب الكرم والضيافة على الوجه الذي يرتضيه الكرماء، ولذلك فقد كان الكرم يتصدر خصاله الحميدة التي اشتهر بها والتي سيأتي الحديث عنها.

ويسمى مكان استقبال الضيوف والقاصدين مضيفاً، أي مكان الضيافة، وفي وصف مَضِيفه يقول الشاعر زاهد بن سعدي الفالح من قصيدة مكونة من (٢٠) بيتاً:

(مـضـيـفـكـم) مـفـتـوح طيـلـة دهرها   ويـشـهـد عـلـى ذلـك رجــال تراها

(١) هو الشاعر الكويتي المشهور: مرشد بن سعد البذال الرشيدي، أحد الأعضاء المؤسسين لديوانية شعراء النبط بدولة الكويت، صدر له أكثر من ستة دواوين شعرية (المصدر: جواهر الشعر الشعبي، تأليف: خليف ابن سعد الخليف، ج٢، ط ١، ١٤١٠هـ، ص (٨٧).

(٢) منشورة في ديوان القصائد، ص٣٠٤، مِلّس: جمع أملس، والعذار: أي الأعذار، والمقصود أنه لا يتملق لأضيافه بأعذار واهية كما يفعل البخلاء.

وهذا الشاعر عابد الجلال يقول من قصيدة تتكون من (١٥) بيتاً، واصفاً كرمه ومضيفه:

أنا اشهد أنه يبذل الخير والزاد　　له منسفٍ كل تربَّع بجاله
(مضيفه) عليه الخلق صِدرٍ ووراد　　وعلى الشرف والطيب دَرَّب عياله
الله يديمه بقرب فيصل والاحفاد　　اللي نهج نهجه ويفعل فعاله
راع (المضيف) اللي به الناس قعاد　　وما يطلب العاني يجده ويناله

وهذا مقبل بن عبدالعزيز العيسى[1] يتشوق إلى نقرة الجوف لوجود آل السديري فيها وعلى رأسهم عبدالرحمن السديري صاحب المضيف الشهير فيقول في قصيدة هي الوحيدة التي عرفت له بالعامية، كتبها في (١٦) بيتاً، مذيّلة بتاريخ ١٤٠٥/٣/١٥هـ:

(مضياف) شيخ من عرانين (زايد)　　من لابةٍ تسقيك صافي الثميلة
كسَّاب للطالات.. زين العوايد　　عزٍ لصافى الخد.. ضافي الجديلة
رِيْف النشامَى.. للمناعير قايد　　(وا زياد) ضلعه.. بالرَّخا والجليلة

ثم يقول أيضاً واصفاً مضيفه:

يلقى المناسف في (مضيفه) عدايد　　وراع الكرم مرهون للي يجي له

وفي السياق نفسه يصف الشاعر إبراهيم الغضبان[2] من منطقة الجوف مجلس الفقيد، وكثرة الوافدين إليه بين صادر ووارد، ويرسم حركتهم بين واقف وقاعد:

له مجلسٍ ما بين جالس وقحَّاص　　مَلْفى الرجال أزواجها مع فرَدْها
تلقاه دايم بالزحازيح متراص　　ناس تروح وناس تاتي بَعَدْها[1]

ويقول من قصيدة أخرى بلغت (٢٦) بيتاً تتعلق بمجلس الأمير المسمى المضيف أو الديوان:

(١) دبلوماسي وشاعر فصحى، ولد في عنيزة سنة ١٣٤٧هـ وتوفي في جدة سنة ١٤٢٦هـ (٢٠٠٥م) وله عدة دواوين مطبوعة، انظر عنه كتاب: أعلام بلا إعلام (د. عبدالرحمن الشبيلي ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م).
(٢) إبراهيم غضبان السحيم من شعراء منطقة الجوف المعروفين.

ديـوانـك الـلـي لـلـمشاكيل مِــدْوَاي   وحـدب الـدلال اللي مْدِيـمٍ امْـلُـوّه[2]

واشتهرت مزرعته "بالسديرية"، وكانت ملتقى لأضيافه وزواره ومحبيه، فكان هذا الاسم يطلق على مضيفه أحياناً، ومثال ذلك قول الشاعر عبدالكريم بن أحمد السليم الوديعة من قصيدة تبلغ (١١) بيتاً مؤرخة في ١٤١٠/١١/٢٧هـ:

لـلـسـديـريـة يـامـا ضـيـفٍ لفا   قـصـركم عـامـر يـهـلّـي بالضيوف

ويصف الشاعر محمد بن منوّخ الدعيجا[3] جلوس الأمير إلى وقت متأخر من الليل يسامر أضيافه، خوفاً من أن يأتي زواره فلا يجدونه في استقبالهم:

يـا مـن شـكـا مـنـه آخـر الـلـيـل مركاه   ثـابـت بـمـجلاسـه ويـلـقـاه نـاصـيـه[4]

ويقول أيضاً من القصيدة نفسها:

يـا اميرنا يا صاحب الجود والجاه   يـا مِـكْـرِم الـلافـي، ويـا عـز عانيه[5]

وهذا الشاعر عبدالله بن حمَيّر السابر الدوسري[6] يثني على كرمه بكونه مَنْصَى: أي مقصد للرجال الكرام، يتوافدون إلى مجلسه ويرتاحون له لما يجدونه من تكريم وترحيب وحفاوة، والقصيدة تتكون من (٢٠) بيتاً كتبها بتاريخ ١٤٠٦/٣/٧هـ:

---

(١) قصيدة تبلغ (٢٩) بيتاً، قالها بمناسبة زواج د. نايف بن رزق الروضان على كريمة معالي الشيخ عبدالمحسن السديري.

(٢) المشاكيل: هم الرجال المشاهير، وأعتقد أنها مأخوذة من: الشكل، أي أصحاب الهيئات البهية، مدواي: يريد بها الشاعر: ملتقى أو تجمع.

(٣) شيخ عشيرة الحلسة، من الشرارات.

(٤) قصيدة تبلغ (١٨) بيتاً. والمَرْكَى: هو المتكأ، أو المَسْنَد الذي يتكيء عليه الجالس على الأرض، ويلقاه: أي يجده، وناصيه: أي قاصده.

(٥) اللافي: هو القادم، وعانيه: أي قاصده.

(٦) ولد الشاعر عبدالله بن حمير بن سابر الدوسري في بلدة اللدام بوادي الدواسر سنة ١٣٦١هـ. وعمل في حقل التعليم بإدارة التعليم بوادي الدواسر، ثم تقاعد من العمل سنة ١٤١٥هـ. وهو رجل فاضل، وشاعر اجتماعي، له مساهمات طيبة في الأدب الشعبي، كما صدر له أكثر من عشرة مؤلفات أدبية وشعرية (المصدر: واحة الشعر الشعبي، المجموعة السابعة، تأليف: عبدالله حمير سابر الدوسري، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، الصفحة الأخيرة).

شـرواك مَنصا للرّجال الحشامي   يـلـقـون تـكـريـمٍ وتـرحـيـب حفوان

أما الأستاذ سهل بن ماضي العضيَّاني العتيبي أحد موظفي الرئاسة العامة لرعاية الشباب، فقد زار منطقة الجوف وقادته المصادفة إلى إمارة المنطقة للاستعانة بهم لموقف تعرض له، ووجد من رجال الأمير معروفاً وعملاً جميلاً، وبهره ما وجده من كرم مع أن صاحب الأمر لم يكن حاضراً، وكان لذلك أبلغ الأثر على نفسه، وأصبح لزاماً عليه أن يقوم بتسجيل ما شاهده بقصيدة شعرية تبلغ (٢١) بيتاً مؤرخة في ١٤٠٦/٢/٨هـ، يفوح شذاها بالوفاء والعرفان وذكر الجميل وإشهار الفضائل التي تميزت بها هذه الأسرة الكريمة وجبلت عليها وتوارثها رجالها كابر عن كابر، وأخيراً يوضح الشاعر أن الثناء على أهل الفضل ومدحهم ليس إلاَّ من باب الشكر والعرفان:

بيت السديري والسدارَى لهم شان   أهل الوفا، ساس الوفا والشهامة
أجواد ما صَكوا عن الضيف بيبان   وقت الرخا والاّ الشدايد دوامه
زبن الضعيف اللي من الحِمْل وَرطان   حِمْله ثقيل وزايد الحِمْل ضامه
زادت معانيهم على كل حسبان   أفعالهم مثل القمر في تمامه
كلام من شاهد كرَمْهم بالاعيان   لو كان هُم في غِنيةٍ عن كلامه
المدح لاهل المدح والفعل عرفان   والاّ الردي مدحه وذمه ندامة

ومن الذين رسموا صورة واضحة المعالم لهذا البيت الكريم، فوصفه ووصف نظام العمل فيه الشاعر عايض بن شجاع الشلوي في قصيدته التي منها:

عَمَار يا بيتٍ بحد الزبَارة   اللي بشرقي النفود الكبيرة
بيتٍ يْشيَّد والمشاكيل كاره   تلفي له الوفَّاد من كل ديرة[1]
ليا وصله الزاير حصل له وقاره   ينال مقصوده ويضحك نظيره
يَلْقَى الرجال اللي سواة النمَارة   اسأل، وتلقى كل طَيِّب عشيرة

(١) كاره: من الكار: وهو الرغبة والاختيار، ومعنى الشطر الأول: أن هذا البيت مقصد للرجال المشاهير لأنه يليق بهم ويليقون به، والوُفَّاد: جمع وفد.

علـى دلاَلٍ فــوق جــال الـمـنـارة   دايــم تــزل الـمـلـقـمـة فالصغيرة
وبـجـاد يـلـحـظـهـن بـلـطـف وشطارة   والنجر تـال الليل تسمع جظيره[1]

ثم يستطرد الشاعر موضحاً أسباب تميز هذا البيت، وهي أنه بيت رجل كريم يعز رفيقه وجاره، مع طيب ترحيبه، وحسن سيرته، حيث جمع محاسن البادية والحاضرة، وصار بيته ملتقى لأهل الفضل والشرف :

بـيـت الـــذي يـرضِـي خـويّـه وجـاره   الا ومــع زيــن الـنـبـا حـسْـن سِيرة
جمع شفوف الـبـدو واهـل الحضارة   وفـتـح لـعـصـمـان الــروابــع بصيرة

ومن مظاهر الكرم التي تميز بها، رحمه الله، البشاشة التي يجدها مستضيفوه دائماً، وقد أشار إليها الشاعر الحميدي بن هليّل بقوله من قصيدة يثني بها عليه:

رَبِّـي عـن الـمَـيْـلات والبخل مبْعِدْك   ودايم على ما قيل يضحك حجاجك

الدَّكة: لا يكاد يذكر مجلسه في الجوف إلاّ وتذكر الدكة،

والدَّكة هي: مجلس مرتفع عن مستوى الأرضية المحيطة به، مفتوح من كل الجهات، بلا سقف ولا أبواب، مخصص لجلوس الرجال وبخاصة جلسات الصباح ومسامرات المساء حيث اعتدال الجو، وساعات الجلوس واستقبال الأضياف والأصدقاء..

وقد عُرِفت دكة عبدالرحمن السديري، رحمه الله، الملحقة بقصره العامر بوصفها ملتقى الرجال الأخيار، يفد إليها أضيافه ومحبوه، فيجدون فيها ألوان الأنس والكرم وحسن الاستقبال، وقد شاعت شهرة الدكة، فأكثر الشعراء من وصفِها، والتغني بها، والثناء على صاحبها.

---

(١) من قصيدة تبلغ (١٦) بيتاً، وبجاد: هو المسؤول عن إعداد القهوة وتقديمها للضيوف.

وقبل أن نستعرض ما اخترناه من أقوال الشعراء في الدكة، دعونا نقرأ إفادة صاحبها الذي يوضح لنا لماذا أوجدها، حيث يقول في قصيدة (الدكة) المنشورة في ديوانه:

ولـي دكـةٍ مـا صـار مـن دونـهـا باب　　بـنـيـتـهـا فـي جـانـب الـسـوق رادة
أبـي لـيـا جـا هـاشـل الـلـيـل مـا هاب　　يَـلْـقَـى بـهـا مـمـا يـوده امـراده
يَلْقَى بها اصحابٍ ويلقى بها اجناب　　كـل عـلـى فـالـه لـفـا مـن بـلاده
ويَلْقَى بها من خيرة الرَّبع شبَّاب　　قـرمٍ يـحـظ الـضـيـف رغـبـة وعـادة

وها هو الشاعر إبراهيم بن سعد المقبل يرسم صورة خالدة لمجلس معاليه المسمى (الدكة) التي اعتاد الناس على ارتيادها، واستمر صاحبها على فتح أبوابها للزائرين والأضياف:

لـه (دكـة) يـشـبـع بـهـا كـل جايع　　مـفـتـوحـة الـبـيـبـان قـدم المسايير
بَـجْـنـابـهـا غـرسٍ ظـلـيـلٍ هنايع　　يـلـقـط ثـمـرهـا لـلـوجـيـه المسافير
مـع در خـلـفـات شـراهـن نـوايـع　　مْـدَلَّـلاتٍ، كـل جَـوزٍ عـلـى ضِـيْـر[1]

كما يوافينا الشاعر شايع بن فراج السَّهَلي بصورة أخرى عن مكارم عبدالرحمن السديري، تتضمن شريطاً تتصدره الدَّكَّة المرتفعة عن مستوى الطريق العام ليراها الزائر، ويقدم لنا منظراً يموج بالأضياف والزائرين بين غادٍ ورائح، ثم يعرض لنا مشهداً لمائدة معاليه المفروشة للأضياف في كل حين، ثم يؤكد لنا ما يثبت صحة هذا الشريط بقوله: لا أتحدث بما لم أشاهد، وإنما أتحدث عما رأيته بعيني (والقصيدة في ١٥ بيتاً):

الـلـه يـجـيـره مـن بـلـى كـل صـادوف　　ملجا الضعيف، ومزبن الملتجيني
لـه (دكـةٍ) فيها المسايير وضيوف　　مـرفـوعـةٍ فـوق الـشـوارع تبيني
تـلـقـى بـهـا الـزوار طَـوفٍ ورا طَوف　　عـنـد الـسـديـري مَـدْهـل الغانميني

(١) الضير: هو ما يوضع للناقة عوضاً عن ولدها المذبوح من أجل أن تدر الحليب، ويكون عادة مغلفاً بجلد ولدها، سواء أكان حواراً آخر، أم جلداً محشواً.

ولـه سـفـرةٍ يـشـبـع بـهـا كـل زاهـوف   يشبع بـهـا الـجـوعـان فـي كـل حيني
مـا نـيـب هَــرَّاجٍ عـلـى غـيـر مـا اشوف   مــا اقــول شــي كُــود شـفـتـه بعيني

وكالمعتاد فإن الدكة بشهرتها ومكانتها تأخذ نصيبها من الثناء والإعجاب والتخليد عند الشاعر راكان بن جبل العنزي، الذي يقول في قصيدة وداعيّة من (٢٠) بيتاً:

عـوايـده ذبـح الـبـكـار المباكير   اهـل الـجـزيـرة بـالـكـرم يعرفونه
ولـه (دكـةٍ) يـا مـا جلس بـه مسايير   عـسـاك تـسْـلَـم يـا مْـشـيِّـد اركـونـه
يـا امـيـر انـا رَحَّــال مـا بـه تباصير   اطلـب على الفرقا مـن الـلـه معونة

ويقول الشاعر سعيد بن غيثة[1] مشيراً إلى الدكة:

فـي (دكــة) جـمـع الـرجـاجـيـل كـاره   لا دونـهـا بــابٍ، ولا دونـهـا اجــدار

ولشهرة الدكة، ولكونها رمزاً من رموز الكرم عنده فقد وظفها الشاعر عبدالله بن سالم الشمري في مدح أبناء الأمير، فقال في قصيدة تبلغ (٣٢) بيتاً:

وعَقَّب عيالٍ غدوا له مثل الاجيالي   فيصل وسلطان مكدي من يناحرها
وزيـاد طير الـسَّـعَـد شـيـال الاثقالي   جـدد رسـوم الـكـرم تـعـرف مفاخرها
(الــدكــة) الأولـــه جــدد لـهـا تـالي   لا شـك وَلْــدٍ لابـوه، وذي مسايرها

ويقول الشاعر شايع بن فراج السهلي أيضاً من قصيدة رثائية:

(الــدكـة) الـلـي مـن يـجـيـهـا تـعَـفَّى   يلقَى الشحم والعُود، واصطول خلفات

ألقاب دلالة: تسميته عشير الضيف، وهو كناية عن محبة الرجل للضيوف،

---

(١) من فرع الحلسة، من قبيلة الشرارات، وهو أحد رجال الأمير (الديوان، ص١٨١). ويعد من شعراء الشرارات المشهورين (انظر: جواهر الشعر الشعبي، مصدر سابق، ص٢٩٣).

واحتفائه بهم، ومؤانسته لأضيافه وكأنهم أحبابه، ولم يكن غريباً أن يطلق هذا اللقب على عبدالرحمن السديري، رحمه الله، لما عُرِف عنه من محبته للضيوف، ولين جانبه لهم، واستئناسه بهم واستئناسهم به، فكان ضيفه لا يمل مجلسه، بل يجد عنده الإكرام والارتياح ورفع الكلفة، فأطلِق عليه: عشير الضيف، وأحياناً: مُدَلّه الضيف، ومعناها: أن الضيف إذا جاءه دَلَـهَ: أي نسي همومه واستطاب الجلوس في كنف هذا المستضيف الكريم.

وقد ورد فيما قيل فيه من الأشعار إشارات عديدة لهذا اللقب، ومن ذلك قول الشاعر الصيفي بن محمد الجريس من قصيدة طويلة بلغت (١٥) بيتاً:

سَمَّوك باسْمٍ بَيِّنٍ ينعني له (عشير ضيفه) عند كل القبايل
في مجلسٍ كل النشامى تجي له مجلس شرَف من مَدْ راعي الفضايل

ويقول أيضاً الشاعر سعيد بن غيثة مؤكداً هذا اللقب بعد أن وصف مضيف الأمير في قصيدة من (١٦) بيتاً:

راعيه شِبْلٍ ما يهاب الخسارة حَيْد الرجال اللي به العز يندار
الله يمَهِّل له ويرفع وقاره (عشير ضيفه) والمسايير والجار

ويقول الشاعر محمد بن شاهي العنزي من قصيدة في (٨) أبيات مخاطباً عبدالرحمن السديري:

يا ابو فيصل يا (عشير الضيف) والله يا عشيره بالفوايت والتوالي

ويقول الشاعر شايع السهلي من قصيدته التي أشرنا إليها في الفقرة (٣) السابقة:

(عشير ضيفه) بالنشامَى يتحَفَّى تشهد له الدكة وذيك المساحات(١)

وبعد أن قرأنا شهادات الأباعد، فلا مانع من قراءة شهادة الأقارب، فهذا

---

(١) من قصيدة رثائية تبلغ (١٢) بيتاً، منشورة في جريدة الجزيرة، العدد (١٢٢٣٧) الصادرة يوم الجمعة ٢ ربيع الأول ١٤٢٧هـ.

ابنه د. زياد الذي تردد هذا اللقب كثيراً على مسامعه، يوظفه في إحدى قصائده اعتزازاً وإعجاباً:

أبـوي لا عِـدَّوا وقـف راسـنـا طُـول (عشير ضيفه) ما رفع قدره المال[1]

وفي ألقاب ومعانٍ أخرى تدل على خصلة الكرم، يقول الشاعر يوسف بن فهيد المنديل من قصيدة له:

الـشـيـخ تـغـلـيـه الـوجـيـه الفليحة الـلـي لـهـم بـالـطـيـب طـلـعـة ومعبار
(ريـف الـهـيـافـا) بالليال الشحيحة لا صار في جو السما بَـرْد واغبار[2]

وفي المعنى ذاته أيضاً يقول الشاعر رضا بن طارف الشمري من قصيدة له:

يا امير يا اللي بالقسا ترخص الزاد يا (رِيْف ضيفه) بالسنين المجاريد[3]

ويقول أيضاً الشاعر محمد بن محسن بن عمرة المقاطي العتيبي:

يـقـول مـن زيـن الـمـثـايـل غرامه يـهـدِي سـلامـه فـي بـديـع القوافي
يـم الامـيـر الـلـي عـزيـز مقامه (ريف المقاوي) في زمان الجفافي[4]
يا امير يا اللي في علومك جسامة يا (ريف ضيفه) في الليالي العجافي[5]

ويؤكد هذا المعنى بعبارة أخرى الشاعر ناصر بن عبيد أبو حواس المطيري، فهو يشير إلى أن من قاربه لا يشعر بالملل أو السأم، بل يأنس به، ويجد القبول

---

(١) القصائد، ديوان عبدالرحمن بن أحمد السديري، ط١، ١٤٠٣هـ، ص (٣٤٥).

(٢) من أبيات له تبلغ (١٢) بيتاً. وريف: من الريف، وهو الإخضرار والنماء وكثرة الخيرات. والهَيَافا: جمع صفة من أصابه الهيف، وهو الطوى والجوع الشديد.

(٣) المجاريد: جمع مُجْرِدة: والسنة المُجردة، أو الجرداء: هي سنة القحط لأنها تجرّد الجسم من الشحم، والشجر من الورق، والأرض من النبات.

(٤) المقاوِي: جمع مِقوي، وهو من بات بلا طعام، وهي لفظة عربية فصيحة، وجمعها: مقاوي، أو مقوون، وقد وردت في القرآن الكريم بلفظة: المِقوين.

(٥) من قصيدة تبلغ (٤٧) بيتاً، منشورة في جريدة اليوم الصادرة بتاريخ ١٤٠٨/١٠/٢٢هـ، العدد (٥٤٧٠).

والألفة، حيث يقول من قصيدة له تبلغ (١٩) بيتاً:

مـن قـاربـه مـا عـاد مَـلْ لْجَنابه وهـذا دلـيـل للـمفـاخـر والاعـجـاب
وهـذا الـكـلام الـلـي حسبنا حسابه ولا خـيـر فـي قـيـل بـلا فعل واسباب

أما الشاعر سعد بن دابس الزبني[1] فهو يتجاوز وصف معاليه بإكرام الضيوف، بل يفيدنا أن الضيف عنده يعني شيئاً غالياً، كناية عن زيادة اهتمامه بالضيف، وحرصه على إكرامه :

والضيف عندك يا ابو سلطان غالي عـادة وُوَرْث مـن الـجـدود المسافير

ويذهب الشاعر إبراهيم الغضبان - السابق ذكره - إلى أبعد من ذلك في وصف عناية عبدالرحمن السديري بضيفه، فيصور لنا تفاصيل سلوكية في الكرم لا نجدها تأخذ هذا الحيز من القصيدة إلاَّ عندما يكون الممدوح هو عبدالرحمن السديري، فيقول الشاعر: إنه لا يقف عند حد إكرام الضيف من الزاد والشراب، وإنما هو يهتم به اهتمام القناص بطيره الثمين، ويسَلّيه بالسوالف والقصص والأشعار، وفوق ذلك فإنه يلح على الضيف بتكرار الزيارة عندما يهم بالمغادرة:

يـرفـاه رَفْـيَ الـطـيـر فـي كـف قنَّاص وان جـاب سـالـفـةٍ يـكـون بصددها
ويـدَلّهـه بـين الـسـوالـف والاقـصـاص وان ودّعـه يـقـول: يـا ضـيـف عِـدْهـا[2]

وفي المعنى نفسه تقريباً يسميه الشاعر يوسف بن فهيد المنديل: (مدَلّه الضيف) حيث ورد ذلك في قصيدة من (١٢) بيتاً قالها شاكياً من فراق عبدالرحمن السديري عندما سافر للعلاج:

وانـا مـعـك يـا دار نـفـسـي جريحة حَزْنَت على من (دَلَّهَ الضيف والجار)

---

(١) هو: الشيخ سعد بن دابس بن صالح بن زبنة، كان والده دابس شيخ الزبون ورئيس قرية المعرش بمنطقة حائل، وبعد وفاة والده خلفه، وهو رجل فاضل وشاعر مجيد له أشعار كثيرة، بعضها منشور في الصحف السعودية، والكثير منها لا يزال مخطوطاً لدى الشاعر (جواهر الأدب الشعبي، مصدر سابق، ص٢٦١).
(٢) سبق التعريف بالقصيدة والشاعر.

لـو امـدحـه يـفـوق شـخـصـه مديحه   عـفـيـف، بـــذال، صـبـور ومـغـوار

ويؤكد الشاعر إبراهيم بن سعد المقبل اتصافه بالجود وفعل الخير، كما يسجل صفة أخرى من صفات كرم معاليه وبساطته، وهي مشاركة ضيوفه واختلاطه بهم، والجلوس معهم على المائدة دون تمييز بين كبيرهم وصغيرهم، وغنيهم وفقيرهم:

بالجود واثر الجود خير البضايع   متفرع بالجود والفعل بالخير
طبيعته ما لايمت للبضايع   يمتاز بمخالط ضيوفه على الْمِيْر(١)

أما الشاعر راكان بن جبل العنزي الذي عاش في جوبة الجوف شطراً من حياته، وعرف أميرها عن كثب، فأسره بأخلاقه وكرمه، واحتفائه بأضيافه وزواره، فأطلق عليه لقب: عشير المناعير، والمناعير كرام القوم وشجعانهم، كما وصفه بـ: رِيف الضعافا، والريف هو الخِصب وحياء الأرض بالنبات، حيث يقول:

الشيخ أبو فيصل (عشير المناعير)   اللي على الطولات تسهر عيونه
(ريف الضعافا) واليتامى المقاصير   ومزيان للي لابته يطلبونه(٢)

وحول المعنى نفسه يقول الشاعر طلاع بن مسند الشمري من إحدى قصائده:

وعز وُفخَر للطيِّبَ اللي يصافيك   يلقى المَعزَّة في ظلالك ليا جاك
(رِيْف اليتامى) والضعوف المهاليك   كم معسرٍ تدفع له الخير يمناك
غيثٍ على الجيران واللي حواليك   واللي لجا لك ياجد العز بحْمَاك

ويعبر الشاعر مدين بن سليمان الشرَاري في الأبيات التالية عن خصلة الكرم عند معاليه، مشيراً إلى وصفه بتعبير (ريف الضعافا) موضحاً أنه كالغيث على

(١) مخالط: أي مخالطة، والمير: أي الزاد.
(٢) من قصيدة وداعية تبلغ (٢٠) بيتاً. ومزبان: أي ملجأ. ولابته: أي قبيلته، والمراد أخصامه من قبيلته.

الضعفاء والمساكين، وخصوصاً في مواسم الشدة والقحط التي ينعدم فيها الزاد، وترتفع الأسعار، فيزداد الفقير فقراً وعوزاً، وهنا يبرز أهل الخير الذين وهبهم الله قلوباً رحيمة تجعلهم لا ينتظرون إلى أن يطرق ذو الفاقة أبوابهم، بل يبادرون إلى البحث عن الفقير والمحتاج ويمدون له يد الفضل والعون:

هو الذي يتعب على نية الخير ومساعداً شعب الوطن بالحساني
(رِيف الضعافى) بالسنين المدابير يصرف عليهم لون صرف الضماني
ويقلّط العَدلات والبر والمِيْر عند الضيوف يقدّمه بالصياني

ومما يندرج تحت تسميته بعشير الضيف، أو مذرِّي الضيف، وصفه بتعبير: مُدَلِّه الغانمين، أي من إذا جاءه الرجال الأخيار أنِسُوا به، ونسوا همومهم، لما يجدونه من الحفاوة والتكريم، وهذا ما أشار إليه الشاعر عوض بن زقيحان الحربي[1] من قصيدة رثائية:

يا جرح قلبي كيف ندله ونناسك ما تِنّسَى يا (مدَلِّه الغانميني)[2]

وحول المعنى نفسه يقول سهو بن مطير الشمري من قصيدة له:

الله يفك (مْذرِّي[3] الضيف والجار) الليث شيَّال الحمول الثقيلة
يشادي هدَيْب الشام شيَّال الاقطار لو زودوا حمله لــزومٍ يشيله[4]

أما الشاعر عايد بن رغيان الوردة فقد وصفه ب: مكرّم الخطَّار، والخطار جمع خاطر، وهو الضيف الغريب، حيث يقول من قصيدة بلغت (٤٠) بيتاً:

---

(١) هو: عوض بن محمد بن زقيحان الحنيني الحربي، من مواليد سنة ١٣٥٦هـ في منطقة حائل، خدم بداية في العسكرية، ثم تحول إلى موظف مدني بوزارة الدفاع، ثم استلم رئيس مراقبة المخزونات العامة بوزارة الدفاع، ثم انتقل للعمل بقصر الأمير سلطان بن عبدالعزيز بوظيفة سكرتير عام الأمن والحماية، إلى أن أحيل على التقاعد سنة ١٤١٢هـ.

(٢) من قصيدة تبلغ (٢٧) بيتاً، منشورة في جريدة الجزيرة الصادرة يوم الخميس (١٤٢٧/٣/١هـ).

(٣) مُذَرِّي: اسم فاعل مأخوذة من التذرية، والذرَى: هو الملجأ الذي يقي من البرد الشديد أو المطر الشديد، ومنه اشتق مصطلح: مذرِّي الضيف: أي من يجد الضيف عنده المأمن من الجوع والبرد، كناية عن كرم المستضيف.

(٤) هديب الشام: جمل قوي البنية وجميل المنظر، يكون في مقدمة قافلة الحج السلطانية، لذلك يضرب به المثل في القوة والتحمل.

يا (مكَرِّم الخطَّار) من عقب مسفار　　أخـلـت مـزاودهـم زهـابـاً زهـيـدي
يا ابن أحمد اللي دونت عنه الاخبار　　بـالـهـمـة الـعـلـيـا وبـاسـاً شديدي

وحول المعنى نفسه أيضاً يسميه الشاعر - السالف ذكره - عوض بن زقيحان الحربي: عز الرفيق، فيقول:

لبست تـاج الـعـز، والـعـز يزهاك　　تـاج الـشـرف يـا طـيّـب الطيبيني
(عـز الـرفـيـق)، وعـز مـن هـو تنَصَّاك　　يـفـرح بـك اللـي مـن زمـانـه حَزيني[1]

والشواهد الشعرية في هذا المعنى كثيرة، لكننا نكتفي بهذا القدر، لضيق المجال.

خصاله:

العفو والتسامح: كان العفو عند المقدرة، والتسامح بدل التشدد سمتين بارزتين من سماته، رحمه الله، وكان لهاتين الخصلتين أثر كبير في كسب محبة الناس وخصوصاً من طالهم هذا العفو والتسامح، ولم يكن الشعر بعيداً عن تناول هذه الملامح الكريمة والخلال العظيمة، فسجلها ورسمها بكل صدق، فهذا الشاعر الأستاذ يوسف بن محمد أبو عواد[2] يرسم صورة لتسامحه رحمه الله في هذا البيت من قصيدة فصيحة:

دَثّـرتـنـا بُـــرْد الـسـمـاحـة دافـئـاً　　فـتـعـلـمـت مـــن نـهـجـه الآبـــاءُ[3]

والعفو والتسامح مرتبطان بالحلم والأناة، ولا يصدران إلاَّ عن نفس عطوفة رؤوفة، وكذلك كان رحمه الله، فقد كان حليماً عطوفاً، يستشعر أحاسيس صاحب

---

(١) من قصيدة تبلغ (٢٧) بيتاً، منشورة في جريدة الجزيرة الصادرة يوم الخميس (١٤٢٧/٣/١هـ).

(٢) يوسف بن محمد أبو عواد: أستاذ وأديب وكاتب صحفي، عمل في حقل التعليم بالجوف، ثم في جمعية الجوف الخيرية، ثم انتقل إلى الرياض للعمل في الجمعية السعودية لرعاية المعوقين، وله إسهامات صحفية وأدبية في العديد من الدوريات السعودية.

(٣) من قصيدة فصيحة تبلغ (١٥) بيتاً، منشورة في جريدة الجزيرة الصادرة يوم الأربعاء ١٤٢٧/٢/٢٩هـ (رثاء).

الحاجة، ويشفق عليه، فكان يحمل هم كل المحتاجين، ويعطف على كل الضعفاء، وذلك ما صوره الشاعر أسد بن سليم الأطرش – السابق الإشارة إليه – في قوله:

مع الكل ذو عَطفٍ حَليمٍ، وفاضلٍ   وبالكل ذو بِرٍ، رؤوفٌ مساعدُ

ثم نعود إلى الشاعر يوسف بن محمد أبو عواد الذي عَرَف سعة حِلْم الفقيد وميله إلى العفو والتسامح، فقد سماه حليم العصر:

هذا حَليمُ العَصْرِ، قدوةُ ماجدٍ   تمشي على خطواته الحكماءُ
هذا ابن أحمدَ حكمة وأصالة   نسبٌ، وتاريخ، نُهىً، وسَخاءٌ

وكذلك أشار الشاعر الحميدي بن هليِّل[1] إلى صفة العفو مع القدرة عند معاليه، حيث يقول من قصيدة على الطرق الهجيني:

مع قدرته دايمٍ يحنو   والعفو طبعه ومطلابه

وبسجية العفو والتسامح يشهد له ابنه د. زياد الذي عاشر الفقيد كثيراً وعرف طباعه عن كثب:

ما يزعج الصاحب ولو كاد معقول   ويستر على زلة رفيقه لْيَا عال
وينسَى ولا يطري له الحقد مكفول   ولا يسمع النمات والقيل والقال[2]

ومن الذين أشاروا إلى سعة حلمه أيضاً الشاعر عبدالكريم الزيد الذي يقول في إحدى قصائده:

حلمك وسيعٍ، والكرم من مباديك   ونور الشهامة ينطلق من محَيَّاك

الصبر والتحمل: عرف عن عبدالرحمن السديري رحمه الله، صبره في

---

(١) الحميدي بن هليِّل: من فخذ الحمران، من الروقة من قبيلة عتيبة، عمل برفقة الأمير محمد بن أحمد السديري في إمارة الجوف ثم في الحدود الشمالية، ثم عاد للعمل في إمارة الجوف، ثم عين رئيساً لمركز الطيري، وكان على علاقة طيبة مع عبدالرحمن السديري ومن الذين يأنس برفقتهم ومجالستهم.
(٢) القصائد، مصدر سابق، ص(٣٤٥).

الشدائد، وتحمله للمسؤوليات الجسام سواء ما يتعلق بوظيفته الرسمية، أو ما يتعلق بأموره العامة تجاه مجتمعه وأصدقائه وقاصديه في حل مشاكلهم باختلاف أنواعها، وتفانيه في خدمة المجتمع دون كلل أو ملل أو تذمر أو شكوى، ومن أصدق من وصف ذلك في بيت واحد الشاعر عايض بن شجاع الشلوي في بيته التالي من قصيدة مكوّنة من (١٦) بيتاً:

هيمن على الشدة بعزم وجباره   ونطح مهمات الأمـــور العسيرة

أما الشاعر إبراهيم الغضبان - السابق ذكره - فقد أشار إلى القوة في شخصية معاليه، وأنها لا تنافي ما اشتهر به من التواضع وحب عمل المعروف، حيث يقول من إحدى قصائده التي يخاطب بها معاليه:

بك عرف، بك معروف، بك قو واقواي   هـــنو قلبك بالتفاني هَـنُــوّه

وعن صبره وقوة جَلَده في وقت الشدائد، يقول شاعر آخر:

بعزمٍ ومعروف وتخليص الانشاب   عنده على نطح الصعوبة جلادة
ياما ردَع مخطي، وياما اعتق رقاب   وياما على الواجب يحب الزيادة[١]

ويؤكد الشاعر عيد بن سلطان[٢] على هذا الجانب، واصفاً الفقيد بقوته وعزيمته في تلقي الأمور الجسام والمهمات العظام، فيقول مخاطباً ابنه مناحي الذي طلب منه الانتقال إلى الرياض، فرفض مفضلاً القرب من صديقه عبدالرحمن السديري:

---

(١) من قصيدة تبلغ (١١) بيتاً، لا تحمل اسم قائلها.

(٢) هو الشاعر: أبو مناحي، عيد بن سلطان بن خلف من الدعاجين، من قبيلة عتيبة. التحق بإمارة الجوف مع عبدالعزيز بن أحمد السديري سنة (١٣٥٠هـ) ثم انتقل في وظائف عدة في المنطقة، وكان من الأصدقاء المقربين لمعاليه، وهو الذي يقول فيه في إحدى قصائده:

مـن يـرد اعلـومـنا لابـو مناحي   الرفيق اللي حديثه مشتهينه

يا امناحي منقع الجودا جمَلْنا   ناطح القالات ما هزه ضديده
شايب عشنا معه باوّل جَهَلْنا   ما نبيعه بالجليلة والزهيدة[1]

وإذا كان الشعراء الأباعد شهدوا له بهذه الصفة، فإن أحد أقرب الناس إليه أولى بالشهادة، وأصدق من يصفه، ألا وهو ابنه زياد الذي يقول من قصيدة موجهة لوالده:

أبوي شيَّال الثقيلات وِاحْمُول   تصعب على بعض الرجاجيل لا شال
يصبر وحمله كل ما زاد منقول   ولا زاد حمل اللاش شاله ولا مال[2]

تواضعه: لا يمكن الحديث عن شخصيته دون الحديث عن سمو أخلاقه وبالغ تواضعه، فقد عرف عنه مع شدته في الحق صدقه في القول، وتواضعه الجم، ولين جانبه لمن حوله، ونقاء سريرته.

ويجسد الشاعر مقبل بن عبدالعزيز العيسى هذا المعنى، ويؤكد شهادة الشعراء له بهذه الصفات النبيلة:

كلٍ يَعَرْفه بالنقا، والقصايد   تشهد على هاذي الصفات النبيلة[3]

وفي تواضعه يقول الشاعر إبراهيم الغضبان من قصيدة له، مشيراً إلى أن التواضع الحقيقي هو تواضع أصحاب الرتب العالية أمثال الفقيد رحمه الله:

(متواضعٍ) وانته بعالي رتبها   زبون شكَّاي الدهر والمسايير[4]

ويقول شاعر ختم قصيدته الرثائية المعبرة بتوقيع مواطن:

---

(١) القصائد، مصدر سابق، ص (٣٣٠).
(٢) القصائد، مصدر سابق، ص (٣٤٥). واللاش: أي اللاشي، كناية عن الرجل الضعيف.
(٣) سبق التعريف بالقصيدة والشاعر.
(٤) من قصيدة تبلغ (١٦) بيتاً، وزبون: أي ملجأ. وشكّاي الدهر: أي الفقير المحتاج. والمسايير: أي الزوار والأضياف.

مـرحـوم يـا الـلـي فـي وقــاره مَهَابة   وفـي سيرته لطف و(تـواضـع) وتقدير[1]

وقد أشار إلى ذلك كثير من الشعراء، وأبـرزوا تلك الصفات، حيث يجد من يرافقه المعزة والتقدير، ويلقى الأيتام والضعفاء المساعدة والحنو، ويلحظ فيه الجار العناية والرعاية، ويحصل منه المستجير على العون والمساندة، ومن ذلك قـول الشاعر طَـلاَّع بن مسند الشمري الـذي بَيَّن عـدداً من ملامح أخلاقه في قصيدة من (١٩) بيتاً:

وعـز وُفـخَـر للطيِّبَ اللـي يصافيك   يلقى المَـعَـزَّة فـي ظلالك ليا جاك
(رِيْـف اليتامى) والضعوف المهاليك   كـم مـعـسرٍ تـدفـع لـه الـخيـر يمناك
غيثٍ على الجيران واللـي حواليك   والـلـي لجا لـك ياجد العز بحْمَاك

عفته ووفاؤه: ومن أرقى مظاهر الخلق الكريم العفة ومن أفضلها الوفاء، وعن هذا الجانب عنده، يحدثنا الشعر بلا حدود شاهداً له ومشيداً، ومن ذلك قول الشاعر محمد بن محسن بن عمرة المقاطي:

الـطـيْـب كـلـه فـوق راســك عْمَامة   وانـتــه مـقـرّه يـا (ربـيـع الضعافي)
كــلٍ شـهـد لــك بـالـوفـا والشهامة   ضيفك وجيرانك ومن جاك لافي[2]

ويقول الشاعر ناصر بن بليهيد[3] من قصيدة له تبلغ (٢١) بيتاً قالها عندما سافر الأمير للعلاج في أمريكا :

---

(١) سبق التعريف بالقصيدة.

(٢) سبق التعريف بالقصيدة. ولافي: أي قادم، والمراد به الضيف ومن في حكمه.

(٣) هو الشاعر المشهور: ناصر بن بليهيد بن رسام، من ذوي ثبيت، من الروقة، من عتيبة. التحق بالعمل في إمارة الجوف مع محمد بن أحمد السديري سنة (١٣٥٧هـ)، ثم تولى رئاسة عدة مراكز في تلك المنطقة، كان آخرها مركز الشويحطية، ثم أحيل على التقاعد، وأقام في سكاكا الجوف، إلى أن توفي رحمه الله (المصدر: كتاب: القصائد، ديوان عبدالرحمن بن أحمد السديري، ط١، ١٤٠٣هـ، ص٣١٥).

نطلبك يا اللي فوق خلقه رقيبي تـرد لـلـجُـوبَـة قـمـرهـا عَــمَــاره[1]
رد الأمـيـر الـلـي نـفـى كـل عيبي وجـد الـرجـال أهـل الـكـرامـة وقـاره
أمـيـن مـامـونٍ حـبـيـب لبيبي شـهـم و(عـفـيـف) ومـنـبـع للطهارة

ويقول الشاعر عبدالرزاق الهذيل مشيراً إلى سجية الوفاء عنده في قصيدة بلغت (١٧) بيتاً:

فيك يا (رمـز الـوفـا) كِـدْنـا العِدَا ولـلـمـعـالـي مـعْـك واصـلـنـا المسير

أما الشاعر خلف العواجي[2] من منطقة الجوف الذي أحزنه غياب معاليه عن المنطقة، فوصف حاله وحال الكثيرين مثله بعده، وكتب أبياتاً مؤثرة، يعلل في آخرها سبب هذه المكانة التي احتلها السديري في سويداء القلوب، وهي عفته ومروءته وحسن سيرته وقد أرخت القصيدة بيوم ١٤٠٤/١١/٢٤هـ وهي من (١٦) بيتاً:

نفسه (عفيفة) ما اهنفت للحرامي يـشـهـد عـلـى مـا اقــول كـل الـبَـرِيَّـة
من المجد دايم مسكنه بالسنامي يـسـهـر عـلـى الـعـلـيـا بـنـفـسٍ قوية

وعن وفائه أيضاً يقول الشاعر ناصر بن بليهيد من قصيدة له مكونة من (١١) بيتاً قالها بمناسبة عودة الأمير من رحلة علاجه في أمريكا :

مـن عـرفـك اعـتـرف لـك بـ (الوفا) مـع حـكـومـتـك والـشـعـب الأصيل

ومن أصدق ما قيل عن وفائه أن خلف الحمد الشمري لما توفي جعل أولاده وداعة عند عبدالرحمن السديري لعلمه بأنه خير من يحفظ الوداعة:

---

(١) عَمَارَه: أصلها: عمارها، أي الذي عمرها وتعمر به، ولكن ألف هاء الضمير المؤنث تحذف للتخفيف في بعض اللهجات.
(٢) من أسرة العواجي الشهيرة، من قبيلة عنزة.

ليا من بعض الناس ضيع وديعه   ودعتكم ليثٍ (يَحَفْظ الوداعي)[1]

أما الشاعر عبدالكريم بن عياش الزيد وهو من الذين عرفوا عبدالرحمن السديري عن كثب، فكان أكثر اطلاعاً على خصاله الحميدة وسجاياه النبيلة، لم يتوقف عند سجية واحدة، ولا مزية معينة، وإنما رآه مجموعة من الخصال الكريمة، فعاد به التفكير إلى مصدر هذه التربية الصالحة، ومَن كان وراءها، فبدأ بالترحم على والده الذي رَبَّاه فأحسن تربيته، ثم وصف تلك المحاسن فذكر منها: سعة الحلم، والكرم، والشهامة، والأدب، وسعة الاطلاع، وعراقة الماضي، وكريم الأصل، فقال قصيدة تبلغ (٢٠) بيتاً مؤرخة في ١٣٩٦/٩/٢٥هـ:

كل المحاسن زارعه (خالقك) فيك   الله يرحم عَود وَفّى وُرَبَّاك
حلمك وسيعٍ، والكرم من مباديك   ونور الشهامه ينطلق من محَيَّاك
من عظمتك ما والله اقدر أكنّيك   واعظم أديبٍ ما يحَدِّد سجاياك
مجلّد الدنيا إذا اقدر أسَمِّيك   وفي كل صفحة نفحةٍ من مزاياك
حاضرك يشهد يا ابو فيصل لماضيك   حرٍ ولد حرٍ، وهذا ولد ذاك

العلاقة الحميمة: كان رحمه الله، قريباً من الناس متصلاً بهم، متواضعاً لكبيرهم، عطوفاً على ضعيفهم، حنوناً على صغيرهم، فأشاع جواً من الألفة مع الجميع، وجمع بين علاقة الأخوة مع كبار القوم ووجوه المجتمع، والأبوة الحانية مع الضعفاء والصغار، فأثمرت هذه العلاقة الحميمة احتراماً متبادلاً، وثقة في التعامل، وصفاء في العلاقة بين المسؤول والمواطن، ويصور الشاعر ملفي بن بنية الرويلي ببساطة وعفوية تلك العلاقة ويشبهها بعلاقة الأب الرحوم بأولاده، فيقول من قصيدة يثني بها على معاليه:

اللي لشعبه ما مشى بالردية   يامر عليهم بالهدَى والمراضاة

(١) قصيدة على لسان ابنه محمد بن خلف تبلغ (١٥) بيتاً.

أبــوٍ رحـــومٍ وامــرتــه مرحمية   طيبه كثير وقـدَّم الفعل يمناه[1]
نفسه خفيفة، ونـافٍ الكِبْر نية   لـو جـاه عَـيِّـل دار بـالـه وحـاكـاه

وعن تصوير حس الأبوة عنده، التي كان من أهم خصاله وملامح أخلاقه الكريمة، يوافينا الشاعر يوسف بن محمد أبو عواد بهذا البيت الجميل من قصيدته التي سبقت الإشارة إليها:

كنت الأبَ المسكون عاطفة فما   آخـذتـنـا لـو (زادت) الأخـطـاء[2]

وعن ملمح الأبوة أيضاً يقول الشاعر الأستاذ عدنان الشايجي[3] من الكويت، من قصيدة فصيحة بلغت (١١) بيتاً، أشار فيها إلى المبرة الخيرية التي أنشأها الفقيد لرعاية الأطفال:

تـرقـرق فـي عـيـنـيـك دَمْــعُ أبـوةٍ   وأنـت تـرى غَـرْسَـاً، بـه أنـت تُسْهِمُ

أما الشاعر محمد بن منوخ بن دعيجا فيصف هذه العلاقة من زاوية أخرى، مشيراً إلى أن من مظاهرها أو أسبابها أن هذا الأمير شاركهم في السراء والضراء، عانى معهم أيام المعاناة، وقاسمهم مر الحياة وحلوها:

عـانـيـت مـعـنـا يـوم فـيـهـا معاناه   وشاركتنا صَلْف المعيشة وقاسِيْه
وامضيت معنا مَطلع العمر وِصْباه   شمعة ورا شمعة على الدرب تضوِيه

ومن الجوانب التي تتعلق بقربه من الناس، واستشعاره لهمومهم، والوقوف معهم في الشدائد، وقوفه مع المرضى سواء بالعلاج على حسابه، أو من خلال نقلهم بطائرات الإخلاء الطبي إلى المراكز الطبية المتقدمة، فضلاً عن متابعة حالاتهم، والسؤال عنهم وكأنهم من أقرب الناس إليه.

---

(١) اِمْرته مرحمية: أي أن أوامره رحيمة، فيها تيسير على المأمورين.
(٢) من قصيدة تبلغ (١٥) بيتاً، منشورة في جريدة الجزيرة الصادرة يوم الأربعاء ١٤٢٧/٢/٢٩هـ (رثاء).
(٣) شاعر وأديب كويتي زار منطقة الجوف برفقة عبدالعزيز بن سعود البابطين، وأعجب بما رأى من كرم أمير المنطقة وحسن أخلاقه، فضلاً عما شاهده من إنجازاته في المنطقة، فعبر عن انطباعاته بتلك القصيدة.

فمن المواقف الأبوية التي سجلها له الشعراء في هذا الجانب موقفه مع عم الشاعر عابد الجلال الذي سجله الشاعر بقصيدة مؤثرة بلغت (١٥) بيتاً، تتضح بالثناء رداً للجميل، وتلهج بالشكر له رحمه الله:

الشعر هاض وهَيّضه نسل الاجواد عَون الضعيف ليا قطعنّه حباله
الشيخ أبو فيصل على الطيب معتاد فعله بعَمِّي ما هي أول جماله
يوم أخبروه إنه مريضٍ على وْسَاد اسعاف طاير لديرة الجوف جا له
بأمر أبو فيصل (نهار) المرض زاد أمر بعلاج العم من حر ماله

ويؤكد هذا المعنى الشاعر عبدالكريم بن أحمد الوديعة من قصيدة سبقت الإشارة إليها، يخاطب بها الأمير مشيداً بوقفاته الإنسانية مع المرضى وخاصة المحتاجين إلى العلاج خارج منطقة الجوف:

كم مريضٍ بفضل خلاّقه شفا ثم فضلك فيه تقدير الظروف
من كواه البَرْد يَلْقَى بك دفا تزرعَ البَسْمات، تنزع كل خوف

إدارته:

في سنة ١٣٦٢هـ استلم عبدالرحمن السديري إمارة منطقة الجوف، وكانت حديثة عهد بعصر الوحدة والاستقرار، قد أنهكها عهد الاضطراب والفوضى الذي سبق انضمامها للدولة السعودية، وكانت الخدمات والمرافق العامة في بداياتها، والأوضاع الاقتصادية والزراعية بدائية، فشمر، رحمه الله، عن ساعد الجد والعمل، من أجل إكمال جهود من سبقوه في نزع فتيل الخلافات والضغائن القديمة من النفوس وإشاعة روح المحبة والتعاون بين أهالي المنطقة، ثم التفت إلى البادية فسعى إلى توطينهم واستقرارهم في المدن والهجر لينضموا إلى ركب التحضر والبناء، وليلتحق أبناؤهم بالتعليم الذي لا يتحقق مع حياة التنقل والترحال.

وبعد ذلك التفت إلى الزراعة محاولاً النهوض بها وتطويرها، ثم وزِّعت الأراضي الزراعية، وشجع المزارعين وحفزهم، ولم يغفل عن النواحي الاقتصادية الأخرى كالصناعة وغيرها، وخلال عقدين أو ثلاثة تغير وجه المنطقة، وتبدل حالها،

فحققت خططه أهدافها، وآتت ثمارها، وتحول الجوف من منطقة صحراوية تمثل الأمية فيها نسبة مخيفة إلى منطقة يضرب بها المثل في النهضة والتحضر والبناء، وأصبحت مدارسها تخرج أبناء البادية المتسلحين بالعلم في ميادين الحياة كافة.

لم يكن تحقيق طموحاته بالأمر السهل، ولم يكن تحويل الحلم إلى واقع بالأمر الهين، وإنما كان ذلك مدعوماً بالنية الصادقة، والعزيمة القوية، والقيادة الحكيمة، والإدارة السليمة، والقدوة الحسنة. وللتعرف على أهم الخصائص التي تميزت بها إدارته، واستطاع من خلالها تحقيق تلك الإنجازات، فإنه يمكن التوقف عند الجوانب التالية:

قربه من المواطنين: حدثني كثير ممن عرفوا الفقيد، وتعاملوا معه، أو من الذين زاروه لطلب شفاعته في مواضيع شتى، أن الوصول إليه كان ميسراً، وأن من أراد مقابلته لا يجد صعوبة في ذلك، إذ لا حواجز، ولا حرساً، ولا مواعيد للمقابلة، وحتى لا يظن من يقرأ هذا الكلام أن فيه مبالغة أو تضخيماً، أورد أمثلة من القصص والأشعار التي تدل على صدق ما قيل عنه، فهذا أحد المزارعين الذين ضُرِبَ لهم موعدٌ للمسابقة على جائزة المزارعين في إنتاج التمر، وبما أن هذا المزارع ليس لديه من يوصله لمكان المسابقة، فما كان منه إلاَّ أن كتب رسالة بسيطة للأمير يطلب منه أن تأتي اللجنة إليه لأن ابنه ذهب للدراسة في الرياض وهو لا يقود السيارة، وهذا نص الرسالة التي تجمع بين النثر والشعر بلا تكلف أو تزلف:

(معالي أمير منطقة الجوف، أطال الله في عمره، بعد التحية والاحترام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أتقدم إليكم بمعروضي هذا وفيه أفيدكم بأنني من مواطني دومة الجندل، وأملك مزرعة ذات نخل مثمر، وقد نويت أن أحضر جوائز النخيل، ولكن ظروفي لم تسمح لي، حيث أن ولدي ذهب للدراسة في مدينة الرياض، ولم أقدر على المشاركة في هذه المسابقة، وقد قلت في ذلك هذا البيت:

كل نَهَج للسديرية[1]   ما عندي اللي يودّيني

حــمـــود كـــتـــب لـــه بـكـلـيـة كــلــيــة الأمـــــن يـــا عـيـنـــي
يـــا امـــيـــر يـــا شـــوق نـشـمـيـة يـــا مــسْـــنــدي لا تـخـلِّـيـنـي
غــريــســنــا مـــن ورا الــمـــيَّـــة والــلـجـنـة هـــو لـيـه مـــا تْجِيني

هذا ما لزم، تحياتي لخاصة نفسك ومن لديك عزيز، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. مقدمه: حامد حمود العامر ١٤٠٤/١/١٧هـ).

بهذه البساطة، وهذه العفوية كان الناس يخاطبونه، ويتواصلون معه، وما ذاك إلاَّ دليل على ما اشتهر عنه من قربه من الناس وسهولة الاتصال به والوصول إليه.

وفي سياق قصيدة رثائية رائعة، نستمع إلى شهادة مواطن فجع برحيله، فهاضت قريحته المفعمة بالصدق، والبعد عن التزلف وحب الظهور، حيث أبى إلاَّ أن يرمز لاسمه ب: مواطن، وجاء من ضمنها قوله:

فـي مكتبـه مـا خلـقتـه صـك بابه وفـي مجلسه مـا حـط دونـه نواطير
يـاتـيـه مـن عـضـه مـن الـوقـت نابه وتـاتـيـه شـيـخـان الـرجـال المظافير
وتـاتـي لـه الاجـــواد مـن كـل لابة مـا بـه مـواعـيـد ولا بـه طـوابـيـر(٢)

سداد رأيه: عرف الشعراء المحيطون به من أصدقائه ومحبيه ما يتميز به معاليه من الحنكة، وتنبهوا إلى سداد رأيه، وخبروا بُعْدَ نظره، وأدركوا عميق تجربته في الحياة، فأخذ ذلك حيزاً من شعرهم، ولم يكتفوا بوصف ذلك الجانب، بل سارعوا إلى طلب مشورته، والاستئناس برأيه، خصوصاً وأن دماثة خلقه عَوّدتهم على استجابته لمن ساجله شعراً، أو جاءه طالباً مشورته، فهذا الشاعر أحمد بن محمد السعد الحمدان العضيدان العازمي(١) يشكو إليه حال أصدقاء

---

(١) السديرية هي مزرعة عبدالرحمن السديري.

(٢) سبق التعريف بالقصيدة. واللابة: هي الأرض البركانية، وتسمى: الحَرَّة، وتطلق أيضاً على القبيلة، أو الطائفة.

الرخاء، الذين تتقلب أحوالهم مع تقلبات الزمان، لكنه قبل ذلك يبرر سبب اختياره لعبدالرحمن السديري بهذه المشورة، وما ذاك إلاَّ أنه عرف صواب نظرته للأمور، وأدرك نضج تجربته، بعد أن اطلع على ديوانه، وقرأ فكره الذي نضح به شعره، فجاء ينهل من هذا الفكر، ويستفيد من التجربة[٢]:

حيثك من أهل العِرْف يا امير والدرا ... شاعر ورأيك من قديم سدِيْد[٣]
أبعث لك القيفان من خاطر انكَوَى ... وارجي جوابك عن طريق بريد[٤]
حيث ان ديوانك شهد لك بما احتوى ... نظماً بمنطوق الكلام يفيد
أرجي النصيحة منك يا منقع الندا ... لعل عمرك يا الأمير مديد
باللي صداقتهم مع الوقت وان صفا ... والى انقلب بك ما لقيت نجيد

ويرسم الشاعر إبراهيم الناصر صورة بديعة لجود الأمير، وأرى أنها صورة نادرة بل ربما مبتكرة، لأنه ربط بين الجود بالمال والجود بالرأي، وأوضح لنا كيف يعالج ممدوحه معضلة الفقر، وكيف يرفع عن الفقير ثياب المذلة، ليس عن طريق إعطائه المال فقط وتعويده على ذل المسألة، وإنما من خلال توجيهه توجيهاً أبوياً وتربوياً، وانتشاله من حالة الفقر والمسألة إلى حالة الاعتماد على النفس، وهذا رأس الحكمة، وهدي محمد صلى الله عليه وسلم، الذي أعطى الصحابي السائل فأساً ودله على الاحتطاب، فكان في ذلك غناه وعزته.

وفي هذا المعنى يقول الشاعر من قصيدة ترحيبية من (٩) أبيات بمناسبة قدوم الأمير إلى الجوف بعد غياب مؤثر في محبيه:

نطلب من اللي ليا عطا ما يمنّا ... يطيل في عمرك سنين طويلة

---

(١) من أسرة العضيدان العريقة، ولد سنة ١٣٣٥هـ في الغاط. عمل في إمارة العلا مع سعد التركي السديري ثم مع أحمد العبدالمحسن السديري، ثم تقاعد واستقر بالغاط، إلى أن وافته المنية في ١٤٢٥/٥/٢هـ، رحمه الله، وكان رجلاً مسدداً، وشاعراً.

(٢) (القصيدة طويلة تبلغ (٦٥) بيتاً تقريباً، أولها:

عَدَّيت بالمرقاب يا امير بالضحى ... في عالي المرقب قعدت وحيد

(٣) الدرا: أي الدراية والمعرفة.

(٤) القيفان: أي القوافي، والمراد بها: القصيدة، أو الشعر عموماً.

تعيش فيها راضياً مطمئنّا ترفع عن المعسِر ثياب المذلة
إن جدت له بالمال ما له مثنّا وان جدت له بالراي رايك يدله

ولا يفوت الشاعر عبدالرزاق بن حسين الهذيل أن يسجل إعجابه بحنكة معاليه وسداد رأيه، حيث يقول في قصيدة ترحيبية بلغت (١٦) بيتاً:

معك راي من مشى به ما غدا فيه منجوم البصاير يستنير
ما يضيع اللي بمنهجك اقتدى وانت راعي الراي الاول والاخير

ويشير الشاعر سالم بن حمدان الشراري[١] إلى هذا الجانب ببيت من الشعر ضم مجموعة من الخصال في هذا الجانب وهو قوله:

واسع مدارك لا قضى بالقضايا به لين، به رقة، وبه حزم واصرار[٢]

وهذا الشاعر إبراهيم بن سعد المقبل كان من العاملين مع عبدالرحمن السديري منذ تعيينه أميراً على منطقة الجوف سنة ١٣٦٢هـ، ويؤكد الشاعر بخط يده - في قصيدة من (١٢) بيتاً - ندرة هذا الرجل في التزامه بمسؤولياته، وفي صيانة عمله، وفي عفته عن أموال الناس وأعراضهم، وفي قدرته على إقناع أصحاب الحقوق فيما بينهم، وكيف أن الأخصام يقنعون بإصلاحه بينهم أكثر من قناعتهم بحكم القضاء الرسمي:

يا امير عاصرت الوفا والشرايع تامر بفعل الخير وتجود وتشير
ليا ضاعت الاشوار والراي ضايع لقوه عنده ريّضوا يا مداوير
إلى خايروا ما بين شاري وبايع أدلى براي له يقص المسامير
كم واحدٍ ضاقت عليه الوسايع وفتحت له باب السعادة بتفكير

ولا ينسى الشاعر مقبل بن عبدالعزيز العيسى أيضاً أن يسجل ظاهرة تميزه بصواب الرأي والحكمة، ويصور حنكته ومعرفته بخفايا الأمور وقدرته على حل

---

(١) سالم بن حمدان الشراري من شعراء قبيلة الشرارات، عمل في إمارة منطقة الجوف.
(٢) قصيدة رثائية، منشورة بجريدة الجزيرة، العدد (١٢٢٤٢)، الأربعاء ٧ ربيع الأول ١٤٢٧هـ.

المعضلات ومبهمات المسائل، ويقول إنه كالدليل الماهر الذي يعرف مجاهل الصحراء، ويعتمد عليه القوم المسافرون في الفلاة في الليل البهيم:

حِلْحيل ليلٍ بالفلا.. والحمايد ما خاب مَسْرَى مدلجٍ.. هو دليله
شورات رايه بالسياسة وكايد و في دبرته ما قيل.. وا عزتي له
ما ينعرف بالضعف عند الشدايد و عند الرَّخا.. للطِّيب ضافي شليله

ويستهل الشاعر ناصر بن عبيد أبو حواس المطيري خصال معاليه بوصف سعة حلمه، وغزارة معارفه وقوة رأيه، لكنه يلفت انتباه القارىء إلى أن هذه الخصال لم تكن طارئة بل إن ممدوحه ظهرت عليه علائم النجابة في شبابه، ولبس تاج الفخار في كهولته، وهذه المزايا من الصفات المحببة التي نالها رحمه الله، وكسب بها قلوب محبيه، وأعطته حسن السمعة، وذيوع الصيت:

حلم، وعلم، وقو راي، وصلابة مفراص ماص وللمهمات لولاب
رجل كسب للمجد باول شبابه ولبس مقاليد الفخر عقب ما شاب

إصلاح ذات البين: إن مواقفه الإنسانية في الإصلاح بين الناس في قضايا النزاعات الأسرية أو حوادث القتل والخلافات القبلية مواقف مشهودة لكن معاليه لا يعلنها، ولا يظهرها، غير أن الشعر يأبى إلاَّ أن يسجل ما للمرء وما عليه.

وسنقف وقفات سريعة مع نماذج شعرية تصور هذا الجانب أصدق تصوير، فهذا شاعر رمز لاسمه ب: مواطن يقول من قصيدة رثائية طويلة، سبق التعريف بها:

مرحوم يا محفي مواطي ركابه دايم بْمَسْعَى الخير وِرْد ومصادير

والشاعر سليمان بن علي المقنط واحد ممن شملهم بر هذا الرجل وأدركتهم إنسانيته، فأصلح بين الشاعر وخصومه، فأصبحوا إخوة بعد أن كانوا أعداءً، ولم يكتفِ بذلك بل تحمل عن الرجل ما أرهقه من حمل ثقيل، فصور ذلك بالأبيات التالية التي بلغ مجموعها في الأصل (٢١) بيتاً:

يـا الـلـه يـا عَــلاَّم غـيـب الليالي	**يـا حـي يـا قـيـوم يـا عـالـيَ الشان**
يـا رافــعـاً سـبـعـاً شـــدادٍ مـوالـي	**يـا مـرسـي الـدنـيـا عـلـى كـل الاركـان**
واشـكـر أبـو فيصل عظيم الرجالي	**اللـي جـدَع حِـمْلِـي وانـا كنت غرقان**
مشكور يا ابـن احمد على كل حالي	**يـا صـفـوة الـبـالـود يـا طـيـر حـوران**
عـاداتـكـم شـيـل الـحـمـول الثقالي	**إلـى انقطـع واحـد يـجـيـبـون بَلْهَان**
جمعتها مـن صـوب شـرق وشمالي	**تـمـشـي بـحـق الـلـه عـلـى كـل ميدان**
خـلـيـتـنـا نـشـرب قـــراحـــاً زلالـــي	**عقب الـعـدا صـرنـا بني عـم واخـوان**
أنــت الـــذي تـحـل عـقـد الحبالي	**بالمرجلة والعرف والطيب واحسان**

وإلى هذا الجانب أيضاً يشير الشاعر محمد بن محسن بن عمرة العتيبي مصوراً وقوفه مع أصحاب الحاجات والمظالم فيقول:

كـم واحـــدٍ وقـتـه نـبـا بـه وضـامـه	**فـي الـرجـل قيد وفـي عضوده كتافي**
زيـنـك وادرك مـنـك غـايـة مرامه	**فـكـيـت كـربـاتـه، وراح مْـتعافي**
مـن عقب مـا جـا بـالـدرك والغمامة	**صـارت حموله عقب ثقلت خفافي**
فـكـت مـسـاعـيـك الـحـمـيـدة شكامه	**واصبح عليه من العفو ثوب ضافي**

ويقول أيضاً من قصيدته التي سبقت الإشارة إليها موضحاً مساعيه الخيِّرة، وحرصه على الإصلاح ولم الشمل ونبذ الفرقة:

وانـتـه لـيـا جـا الـشـمـل يـفـرق لمامه	**تـاقـف لْ: لَـمْ الـشـمـل دايـم وقافي**

مساعيه في الخير: أياديه البيضاء رحمه الله، كانت متعددة الوجوه، وخصوصاً في مساعدة أهل الحاجات، ومناصرة المظلومين، والشفاعة الحسنة، سواء في إخراج المساجين أو الموقوفين في قضايا لا تتعلق بالشرف أو حقوق الغير، فقد كان لا يتوانى عن مساعدة من يأتيه في مثل هذه الأمور، ولا يتأخر عن مد يد العون للمحتاجين.

وقد تغنى الشعراء بذلك كثيراً، وأثنوا عليه ثناء يستحقه، ومن أولئك الشاعر

شايع بن فراج السهَلي في قوله:

(ملجا الضعيف) اللي له الوقت هَفَّا   دونــه يضد هْـمـوم بقعا للثقيلات

ويقول أيضاً من قصيدة أخرى بلغت (١٤) بيتاً:

ياما اشبعت يمناه شيبان وضعوف   ويـامـا سعى بـالـخيـر للمعسريني
وياما اطلعت يمناه من كل موقوف   أصبـح يـدَوِّج عقب ما هـو سجيني

وحول المعنى نفسه يقول الشاعر طَلاَّع بن مسند الشمري من إحدى قصائده الموجهة إلى معاليه:

وعـز وُفـخَـر للطيِّبَ الـلـي يصافيك   يلقى المَعـزَّة في ظلالك ليا جاك
(رِيْف اليتامى) والضعوف المهاليك   كم معسرٍ تدفـع لـه الـخيـر يمناك
غيثٍ على الجيران والـلـي حواليك   والـلـي لجا لك ياجد العز بحْمَاك

وعن وقوفه ومساعدته لكل من يحتاج إليها وخصوصاً من تعرض للحيف أو الظلم، وضعف عن إدراك حقه، تحدث الشعراء بكثرة كما مر معنا، ومن ذلك قول الشاعر ممدوح بن ناصر الفقير، من قصيدة بلغت (١٧) بيتاً:

كم واحـدٍ يا اميـر مظلوم ينصاك   تـعـطيـه حـقـه مـا تـأجـل بتاخير

ويقول أيضاً:

وان ضامنا شي على الحق ننخاك   نـلـقـى سنيـد يظـهـر الـحـق تظهير

وهكذا فقد اشتهر، رحمه الله، بالوقوف إلى جانب صاحب الحق، وإظهار حقه، فهو سند لكل مظلوم، وعون لكل مضام، ومقصد لكل صاحب حاجة.

يصعب حصر ما قيل فيه من الأشعار بهذا الخصوص، غير أننا نعرض أمثلة مما قيل فيه، ومن ذلك أيضاً قول الشاعر محمد الصنيتان السقياني الذي تعرض لمشكلة حيرت عليه فكره، وجعلته يفكر بمن يقف معه ويحل ما تعقّد من أموره،

بعد الله، فتذكر عبدالرحمن السديري وراح يستنجد به ويستنصره في قصيدة مكوّنة من (١٤) بيتاً:

تـعـومـسـت كـل الأمـــور وذكـرنـاك   ومـعـامـلات، وفـات كـل الأوانـــي
حـق غـدا مـا يـظـهـره كـود شـرواك   والـلاش مـا يـنـفـع بـكـل المعاني
عـاداتـنـا فـي ضـيـق الايـام ننصاك   ذخـر لـنـا فـي مـاضـيـات الزماني

ويصفه الشاعر الكبير عبدالرحمن العطاوي[1] بأنه كالحصن المنيع لمن جار عليه الزمن، وشكى حيف الأيام:

الشيخ أبو فيصل حجا من شكى الحَيْف   غيثٍ تكاشف للظعاين ابروقه[2]

نماذج من إنجازاته:

كانت إنجازات الفقيد ومبادراته الخاصة متعددة ومتنوعة، ومعظمها مبادرات سباقة، وأعمال جليلة، لكننا لن نتحدث عنها بالتفصيل ولن نوفيها حقها اكتفاء بما ذكر عنها في غير هذا الفصل، لأن الذي يهمنا هنا هو إشارات الشعراء لها وتخليدها شعراً، وليس التعريف بها.

إن العلاقة بين منطقة الجوف وبين عبدالرحمن السديري ليست مجرد علاقة مسؤول بوظيفته، وإنما هي علاقة تاريخية وإنسانية بدأت سنة ١٣٦٢هـ واستمرت ما يقارب نصف قرن من الزمان، شارك الأمير فيها مواطنيه أفراحهم وأتراحهم، وقاسمهم حلو الحياة ومرها، شهد معهم مراحل قسوة الزمن الماضي، وأدرك رغد العهد الزاهر، فتوثقت العلاقة، وترسخت الروابط لتتجاوز حدود الوظيفة ومهامها.

وللاطلاع على ما رسمه الشعر من صور إنجازاته وخدماته اخترنا بعض جوانب من أعماله وعطاءاته خلال توليه إمارة المنطقة وذلك على النحو التالي:

---

(١) هو الشاعر المعروف: عبدالرحمن بن سعود بن نماي العطاوي، من ذوي عطية، من الروقة، من عتيبة.
(٢) القصائد، مصدر سابق، ص (٣٢٧).

دار العلوم: فمن إنجازاته ومبادراته الخيرة في منطقة الجوف، إنشاؤه المكتبة العامة في منطقة الجوف عام ١٣٨٣هـ، ثم طورها فيما بعد إلى أن أصبحت صرحاً ثقافياً يشار إليه بالبنان.

ومن الذين أشاروا إلى هذه المبادرة الخيرية للفقيد، الشاعر عدنان الشايجي حيث قال من قصيدة له، سبقت إليها الإشارة:

إلى الخير قد أنشأت مكتبةً بها كنوز، ومن غاياتها العِلْمَ تخدِمُ
وفي كل يومٍ – بالإمارة - بابكم إلى الناس مفتوح، فبالعدل تحكم

وقد أصبحت المكتبة العامة نواة لدار العلوم بالجوف، أحد فروع مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية التي أنشأها الفقيد سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، في هيئة مؤسسة خيرية وقفية تعمل على نشر الوعي والثقافة وخدمة التراث، وقد أصبحت دار العلوم مناراً للعلم والمعرفة، واستمر يرعاها ويطورها لتخدم الرجال والنساء من أبناء المنطقة، كما صارت مقصداً للدارسين والباحثين العرب والمستشرقين.

وهكذا فقد كان هاجسه، رحمه الله، نشر الوعي والثقافة اللذين هما بذرة التطور والتحضر، وقدم بذلك خدمة جليلة من الخدمات والمآثر التي أسداها لمنطقة الجوف وسكانها، وقد لاقى هذا العمل الجليل صدىً طيباً لدى الأهالي، فأثنوا عليه وعلى صاحبه نثراً وشعراً.

ولأن الذي يهمنا هنا هو دور الشعر في تسجيل مآثره وتوثيق إنجازاته، فإننا نقف مع الشاعر إبراهيم الغضبان مرة أخرى، حيث يقول من قصيدة أخرى بلغت (١٧) بيتاً:

شرَّفتنا بالجوف وافعالك اِبْها يا كبْر معروفك على الجوف يا امير
أهديت للجنسين عشاق ادَبْها مبنى متوج بالشجر والنوافير
أكرمت مِقرين الطراقي رطبها واكرمت من يقرون در المغاتير
لاجل الكتاب أرخصت غالي ذهبها خمسة عشر مليون باقل تقدير

(دار العلوم) ونيتك هي سببها الله واكبر ما اروعه فيك تفكير

وبالإضافة إلى تسجيله لهذا العمل الرائد، فإن الشاعر محمد بن منوَّخ ابن دعيجا يبتهل إلى المولى عز وجل أن يجازي بالخير من قام بهذا العمل الجليل الذي حفظ بعض تراث الأمة:

يا دار من أسسك والخير مبداه الله عسى يا دار بالخير يجزيه
سجل ب (دار الجوف) ماضٍ نسيناه ولا حاضرٍ ينفع إبْلَيَّا مواضيه

وإلى هذا الصرح أيضاً يشير الشاعر عبدالرزاق الهذيل مشيداً بهذا العمل الخيري وأهدافه، من خلال قصيدة سبقت الإشارة إليها:

منك فعل الخير للناظر بدا ما يريد اثبات حتى للضرير
دوك (دار الجوف) صارت منتدى بالمعارف حاوية شي كثير
صوت رشدٍ صار له فينا مدى ثابك الله يا المنادي فيه خير

ومن إنجازاته الإنسانية الخاصة إنشاؤه ضمن مؤسسته الخيرية مدرسة للأطفال، وفيها يقول الشاعر عدنان الشايجي من الكويت في قصيدة فصيحة نختار منها:

إليكَ أَميرَ "الجَوْفِ" ما ليسَ يُكْتَمُ بأنكَ في حُبِّ الجَزيَرةِ مُغْرَمُ
وأَنَّكَ من فَيْضِ المُروءَةِ تَبتَني إلى العِلْمِ صَرحَاً بالمحبَّةِ مُفعَمُ
وتحتضن الأطفال، تولي رعاية إلى "الجوفِ" من عشق بها تترنمُ
ترقرق في عينيك دَمْعُ أبوةٍ وأنت ترى غَرْسَاً، به أنت تسْهِمُ
إلى الله أرخصت النفيس "مبرةً " بها كل طفلٍ بالمحبةِ ينعم

الجوائز والمسابقات: من السنن الحسنة التي سنها رحمه الله، وضع الجوائز والمسابقات لكونها وسيلة لتحقيق أهداف التنافس الشريف على ما يفيد المجتمع، ويسهم في تطوره في شتى المجالات والقطاعات.

وكانت هذه الجوائز والمسابقات تموّل وتدار بشكل شخصي منه على رغم ما يتطلبه ذلك من تكاليف مالية وجهد وعمل. ومن تلك الجوائز جائزة المزارعين التي أسسها عام ١٣٨٥هـ، وتعدُّ من أقدم الجوائز في المملكة، ولا شك أن هذا يدل على بعد نظرته، واستشرافه للمستقبل.

ومن الشواهد الشعرية لتلك الجائزة أن مصطفى بن طاهر المعراوي[١] انتهز فرصة الاحتفال بتكريم المزارعين في منطقة الجوف الذي أقيم يوم الأحد ٢٧ محرم سنة ١٤٠٨هـ، فوصف اهتمام السديري بالزراعة، وتشجيعه للمزارعين، وما نتج عنه من تنافس أبناء المنطقة في الزراعة، فأثمر ذلك عن نهضة زراعية، سعد، رحمه الله، بمشاهدة ثمرة غرسه وتخطيطه، حيث يقول الشاعر من قصيدة طويلة باللغة الفصحى بلغت (٣٦) بيتاً:

عيدُ الزراعة والزرَّاع مَكْرُمَة والكل كان لهذا اليوم مرتقبا
في كل عام أمير الجوف يكْرِمُهُم يعطي ويكرِمُ من أعطى ومن وَضبا
هو الكريمُ أميرُ الجوف رائدُنا يحوي الفضائل والأخلاق والأدبا
قد شجع الزرع بالتكريم عادته من أتقن الزرع يوم الزرع قد كسبا
هذي المكارم فاضت من أنامله والخير والجود فالتاريخ قد كتبا
فبارك الله بالمحصول وازدهرت فيه الزراعة بل نلنا بها الأربا

كما وضع، رحمه الله، جائزة لسباق الهجن، وأخرى لإحياء حرفة غزل السجاد المحلي والتراث وخصصها للنساء، في لفتة بارعة تدل على بعد نظره، وإدراكه لدور المرأة في المجتمع، فضلاً عما نتج عن ذلك من مردود مادي ومعنوي لكثير من ربات البيوت وأسرهن.

تطوير المنطقة: يطالعنا محمود بن عبدالله الرمحي[٢] بشهادة شاعر جمع

(١) عمل موجهاً تربوياً بإدارة تعليم منطقة الجوف.

(٢) محمود بن عبدالله الرمحي، من رجال التعليم، عمل في منطقة الجوف مدة من الزمن، ثم انضم للعمل في مكتبة دار الجوف للعلوم، ولقربه من أمير المنطقة واطلاعه على سيرته وإنجازاته عن كثب، فقد تأثر بعطف معاليه، وحسن سيرته، وتفانيه وبذله في أعمال الخير، فسجل بعض مشاهداته شعراً كما في هذه القصيدة.

بين وصف إنجازاته وبين شخصيته الفريدة وسيرته الحميدة وعطائه الممتد على مدى خمسين عاماً في منطقة الجوف، مشيداً بما يحمله من قلب كبير جعله يحتوي الجميع بمحبته، ثم يشير الشاعر إلى سعة فكره وثاقب بصيرته، كما يبدي إعجابه بأدبه وشاعريته، وسعة اطلاعه، فيقول من قصيدته باللغة الفصحى:

خمسون عاماً في عطاءٍ دائمٍ والكل يشهد أنه الإنسان
قلب كبير، أي حُلْمٍ زانه بل أيُّ فكرٍ ثاقبٍ يزدانُ
قلب كبير بالمحبة عامرٌ فطِنٌ، حكيمٌ، خُلْقهُ القرآنُ
وأديبُ عصرٍ، والقصائدُ شاهد فيه العظات، كأنه لقمانُ[1]

وكذلك يعبر الشاعر محمد الفايز[2] في قصيدة له باللغة الفصحى تبلغ (١٤) بيتاً عن جانب من جوانب جهود الفقيد في تنمية الجوف وتطويرها، فيقول:

لك الفضائلُ من شتى نواحيها أبا زيادٍ وتعْلِي من مبانيها
يا شاعراً وأميراً فاضلاً عَمَرَتْ سباسبُ الجوفِ مما راح يعطيها
يشدو لها بقصيد الفخر آونة وتارة بالأيادي الغرِّ يَسْقيها
يا كالىء النخل ترعاه وتزرعهُ ومالىء الأرض من جودٍ تغطّيها

ومن شواهد ذلك أيضاً قول الشاعر شايع بن فراج السَّهَلي:

خمسين عاماً كلها ما تخفَّى بالجوف زيزوم الشرف والمهمات[3]

توطين البادية: من أهم إنجازاته رحمه الله، التي ميزت تجربته، وأبانت عن بعد نظرته، وحنكته، خطته في توطين البادية في وادي السرحان وفي منطقة الجوف عموماً، فقد نجحت تلك الخطة نجاحاً باهراً، رغم كثرة المعوقات وقلة الإمكانات في زمن وضع تلك الخطة الطموحة، ليس هذا مجال الحديث عن ذلك

(١) قصيدة رثائية تبلغ (١٦) بيتاً، منشورة في جريدة الجزيرة الصادرة بتاريخ (١٤٢٧/٣/١٧هـ).
(٢) شاعر كويتي مبدع.
(٣) من قصيدة رثائية تلغ (١٢) بيتاً، منشورة في جريدة الجزيرة، العدد (١٢٢٣٧) الصادرة يوم الجمعة ٢ ربيع الأول ١٤٢٧هـ.

الإنجاز المتميز، ولكننا سنتوقف عند بعض المقطوعات الشعرية التي أشادت بذلك المشروع الناجح.

وفي هذا الصدد يؤكد الشاعر محمد بن منوّخ بن دعيجاء[1] على مسألة توطين البادية ويعدها أهم إنجازات الفقيد من وجهة نظره، حيث كان السبب في استقرار البادية وجعلهم يُبدِلون التنقل والترحال وراء قطعانهم بعمران القرى، وغرس النخل، وزراعة الأرض، حيث يقول من قصيدة بلغت (١٨) بيتاً، وقد سبقت الإشارة إليها:

وَجَّهتنا يوم ارتبك راينا وتاه والبادية منا جَهَلْها سطا فيه
رَوَّضت منا راعي الذود والشاه واستبدل الرحال غرساً ايْسَقيه
وتواصلت صحراه بالمدن وِقْراه من فوقي الوادي إليا هْدَيْب حَدْرِيْه
خير الحكومة عمنا وانت ترعاه واليا سعيت ابخير كنك امْسَوِّيه
يا مِيْرنا يا صاحب الجود والجاه يا مكرم اللافي، ويا عز عانيه

ويشير الشاعر محمد بن محسن المقاطي العتيبي إلى ذلك منوهاً بجهوده الدؤوبة نحو تحديث منطقة الجوف، ليس من خلال تطوير المرافق والخدمات فقط، وإنما من خلال إشاعة جو المحبة والوئام بين السكان والقضاء على ما يسبب الفرقة من ترسبات الماضي:

من جيت جو الجوف زاد احتشامه واستقبلوك وصفقوا بالهتافي
واصبحت عزٍ له وفخر وكرامة ولا احْدٍ شكى من يوم جيته خلافي
زودت تطويره وزدت انتظامه واوجدت بالسكان روح التصافي

ترسية الأمن: عندما تولى عبدالرحمن السديري رحمه الله، إمارة منطقة الجوف وما حولها، كانت تلك المنطقة قد تشبعت بروح الفوضى التي سبقت عهد التوحيد، حيث كانت تتنازعها قوى سياسية متضاربة، وتحيط بها قبائل متنافرة، فكان توطيد دعائم الأمن بها من أصعب المهام التي أنيطت بهذا الأمير الشاب،

---

(١) شيخ عشيرة الحلَسة، من قبيلة الشرارات.

لكنه عقد العزم واستعان بعد الله بنية صادقة، وعمل مخلص، فوفقه الله إلى إذابة جليد البغضاء والقضاء على سلوك الثارات، واستطاع بحنكته أن يزرع الوئام والمحبة بين فئات المجتمع، وأن ينتزع بذرة الأحقاد والضغائن المتوارثة من بعض الصدور، فسادت الأخوة، وأَحَلَّ التعاون بدل التنافر، والاجتماع مكان الفرقة، فعاش الجميع بأمن وسلام، حتى صار مضرب المثل في مدة إمارته.

ولا شك أن من أهم أسباب ما تحقق من الأمن والوئام هو احتواء الأمير، رحمه الله، للناس بأخلاقه ونزاهته وعدله الذي جعل الكل ينقاد احتراماً وتقديراً لتوجيهاته، ويتلقاها تلقي الابن من الوالد العطوف، فضلاً عن حزمه مع المخالفين والخارجين على مصلحة المجتمع وقوانينه، وفي هذا المعنى بالتحديد يقول الشاعر ناصر بن بليهيد بالأمير بعد عودته من رحلة علاجية في الخارج، وقد سبقت الإشارة إلى القصيدة:

فرحة الجوف واهل الجوف فيك مثل يعقوب في يوسف عديل
أنت أبوهم سندهم عزهم عن تحدي، وعن مَيْلٍ يميل

ويعبر الشاعر خلف العواجي في قصيدة – سبقت الإشارة إليها – تتضح بالمحبة والوجد على عبدالرحمن السديري بعد أن سافر للعلاج خارج المملكة، موضحاً أن مزاياه كثيرة، لكن أهمها وأثمنها نعمة الأمن الذي أضفاه الله على المنطقة بسبب حسن إدارته للأمور، فجعل الناس ينامون قريري العين، ومنع تعدي بعض الناس على حقوق بعض:

اللي بظله كل وقت نـنامي كفيلنا عن الغلَطْ والخطِيَة(١)

(١) من قصيدة تبلغ (١٦) بيتاً، مؤرخة في ١٤٠٤/١١/٢٤هـ (٧٢/٣).

الفصل السابع

بأقلام غربيين

د. ميجان الرويلي*

لم تقتصر شهرة عبدالرحمن السديري أمير منطقة الجوف الأسبق رحمه الله، على أهل المنطقة وأبناء المملكة وذوي الشأن الرسمي المحلي والإقليمي، بل عرفه غربيون لم تكن لهم صفة رسمية، وإنما كانوا من الباحثين في الآثار وعلم الاجتماع والطب والتاريخ، ولهم ذكرياتهم عنه في مختلف مشارب الحياة، وقد سجل بعضهم ذكرياتهم عن الجوف وعن علاقتهم بأميرها، فغطوا جوانب مختلفة من شخصيته، منها الرسمي ومنها الاجتماعي والشخصي الخاص.

يقول وليام لانكستر[1] في وصفه شخص الأمير: "**لقد كان اللطف نفسه، وكان دائماً يجلسني بجانبه، ويحرص على أن يناقش مواضيع يتوخى فيها ما قد يهمني**".

مثل هذا الاهتمام دوَّنه قبل لانكستر بأكثر من عقد من الزمان السيد ج. ف. والفورد[2] في زيارته الأولى للجوف، فهو يقول في سرده للقصة: "**كان هذا أول لقاء لي منفرداً بأمير وكنت قلقاً، وعندما حضر الأمير أشار إلي أن أجلس بجانبه على منصة منخفضة، طلب القهوة فأحضروها وتبعها الشاي، كان الحديث صعباً بسبب ضعف قدرتي في اللغة، لكن لم يكن هناك جوٌ من الارتباك أو الخجل، لقد كان الأمير حاذقاً في إراحة الغرباء (...) فقد استدار نحوي عدة مرات ليبتسم ويقول «كيف حالك؟»**".

لم يكتف والفورد بسرد هذا الاستقبال، بل يضيف "**أن الأمير أخذ بيدي إلى**

* أستاذ النقد والدراما، بقسم اللغة الإنجليزية بجامعة الملك سعود، له بحوث ودراسات منشورة باللغتين العربية والإنجليزية، وهو من أبناء منطقة الجوف.

(١) وليام لانكستر، ذكريات مخطوطة، وهو بريطاني عمل في الوطن العربي لأكثر من عشرين عاماً مصوراً وباحثاً في مجال علم الانثروبولوجيا أصدر كتاباً عن عشائر الرولة بعنوان: Rwala Bedouin Today

(٢) ج. ف. والفورد

(G. F. Walford, The Arabian Locust Hunter (London: Robert Hale Ltd., 1963

مائدة الطعام ولما شعر بحرجي (من الأكل باليد) طلب خادماً كان من شأنه أن يضع حالاً ملعقة بجانبي". ويختصر والفورد الأمر بأكمله حين يقول: "**والحال، أنني كنت عند المضيف المناسب، وقد سهل لي الأمور**".

وتأتي الشهادة نفسها من طبيب الأمراض الجلدية المشهور، البرفسور آرون. ب. ليرنر[١] الذي استضافه عبدالرحمن السديري في الجوف لدراسة داء البهاق، يقول ليرنر أثناء استقبال الأمير له: "**كان الجو هادئاً، وكان الحاكم رجلاً صغيراً يقظاً ذا صوت ناعم وابتسامة لطيفة، وقد تجاذبنا حديثاً ممتعاً**".

مثل هذه السمات الشخصية، يكررها العديد من الغربيين الذين التقوا الأمير السديري، فقد أشار جيفري كنغ[٢] إلى عناية الأمير الشخصية به وبغيره من الباحثين الغربيين إذ يقول: "**كان قد ساعد كثيراً البرفسور فرد وينيت**[٣]، **الخبير الكندي المتميز في الخط العربي، كما اعتنى عناية فائقة بالسيد كولن بادوك (الذي أصبح اسمه خالد بعد إسلامه)**"[٤].

أما كنغ نفسه فقد وصف ما مر به خلال زيارته الأولى للجوف، إذ يقول: "**كنت سأمكث مع عبدالرحمن السديري في منزله في جناح الضيوف وسأتناول الطعام معه ومع أبنائه، ومن ثم سيتم اصطحابي إلى المواقع الأثرية في سكاكا وقارا ودومة الجندل**".

بل إنه حرص على أن يورد تفاصيل دقيقة عما قابله في تلك الرحلة لا تختلف عما أورده والفورد قبله بزمن ليس بالقليل، فيذكر أنه تناول القهوة حالما قابل عبدالرحمن السديري في مجلسه، ومع "**أن الأمير وجد لغتي العربيه الركيكة**

---

(١) آرون. ب. ليرنر، طبيب الأمراض الجلدية المشهور، واستاذ كرسي الطب في جامعة ييل الأمركية، رسالة مخطوطة

(٢) جيفري كنغ، رسالة ذكريات مخطوطة، جيفري كنغ: باحث وعضو هيئة تدريس في كلية الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن له اهتمامات بآثار الخليج العربي وله بحوث علمية عديدة منشورة عن مواقع أثرية في الشرق العربي

(٣) فريد (ريك فيكتور) وينيت و و. ل. ريد:
(F. V. Winnett and W. L. Reed, Ancient Records from North Arabia (Toronto: UTP, 1970).

(٤) كولن بادوك (خالد بعد إسلامه): ضابط سابق بالجيش البريطاني عمل لفترة طويلة مع عبدالرحمن السديري كما عمل لفترة بدار الجوف للعلوم توفي في بريطانيا عام ٢٠٠٤م.

مستعصية على الفهم، إلا أنه تحملني بصبر حتى عثروا على مترجم".

ولعل المعاملة الحسنة التي استقبل بها حفرت مسارها في شخص كنغ الذي ما فتئ يكررها، فهو يضيف: "**كنت صغيراً جداً في فترة زيارتي الأولى للجوف، لكن عبدالرحمن السديري عاملني بلطف وأبدى عناية كبيرة في أن أرى كل ما هو ذو أهمية من آثار المنطقة**".

وإذ أشار كنغ إلى حسن المعاملة التي لقيها فرد وينيت عند الأمير، فإن وينيت نفسه دوّن ذلك في ما نشره من أعمال، إذ يقول: "**استقبلنا الأمير السديري بحفاوة ومنحنا الإذن بأن نتحرك بحرية وأن نلتقط ما نشاء من الصور، وهذا امتياز لم يحظ به جون فلبي في زيارته عام ١٩٢٣م**"، بل إن وينيت يذكر أنه عندما تعطل جهاز اتصالهم بمحطة التابلاين في محطة طريف تدخل الأمير واستخدم نفوذه لإرسال "**رسائل عبر شبكة الاتصالات اللاسلكية الممتازة لتعلم دائرة التابلاين في طريف بمكان وجودنا**".

ولئن أشار كنغ إلى حرص الأمير على أن يرى آثار المنطقة، فإن وينيت يسجل الأمر نفسه، إذ يقول "**أخبرنا السديري أن نصباً قديمة توجد جنوب سكاكا**"، وما أن عدنا منها **وأخبرناه بانطباعاتنا عن الموقع حتى نقل لنا الأمير معلومات إضافية مفادها أن ثمة مكان يسمى غميره (كذا: يعني مغيرا) فيه برك محفورة وتفضي إليها ممرات صخرية**".

رأى الغربيون أهمية التركيز على تفاصيل قد تبدو للعربي من تحصيل الحاصل، لأن مثل هذه الأفعال نادرة الوجود في العالم الغربي، وأنهم لم يتعوّدوا مثل هذا السلوك العربي الذي يؤكدونه ليس فقط على مستوى التعامل الشخصي وإنما على مستوى الهدف والهم الفكري، ولعل ما يصفونه من سلوك الأمير معهم ومع غيرهم يندر مشاهدة مثله.

فمثلاً يستغرب جيفري كنغ سلوك الأمير مع العامة في مجلسه، وهو أمر لا يرى الغربيون ما يماثله في عالمهم، فيقول: "**كان مجلس الأمير مفتوحاً للناس عامة، وفي تلك الديمقراطية العربية من السلوك الاجتماعي فإن أي شخص يرغب في الحضور ما عليه إلا أن يأتي ويستقبله الأمير، وحالما يأتي الضيف،**

يقف الأمير مع المجموعة لتحية آخر الزوار (...)، وفي انفتاح المجلس وسهولة الوصول إليه أدار الأمير عبدالرحمن شؤون الجوف على طريقة المجتمع العربي التقليدي، فأي شخص يستطيع ببساطة أن يدخل إلى المجلس ويحظى بعرض قضيته على الأمير مباشرة، سواء كانت مشكلته شخصية أو إدارية أو قانونية أو عقارية أو أي شيء آخر".

والأمر نفسه يذكره وليام لانكستر، فهو يقول: إنه كان يزور الأمير كل ثلاثة أسابيع مما "**أتاح لي أن أرى كيف لمسؤول حكومي رفيع أن يتصرف في مجتمع قبلي في مجمله**"، ومثل هذا سجله أيضاً والفورد حيث يقول أثناء استقباله في مجلس الأمير: "**لقد كان يدير استقبالاً رسمياً وبعض أولئك الحاضرين تحدثوا إليه مطولاً، وبين الفينة والأخرى، أحضر له الكاتب وثائقاً ليوقعها**".

كما يؤكد لانكستر ما ذهب إليه وينيت من مرونة في منطقة الجوف، إذ يسجل حرية حركته على عكس زملائه في مناطق أخرى من العالم: "**لم تكن حركاتي حول المنطقة مقيدة، فلم يُقل لي أبدا ألاّ أزور شخصاً من الناس، بل تُركت حراً تماماً في اقتفاء بحوثي كما شئت، لقد كان ذلك عائداً إلى حسن تدبير الأمير، أما زملائي في أقطار أخرى فقد عانوا أشد الصعوبات في عملهم دون تدخل (أحد لمساعدتهم)، بينما كنت، وفي مجتمع يكاد يكون مغلقاً على الغرباء، حراً في ذهابي وإيابي كما أشاء**".

وقد رأى هؤلاء الغربيون ما لا يستطع رؤيته غيرهم، لأنهم كانوا ينظرون بعيون المراقب المحايد وبنظرة غير معتادة على سلوك يومي يغفل عنه المعاصر له، ولعل ما أورده جون برادلي[١] يجمع بين المحلي والاجتماعي والسياسي في آن، فهو يرى أن "**الروح الشعبية لعبدالرحمن السديري، حاكم المنطقة المحلي لمدة (٤١) عاماً والشاعر المشهور، ما زالت تحدد سير الأمور، فهو بكل المقاييس شخص غير عادي وإن كان متواضعاً جداً، وقد أشرف شخصياً على تطوير المنطقة، إن أثره لا زال ماثلاً واقعياً على زاوية كل شارع في مدينة سكاكا، العاصمة الجديدة**".

---

(١) جون ر. برادلي

John R. Bradley, Saudi Arabia Exposed : Inside a Kingdom in Crisis, Updated Edition (London: Palgrave Macmillan, 2005).

لم يكتف الشهود الغربيون بتدوين الجوانب الشخصية لعبدالرحمن السديري، بل امتدت شهاداتهم إلى أمور ثقافية وفكرية واجتماعية، فالدكتور جيفري كنغ يسجل دراية الأمير الواسعة في آثار المنطقة وبنية أرضها الجيولوجية، كما يسجل سعيه الحثيث في طلب الباحثين المعنيين بما تحويه المنطقة من آثار إسلامية وغير إسلامية.

"**لقد اقترح عليَّ زيارة الجوف**" يقول كنغ، "**ورؤية آثار المنطقة**"، ثم يضيف: "**لقد كان الأمير على دراية أكيدة أن المنطقة المحيطة بالجوف غنية جداً بالمعالم الآثارية الإسلامية وما قبل الإسلامية، وقد سبق أن أخبرني كولن أن الأمير حريص على تشجيع العلماء على زيارة المنطقة ودراسة آثارها، وتجسد هذا التشجيع في أن الأمير السديري دعا كنغ نفسه لزيارة "مسجد عمر"**، فيقول: "**في نهاية زيارتي شجعني الأمير على الكتابة عن مسجد عمر، أحد المعالم الإسلامية الأكثر إثارة في شمال الجزيرة العربية، وقد نشرت فيما بعد تقريراً عن المسجد في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية، وأرسلت نسخة من بحثي إلى الأمير السديري الذي بكل دماثة خلق أجابني مشيراً إلى غبطته لاهتمامي بالجوف**".

هذا الاهتمام بالمعنيين ببحث منطقة الجوف، امتد إلى كل من تعامل مع الأمير السديري، وقد سبقت الإشارة إلى تعامله مع وينيت وحثه على زيارة المواقع المختلفة، وكذلك يسجل الدكتور وليام لانكستر بدوره مثل هذه المواقف، فهو يقول في ذكرياته: "**لم أكن الأروبي الوحيد الذي جرب لطف الأمير عبدالرحمن، بل إن كولن بادوك قد عمل في المنطقة لأعوام (...) وغالباً ما يذكر لي بعض أفضال الأمير عليه وبعض الطرائف، وإنني على يقين أن كولن الذي توفي قبل عدة سنوات، كان ليتمنى أن يسهم في هذه الذكريات، ولذلك فقد أخذت على نفسي أن أفعل ذلك نيابة عنه**".

ولم يكتف لانكستر بسرد مثل هذه المآثر بل، شأنه شأن كنغ فيما ورد سابقاً، يذكر هو أيضاً استمرار اهتمام الأمير به حتى بعد انتهاء بحثه في الجوف ومغادرته المملكة العربية السعودية. يقول لانكستر بغير قليل من الدهشة:

"**لقد غادرت المنطقة بعد سنتين ومضيت إلى أعمال أخرى، وإني لأتذكر تلك الفترة بغبطة بالغة، لكنني لم أعرها اهتماماً خاصاً. فتخيل عجبي عندما تسلمت**

رسالة تطلب مني أن أكون المتحدث الرئيس بمناسبة افتتاح قاعة المحاضرات في مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، وهي دعوة لبيتها بفرح غامر، ولم تكن هذه هي آخر صلة لي به، إذ بعد عدة أعوام وصلتني بالبريد ترجمة إنجليزية لكتاب الجوف للأمير عبدالرحمن السديري، لم أكتشف أبداً ما إذا كان هو شخصياً قد رتب إرسالها إلي، لكن إذا كانت هذه هي الحال، فإنها بالتأكيد ليست بمستغربة على شخصه".

ومثل شهاداتهم على سلوكه الشخصي، كانت شهاداتهم على أمور أخرى، فقد أثنوا على ثقافته التاريخية والاجتماعية وأشادوا باهتمامه بنشر الوعي المعرفي الثقافي، وقد أسهب جيفري كنغ في الإشارة إلى إصلاحات الأمير السديري العامة: في الصحة والتعليم وتوطين البادية، كما أشاد بمعرفته بتاريخ المنطقة وبكتابات الرحالة الغربيين الذين زاروا المنطقة على مر العصور، واطلاعه على كتب بلغريف، وايوتنغ، وموزيل، وفلبي.

ويسجل لانكستر أيضاً مثل هذا الوعي والاهتمام حيث يقول: إن لدى عبدالرحمن السديري: "**اهتماماً أصيلاً بالتاريخ والشؤون الاجتماعية، إذ أدرك أن المجتمع يتغير بسرعة مذهلة في المملكة العربية السعودية، كما أدرك قيمة كل من كان يحاول فهم آليات عمل المجتمع التقليدي قبل أن يتلاشى، ولهذا السبب، على ما أفترض، اصطحبني معه في جولات في المنطقة يتفقد أثناءها إبله أو يزور المناطق المجاورة**". لم تفت ليرنر مثل هذه الملاحظات رغم قصر زيارته واختلاف اهتماماته عن الغربيين الآخرين. فهو الطبيب العالم، والآخرون كانوا معنيين بأمور التاريخ والثقافة والاجتماع. ومع ذلك يقول ليرنر "**لقد بدا أن العلم والتعليم المركز الأساسي لاهتماماته**".

أما الاهتمام بالتاريخ والسعي إلى الحفاظ عليه، فلم يفت ملاحظات برادلي الذي رآها متجسدة في مباني المؤسسة الخيرية، فهو بعد أن يصف مسجد الرحمانية، يرى أن مثل هذا البناء هو نوع من التقدير للمهندسين العرب الأوائل، يقول برادلي أولاً: "**لقد تمت المحافظة على الكنوز الآثارية في المنطقة تحت رعايته، وقد أنفق (الكثير) على الأعمال العامة، وكان أحد نتائجها مسجد الرحمانية، ذاك العلامة الفارقة والمبنى المتميز هندسياً من الرخام اللامع، والمئذنتين الدائريتين، والقباب النحاسية اللون**".

يخلص برادلي من هذا الوصف إلى صلة المسجد بالتراث والتاريخ، فيقول: "**إن هذا المبنى البالغ الجمال على صلة وطيدة بالتقاليد المحلية (...) فالمسجد، بعزوفه عن سبل التبريد الحديثة، إنما هو أكبر مبنى في العالم يتم تبريده من خلال أبراج تقليدية للتبريد بالماء، وهي إشارة احترام لعبقرية المهندسين العرب الأوائل في التكيف مع البيئة القاسية**".

ولئن سجل لانكستر دهشته حينما ظل على اتصال بمنطقة الجوف رغم انتهاء إقامته وبحثه، فإن الدهشة نفسها يسجلها لنا جيفري كنغ الذي ظن أن رسالة الأمير الجوابية إليه بعد نشره بحثه عن "مسجد عمر" كانت نهاية المطاف، لكن كنغ يقول: "**اعتقدت أن ذلك نهاية الأمور، لكن المرء لا يمكن أن يغادر نهائياً الشرق الأوسط**"، فبعد أن ألقى محاضرة في جامعة الملك سعود عن فن العمارة التقليدي في المملكة العربية السعودية، دنا منه شخص ليسأله "**إن كان مستعداً لمقابلة رؤسائه**" الذين ثبت أنهم "**الأمير عبدالرحمن السديري وأبناؤه**".

ولو دققنا النظر في مواطن هذه الحالات من "الدهشة" والعجب لعجبنا نحن بدورنا، فدهشة لانكستر الأولى كانت عندما دُعي ليلقي محاضرة افتتاح قاعة المحاضرات في مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، ودهشته الثانية كانت بمناسبة تلقيه النسخة الإنجليزية من كتاب: الجوف لعبدالرحمن السديري، وكذلك أيضاً كان الأمر مع جيفري كنغ، فعدم مغادرة المرء للشرق الأوسط لها أيضاً علاقتها بالثقافة والعلم وبالمؤسسة الخيرية وبمؤسسها.

أهي مجرد صدفة أن يسجل هؤلاء الشهود عجبهم ودهشتهم وهم في فضاء حقول الثقافة؟ أم هي نتيجة الهم الثقافي الذي أجمع الشهود الغربيون على أنه المهيمن على رؤية الأمير السديري؟

لقد أكد الشهود الغربيون على أن الهم الثقافي والتعليمي هيمن على رؤية الأمير من بداية توليه الأمور، وتجسدت البدايات عام ١٣٨٣هـ (١٩٦٣) في إنشاء أول مكتبة عامة في منطقة الجوف، وصفها برادلي وروجر هاريسون[١] بأنها "**عمل**

(١) روجر هاريسون، صحفي في جريدة عرب نيوز الإنجليزية، "مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية،" عرب نيوز (باللغة الانجليزية)، الخميس ١٨/سبتمبر/ ٢٠٠٣ الموافق ٢٢/ رجب/ ١٤٢٤هـ.

ريادي في المملكة العربية السعودية في ذلك الوقت، بل حتى اليوم ليس لها ما يماثلها من المكتبات العامة". ولئن اتسمت الخطوة الأولى بالريادة والتواضع، فإن تطورها فيما بعد يدل على رؤية ثاقبة وهم ثقافي نادر، فيسهب جيفري كنغ في تتبع هذا الهم في ذكرياته أثناء زيارته منزل الأمير السديري في الغاط عام ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م) بعد محاضرته، وهي لا شك رحلة ليست فقط من الرياض إلى الغاط، وإنما هي أيضا رحلة من شيكاغو إلى الجوف.

يقول جيفري كنغ:

«أذكر المساء بوضوح إلى يومنا هذا (...) كان المساء غير رسمي إلى أبعد الحدود، وقد جلسنا على الفراش في الليل المتأخر بعد تناول العشاء، وسألني الأمير عبدالرحمن ما أعتقده في فكرة إنشائه مؤسسة خيرية في الجوف لخدمة السكان المحليين، وقد بين أنها تهدف لدفع التعليم والنشاط الاجتماعي، وأنها على وجه الخصوص ستضم مكتبة.

لقد كان (الأمير) صريحاً جداً وواقعياً، إذ أشار إلى أن الجوف ومناطقها المجاورة من أبعد مناطق المملكة، تعزلها النفود الكبرى والصحراء عن مدن وسط البلاد وهي بعيدة عن المدن الرئيسة: الرياض، وجدة، والمنطقة الشرقية.

وقال الأمير إن كثيراً من الناس في منطقته استقروا حديثاً جداً بعد حياة الخيام والترحال، ولذلك سألني بوصفي شخصاً محايداً تماماً قد سبق له زيارة الجوف عن رأيي بمدى أهمية المكتبة في هذا السياق، لقد وضع الأمر بصراحة مباشرة: ما زال هنالك أناس كثر في الشمال لا يستطيعون القراءة رغم أن الحكومة تبذل ما بوسعها لإصلاح ذلك.

فضمن هذا السياق، تساءل ما إذا كانت فكرة إنشاء مكتبة في المؤسسة الخيرية التي ينوي وقفها هي فكرة صائبة: "هل من المعقول إقامة مكتبة في المؤسسة الخيرية بينما نحن فقط بدأنا للتو نخطو في مجال تعليم الناس؟" إنني ألخص مختصراً، لكن ذاك كان جوهر السؤال الذي وجهه إليَّ الأمير عبدالرحمن.

فكرت بالأمر قليلاً، وكنت قد عدت حديثاً من شيكاغو وزرت معهد الفنون هناك،

فقلت له لو أن شخصا اقترح إقامة أحد أفضل المتاحف في الولايات المتحدة في مدينة رعاة بقر ناشئة مثل شيكاغو، كما كانت حالها عام ١٨٧٩م عندما أُقيم معهد الفنون، لضحك الناس، كانت المقارنة مع الجوف مبالغاً فيها إلى حد ما، لكنها لم تكن غير مناسبة».

قال الأمير وقد أخذ في الحسبان تطور التعليم في المملكة العربية السعودية، **إنه عازم على بناء مكتبة في الجوف، وإنه سيراقب قيمتها الاجتماعية على المدى الطويل**.

لا شك أن مراقبة عبدالرحمن السديري لقيمة المكتبة اجتماعياً لم تطل، فالمؤسسة أصبحت خلية نحل في نشاطاتها الثقافية والاجتماعية، ولعل دعوة لانكستر لإلقاء محاضرة الافتتاح خير دليل.

كما أن كنغ يذكر "**أن أحد النجاحات الأولى للمحاضرات في المؤسسة الخيرية كانت أمسية للشعر النبطي. حضرها الكثير من أهل المنطقة، لكنهم أيضاً أصروا على إلقاء قصائدهم الشخصية أثناء النقاش الذي تبع الأمسية**"، لعل الأهمية لا تكمن في من ألقى شعره أو لم يلقه، بل في بعث الحياة في المجتمع، يقول كنغ معلقاً: "**لقد شعرت دائماً أن هدف عبدالرحمن، وهو استثارة مشاركة المواطنين، قد تحقق تماماً في هذه الحادثة الأولى من تاريخ المؤسسة الخيرية**".

ولم يبخل الغربيون في إشادتهم بأهمية المكتبة ومنجزات المؤسسة في مجال التعليم والثقافة والفكر، وغني عن التذكير ما أسهمت به، فأهل المنطقة يعرفون تمويلها البحوث والدراسات والمنح الدراسية، ويعرفون مطبوعاتها المختلفة، لكننا هنا نورد ما شهد به الغربيون أنفسهم.

لقد أثنى لانكستر وبرادلي وهاريسون وكنغ على ما قامت به المؤسسة من جهود، وقد تتبع برادلي وهاريسون نشاطات المؤسسة ومكتبتها في مقالين متشابهين أجمعا فيهما على تطورها نوعياً وكمياً، وما انبثق عن المؤسسة من مطبوعات مثل مجلة الجوبة ومجلة أدوماتو العلمية في مجال الآثار والتاريخ، وما تموله المؤسسة من بحوث ومنح دراسية لطلبة المنطقة وطالباتها.

وتبقى شهادة جيفري كنغ في هذا المجال أكثرها حفاوة وصدقاً، فهو يمضي

في شهادته واصفاً المسافة بين الحادثة الثقافية الأولى في إلقاء الشعر النبطي وبين زيارته الأخيرة للمؤسسة للمشاركة في مؤتمر مجلة أدوماتو الدولي الأول، وما جرى في المؤسسة من نشاطات باهرة تشهد لصواب رؤية الأمير الأولى في الغاط عام ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م. يقول كنغ:

"لقد عدت إلى الجوف عام ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م من أجل مؤتمر بمناسبة تأسيس المجلة العربية السعودية للآثار، أدوماتو، الذي انعقد في قاعة المحاضرات في مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية. كان المؤتمر مقياساً لنجاح رؤية وبعد نظر الأمير قبل ما يقارب العشرين عاماً، فقد حضره علماء متميزون من المملكة العربية السعودية، كثير منهم كانوا زملائي وطلابي في جامعة الملك سعود، وحضره أيضاً علماء عرب قياديون في علم الآثار من سوريا، وفلسطين، والأردن، والسودان والمغرب، وعلماء أوربيون كانوا قد عملوا في العالم العربي".

ويختتم تعليقه على هذا النجاح قائلاً: "**كان المؤتمر بذاته مهماً جداً، لكن انعقاده في المؤسسة كان تأكيداً لرؤية الأمير الأصلية، إن مثل هذا المؤتمر، على ما أعتقد، هو ما أمل في الأصل أن يراه عندما وصف فكرة إنشاء المؤسسة، إذ جلسنا في ساحة المنزل في الغاط قبل أكثر من عشرين عاماً، بما في ذلك رغبته المخلصة الواضحة في دعم التعليم والثقافة، ومرافق البحث في شمال المملكة ... إن مشروع المؤسسة هو منجز خير وتتويج لرؤية الأمير عبدالرحمن.**

أما جون برادلي (وكذلك هاريسون)، وإن أسهب في وصف إنجازات المؤسسة، فيذهب في تقييمه له أبعد من حدودها، ليشير إلى منهج الأمير في دفع عجلة التطوير والمشاركة، فيقول: "**ثمة خاصية لعبقرية المؤسس في دفعه التغيير، وهي أن أغلبه يأتي في سياق منافسة من المجتمع لا أنه هبة خيرية توهب بطريقة من شأنها أن تزيد الاتكالية على العطايا، مثل التنافس في مجال التحصيل العلمي الثقافي، والنسيج ومجال الزراعة، وسباق الأبل».**

وأخيراً، إن من المعروف أن عدد الرحالة والسفراء والمستشرقين الذين زاروا منطقة الجوف في أثناء ولاية عبدالرحمن السديري هم أكثر من أن تغطيهم الصفحات السابقة، وعلى هذا، فإن الاستشهادات السابقة تعد نماذج فقط لما كتبته أقلام الغربيين.

الفصل الثامن

ذكريات

عبدالرحمن الدرعان*

إن من الأهمية بمكان، حينما تتصدى لمهمة رصد سيرة رجل بمكانة عبدالرحمن السديري أن تتأمل ملامح السياق الاجتماعي والتاريخي والثقافي على مدى نصف قرن، والإصغاء بعمق يتناغم مع حضور هذه الشخصية إلى تلك الأصوات التي أسهمت في تشكيل خلفية لا غنى عنها في المشهد، ذلك أن أهميتها كما يبدو لي لا تكمن في إضافة شيء ذي بال بقدر ما توفره من تصور واقعي يساعدنا على قراءة المشهد بشكل منصف ومحايد، إنها برأيي بمثابة المؤثرات التي تصاحب عرض شريط السيرة، لا تترجم الصورة تماماً ولكن لا يمكن استيعاب تفاصيل المشهد في غيابها.

إن من يتقصى سياق الظرف الزماني والمكاني آنذاك، مروراً بالتحوّلات الكبيرة طيلة تلك الفترة، سوف يدرك صعوبة المشروع الحضاري الذي كان معاليه يراهن عليه في الوقت الذي كان توطين أبناء الصحراء وتعليمهم هاجساً حاضراً في ذهنه. وليس يسيراً أن يكرس نفسه لمعادلة معقدة تقوم على مثل هذه المفارقات سوى رجل يستطيع أن يطل من أكثر من شرفة في الوقت نفسه.

ينبغي التأكيد بدءاً، على أن هذا الفصل يعنى برصد روايات وشهادات توثق تفاصيل ربما لم تنل حظها من الاهتمام، ولكنها تضيء زوايا مهملة في شخصية الرجل، وفي اعتقادي أن أهميتها تتضاعف بمرور الزمن.

الفصل هو محاولة لإيجاز ما تبقى في ذاكرة الأشخاص الذين عايشوه، والسؤال

* من مواليد الجوف، عمل في مجال التعليم بالمنطقة، له مجموعتان قصصيتان، وإسهامات ثقافية واسعة، يرأس النادي الأدبي بالجوف.

الذي يطرح نفسه قبل البدء في رصد هذه الشهادات:

لماذا فصل الذكريات؟

يمكن إيجاز الإجابة عن هذا السؤال بالقول إن لهذا الفصل بالتحديد خصوصية ومذاقاً مختلفاً بسبب طبيعة الشهادات التي ارتجلها الشهود من الذاكرة بعفوية أضافت إليها قدراً كبيراً من الحميمية، يسمح لي أن أسميها «الصوت مكتوباً»، وأعني أن من يقرأ الشهادات يجد نفسه بإزاء صوت يتدفق بين السطور.

إن مما يضفي على هذا الفصل مذاقاً مختلفاً كونه تزامن مع وفاة صاحبه الذي وافته المنية فجر يوم الأحد ١٤٢٧/٢/٢٦ هـ، ولا شك أن الخبر الذي جاء مفاجئاً جعل صوت النواح ينفجر ويتعالى دفعة واحدة، وإذا بشهادات جديدة لم يرتّب لها تسيل مع دموع الحزن على الفقيد في مشهد من مشاهد العزاء، وإذا بنا نعثر دون أن نتوقع على أشخاص كثيرين رزئوا بفقدانه كما رزئ به أولئك الذين عملوا معه وعاشروه، وإذا بعدد كبير من الكتاب يبكونه بحرقة أبنائه.

هل كان خبر وفاته مفاجئاً وهو الذي ظل طريح المرض طيلة أكثر من ستة عشر عاماً؟

إن إرادة الله في بقائه، رحمه الله، طوال هذه السنين مرتهناً للأجهزة الطبية في فترة مرضه حولت خبر وفاته إلى حالة من الذهول يمكن وصفها - بأقل عدد من الكلمات - بأنها ميلاد حياة أخرى.

بينما كنت بصدد مراجعة الشهادات المدونة التي تفضل المشاركون بتقديمها مادة لهذا الفصل الذي يمثّل أحد أهم بنود هذا الكتاب - نظراً لاستناده إلى مادة شفوية تتجلى فيها العفوية والتلقائية، ولكونها تعيد انبعاث تلك المشاهد التي ضاعت أو كادت تحت وطأة التقادم - وجدت أن ثمة صعوبات غير متوقعة كانت لي بالمرصاد تتمثل في أمور عدة:

أولها، صعوبة العثور على الإجابات التي ننشد تدوينها، ومرد ذلك لأكثر من سبب منها: أن الأسئلة الموجهة للمشاركين لم تكن في بعض الأحيان على درجة كافية من الدقة بحيث تستطيع التقاط الإجابة المناسب إدراجها في هذا الفصل،

ثم إن معظم المشاركين كانوا من كبار السن وكان وهن الذاكرة، الذي يسمح بتذكر شيء ونسيان أشياء أحياناً وعدم التوصل إلى مراد السؤال أحياناً أخرى، أحد الأسباب التي لم توفر لنا سوى الاقتراب من الإجابات المعول عليها بين السطور دون إدراكها تماماً.

ثمة أكثر من اليقين يجعلنا نثق بأن كل ما رواه الشهود والمجايلون[1] لشخصية السيرة لا يمثل سوى جزء صغير من المشهد الذي يصور الفترة الطويلة التي قضاها أميراً في منطقة الجوف، فكان ثمة غياب بعض شهود تلك المرحلة، وموت بعضهم وعجز بعضهم الآخر، واعتماد معظم الشهود على الرواية الشفهية عبر الاستحضار.

وعلى الرغم من هذه الصعوبات، فإن من الإنصاف القول إن كثيراً من هذه الشهادات كانت من التدفق والثراء عصية على التصنيف بحيث تستحق أن يفرد لها فصل يليق بها، وهو ما نأمل توفره في الطبعات القادمة إن شاء الله.

لا تفوتني في هذه المقدمة السريعة الإشارة إلى أن غياب مشاركتي في الحوارات و طرح الأسئلة، جعلني أشعر بأنني أدور في الفراغ، وفيما كنت على وشك الشروع في تدوين هذه الشهادات، فوجئت - كما أسلفت - بخبر وفاة عبدالرحمن السديري، رحمه الله، الذي عرفته منطقة الجوف لعقود عدة وكان وقع الخبر بمثابة صدمة هشمت جزءاً كبيراً من النسيان، وفجرت نهراً لأسئلة لم تطرح وإجابات غير متوقعة أن تظهر على شكل شهادات إضافية، وإذا بي أعوّض غيابي عن الاستماع إلى الشهادات بقراءة ملامح الفقدان في وجوه شهود جدد.

ما إن فرغت من قراءة الشهادات التي قدمها بعض أفراد أسرته، أو الموظفون الذين عملوا معه، أو غيرهم من المواطنين الذين عرفوه، حتى أدركت أن ثمة رجالاً يعيشون أكثر من حياة، فحياته وأعني بالتحديد الإدارية، كانت من الثراء بحيث يتعذر الإحاطة إلا بالجزء اليسير الذي يسمح إلى حد ما بترجمة هذه السيرة الطويلة من خلال تلك الصور العالقة في ذاكرة هؤلاء.

---

(١) من جيله.

على أنه يتعين علينا الإشارة إلى أن من الصعب، إن لم يكن من المستحيل، اختزال حياة بكاملها من خلال مجموع قصاصات أحاول تنسيقها لتشكيل صورة سلفت، إنها مهمة صعبة حقاً لمن يحاول إعادة تشييد جبل هدّه زلزال.

الأبوة المشاعة:

يروي حفيده طارق بن زياد السديري هذه القصة قائلاً، لكنه لا يحدد العام الذي حدثت فيه ذكرياته: «**كنت في زيارة إلى الجد عبدالرحمن في سكاكا برفقة والدي خلال شهر رمضان المبارك، ولم أكن تجاوزت الثانية عشرة، وبعد أسبوعين، اضطر والدي للعودة إلى الرياض بينما فضلت البقاء في سكاكا بعد تردد حسمه كون أبناء عمومتي هناك كعادتهم في مثل هذا الشهر، وقد كان جدي سعيداً بوجودي حريصاً على أن أحظى برفقته في كل شؤونه، ومن ذلك مرافقته إلى مزرعته في خلال إجازة الأسبوع إلى موقع الإبل خاصته، حيث يحرص على أن نتوقف في الطريق عند دكان لكي أشتري بعض المشروبات والحلويات لرفاقه.**

كان يحدثني، طوال الطريق، عن الإبل وأوصافها وطبائعها ويسألني عن رأيي فيها، وفي المزرعة يتيح لي فرصة لعب الورق مع أحد مرافقيه أو يطلب إلى أحدهم تعليمي بعض الألعاب الشعبية مثل «عظيم ساري»، فإذا حل المساء يدعوني لألوذ بعباءته بالقرب من موقد النار احتماء من البرد.

وفي إحدى الليالي، استأذنته لزيارة ابن عمي في مزرعة والده خارج مدينة سكاكا، فلم يكتف بإجابة طلبي وحسب بل أمر بسيارة تقلني إلى حيث أريد، ونظراً لأنها كانت ليلة رمضانية طاب لنا فيها السمر حتى سرقنا الوقت إلى الساعة الرابعة فجراً، وعندما عدت أبلغني أحد رفاق جدي بأنه في غاية القلق بسبب تأخري، سيما أن الطريق المؤدي إلى المزرعة كثيراً ما وقعت عليه حوادث مرورية مروعة.

ظل جدي في غرفة السنترال يعاود الاتصال مرة إثر مرة، وحالما علمت بالأمر توجهت إلى الغرفة ذاتها وكلي خوف وترقب لما أستحقه من التوبيخ، لكنه فاجأني بابتسامة يطفح منها الألق فور أن رآني وأخذ بيدي ليصطحبني إلى غرفتي وهو

يمازحني وكأن شيئاً لم يكن، كما لا أنسى أنه قاسمني بعض حبات الرطب التي كان يضعها في جيبه حتى ودعني على عتبة باب غرفتي وقبل رأسي داعياً لي بليلة سعيدة وغادر.

لقد ظلت هذه القصة على وجه التحديد عالقة بذاكرتي، أرى فيها مثلاً يحتذى في الحلم والتسامح والأبوة الحانية، وهكذا هو لا أكاد أذكره حتى تلوح لي ابتسامته العذبة وصدره المنشرح ونفسه المطمئنة على الدوام».

وفي السياق نفسه، يقول ابنه د. سلمان: «**كنت برفقة الوالد في رحلة إلى البر، وكنا مدعوين للغداء في النبك (وهي مدينة تقع شمال غرب سكاكا) وقد انشغلت لبعض الوقت مع أحد الخويا معي ولم يتسن لنا الذهاب برفقته، فلما عاد إلى المخيم تفاديت مقابلته حتى الصباح، وعندما جئت معتذراً لم يزد على أن قال لي: يكفيك ما جاك ولا تكررها**».

هناك عشرات النماذج التي نستطيع أن نعتبرها تكراراً لروايتَي الابن والحفيد، ذلك أن الأمير عبدالرحمن كان أباً مشاعاً للجميع، فكل من قدر له أن يزوره في مكتبه بإمارة منطقة الجوف لابد أن يرى أن بابه مفتوح على الدوام ومكتبه غاية في البساطة، كما أن غياب أية مظاهر للحراس يجعلك تتشكك: هل هذا هو الأمير؟

يقول أحد أبناء منطقة الجوف عندما نعى أميرها الأسبق: «**مازلت أتذكر يوم تخرجت للتو في الثانوية العامة فقد تقدمت إليه طالباً أن يتوسط في إلحاقي ببعثة دراسية، كنت أتصور أنني أقوم بمغامرة أن أقابل أمير المنطقة، وجعلت أتخيل العقبات التي يتعين علي أن أتخطاها من أجل الوصول إليه، فإذا بي أفاجأ بأن مقابلته أيسر من مقابلة أصغر الموظفين، حيث لا بروتوكول ولا جنود حراسة، وحيث تبهرك البساطة في أقصى تجلياتها، هالتني المشاهد التي رأيتها أثناء انتظار دوري في مكتبه:**

تقدم رجل بدوي ودار خلف مكتبه ليهمس في أذن الأمير ما فهمنا فيما بعد أنها دعوة مكررة للعشاء، ويبدو أن معاليه كان قد سبق أن كرر اعتذاره من طلبه، فإذا بالبدوي يتراجع خطوتين ويرفع صوته بشكل فظ وغير لائق أثار استغراب

الحاضرين معبراً عن إصراره على إجابة دعوته، فما كان من الأمير سوى أن يمتثل لطلبه، كما لو أنه يتحدث مع صديق حميم بعد أن فرغ من ضحكة طويلة لم يستطع كتمانها.

كما لا أنسى أن أحد المواطنين البسطاء يومها تقدم إليه فارغ اليدين ولما صافحه دس يده في جيبه ليخرج منها بضع حبات من البلح ويشرع في حديث لم أتبينه تماماً، وكان معاليه أكثر بساطة من هذا الفلاح حيث استمر يحادثه لدقائق عدة».

ويكمل شهادته بصوت يشي بالشعور بمرارة الفقدان قائلاً: «**حين قدمت طلبي صافحني بحرارة وعيناه تتفرسان بي ثم لاحت منه نظرة خاطفة لاسمي المكتوب في أسفل الطلب ليسألني عن صحة والدي ويوشحني بكلمات ثناء لم أكن أستحقها، ثم كتب توصية من بضعة أسطر إلى مدير مكتبه وناولني الطلب: خذ يا ولدي، وأشار إلي بيده إلى حيث يتعين علي أن أذهب. في تلك اللحظة شعرت بأن لي أكثر من أب وأن تلك جملته القصيرة لم تكن على سبيل المجاملة بل كان رحمه الله يعنيها تماماً».**

وشهادة أخرى تؤكد هذه الأبوة التي لم تكن رهناً بأبنائه وأحفاده فقط يتذكرها الأستاذ شعير عبيد اللحاوي بقوله: **كانت الدولة أيدها الله تخصص لأبناء البادية مكافأة مقدارها أربعون ريالا لتشجيعهم على الالتحاق بالتعليم، وكانت تقتصر على الابن الأكبر فيما تقدم للباقين مكافأة تعادل مكافأة أبناء الحاضرة ومقدارها ثلاثة ريالات، كنت وقتها ساذجاً بحكم صغر سني وجئت إلى مجلس الأمير غاضباً بسبب ما اعتقدت أنه غبن لي مقابل ما يحظى به أخي الأكبر، فقلت له رحمه الله ليه محتقرني ولا تساويني بأخوي؟ فأجابني قائلاً: تعال وقل لي ما قصتك، فجلست إلى جانبه وأقسمت بأنني لن أدخل المدرسة إلا إذا حصلت على مكافأة مثل أخي متسائلاً: هل بي نقص؟ فقال لي: وهل تستطيع أن تكون مثل أخيك بالدراسة؟، كان في سؤاله شحنة كبيرة من التحفيز الذي أشعل في داخلي التحدي، فأجبته على الفور: أصير أخير منه. وعندها وعدني أن يساويني بأخي شريطة أن يتابعني بنفسه ويسأل إدارة المدرسة عن مستوى تحصيلي، وهنا شعرت بأن همة**

عالية تغمر روحي لأجيب: إن شاء الله ما تسمع عني إلا الذي يسرك».

وهو ما حدث بالفعل فقد كانت تلك الكلمات المحفزة ترن في رأسي نقية صافية تدفعني قدماً وتحرسني من النكوص طوال حياتي التعليمية.

ليس غريباً أن يستحوذ هذا الأمير على قلوب أبنائه المواطنين الذين يعد كل فرد منهم نفسه واحداً من أبنائه في النسب، فقد كان في المقابل حريصاً على تربية أبنائه تربية على درجة عالية تجعلهم يحسون بألا فرق بينهم وبين سواهم، يقول ممدوح السلطان في هذا الخصوص: «**كان معالي الأمير حريصاً جداً على تربية أبنائه تربية إسلامية، ومن شدة حرصه متابعته لهم وتوجيههم إلى التمسك بالقيم والمثل الأخلاقية، وقد كنت حديث عهد بالتعليم عام ١٣٧٣ هـ وكان ابناه فيصل وسلطان يدرسان في المدرسة التي أعمل فيها، أتذكر أن أحدهما كان في الصف الرابع الابتدائي واشتكى منه أحد زملائه التلاميذ وأنبته آنذاك محذرا إياه أن يعتدي على أحد زملائه، وعندما بلغ والدهما الأمير ووالدتهما قدما لي شكرهما على ما فعلت، مؤكدين بأن الجميع سواسية، وأنهما لا يريدان لأبنائهما إلا العلاقة الحسنة مع الآخرين**»، وهو ما طبع أثره على أبنائه، فقد روى أحد معلمي ابنه الأمير سلطان قائلاً: «**ما زلت أشعر بالحرج من حفاوته بي كلما قابلته، فهو يتمتع بوفاء نادر، وكأنه ما يزال طالباً، لقد كانت لقاءاتي به نزهة عبر الزمن أعود فيها إلى نفسي قبل ثلاثين عاماً**».

هل كان أباً لأبنائه فقط؟

إن أقل الشهادات هي تلك التي قدمها أبناؤه فماذا يعني هذا؟

إنه يعني باختصار أن ما يعرفه عنه أبناؤه لا يتجاوز ما يعرفه الآلاف من أبنائه المواطنين، لأنه كان أشبه بكتاب مفتوح للجميع طوال الوقت.

العمل رسالة:

كان خبر وفاة عبدالرحمن السديري، رحمه الله، الذي ذكرت سلفاً أنه تزامن مع كتابة هذه الذكريات، قد وفر لي مادة حية بالإضافة إلى الشهادات المكتوبة، ففي جلسة جمعتني مع صديق أثناء ذيوع الخبر الفاجع ذكر لي بصوت يفيض بالحزن

بأن والدته الطاعنة في السن حكت له هذه الحكاية التي يرويها على لسانها قائلة: **«فوجئت ذات يوم بأن أخي اعتقل بسبب أرض لم يكن يملك سوى وثائق قديمة لإثبات ملكيتها، ونظراً لغياب أشقائي الآخرين فقد قررت الذهاب لمقابلة الأمير عبدالرحمن السديري في مكتبه، و لم يكن متاحاً لي إلا أن أقطع المسافة إلى الإمارة سيراً على قدمي، وهناك قالوا لي إنه قد غادر إلى بيته، فلم أتردد على الرغم من العناء والتعب وحرارة الصيف أن أقصد بيته، حيث استقبلتني إحدى كريماته ودعتني لمشاركة الأسرة طعام الغداء، كنت في غاية الغضب والحزن بسبب اعتقال أخي فاعتذرت قائلة بأن غدائي في مقابلة الأمير، وفور أن سمع حكايتي كرر الدعوة أيضاً إلى تناول الغداء، وفي هذه اللحظة أقسمت له بأنني لن أذوق الطعام إلا بعد أن يعتق أخي من السجن. قال الأمير عبدالرحمن: يصير خير.**

خرجت أندب حظي العاثر، أَبَعْدَ كل هذا العناء أسمع جملة ملتبسة تضخ اليأس بقدر ما تضخ الأمل؟ كانت هواجسي طوال الطريق كانت مكتنفة الإحباط والخيبة وفقدان الأمل.

لكن المفاجأة أنني ما إن عدت إلى البيت حتى وجدت أخي ينتظرني هناك».

وهذا الموقف ليس الموقف الوحيد الذي يمكن الاستشهاد به على وعي المسؤول بأن عمله غير مرتهن لساعات محددة، وإنما كان يعمل على مدار الأربع والعشرين ساعة في المكتب وفي البيت، ولعل جميع أهل منطقة الجوف خصوصاً يعرفون أنه كان يجلس بعد صلاة العصر والمغرب والعشاء، حيث يتاح لأي شخص أن يحظى بلقائه ويتلقى شكاواه، كما لو كان في مكتبه.

وهو ما تؤيده شهادة شعير عبيد اللحاوي بقوله: **«كان وقت الأمير عبدالرحمن مفتوحاً ولم يكن المواطن ليتقيد بوقت محدد للوصول إليه، فكان يبدأ عمله، منذ الصباح ثم يتناول الزوار - وخاصة القادمين من خارج المنطقة - معه الغداء يومياً في بيته، حيث تمتد الجلسة إلى الساعة الثانية عشرة ليلاً».**

ويتذكر اللحاوي موقفاً مضى عليه أكثر من أربعة عقود حيث يقول: **«قصدنا معاليه في موضوع خاص، وكان علينا أن ننتظر حتى انفض مجلسه في منتصف الليل، وبعدها رافقناه للحديث بشأننا وتشاورنا معه لوقت طويل على الرغم من**

أنه كان يتأهب للنوم، ولكن لم تبد عليه علامات الامتعاض بل كان حريصاً على الإصغاء إلى كل التفاصيل، وكان أن امتد بنا الحديث معه على مدخل بيته أكثر من ساعتين».

وكتب عنه فيحان بن غلاب الردعي العتيبي مدير الشئون الأمنية في إمارة منطقة الجوف سابقاً فقال: «**لا يكلّ ولا يملّ من مزاولة عمله في كل وقت، ولا يفرق بين وقت الدوام وخارجه، سواء في المكتب أو المنزل**».

كما قال عنه ضمن شهادة مكتوبة أحمد توفيق العتوم، من أهالي بلدة سوف بمحافظة جرش في المملكة الأردنية الهاشمية وأحد المقيمين في الجوف لسنين طويلة: «**قلبه كبير وبابه مفتوح أمام الجميع، إيماناً من معاليه أن مهمته رسالة يجب أن يؤديها بإخلاص**».

تجدر الإشارة هنا - مجدداً - إلى قصيدة الأمير الشاعر المنشورة في ديوانه بعنوان: الدكة يقول فيها:

ولي دكة ما صار من دونها باب بنيتها في جانب السوق راده

إلى أن يقول:

نفرح ليا منه لفا الدار نبَّاب نعطيه حق الله وحق الوفاده

وبقدر ما تتضمنه هذه القصيدة من معاني الكرم والضيافة إلا أنها تنطوي على بعد آخر، هو ما يحتويه البيت الأخير هنا، حيث يرى أن للضيف حقاً آخر غير الوفادة الذي هو حق الله، ويقصد إجابة طلبه، ولمفردة (نبَّاب) دلالة شعبية توحي الامتثال لشروط الضيف بدون تفاوض وهو ما يؤكد أنه، رحمه الله، لم يكن يرهن نفسه للعمل في إطار ساعات مخصصة بل يظل متأهباً للقيام بمهماته حيث كان، وفي أي وقت.

تحدث رئيس دوريات إمارة الجوف، الحميدي بن طلحاب، فروى أن الأمير عبدالرحمن خرج في شتاء سنة ١٣٨٧هـ (١٩٦٧م)، إلى منطقة الحماد في الشمال الغربي من منطقة الجوف، فوقع على ثلاث سيارات تحمل مهربات من المخدرات فحمل بندقيته الرشاشة وأمر رجاله بالاستعداد بأسلحتهم لمواجهة المهربين، ثم

سار بهم في سيارة يقودها الحميدي وأخرى يقودها عفات بن محمد الدغمي باتجاه المهربين، وكانت إحدى سيارات المهربين ساقطة بالوحل الذي أحدثته سيول عمّت المنطقة، فكان المهربون جميعهم وعددهم سبعة يحاولون إخراج السيارة المتعطلة، فلما رأوا السيارات القادمة بقي ثلاثة منهم عند السيارة المتعطلة وركب في كل سيارة من السيارتين غير المتعطلتين اثنان، أحدهما يقود السيارة وآخر في ظهرها يحمل بندقية رشاشة، فتصادم الفريقان وكان الأمير في وسطهم وانتهت المواجهة بسقوط رجل من رجال إمارة الجوف شهيداً، وهو راشد بن دماغ، وإصابة عفات الدغمي، وفي المقابل سقط أحد المهربين وهو حامل البندقية في السيارة التي تبعتها سيارة الأمير قتيلاً، وأُصيب مهرب آخر وتم أسر اثنين من الآخرين، وتمكن من بقي عند السيارة المتعطلة من الهروب نظراً لقدوم الليل وعدم تمكن الأمير ورجاله من العودة إليهم بسرعة بسبب السيول وما ترتب عليها من توقف متكرر لسياراتهم، وقال الحميدي إنه كان معهم في هذه المواجهة كل من الشيخ محمد بن درزي الدغمي وعفات بن محمد الدغمي وسلطان بن قنيفذ وخالد بن قرزوح وراشد بن دماغ وعقاب الشيباني وقريطان بن حياة الشراري وسعود بن سعد السهلي ومحمد بن سعران وفهد الفهيد وعبد الله الزومان وآخرون.

قال، وفي اليوم التالي قادوا سياراتهم وسيارات المهربين الثلاثة عائدين إلى سكاكا فقاد الأمير إحدى السيارات نظراً لقلة السائقين وتولى الموجود منهم قيادة السيارات المقبوض عليها.

وروى لي ابنه د. زياد أن أباه تحدث عن هذه الحادثة بأنه نمى إلى علمه وجود تهريب عبر منطقة الحماد والحرة، فأنزل أحد رجاله في المنطقة التي ذكر مرور السيارات بها ومعه ماشية كأنه أحد البادية المنتشرة للرعي في المنطقة، وظل هذا يراقب حركة السيارات، فتبين له أنها تأتي في ليالي البدر من كل شهر فتسير في الصحراء دون إضاءة مصابيحها حتى لا يراها أحد، وأخبر الأمير بذلك، فلما قرب منتصف الشهر التالي خرج الأمير ومعه نفر من رجاله بحثاً عن هذه السيارات، فوقع عليها كما سبق بيانه، وقد قال بهذه المناسبة رثائية براشد بن دماغ - سبق نشرها - وكان مطلعها:

لـو دريـنـا بـالـقـدر خـيـره وشـره   مـا تـركـنـا خـصـمـنـا يـجـهـل علينا

وقد وقع حادث المواجهة مع المهربين في ١٣٨٧/٨/١٨هـ الموافق ١٩٦٧/١١/٢١م.

وتحدث عبدالرحمن بن محمد الملحم وإبراهيم بن عنان عن مهمة خرج لها الأمير في فصل القيظ، يرافقه فيها محمد بن عبدالرحمن التركي السديري وعاشق ابن كاسب اللحاوي وناصر بن بليهيد وقريطان بن حياة الشراري، وكان بسيارة صغيرة وتسبقهم شاحنة تحمل المؤونة، وأثناء سفرهم ليلاً غرزت سيارتهم في قصيمة رمل، ولم يعلم بهم سائق الشاحنة فواصلت سيرها، وأمضى الأمير ومن معه في سيارته تلك الليلة واليومين التاليين ولياليها يحاولون إخراج السيارة ففرغ منهم الماء، وبدأت تظهر على بعض رفاق الأمير بوادر الارتباك ثم الهلوسة من أثار القيظ والعطش، فظل يشجعهم ويحثهم على مواصلة الجهد، وأخرج ماء جهاز تبريد محرك السيارة (Radiator) ووزعه على رفاقه ودعاهم لاستنشاقه نظراً لقلته وكان هو الذي يقود السيارة، وبقي على هذا النحو حتى أخرج السيارة في فجر اليوم الثالث.

وقد نقل د. زياد عن والده بشأن هذا الحادث، فذكر أنهم كانوا يعملون ليلاً ويحتمون من الشمس بظل السيارة الصغيرة نهاراً، وعندما أخرجوها كان يضطر إلى التوقف بها كلما سار بها ردحاً نظراً لفراغها من الماء وارتفاع حرارتها، قال، فعندما فرغ منها الوقود وتوقفوا كانوا في الرمق الأخير، ثم خرجوا من السيارة وكانوا مازالوا في الصباح الباكر سمعوا صوت كلب فعلموا أنهم بقرب نزل من البدو، فهب رفاقه يركضون باتجاه صوت الكلب فأخذ يدعوهم إلى الرفق.

قال قريطان بن حياة: «**إنه سمع نداء الأمير فوقف عن العدْو (الركض) حياء منه واستمر رفاقهم الثلاثة الآخرون في عدوهم نحو خيمة البدوي التي ظهرت لهم، فلما رآهم صاحب الخيمة أدرك ما بهم وتذكر أن ليس في خيمته ماء لهم فركب مطيته وقفى بها بطلب الماء، فلما وصل العادون إلى الخيمة ولم يجدوا ماء عرضت عليهم صاحبتها لبناً لديها فشربوا منه، وامتنع الأمير عن الشرب من اللبن كما امتنع قريطان حتى عاد راكب المطية ومعه قربة ماء فأخذ منها الأمير وطلب بعضاً من التمر وهرسه في الماء وأخذ يعطي رفاقه في قدح قهوة صغير ويشرب مثلهم في القدح، وكان رفاقه الذين شربوا اللبن**

يستفرغون من أثر الإفراط في شرب اللبن، أما هو وقريطان فقد تمكنوا من أنفسهم واقتصدوا بشرب عصير التمر (المريس) حتى هدأت حالهم واستعادوا نشاطهم». وقد قال الشاعر ناصر بن بليهيد في هذه المناسبة قصيدة منها:

يـا الـلـه يـا الـلـه يـا رواف	**يـا ضـافـي سـتـرك الـضـافـي**
يـا سـعـاف مـن لا يـجيـه اسـعـاف	**يـوم ان الأريـاق نـشـافـى**
لـولاه تـضـرب بـنـا الأوصـاف	**ويـصـبـح اتـريـك الـبـلـد طـافـى**
الـشـيـخ مـشـى الـحـديـد الـحـاف	**يـوم الأثـر دمـه الـسـافـى**
قـطـعـة لـيـال ظـمـا واعـيـاف	**فـي جـمـرة الـقـيـظ يـا كـافـى**

وتحدث عبدالرحمن الملحم وإبراهيم العنان وعبد الرحمن النغيمش كذلك، فقالوا **«إنه خرج في مهمة أخرى إلى منطقة الحماد بسيارة واحدة، فلما كانوا على مقربة من لاهة انكسرت مساعدات (سستة) السيارة وليس معهم بديل لها، فطلب من رجاله إحداث خرم في السستة لربطها فتصاعب البعض الأمر وبادر آخرون لتنفيذ ما اقترحه الأمير»**،

وقد تحدث عن هذه الحادثه فقال: **«إن أقوى رفاقه شكيمة وعزماً كان محمد بن نغيمش الذي استعد لأداء المطلوب منه، فكان لا يكل ولا يمل حتى أنجزه مع نفر معه بعد بضعة أيام من الجهد المتواصل فلما أكملوا العمل وانتهت ضائقتهم سار الأمير ورفاقه فأنجزوا المهمة التي خرجوا لها وبقيت سيارتهم بما أصلحوه فيها لسنوات تسير بهم دون عطل»**.

وعن عبدالرحمن بن محمد الملحم، قال: **«كان الأمير في أول إمارته للجوف يمارس القنص، فكان إذا عاد من الصيد وزع على الأهالي من صيده، وقد عرفته يستقبل الهدايا من منتجات مزارعي المنطقة ويبادل المهدين وآخرين من منتجات مزرعته في سكاكا وفي الغاط، وكان يأمر بتوزيع اللبن ومنتجات أخرى من مزرعته يومياً على جيرانه في سكاكا»**.

وقال: **«كان في الماضي يكلف محمد العقيل - الملقب بالصوينع - بإصلاح ذات البين فإن لم يصلحوا يلتقيهم مساءً على انفراد بعيداً عن أعين الموجودين في منزله، ليصلح بينهم ويساعدهم بما يجود إن استدعت**

الظروف ذلك، وأعرف أن امرأة تقدمت بشكوى ضد رجل فعرض على الرجل والمرأة الزواج فوافقا فتم ذلك وانتهى الأمر عند هذا فستر عليهما».

وقال محمد بن سعران: «**إنه ذات ليلة وقد فرغ الأمير من رياضة المشي مع من كان معه وجلس في دكته وقدموا له ولهم حليب الإبل، لحظ قدوم سيارة شد انتباهه حركة من ترجل منها فطلب إلى ابن سعران أن يذهب لاستقبال القادم فيقدم له العشاء فإن فرغ منه أو كان قد تعشى يرافقه إلى حيث بيته، ولم ينتبه الحضور إلى الأمر كما لم يدرك ابن سعران معنى هذا الطلب حتى وصل الرجل فوجد أنه ثمل من أثر المسكر، فعرف أن الأمير أراد الستر عليه قبل أن يصل إليه في مجلسه فيتبين أمره ويضطر إلى التعامل معه رسمياً، فرافق الرجل إلى حيث منزله ولم يُعلم أحداً بما كان منه**».

وقال فوزان بن فرحان الحساني: «**إن امرأة أتت إليه عصراً وهو في دكته فاشتكت سجن ابنها فطلب منها مراجعته في المكتب فأخذت تلح بشكواها، فلما أطالت الشكوى بيّن لها سبب سجن ابنها وما كان يريد ذلك لولا إلحاحها، فانصرفت**».

وحصل أحد مواطني الجوف على أرض زراعية عمد إلى حفر بئر فيها قبل أن تعطى له رخصة بالحفر، فلما علمت مديرية الزراعة في المنطقة كتبت بذلك للوزارة التي طلبت هدم البئر، ولما أتت المعاملة إلى الأمير كتب للوزارة يطلب منها رفع أمرها بهدم البئر قائلاً: «**إن الخطأ الذي وقع لم يكن من المواطن وإنما من إجراءات عمل الوزارة التي فصلت بين إقطاع الأرض الزراعية للمواطن وبين رخصة الحفر، فكان من الواجب أن لا يُقطع المواطن مثل هذه الأرض إلا إذا كان سيسمح له بالحفر فيها**»، فأبت الوزارة التراجع عن أمرها ورفع الموضوع إلى مجلس الوزراء الذي قرر أن المسألة متروكة لتقدير جهة الاختصاص، أي وزارة الزراعة، التي أصرت على موقفها، وقد كان للأمير أن يقف عند هذا الحد إلا أنه كعادته أشفق على المواطن وتحمل المسؤولية في ذلك، فأمر أن تمسح الأرض دون الإضرار بالبئر وتم رفع المحضر للوزارة التي قررت بعد ذلك الترخيص للمواطن بحفر بئر[١].

وقالت ابنته لطيفة: "**في إحدى ليالي شتاء الشمال الشديدة البرودة، وقبيل**

---

(١) تكررت رواية هذه القصة على لسان عدة رواة.

أذان الفجر بساعتين تقريباً، دق جرس الهاتف فالتقطت السماعة بقلق وذعر وإذ بالمتحدث على الطرف الثاني والدي وطلب مني إيقاظ تركي - أمير دومة الجندل في ذلك الحين - بعد أن طمأنني بأن والدتي والجميع بخير، فما أن حادثه حتى طلب منه وبشكل سريع أن يذهب إلى مستشفى دومة الجندل حيث هناك سيدة لديها نزيف وحالتها تستوجب نقل دم، وأكد عليه بأن يتابع أمرها بنفسه إلى أن تستقر حالتها، وفعلاً تم له ما أراد وتمكنوا من إيجاد متبرعين ونقل الدم للمريضة وتجاوزت مرحلة حرجة كانت تمر بها، مع العلم أن تلك السيدة كانت عابرة طريق".

وقالت لطيفة: "هناك موقف له لم أتحدث عنه سابقاً احتراماً لرغبة الوالد، إلا أنني لا أرى بأساً من روايته دون ذكر أسماء تقديراً لحساسية الموضوع:

"في أحد الأيام وبينما كنت في بيت الوالد استدعاني وطلب مني زيارة إحدى الأسر وتقصي حالتها، وأحسست بإحراج بأن أزور تلك الأسرة دون سابق معرفة، وصادف أن ابنتهم كانت تلميذة في المدرسة التي كنت أعمل مديرة لها، وكانت غائبة لبضعة أيام وبمتابعة غيابها أفادت أسرتها بأنها مريضة، فانتهزت هذا الظرف، وذهبت مع إحدى الزميلات لزيارة تلك الأسرة، وبدخولنا استقبلتنا والدتها وأدخلتنا في مكان متواضع لاستقبال الضيوف لكنه أفضل كثيراً مما عداه، وبعد أن تناولنا القهوة والتمر سألت عن ابنتها فقالت إنها نائمة وستوقظها لتسعد بزيارتنا لها، فكانت فرصة لي لأن أتعرف أكثر على وضع الأسرة المادي بأن أصررت على أن نذهب إليها حيث توجد، وما أن دخلت حتى اتضحت الصورة جلية عن وضع الأسرة المادي القاسي ولا حاجة للخوض بالتفاصيل، ونقلت الصورة كما رأيتها للوالد فأوصى، بمساعدة شهرية وبشكل سري وعن طريقي بحيث لم يعلم أي شخص بهذا الموضوع، واستمرت مساعدته لتلك الأسرة إلى أن تخرج بعض أبنائها وعملوا في مجال التعليم.

مع العلم أنني كنت قد سألت الوالد عمن نقل له عن وضعهم وهم من الأسر شديدة التعفف حيث ظهر جلياً في مكان استقبالهم لضيوفهم ولتكرار الأم بحمد

الله وشكره على نعمه، ففهمت بأنه قد استنتج وضعهم المادي من خلال ملاحظته حال الأب الذي يكون شديد الهزال عندما يأتي لزيارتنا، ولكن ما أن يتناول العشاء معنا حتى تظهر عليه الحيوية والنشاط وتكرر ذلك عدة مرات.

وهناك مواقف مماثلة إلا أنني أرى أن لا أتطرق لها خشية أن يدل الحديث عنها على أصحابها".

وروى فواز بن فرحان الحساني وفهد بن سليمان أبو هلال أن تاجراً خسر تجارته، فأتى الأمير يطلب عونه فمده بمال لشراء غنم، وقد كثرت الغنم ولم يطلب منه المحاسبة ولما توفي التاجر وتبين أن في الحساب خسارة أمر بمساعدة لأبنائه.

وقال فواز: «**إن رجلاً من قبيلة عنزة أتى يشكو حاله له فوهبه الأمير اثنتين وعشرين ناقة من الإبل، وإنه مرة أصلح بين متخاصمين على أرض فابتاعها منهم وأصلح بينهم ثم منحهم الأرض بعد أن تصالحوا، وقد روى لي أبناء الأمير والقريبون منه حالات كثيرة مثل هذه**».

وأضاف ابنه د. سلمان أنه كان يتجنب التدخل في حالات القصاص التي تتعلق بمواطنين في منطقة الجوف مراعاة لمركزه، ولكنه كان يسعى للصلح في مثل هذه القضايا خارج المنطقة، وأسهم في إعتاق رقاب عدة حكم عليها بالقصاص.

غياب الحاجب:

أدرك الأمير بفطنته، أن معاشرة الناس ومد الجسور معهم على اختلاف مستوياتهم التعليمية والاجتماعية واستقبالهم بلا حجاب ولا حراس، هو مناط مسؤولياته كحاكم إداري، يستثمر الجانب الأخلاقي والإنساني للتصدي لحل الكثير من المشكلات، قبيل أن تأخذ بعداً قانونياً وتفادي الكثير من الخلافات بين الناس، فلم يأنف من أي ذي حاجة، وعلاوة على غياب الحراس في مكتبه فهو كذلك في مجلسه الخاص.

يروي ابنه فيصل قصة ليست سوى نموذج يعرفه كل من يعرف والده، فيقول إنه - أي فيصل - أرسل أحد موظفيه - وهو مرعي القحطاني - إلى الجوف لنقل رسالة

إلى والده، وعندما دخل مكتب الأمير وسأل عنه أجابه بنفسه قائلاً: **استرح، ماذا تريد منه؟** فأخبره بأنه يحمل له رسالة فطلب أن يناولها إياه وقام على الفور بفتحها، الأمر الذي أثار دهشة مرعي وجعله لا يتمالك من الإيضاح أنها للأمير، ثم طلب معاليه من أحد الخويا أن يأخذه إلى حيث مقر الضيافة، وفي الطريق سأل الرجل مرافقه عن الشخص الذي يجرؤ على فتح رسالة كهذه، فأجابه المضيف بأنك كنت في مجلسه، ولم يجرؤ على فتح الرسالة سوى الأمير نفسه.

تتناغم هذه البساطة مع روح عبدالرحمن السديري، الذي كان ديدنه الحرص على استغلال العلاقات الإنسانية والابتعاد عن الأمور الرسمية ما أمكن، ميالاً على الدوام إلى أن ينأى بالقضايا الأسرية خارج الإطار الرسمي، وكان يَكِل لأحد المكلفين بأمور الضيافة في الإمارة لحل المشكلة، فإذا لم يتمكن من إقناع الأطراف المعنية يقوم في اليوم التالي هو بنفسه بإنهاء المشكلة، حتى لو اضطر لدفع مبلغ من المال لأطراف النزاع دون أن يعلم بذلك أحد.

ويقول طبيبه الدكتور مير مزمل علي من نص ترجم عن اللغة الإنجليزية: **كان يخالط الناس أيا كانت مستوياتهم المادية أو الاجتماعية، وكانت لديه معرفة بالناس وصدقهم مع الإدارة والمجتمع، ولم يكن يدع أحداً خارج نطاق اهتمامه أيا كان ملبسه أو مستواه الاقتصادي أو تعليمه أو مظهره..**

جاءه إلى (الدكة) أعرابي كبير السن رث المظهر فحياه ودعاه للجلوس بجانبه وسأله عن أغنامه ومكان إقامته وعن حال المراعي وسبب ارتحاله إلى مرعى آخر على الرغم من جودة مرعاه الذي وصفه الأمير بدقة ثم طلب القهوة والشاي وطلب من الرجل أن يسمعه قصيدته في زوجته.

إنه يذهب إلى أقصى حد في البساطة وهي سمة أصيلة من سمات شخصيته، فهذا خدعان الدايس يقول: «**في حوالي عام ١٣٩٥ هـ كنت مكلفاً مع بعض الزملاء بالعمل في المعسكر الصيفي لطلاب الدور الاجتماعية بالطائف، وعندما علمنا بوجود الأمير عبدالرحمن هناك ذهبت بمعية زميلي عبدالقادر الصلهام لزيارته في فندق العزيزية، وقد رحب بنا كثيراً واحتفى بمقدمنا ودعانا لمرافقته بالسيارة إلى طريق الهدا، وكان معنا زميلي ابن يوسف من القريات وسائق يدعى (نادي)**

وفي الطريق شرع يهيجن بقوله:

غــرو نـطـحـنـي بــعــرض الـــدرب   مــا تـنـشـدن عـنـه يـا نـــادي
طـفـل سـلـبـنــي بـلـيــــــا قلب   لـــو يـنــصـرف كـــان وش عـــادي

وكنا نـردد من خلفه حتى انتهينا إلى مقهى حيث تناولنا القهوة وأكلنا التين الشوكي، وكان طوال الجلسة يمازحنا جميعاً».

وإذا كان من غير المستغرب أن يستقبل ضيوفه بهذه الحفاوة، فإنه من البساطة بحيث لا يتردد عما هو أبعد من ذلك، وهو ما تشهد به الهجينيّة التي خاطب بها الأمير سائقه، ولعل في شهادة ممدوح السلطان ما يكفي حيث يقول: «**سافرت إلى بريطانيا لإجراء عملية جراحية، وبينما كنت في غرفتي بالمستشفى إذ بي أفاجأ بمن يطرق الباب فإذا هو الأمير عبدالرحمن يرافقه تركي بن سعد السديري ومحمد الدرزي، وهنأني بالسلامة معتذراً عن عدم معرفته بمرضي إلا بعد أن أخبره الشيخ مشل بن طوالة**».

إذن فلا يستغرب عنه بالتالي فراسته ولماحيته ومعرفته العميقة بالناس، إنه يعرفهم بأسمائهم فرداً فرداً يسأل عنهم كلما التقى أحدهم ويبادلهم الهدايا ويجتمع مع الكثيرين منهم لاستشارتهم في المناسبات التي تستدعي الأمر، سواء كان ذلك زيارة مسؤول كبير إلى المنطقة أو تحديد حاجاتها، ولم يكتف باستقبال الناس وذوي الحاجات وحسب، بل كان حريصاً على الذهاب إليهم ومشاركتهم في مناسبات الزواج والاحتفالات العامة وغالباً ما كان يرتجل الشعر في العرضة التي تقام في مثل هذه المناسبات، وديوانه يشهد بنماذج من هذه القصائد.

ولم تقتصر مشاركته للناس على المناسبات وحسب، بل كان يتماهى، رحمه الله، مع رفاقه في رحلاته ويتجرد من مكانته ويصبح فـرداً منهم في السراء والضراء، ولعل خير شاهد على ذلك تلك المناسبة الرثائية التي قال فيها قصيدته التي سبقت الإشارة إليها، ومطلعها:

لــو دريــنــا بــالــقــدر خــيــره وشــره   مــا تـركـنـا خـصـمـنـا يـجـهـل عـلـيـنـا

المستقبل في الحاضر:

من الهواجس التي كانت تشغل بال الأمير السديري منذ توليه الإمـارة في منطقة الجوف، مشروع توطين البادية، وهو مشروع تبنته الدولة على يد مؤسسها طيب الله ثراه، في حين لم يغب عن ذهنه أن الاشتغال على هذا المشروع يتطلب أن يتوافق مع معادلة في غاية الحساسية، وهي ربط أهل البادية في الوقت نفسه بنشاطهم من خلال أمرين هما:

أولاً: تدشين مجمعات لأبناء البادية في مناطق معينة وحفر الآبار لتوفير الماء، والحرص على إيصال الخدمة التعليمية والصحية لهم.

وفي هذا الصدد يروي خدعان بن دايس المرعي الذي عمل مديراً لدار التربية الاجتماعية للبنين بقوله: «**كان معالي الأمير عبدالرحمن يوصينا بقبول أبناء البادية لتوفير فرص التعليم لهم وكنا لكي نحقق هذا الأمر نضطر أن نتجاوز التعليمات أحياناً**».

ثانياً: سباق الهجن، وفي هذا الصدد يذكر ممدوح عبدالحميد السلطان أن معاليه من أوائل من فكر وشجع على إقامة هـذا السباق على مستوى المملكة، ليصبح فيما بعد تقليداً في أكثر من مدينة، كما أنه من أقدم من فكر في توزيع الأراضي البور على المواطنين في الأرياف والمناطق الزراعية، وقد خصص مناسبات سنوية لتكريم المزارعين كانت حافزاً قوياً على بقاء هذا النشاط.

ويقول فياض العجلان من حوار أجراه معه إبراهيم بن خليف السطام: «**في عام ١٣٧٠هـ شجع أهل دومة الجندل على الخروج من مواقع مساكنهم القديمة إلى المواقع التي خططتها البلدية، كما شرع في توطين وادي السرحان، وقد أقام في هذا المجال عدة مسابقات تشجيعية استفاد منها الكثيرون**».

وهنا يقودنا الحديث إلى أسبوع الجوف الذي يمثل مهرجاناً سنوياً يشتمل على العديد من الفعاليات:

١) المعارض الفنية والرياضية وعرض للصناعات المحلية ولاسيما السجاد الذي تشتهر به منطقة الجوف.
٢) الندوات والمحاضرات والأمسيات الشعرية والأدبية.
٣) معرض سنوي للكتاب يتزامن مع أسبوع الجوف.
٤) برامج زيارات للمشاركين والضيوف المدعوين من خارج المنطقة إلى المناطق الأثرية.

ومن شهادة مطولة للدكتور محمد البشر مدير عام المؤسسة العامة لصوامع الغلال سابقاً السفير لاحقاً في الصين ثم المغرب، نقتطف قوله: «**كان الأمير عبدالرحمن يعمل على إرساء تلك السياسة التي اختطها الملك عبدالعزيز وأبناؤه من بعده وبما عرف عنه من حنكة ودراية، أخذت الحاضرة في التأقلم مع المعطيات الجديدة بعد أن أمكن توفير المدارس للبنين والبنات، وبعدها سارت البادية على النهج ذاته بعد أن عمل الأمير على إقناعها بالفوائد التي يمكن جنيها بالانخراط في هذا النمط من الحياة العلمية والاقتصادية مع أنماط حياتها الأخرى دون تغيير، ومع مرور الزمن وتسارع التنمية أخذت المدن في الاتساع بزيادة الوافدين إلى المنطقة من مناطق أخرى، أو من أبناء البادية الذين رأوا في حياة المدن شيئاً من الراحة، ومن أبناء البادية من استفاد من الحياة الحضرية بدون تغيير كبير في السمات البدوية التي لا يستطيع المرء انتزاع نفسه منها، وهكذا وجد أبناء المنطقة أنفسهم يسهمون في بناء مدن عصرية تتوافر بها متطلبات الحياة المدنية لا تقل عن تلك التي ينعم بها القاطنون في مدن أخرى من الدول المتقدمة، وقد كان للأمير عبدالرحمن اليد الطولى في ذلك بدعمه ومؤازرته للمواطنين، والسعي إلى تحقيق ما يصبون إليه دون كلل أو ملل، ومن خلال التطور، أصبح السكان في المنطقة ينعمون بالرعاية الصحية والتعليمية واستخدام المواصلات التي سهلت كثيراً من عناء الترحال والتنقل، كما أصبحت الكهرباء متاحة للجميع إضافة إلى مياه الشرب النقية التي كانت وما زالت عصب الحياة لدى الحضر والبدو، لقد أسهم هذا التطور في بناء الإنسان وتوفير الخدمات الضرورية، وقدمت المنطقة الكثير من العلماء المبرزين في مجالات العلوم المختلفة والمسؤولين الذين تقلدوا مراكز مهمة في ميادين شتى**».

وهذه شهادة مكتوبة بقلم عبدالله عايض الزيد: «**في عام ١٣٧٤هـ أبرق الأمير عبدالرحمن إلى الملك سعود، رحمهما الله، يطلب الإذن بتوزيع الأراضي البور على المواطنين الراغبين في إحيائها بموجب تقرير أعدته لجنة مشكلة من الإدارات الحكومية، وأجابه الملك بالموافقة على طلبه وتم له ما أراد، حيث تم توزيع الأراضي الزراعية في كل من سكاكا (الفياض، القنيطرة، الكيسومة، السحل، الحماد، وقيال) ودومة الجندل (المزارع، أجرباء، والمرير)، وكذلك في وادي السرحان، وكانت تلك مبادرة من مبادراته التي كان له فيها السبق قبل أن تعم التجربة مناطق المملكة جميعها**».

ولعله من المناسب ألا نغادر هذا الجزء قبل الإشارة إلى أن معاليه كان يراهن على مشروع مركز طبرجل، الذي كان حلماً لم يلبث أن انتهى إلى حقيقة ماثلة، يقول اللواء ركن متقاعد معاشي بن ذوقان العطية: «**في عام ١٣٨٣هـ زرت عبدالرحمن السديري أثناء إقامته في فندق اليمامة بالرياض وكنت آنذاك ضابط ارتباط الجيش العربي فطلب من أحد الإخوة إحضار مخطط طبرجل قبل نشأتها لإطلاعي عليه، وهو المشروع الذي يصفه صالح بن متروك البليهد بقوله: مشروع الوادي أنشئ من بذرة إلى أن أصبحت شجرة ضخمة في فترة قياسية**».

البدوي العربي - آفاق الانتماء:

لا تكتمل الصورة في شخصية الأمير البدوي إلا بوجود الوجه العربي، فبقدر ما تترجم شخصيته عن ذكاء ابن الصحراء وفطنته وحنكته وصفاء ذاكرته فإنه يضم في جوفه قلباً يضخّ دماً عربياً يتغلغل بعيداً في أعماقه تعكسه الكثير من مواقفه على المستوى الأقليمي والدولي، فهو رجل دولة أسهم في عدد من المعاهدات الدولية واتفاقيات الحدود وسواها، مما لا يسمح بالإفاضة فيه المقام.

يقول عنه أحمد توفيق العتوم - السابق ذكره: «**عرفته منذ عام ١٩٦٢ م عندما قدمت إلى السعودية للعمل، كان كريماً هادئ الطبع حلو المعشر، وكانت نظرته للذين يعملون في المنطقة من أبناء الوطن العربي أنهم أبناء وطن واحد، فكان يرى الأردني والمصري والسوري وأي عربي على أنه مواطن يعيش في وطنه**».

ويذكر ابنه د. سلمان بأن شجاراً حدث بين مواطن وعامل من الجنسية المصرية، ولما تقدم العامل بشكواه هرب المواطن إلى حائل، وعندما علم الوالد بالأمر أحضر من ساعد على تهريب الرجل وأمهله مدة يومين لإحضار الهارب، وقد تمت معاقبته بالفعل.

ويتحدث سامي سليم عن رعاية الأمير للإخوة العرب ضارباً المثل بالتاجر العراقي حمودي الشنون الذي ظل على علاقة طيبة معه حتى في ظل تغير الأحداث، ومثله أحمد توفيق العتوم والسائق الديري.

طرح الدكتور عبدالرحمن الشبيلي، في لقاء بدار الجوف للعلوم جمع بعض الذين عملوا مع الأمير السديري ورد في جزء منه ما يلي:

ـ من تتذكرون من الأجانب الذين جاءوا إلى الجوف؟

ويجيب علي الراشد: «وليم لانكستر، أستاذ جامعي في لندن وقد كان اتصل هاتفياً معزياً بوفاة الأمير، ومبدياً رغبته في أن يكتب عن زيارته إلى منطقة الجوف».

وأضاف الدكتور عارف المسعر قائلاً:

ـ بادوك وهو بريطاني مترجم متوفى حالياً.

علي الراشد: «عمل بادوك في المعهد المهني ثم في دار الجوف للعلوم حيث شارك في إعداد المجموعات الإنجليزية، ولقي رعاية خاصة من قبل الأمير عبدالرحمن، واعتنق الدين الإسلامي».

هذا الرجل لم يعتنق الإسلام بدعوة صريحة، بقدر ما دفعته المعاملة التي لقيها من لدن الأمير.

يختتم الطبيب مير مزمل شهادته بالسؤال التالي:

– من كان الأمير؟ حاكماً إدارياً؟

ويجيب بقوله: هذه كلمة لا توفيه حقه، كان رجلاً طبيعياً نموذجاً فريداً من بني الإنسان، كان مسلماً، مسلماً حقيقياً.

البعد الإنساني في شخصيته:

يجيب عبدالله الخوصان على سؤال الدكتور الشبيلي وهو (يناكشه حسب تعبيره) عن عيوب عبدالرحمن السديري قائلاً: «**تعلم أن أي مسؤول عرضة للنقد، وحدث أن أرسلت برقية إبان عهد الملك سعود من أشخاص يشتكون من معاليه فيعيدها الملك إليه طلباً لإيضاح الأمر، وعلى الرغم من ذلك فقد كان يقابل الشخص صاحب الشكوى برحابة صدر وكأن شيئاً لم يكن.**

وفي إحدى المرات أرسل الملك سعود الشيخ عمر بن حسن للتحقق من قضية بين الأمير وبعض الأشخاص، فلما عاد من مهمته قال للملك: إذا كانت رغبتك في عدم بقاء عبدالرحمن السديري فالأمر يرجع لجلالتكم، ولكن الأمير لو بقي في الجوف مئة عام فلن تجد عليه مأخذاً فهو إنسان متحفظ لا يأخذ مال أحد ولا يتعمد ظلم أحد وما عنده إلا شرع الله».

وينسب الدكتور فارس بن حمد العقلا عن سكرتيره الخاص المرحوم محمد اليونس موقفين لمعاليه يؤكدان هذا الجانب، أولهما أن أحد الأشخاص تقدم إلى المقام السامي بشكوى ضد الأمير وكان يعلم بموضوع الشكوى وبعد فترة تقدم الشخص نفسه إلى الأمير بطلب مساعدته في رعاية أبنائه المعاقين في الخارج، ولم تكن تلك الخدمة متوفرة في المملكة آنذاك، تحدث مع سكرتيره الخاص قائلاً: اكتب خطاباً للمقام السامي عن حاجة الشخص واعرض لظروفه المادية الصعبة، يقول المرحوم محمد اليونس: أسمع من معاليه هذه الكلمات ولا أكاد أصدق، أعدت عليه السؤال: هل أكتب هذا الموضوع يا طويل العمر؟

قال الأمير: نعم ومعه توصية، وحدث أن جاءت الموافقة على الطلب.

الموقف الثاني: قد يعتقد البعض أنه طرفة، كان هناك شخص أعد خطابين يطلب في الأول من الأمير مساعدته والآخر يشكوه إلى المقام السامي في حال تعذر طلبه، وكانت المفارقة أن قدم الخطاب الثاني للأمير خطأ ولما قرأه الأمير قال: خذ هذا. هل معك خطاب آخر؟

وقد أنجز طلبه بدون أن يظهر له أدنى عتاب.

كان رحمه الله هو نفسه دائماً، وفي قصيدة الرفيق التي اقتطف هذا الكتاب جزءاً منها ما يؤكد هذا البعد الإنساني في شخصيته:

أنا رفيقي لو غلط ما أقدر أجزيه إلا بصفح وعفت عن شناته

وهكذا نجد أن أصدقاء السديري بما يتوافر فيه من خصال حسنة كثيرون ودائمون، فيما خصومه طارئون وسرعان ما يتحولون إلى أصدقاء، ما إن يقتربون منه ويعرفون أي إنسان في أعماقه.

وهذا مواطن آخر يحضر مع بعض أفراد عائلته طلباً للشفاعة عند الأمير ليعفو عن ابنه الذي تطاول على أحد المقيمين في منزله غير أن معاليه اعتذر وأصر على أن ينال الابن عقابه، فما كان من الرجل إلا أن خرج من مجلس الأمير مغاضباً تعبيراً عن امتعاضه بعد أن تلفظ بكلمات لا تليق في مجلس الأمير وغادر سيراً على قدميه، ولكن سعة صدر معاليه لم تسمح له بأقل من أن يطلب من أحدهم اللحاق به وإيصاله إلى منزله.

يد لا تتقن إلا لغة العطاء:

قبيل الشروع في كتابة الشهادات التالية قفز إلى ذاكرتي بيت الشعر الشهير:

تعوّد بسط الكف حتى لو انه ثناها لقبضٍ لم تطعه أنامله

ويذكر فهد بن سليمان أبو هلال في شهادته أن معاليه كان شديد الحرص على إقناع رؤساء العشائر من البادية بالاستيطان والزراعة ويحرص على استضافة أبناء البادية في منزله ويرعى أيتامهم ويحرص على تعليمهم وتقديم المساعدات لهم ولاسيما النساء الأرامل ويعمل على تقصي أحوال الكثير من الناس الذين يتعففون عن السؤال.

وهناك الكثير من المواقف المماثلة.

الإنسان أولاً:

يحدث أحياناً أن توجد حالة إنسانية خاصة قد تذهب ضحية التعليمات والأنظمة حين لا تجد مسؤولاً يعمل بقلبه كما يعمل بعقله أمثال الأمير السديري، وشاهد هذه الحكاية هو الدكتور عارف المسعر حيث يقول: «**كان أحد خويا المحافظة في القريات يعمل مراسلاً في إحدى المدارس، وعندما أحيل على التقاعد طلبت منه مصلحة التقاعد التي تمنع الجمع بين وظيفتين أن يختار إحداهما (مراسل مدرسة أو خوي في محافظة القريات) وحين أجريت التصفية كان يتعين عليه تبعاً لذلك أن يعيد مبلغ (٣٧٥٠٠٠ ريالاً) إلى خزينة الدولة وهو أمر عسير عليه، فهب إلى الأمير طالباً النجدة، وعندئذٍ طلب معاليه مقابلتي في بستانه مساء، واقترح أن نرفع خطاباً إلى سمو الأمير سلطان بن عبدالعزيز لطلب إعفائه، وقد أعفي بالفعل**».

ولم يكن يأبه بالبروتوكول قدر اهتمامه بقضايا الناس أولاً، يقول الدكتور فارس الحمد في شهادته: «**كنت في مكتب الأمير عندما حضر أحد الأشخاص البسطاء وألقى بمعروضه على المكتب ثم عاد وجلس، وبعد أن تناول القهوة ناوله الأمير عبدالرحمن المعروض قائلاً: خذ يا ابن أخي[1] هذا معروضك بعد أن قرأه وكتب توجيهاته، لم أستغرب سعة صدره فمعرفته بالناس جعلته يتصرف معهم بمثل هذا الأسلوب الراقي**».

يتحدث ممدوح السلطان في شهادته عن موقف عبدالرحمن السديري المسؤول الذي يقفز فوق حواجز البيروقراطية حينما يكون بإزاء حالة إنسانية فيقول: «**فوجئت في إحدى ليالي رمضان المبارك في عام ١٤٠٩ هـ بينما كنت أستعد لإرسال جثمان مزارع مصري انتقل إلى رحمة الله آنذاك على رحلة السعودية بأن الموظف المسؤول عن بوليصة التأمين غير موجود في مكتبه، مما جعل من سفر الجثمان مستحيلاً، وبعد شوط طويل من عناء البحث عن الموظف عدت بخفي حنين وأوشكت الطائرة أن تغادر وكنا في وقت متأخر ليلاً ولكنني لم أجد مناصاً من الاستغاثة بالأمير، فاتصلت على سنترال الإمارة وشرحت له الظرف**

(١) تعبير ودود يستعمل مع الأقارب وغيرهم وتنطق هكذا: يا بناخي.

فلم تمض ربع ساعة حتى جاء جواب الأمير، رحمه الله، بالأمر ألا تقلع الطائرة إلا والجنازة على متنها وتم ذلك بالفعل، جزاه الله عنا خير الجزاء».

هناك الكثير من الخلافات الشخصية التي أجمعت بضع شهادات على حرص الأمير على حلها بالطرق الودية، وعن طريق لجان من وجوه المجتمع الذين يتوسم فيهم القدرة على التعاطي مع كل موضوع وفق طبيعته.

ويمثل الإنسان لديه قيمة جوهرية لا تضاهيها قيمة سواها، ولذا فإنه يرى لمعادلة الإنسان والنظام رؤية متزنة، يذكر أن نزل حول مدينة سكاكا أعداد كبيرة من أبناء البادية بسبب وفرة المراعي، كان ذلك في العقد العاشر من القرن الرابع عشر الهجري (العقد الثامن من القرن العشرين)، وكان كبار السن ممن لم يرزقهم الله من الذرية إلا البنات، لا يحسنون الدخول إلى مدينة سكاكا إلا بواسطة سيارات تقودها بناتهم، فلما اعترضت إدارة المرور عليهم وحاولت منعهم أصدر عبدالرحمن السديري أمره إلى إدارة المرور بالسماح لبنات هؤلاء بقيادة السيارات، تقديراً لظروفهم ولحاجتهم لبيع معروضاتهم وشراء مستلزماتهم.

ومما يذكر لمعاليه، أنه كان يحرص كل الحرص على حل الخلافات الزوجية خاصة بالطرق الودية بمبادرات يقوم بها بنفسه أحياناً ويحجم عن وصول هذه الخلافات إلى الجهات الرسمية.

والإنسان قبل النظام في سياسة عبدالرحمن السديري، يذكر سامي سليم بأن كلاً من عبدالله السهيان ومقيم فلسطيني أبرما اتفاقاً بينهما يقتضي الاشتراك في مزرعة لا يوجد صك يثبت ملكيتها، وقد اختلفا بعد فترة وحضرا إلى مجلس الأمير، فقال لهما: بأن اتفاقكما غير نظامي أساساً، وإذا تدخلت الجهة الرسمية فسوف يتعرض كلاكما للأذى، ونصحهما باختيار محكمين لحل الخلاف بطريقة ودية، وقد اختارا لجنة تضم كلا من: مشهور الشعلان وسامي سليم وعبدالله الغميز، وتوصلت إلى حل وسط كان محل رضا الطرفين.

كتب عنه اللواء صالح بن علي بن شويل القحطاني، الذي تولى إدارة الشرطة في منطقة الجوف لما يزيد عن عشر سنين، فقال:

"**إن أي إنسان يريد أن يتناول شخصية عبدالرحمن بن أحمد السديري يجد**

نفسه عاجزاً لا شك عن الإحاطة بكثير من جوانب هذه الشخصية الفريدة، وهو لن يستطيع أن يعطيها حقها أو بعضه ولا يستطيع أن يسبر غورها ويصل إلى مكنوناتها ويغوص في أعماقها..." .

«فإذا تحدثنا عنه كإنسان، نجد أنه رجل لين العريكة للضعفاء وغيرهم ممن ينشد الحاجة ويسعى إلى طلب العون، سباق إلى المكارم، رقيق المشاعر، جم التواضع، دافئ الكلمة، هادئ الطباع، صافي الذهن، راجح العقل، حكيم في تعامله مع كل شيء، بعيد النظر، يعيش بأفكاره ومشاعره وأحاسيسه هموم الناس... وآمالهم وآلامهم، يشاركهم أفراحهم وأحزانهم، يعالج قضاياهم ويحل مشاكلهم بما يرضيهم، يخرج كل طرف من أطراف النزاع أو الخصام أو الخلاف أو الاختلاف من لدنه وقد حل ما شجر بينهم والرضى يملأ نفوسهم، وهو رجل يؤمن بالحق والعدل والمساواة بين الناس فيما يكون لهم أو عليهم، حازم في غير عنف، لين في غير ضعف، لا يقبل من أحد أن يتعمد الخطأ أو يتمادى فيه، يكره الكذب والنفاق وأساليب التملق والخداع، عذب الحديث، كريم السجايا والصفات، يخيل إلى كل من يتعامل معه أنه شديد القرب منه، لا يتعالى على أحد كائناً من كان، يقري الضيف ويكرمه ببشاشته وإشراقته وأحاديثه العفوية معه وملاطفته له، سلّمت عليه لأول مرة وكأني قد عرفته منذ سنوات، لم يكن سّباباً ولا شتّاماً ولا فحّاشاً، ولا أذكر في يوم من الأيام التي تشرفت بالقرب منه خلالها أن رأيته أو سمعته وقد رفع صوته على أحد، أو سمع أحد منه كلمة تجرح مشاعره أو تؤذي كرامته... "

وكتب عنه عبدالله بن عبدالعزيز السابق الفوزان الذي تولى إدارة مالية الجوف لمدة سبع وثلاثين سنة[(١)] :

---

(١) ضميمة المؤسسة، زودنا محمد بن عبدالله السابق بصورة ورقات أخذها من كتاب (الشماسية) تأليف أ. د. عبدالله بن ناصر الوليعي جاء فيها أن عبدالله بن عبدالعزيز بن سابق بن فوزان بن عثمان السابق الفوزان ولد في بريده عام ١٣٣٠هـ (١٩١١م) وتعلم في الكتاتيب على يد الشيخ صالح الصقعبي وفي عام ١٣٤٤هـ، سافر إلى مصر مع عمه فوزان بن عثمان بن فوزان لإكمال دراسته ضمن طلاب البعثة السعودية حيث درس الابتدائية وأكمل دراسته في كلية التجارة في القاهرة، وفي عام ١٣٥٥هـ (١٩٣٥م) قام برحلة مع العقيلات وتشارك في إبل باعها في فلسطين ثم عاد وبقي في بريدة، وفي عام ١٣٥٨هـ (١٩٣٨م) عمل في الديوان الملكي مدة سنة، ثم انتقل إلى مالية الجوف وعمل محاسباً فيها ثم مديراً لمالية وجمرك الجوف حتى ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م) حيث انتقل إلى الرياض وعمل في وزارة المالية حتى تقاعد سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م).

"مكتبه مفتوح للخاص والعام بدون استئذان والضيافة للخاص والعام، له مجلس خاص في بيته الكائن في بستانه... فيه مجلس فسيح يجلس فيه بعد صلاة العصر حتى الساعة الثانية عشرة بدون انقطاع ويتلقى كل من له مشكلة فيحلها فيما بينهم سلماً".

وكتب عنه فهد بن سليمان أبو هلال الذي عمل في معّيته لست عشرة سنة[١]:

"كان يقضي أغلب وقته في مقابلة الناس في مكتبه ومنزله وتلمّس حاجاتهم، وهو يتصف بصفات حميدة ولله الحمد، ألا وهي الاستقامة الدينية والعدل وحسن الخلق والاهتمام بمن يتحدث معه بشكل متواضع وكرم ضيافة وحسن استقبال، وكان منزله مهيأً دائماً للضيوف، طالت إقامتهم أو قصرت، لا يأكل داخل منزله أو لوحده أو مع أشخاص معروفين ومحدودين، وإنما أكله مع الجميع، لا يتغيب عنهم إلا بعذر ويحرص في أثناء جلوسه على المائدة على الاهتمام بالحاضرين، ويوصي بتقديم الطعام لهم، مثلاً أعطوا فلاناً حليباً أو لبناً أو كل يا فلان، سواء كانوا ضيوفاً أو غيرهم... اهتم بإصلاح ذات البين وأقام المناسبات والحفلات وإجراء سباقات الهجن ودعوة البادية والحاضرة إليها، ومن أهدافه غير المنظورة، وهي من الأساسيات لديه، دعوة الأطراف التي بينها خلاف للحضور، ويعد ذلك الآخرون حضوراً تلقائياً لهذه المناسبة بهدف تصفية النفوس والتقارب وبحث الخلاف الرئيس مثل الوساطة بين من كان بينهم قضية قتل أو مشاحنات وخلافات سواء قديمة أو حديثة والهدف تقريب وجهات النظر وتهدئة النفوس... كان يقوم في بعض الأحيان بالذهاب إلى بعض المدن والمناطق بنفسه بقصد زيارة فلان في محاولة الإصلاح بين من كان بينهم خلافات... والمعروف بين الناس والمرافقين له أنه ذهب لإجابة دعوة فلان من الناس وحضور غداء أو قهوة أو مناسبة زواج...

اهتم بإزالة الأحجار من الطرق الوعرة ليسهل سلوك السيارات بها قبل توفر المعدات الحديثة[٢]، كان يقوم بنصب الخيام لعدة أيام ويذهب شخصياً ويقيم

(١) ضميمة المؤسسة.

(٢) ذكر منها: طريق سكاكا – خوعاء – مغيرا وتسمى المحاوسية، وطريق سكاكا – المرير – نيصوبه – الحماد، وطريق الشويحطيه – الحماد – عرعر ويسمى طلعة الأمير، وطريق الشويحطية – الحماد وتسمى طلعة العوجاء وطريق سكاكا – عرعر الطريق القديم.

هناك مع مجموعة من الناس ويقوم بنفسه... بالمشاركة بتنقية الطريق وإزالة الأحجار... ويبقى في الخيام لعدة أيام ويقدم المأكل والمشرب بسخاء حتى يتم إنجاز القدر المستطاع...

لم يفكر يوماً بالعمل التجاري حيث عرضت عليه أنا شخصياً إقامة محلات ومعارض تجارية على أرض تخصه على الشارع العام في سكاكا فرفض بقوله: أنا لست أبحث عن التجارة ومنافسة الأهالي بذلك وفي هذا المجال. أترك التفكير في هذا".

وكتب عنه طبيبه الدكتور مير مزمّل علي فقال من نص مترجم:

"كان يبدأ يومه بصلاة الفجر ثم ممارسة رياضة المشي لمسافة طويلة... فإذا ذهب إلى المكتب فتحت أبوابه طالما هو فيه، فيأتيه كل إنسان وجميع الناس... وكان دائماً يسعى لمعالجة الأمور صلحاً...

إذا عاد من الإمارة تناول الغداء مع الناس، مختلف الناس كانوا يحضرون... كان يستقبل من يأتيه ويقريه ويستضيفه ويبدي له الاحترام ويشجعه على العودة إلى الجوف والاستثمار فيها...، إذا خرج في العصر، جلس للناس يستقبلهم ومن يأتيه من المسؤولين...

كان يخرج في جولات في المنطقة فيصطحب معه رؤوساء الإدارات الحكومية ويؤمن لمن يصطحبهم كل ما يلزم من خيام وطعام وكماليات أخرى، وكان المسؤولون يشاهدون الأماكن التي يزورونها كما هي. وكان الأمير يلتقي الناس شخصياً فيدور نقاش صادق وصريح بين الجميع... وفي المساء يدعو الجميع للعشاء ويبدي كل من أراد شكواه له فيتصدى لذلك ويسهم بمعالجة الشكاوى وتصحيح ما ينشأ من سوء فهم ويعيد المياه إلى مجاريها بما يحفظ علاقة الحكومة بالمواطنين... ذهب ذات يوم لغداء في طبرجل وعشاء في طريف[١]... أصابته نوبة قلبية ذات يوم

---

(١) تبعد طبرجل عن سكاكا حوالي مئتي كيلو متر، وتبعد طريف عن سكاكا حوالي أربعمئة كيلو متر. قلت، شهدت هذا مراراً فكان يذهب من سكاكا إلى طبرجل أو من الغاط إلى القصيم أو الرياض أو حفر الباطن لحضور مناسبة غداء أو عشاء، وفي بعض الأحيان يذهب إلى مدينتين متباعدتين لحضور وجبتين في يوم واحد كما أشار الطبيب.

فلم يتوقف عن أداء مهماته رغم كل التحذيرات وطلباتنا له بالانصراف... قد يكون في داخله بركان من الغضب ولكن لا أحد حوله كان يدري بذلك...

كان في الطائف في زيارة أخيه خالد، فلما حلت صلاة الفجر وكان في غرفة نومه في منزل أخيه أخذ عباءته المطوية ففردها للصلاة عليها، وكان مرافقه قد وضع مسدسه في وسط العباءة عندما طواها، فسقط المسدس وانطلق منه عيار ناري أصاب الأمير في عضلة ساقه، فعمد إلى تطهير جرحه ثم ربطه ولم يخبر أحداً به، وفي مساء ذلك اليوم وبينما كان مسافراً مع أخيه إلى جدة، نزف الجرح فعلم به الآخرون وما كانوا سيعلمون لولا النزيف. وكان في هرمه في الرياض في منزله في السليمانية وقع بينما كان يغتسل صباح ذات يوم فكسرت بعض من أضلعه فلم يخبرنا وذهب لحضور دعوة غداء في الخرج رغم معاناته الشديدة.

أتذكر ذات يوم عندما تم إخباره بوفاة رفيق قديم له تغير وجهه لجزء من الثانية ثم عاد إلى وضعه المعتاد، فلم يكن يُشعر أحداً بما كان يدور في داخله من معاناة... كان يبدي توجيهاته بأسلوب هادئ جداً، مرة بسرد قصة أو بوصف حادثة مرت أو بالإشارة إلى أضرار عادة اجتماعية أو بكلمة يلقيها...

من كان الأمير؟ حاكماً إدارياً؟ هذه كلمة لا توفيه حقه - كان رجلاً طبيعياً. نموذجاً فريداً من بني الإنسان. كان مسلماً. مسلماً حقيقياً" .

وكتب عنه أحمد توفيق العتوم، من كبار أهالي بلدة سوف بمحافظة جرش في الأردن ومن المقيمين والمستثمرين في الجوف لسنين طويلة، فقال(١) :

"عرفته منذ عام ١٩٦٢م عندما ذهبت إلى السعودية للعمل... كريم هادئ الطبع حلو المعشر يعشق العلم ومجالسة العلماء. يستمع لصاحب الحاجة بأذن صاغية، قلبه كبير وبابه مفتوح أمام الجميع إيماناً من معاليه أن مهمته رسالة يجب أن يؤديها بإخلاص... عرفته عن قرب وربطتني به علاقة المحبة وكان وفياً مخلصاً. يؤمن بالعمل والواجب تجاه وطنه وخدمة الناس، فكان يحافظ على أوقات الدوام كي لا يأتي شخص ذو حاجة فلا يجده... عاش وحبه الكبير لإصلاح

---

(١) ضميمة المؤسسة.

ذات البين وحل القضايا العالقة بينهم، يجور على نفسه ويدفع من ماله الخاص لإرضائهم. يحكم بالعدل ويحق الحق دون أن تأخذه لومة لائم...

كانت نظرته للذين يعملون في المنطقة من أبناء الوطن العربي أنهم أبناء وطن واحد... فكان يرى الأردني والمصري والسوري وأي عربي أنه سعودي يعيش على أرض وطنه... (أشار إلى قصة عامل هندي وشاب أردني أتيا إلى أبى فيصل بحضور الكاتب، لكل منهما شكواه، الأول أتاه في مكتبه فأنهى قضيته وأنصفه من كفيله السعودي والثاني أتاه وهو على مائدة الطعام فتابع موضوعه في يومه)" .

الجوف: القلب على هيئة الخارطة:

يحسن أن نستهل هذا العنوان بوصية عبدالرحمن السديري التي كتبها ليلة خضوعه لإجراء عملية القلب عام ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، التي سبقت الإشارة إليها، ونصها: «**رغبتي أن تهتموا ببناء المكتبة العامة بالجوف وتنفذونها بموجب مخططاتها الموجودة ضمن المكتبة وهذا كل ما أطلب منكم، كما أرغب أن تصدروا الكتاب الذي نحن بصدد إخراجه عن منطقة الجوف**»، إنك لتشعر بأن للأمير قلباً على هيئة خارطة الجوف.

يتحدث عبدالرحمن الملحم بقوله: «**كان الأمير يمهد للكهرباء ويسعى لإدخالها إلى المنطقة، وجمع عدداً من مديري الإدارات الحكومية وحثهم على السعي لتحقيق هذا الأمر من خلال تأسيس شركات خاصة لتوفير هذه الخدمة في كل من سكاكا ودومة الجندل، وقد تم له ذلك بعد أن جمعت المبالغ الكافية التي أسهم هو فيها في المدينتين علاوة على تبرعه بمدافئ كهربائية لسد حاجتهم من جهة ولحمايتهم من أخطار المواقد من جهة أخرى**».

وفي عام ١٤١٠هـ/١٩٩١م، عندما أفاق من غيبوبته الأولى التي دامت لأكثر من شهرين بعد إصابته بمرضه الأخير، يذكر ابنه د. زياد قائلاً: «**وكنت أحاول أن أسقيه الماء بملعقة صغيرة لأن الأطباء يطلبون مني الاقتصاد في ذلك، سألته إن كان اكتفى من الماء فأجابني مبتسماً بما مفاده إنه سيكتفي عندما يكتفي أهل الجوف منه.**

ويذكر عبدالله بن عايض الزيد بهذا الصدد، أن معاليه سعى لإنشاء محطة الكهرباء، ودعا وزير الكهرباء سابقاً الدكتور غازي القصيبي وأطلعه عن قرب على حاجة المنطقة إلى هذه المحطة مما عجل في إنشائها، كما لم يهدأ له بال حتى تم إنشاء صوامع الغلال في الجوف بعدما كان المزارعون يعانون من نقل محاصيلهم إلى صوامع الغلال في كل من الرياض والدمام وجدة والقصيم، وسعى أيضا إلى تأسيس محطة بترومين (أرامكو حالياً) لسد حاجة المواطنين من المحروقات.

ويؤيد هذه الشهادة شهادة تركي بن بداي الشمري حيث يقول: «**لم يكن في مدينة سكاكا سوى محطتين للمحروقات، وقد تعطلتا لمدة أربعة أو خمسة أيام وتضرر بعض المواطنين جراء ذلك، فلم يزل الأمير يبحث مع الحكومة حتى ظفرت المنطقة بالمحطة الحالية**».

يروي فياض العجلان في معرض الحديث عن اهتمام الأمير بحاجات المنطقة حتى في أحلك الظروف قائلاً: «**بعد تعرضه رحمه الله للحادث المروري على طريق المطار، اتصل به خادم الحرمين الملك فهد، رحمه الله، للاطمئنان عليه والسؤال عن صحته، فأجاب قائلاً أنا بخير ولكن لي عندك طلب يا أبا فيصل، مشروع الري والصرف تأخر والمواطنون منحونا من أملاكهم، وأرغب من مقامكم وعداً باعتماده، فقال له الملك فهد: ابشر.. ابشر، وفعلاً اعتمدت المبالغ اللازمة وعوض المواطنون وتم المشروع على أكمل وجه والحمد لله**».

ويذكر عبدالرحمن الملحم بهذا الشأن أن الأمير أحضر شركة (الدرع) في التسعينيات الهجرية لحفر بئر نافورية في السديرية، وأقنعه بمباشرة العمل على الرغم من تردد صاحب الشركة خوفاً من عدم ظهور الماء، وبعد أن انفجرت العين استمر الأمير بتشجيع الشركة في جلب معدات حديثة من بيروت، في بداية شجعت المزارعين على استثمار الثروة المائية في أرجاء المنطقة.

لا يكتفي الأمير بتشجيع المزارعين وحسب، بل كان يسهم معهم كواحد منهم لتوفير عنصر الطمأنينة إلى نفوسهم، يروي نجله د. سلمان بأنه بعد أن أنهى درجة الماجستير قائلاً: سألني الوالد بينما كنت أرافقه في ممارسة رياضة المشي الصباحي كعادته:

■ ماذا تنوي أن تعمل؟

● لم أفكر بهذا الأمر بعد، طال عمرك.

فبادرني، يكمل د. سلمان بقوله، بأنه يفكر منذ عام ١٩٦٥ م بالحصول على ترخيص لتنفيذ مصنع لتعبئة المياه وقد تمكن بعض الإخوان وهما عبدالرحمن النمر وأحمد الدخيل من الحصول على الترخيص، وعرضا عليّ أن أساعدهما في تنفيذ المشروع، واشترطت أن نزاول العمل من خلال شركة لإتاحة الفرصة لمن يرغب في المشاركة، وطلب مني أن أشرف على تنفيذ المشروع وقد نجحنا والحمد لله، وتكونت الشركة حيث اشترك في تأسيسها حوالي عشرين مساهماً.

كما أن الوالد حاول، انطلاقاً من حرصه على تطوير النشاط السياحي في المنطقة، القيام بتنفيذ فندق على مستوى عال من الخدمة ودعا مجموعة من رجال الأعمال بالإضافة إلى مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية لتنفيذه، إلا أنه لم يكتب للمشروع النجاح لأسباب فنية، ونظراً لحرصه على إقامة المشروع، فقد أنشأت المؤسسة فندق النزل بمفردها.

ولا تقل عنايته بتوفير الخدمة الصحية في المنطقة وأهلها عن اهتماماته التي تتعلق بطبيعتها الزراعية، فها هو الأستاذ علي الراشد يقول إن الأمير دعا الدكتور أرون ليرنير في عام ١٣٨٥ هـ لعلاج المصابين بالبهاق على نفقته.

حنين العاشق:

ربطت عبدالرحمن السديري بمنطقة الجوف وأهلها علاقة حب أكثر منها علاقة بين مسؤول ومواطن أو مسؤول ومكان، ومن يقرأ كتابه (وادي النفاخ) عن الجوف، يدرك عمق هذه العلاقة ابتداءً من عنوانه الذي يشير إلى صفة الكرم التي تميز بها أهل الجوف حتى نهاية الكتاب، كما أن فصل (الجوفيات) في ديوان القصايد يحفل بالعديد من الإخوانيات التي يبرز فيها هذا الجانب بلغة دافئة حميمة تفيض بحنين العاشق وحسب.

يقول في قصيدة بعنوان جد واعمادي عندما كان يتلقى العلاج في أمريكا:

يــا لــلــي تــحـضــرت للمسير أوصـــيـــك لا جـــاك نــشــادي
مــن صــوب عـذفـا وصــوب الشير إلـــى أسـفــل اطــريــف والـــوادي
اومـــن حــد تـيـمـا وحـــد صـويـر سَـــلّـــم عـلـى هـــاك الاجــــوادي
الــلــي لـهــم فــي دروب الـخـيـر مــســنــد و مــصــدر و مــيــرادي
أعــزهــم والــلــه الخبــــير أعــزهـــم جــد واعـمـــــــــــادي

يذكر عبدالرحمن الملحم بأن الأمير عبدالرحمن كان يحرص على معرفة أهل المنطقة بأسمائهم ويوثق العلاقات الشخصية معهم، ويسأل عنهم فرداً فرداً، هذه العلاقة الوثيقة بين الجوف وأهلها ومعالي الأمير يوجزها الدكتور محمد البشر بقوله: «**هناك من يملك الوثائق المادية التي تدلل على مواقف الأمير ونبل أخلاقه وأنا أملك وثائق أخرى لا تقل عن تلك دلالة بل قد تبرزها، وهي شهادة الناس فما مرّ اسم الأمير إلا وقد أمطر بوابل من الدعاء والثناء، فكأنهما صنوان لا يفترقان، فمن أولئك من يتحدث عن كرمه، ومنهم من يتحدث عن دماثة أخلاقه، ومنهم من يتحدث عن شفاعته للناس وقضاء حاجاتهم بغض النظر عن مركزهم الاجتماعي أو المالي**».

وفي هذا الصدد صادف أن قرأت مقالة للأستاذ محمد بن عبدالله الحميّد رئيس النادي الأدبي في أبها سابقاً نشرتها جريدة الوطن بعد وفاة الأمير بعنوان: ومات السديري عاشق الجوف، والعنوان يوحي بما احتوته المقالة من علاقة العشق التي يعرفها حتى أولئك الذين لم يتسن لهم الاقتراب من معاليه.

المؤسسة الخيرية:

من واجب الوفاء أن نخصص عنواناً نشير من خلاله ولو عبوراً إلى هذه المؤسسة الثقافية الرائدة التي يندر أن تجد لها حتى قبل سنوات قليلة توأماً مثيلاً على مستوى المملكة، فهي إحدى المبادرات التي قام بها معاليه يقول عنها سعادة الدكتور عبدالرحمن الشبيلي في مقالة رثاء: «**إنه - يعني عبدالرحمن السديري - كان من أوائل من سعى إلى تجسيد رغبته في تنمية منطقته ثقافياً بشكل مؤسسي باق للأجيال، فأنشأ عام ١٤٠٣هـ الموافق لعام ١٩٨٣م في أثناء**

توليه الإمارة مؤسسة خيرية وقفية تحمل اسمه، وتعمل على نشر الوعي المعرفي والثقافة العامة وخدمة التراث الشعبي النابع من المنطقة».

وإذا كنا نتحدث عن هذه المؤسسة التي تضم دار الجوف للعلوم التي تجاوز عمرها العشرين عاماً فإن ما يغيب عن علم الكثيرين أن نواة هذه المؤسسة يعود تاريخها إلى الثمانينيات الهجرية متمثلة في مكتبة الثقافة العامة.

يذكر ممدوح السلطان في حديثه عن مآثر الأمير عبدالرحمن أنه عمل على إيجاد مكتبة ثقافية للحث على ممارسة القراءة ورفع المستوى الفكري والثقافي لمرتاديها، وقد كنت أول من زودها من المكتبة القطرية بأنواع الكتب الدينية والثقافية والأدبية عام ١٣٩٧هـ وكان لهذه المكتبة أثر بالغ في جذب القراء، حيث تفتح أبوابها يومياً لفترتين صباحية ومسائية.

صور شخصية:

هناك الكثير من السمات التي لا بد أن القارئ بفطنته عثر عليها في شخصية هذا الكتاب أثناء قراءته للشهادات، غير أن ثمة سمات أصبحت جزءاً من شخصيته، رحمه الله، يتوجب أن نشير لها بشكل صريح.

الثقافة العامة: وهي سمة بارزة في شخصيته أشاد بها الكثير من شهود المرحلة التي تولى فيها معاليه إمارة منطقة الجوف، يقول ممدوح السلطان «**ومعاليه يشعرك على الدوام بالحب والتقدير يستقبل المراجعين ويوجههم ويتحمل أساليبهم، فيتعامل مع كل شخص على قدر عقله وتفكيره**».

يتحدث الدكتور فارس الحمد عن هذه الخصلة في شخصية معاليه فيقول: «**إنه بما يتمتع به من عمق وخبرة يدرك التفاوت في المستوى الثقافي والاجتماعي والوظيفي بين المواطنين، ولكنه حريص على مخاطبتهم جميعاً، بحيث يشعر كل شخص بمكانته في حضرة الأمير، فهو يتحدث مع أبناء البادية في شؤونهم، ومع الشعراء بفنون الشعر والأدب، ومع المزارعين بمدار همومهم، وكأنه أحد هؤلاء في كل أحوالهم**».

وللتدليل على صبره يذكر أنه ذات مرة وبينما كان في منزله بالرياض سقط

أثناء اغتساله فكسر بعض أضلعه فتحامل على نفسه وذهب لتلبية دعوة غداء في الخرج دون أن يخبر أحداً بالأمر.

التواضع والبساطة: إنه من البساطة بحيث لا يكون في مقدور من لا يعرفه شخصياً أن يميزه عن سواه، ولاسيما عندما يكون خارج مكتبه أو في مناسبة، يعرف ذلك مرافقوه في رحلاته البرية، فلم يكن يتوانى عن مشاركة رفاقه في كل شؤونهم متنازلاً عن كل امتيازاته كأمير، يغني الهجيني، ويقصد شجرة ليستلقي في ظلها، كما يروي ذلك الدكتور فارس الحمد.

ويذكر سامي سليم بأنه رافقه في رحلة إلى البَرّ، وكان الأمير يسخن الخبز على النار ويناولنا الأرغفة بيده في مشهد من مشاهد البساطة، التي كانت صفة أصيلة في شخصيته.

كما يذكر أيضاً أن الأمير كان قادماً من الرياض مع مجموعة من مرافقيه على الركايب في رحلة برية، وعند وصوله إلى تمير صادف على مشارفها راعي غنم وتبين أنه من تميم، وسأله عن كبير الجماعة للنزول في ضيافته، فما كان من الشاب إلا أن أصر على أن يكون هو المضيف، وحل معاليه ضيفاً لديه، تناول الميسور من طعامه وأكرمه، وقد بحث عنه الأمير عبدالرحمن بعد سنين، فوجده قد كفّ بصره.

ويعرف الجميع أن من عادته بعد حضور مناسبة ما أن يأمر السائق بالمغادرة ليعود معاليه إلى منزله سيراً على قدميه بمعية بعض مرافقيه، إنه وإن كان يمارس رياضة المشي المفضلة لديه فهو يمارس أيضاً رياضة البساطة المفضلة لديه بصفة مسؤول.

الفطنة والذكاء: تتضمن شهادة اللواء صالح بن علي القحطاني هذا الموقف الذي حدث مع أحد الأعراب المتهمين بتهريب السلاح من الأردن بواسطة مطية، وعندما أحضروه إلى الأمير عبدالرحمن سأله عن صحة التهمة بعد أن أعطاه الأمان، شريطة أن يدلهم على مكان السلاح ويمتنع عن التهريب مستقبلاً، لكن الرجل تمادى في إنكار التهمة فتركه الأمير متشاغلاً عنه بقراءة بعض الأوراق المعروضة على مكتبه، وحدث أن طلب الأمير دبوساً لربط بعض الخطابات فإذا

به يلاحظ ظهور أعراض الارتباك على المهرب، ففطن إلى أن الدبوس تعني بلهجة الأعرابي العصا التي تستخدم سلاحاً، فهمس في أذن من هب لإحضار الدبوس بالتريث وعاد يخاطب الأعرابي مطمئناً إياه بأنه ما زال في الأمان، وفي تلك اللحظة لم يتردد من الاعتراف متعهداً بتنفيذ شروط الأمير.

الحكمة والأناة: في حوار جرى بدار الجوف للعلوم يذكر صالح بن متروك البليهد أن الأمير السديري إذا حاورك في أمر من الأمور ورآك مصراً على فكرة ما أعطاك مهلة للتفكير بعمق، وهو بخبرته يتصدى لأكثر المشكلات تعقيداً، فيمسك بها على مهل حتى ينهيها، ويواصل قائلاً: أتذكر أنه أرسل ابن دخيل في مأمورية للمحاولة في حل مشكلة قبل تفاقمها وكان يخاطبه بالقول: إذا ضقت بالمعاملة ضعها في درج مكتبك واتركها حتى يحين وقتها.

العفو والتسامح: أعتقد أن في هذه الحكاية ما يغني عن الاسترسال في الشواهد، ففي الأيام التي تلت وفاته، رحمه الله، كان الكثير من الأحاديث بين أهالي منطقة الجوف تتداعى لتستحضر سيرته على سبيل العزاء والمواساة، وقد روى أحد المواطنين هذه الحكاية أنقلها كما سمعتها:

«**كنت طالباً في عام ١٤٠٢ هـ في كلية المعلمين وأثناء عودتي بعد يوم طويل مروراً بشارع الملك عبدالعزيز وكانت الإشارة المرورية خضراء فضاعفت من سرعة السيارة لألحق بها منصرفاً عن أي شيء آخر، وعندما حاذيت مدخل إمارة الجوف فوجئت بسيارة الأمير خارجة باتجاه المَخرج المخصص لها بعد أن أعطى الجندي المكلف الذي لم أكن انتبهت له إشارته بالخروج، وشاء الله أن نتفادى معاً أنا وسائق الأمير السديري حادثاً كان شنيعاً فيما لو حدث، مما تسبب في ارتباكي، وعلى الرغم من ذلك فلم أدرك إشارة المرور، نظرت في المرآة غير مصدق فإذا بجندي المرور يركض باتجاهي وهو في غاية الغضب والانفعال، لكنني لمحته من خلال المرآة بعد ثوان يتوقف ليلتفت إلى سيارة الأمير التي كانت في تلك اللحظة تستعد لاستئناف انطلاقها، وإذا به يتراجع بإشارة من الأمير، تنفست الصعداء وأدركت أن معاليه على درجة من التسامي بحيث لم يكن يرغب حتى في مجرد معرفة هذا الجاني الذي كاد لولا لطف الله أن يذهب بحياته، انطلقت**

بعد أن أضيئت الإشارة وأنا ألهج له بالدعاء في ظهر الغيب متسائلاً: هل يعقل أن يكون هذا هو الأمير؟

أجبت محدثاً نفسي بالقول: إن الأمير الذي يملك القلب هو من يجعلك تشعر رغماً عنك أنه أمير».

حوار عفوي:

على هامش الحوار الذي دار في دار الجوف للعلوم حول شخصية الأمير، وجمع كلًّا من د. عبدالرحمن الشبيلي وعبدالرحمن الملحم ود. عارف المسعر وعبدالله الخوصان وعلي الراشد واللواء معاشي العطية وإبراهيم بن خليف السطام، أقتطف بعض الفقرات بإيجاز، تاركاً للقارئ متعة الإصغاء إلى هذا الحديث العفوي الذي يعكس ما يقوله معظم أهل منطقة الجوف كلما دار الحديث عن سيرة أميرهم الأسبق:

يقول الدكتور المسعر: «**قبل المئة سنة الأخيرة لم يكن هناك وجود لشجرة الزيتون في منطقة الجوف إلا عن طريق الأمير عبدالرحمن السديري أو عايض الزيد، علما بأن الزيتون كان من زراعات دومة الجندل كما يذكر ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان، وذلك في حدود القرن السابع الهجري**».

كما يذكر عبدالله الخوصان رداً على سؤال الدكتور الشبيلي عن أول من جلب التمور النجدية والأحسائية وغيرها إلى الجوف قائلا: إنه الأمير عبدالرحمن وعلى الأخص الخضري والمكتومي والصقعي، ويضيف بأنه أيضاً أحضر النخيل من العراق والمدينة المنورة والعلا وتيماء.

ويضيف عبدالرحمن الملحم قوله: **إن الأمير اتفق مع شخص عراقي لإحضار ألفي شتلة من نخيل العراق ووثق الطلب في السفارة، غير أنه لم يصل من هذا إلا عدد قليل يعد على أصابع اليد الواحدة.**

ويستشهد الدكتور عارف ببيت من الشعر يقول:

يـــا راكـــــب الـــلـــي تــوديـــنــي بــنـــت الـــذلـــول الـــشـــراريـــة

ويوجه الدكتور الشبيلي سؤاله إلى أحدهم قائلاً: «**أي مدن المنطقة أهم حضرياً قبل مجيء عبدالرحمن السديري؟**

ـ سكاكا ودومة الجندل من حيث التجارة وغيرها، وكانت القريات آنذاك تسمى قريات الملح، وكان النبك أبو قصر سهلاً أبيضاً فيه بيوت بناها سلطان الأطرش، الذي جاء مطروداً من قبل الفرنسيين ونزل في النبك أبو قصر في عهد الملك عبدالعزيز.

ـ من سكن هنا من بقية المناطق؟ ومَن مِن أهل الجوف نزح إلى مناطق أخرى؟ يجيب عبدالله الخوصان:

ـ أنا بالنسبة لأسرتي أول من نزح الجوف، نحن من قبيلة عتيبة، وسافر عدد من أهل الجوف إلى الطائف منذ بدايات الجيش السعودي وإلى المنطقة الشرقية بقصد العمل في أرامكو والخرج.

ـ من الذين مروا عليكم في الجوف من العقيلات أو من غيرهم، وهل تعرفون أحداً منهم؟

ـ أتذكر من هؤلاء ابن مشيقح، ابن جربوع، ابن السويح، الذي بنى مسجد الحجر في سكاكا (وهو موجود في عمّان الآن)، والرشودي، والورعاني، والحجيلان، وعبد الرحمن البازعي، وابن شريدة، استقر منهم في الجوف ساير العايض وأبو عريشة والصقاعبة ويحيى أبو عبدالله الدوسري وابن سنيدي وابن جروان من أهل حائل، وقدم أيضا آخرون من أهل الزلفي والقصيم، كما أتذكر ابن خضر وخالد الحزام وابن جعفر والعويسي والغريري وسلامة الدخيل الله والعتيق والقبايسة والمشاهدة قبل مجيء عبدالرحمن السديري، بل قبل دخول الحكومة السعودية إلى الجوف.

ـ وبسيطاء هل كان فيها شيء؟

يجيب إبراهيم بن خليف السطام: «**أول مشروع في بسيطاء كان لشركة نادك والجوف الزراعية في عهد الأمير عبدالرحمن، أما مشروع وادي السرحان المشترك**

بين الجوف والقريات، فكان في عهد عبدالله السديري أمير القريات، حيث أرسلت الحكومة عدة لجان لتشجيع البدو الرحّل على الاستيطان في الوادي».

ويكمل الخوصان قائلاً: «**في عهد الأمير عبدالرحمن بدأ هذا المشروع وانتدبت للعمل فيه، وكان هناك إبراهيم أبو بطين ومساعد بن ناصر السديري رئيساً للمشروع**».

ويضيف عبدالرحمن الملحم: «**أن عبدالرحمن السديري هو من تنبأ ذات يوم بأن بسيطاء ستكون سلة الغذاء في المملكة في حال وفرة المياه**».

ويتساءل الدكتور الشبيلي عن جهة التأثير البشري والاقتصادي الأكثر في منطقة الجوف، فيجيب عبدالله الخوصان قائلاً: «**بلاد الشام، العراق**»، ويضيف الدكتور عارف المسعر: «**إذا تحدثنا عن التأثير من الناحية التعليمية فهي الوجه والعلا ومكة المكرمة ثم الفلسطينيون**».

واختتم إبراهيم خليف السطام هذا الحوار العفوي بقوله:

«كان عبدالرحمن السديري في هذه المنطقة ملء السمع والبصر، وكان صاحب مدرسة فريدة في تعامله مع مواطنيه، يضرب به المثل في الحكمة والحلم والأناة، ولين الجانب، كان أباً وأخاً للجميع، ينشغل بقضية العاجز والضعيف، ويتابعها بنفسه حتى تُحل، ويتحمل الإساءة من الآخرين ويكره أن يسيء إلى أحد، ومعروف أنه رائد للنشاط والتطوير الزراعي، ومشجع للعلم والرياضة، وكان متواضعاً يشاطر الناس أفراحهم وأتراحهم، ويستجيب لدعواتهم، ويقبل الشفاعة من أعيانهم، ويعفو عن الجاهل، الذي يعترف بخطئه.

يستجيب للشفاعة في غير الحدود الشرعية، ويستطيع أي مواطن أن يلتقي به في مكتبه أثناء الدوام، وباب مكتبه مفتوح للجميع، أو في منزله من بعد صلاة العصر، وحتى ساعة متأخرة من الليل، يضفي على زائريه ومراجعيه وضيوفه مهابته ووقاره، ويفرض عليك بلطفه أن تحترمه وتجلّه أكثر مما تخافه، منزله ومضافته مفتوحة للجميع ولمن شاء أن يشاركه مائدته، وكان يميل إلى إصلاح ذات البين بين المتخاصمين والأسر، والعشائر في القضايا الصغيرة والكبيرة

بإشرافه شخصياً، أو بواسطة من يكلفه بذلك.

وله من المواقف الإنسانية ما لا يتسع المقام لذكره، فلقد كان واحداً من أبرز الرجال العاملين في خدمة بلادهم ومليكهم، أعطى الكثير من وقته، وجهده، وماله، في سبيل أداء واجبه، والأمثلة والشواهد كثيرة:

أ - في عام ١٣٩٥هـ كان الأمير في زيارة لبعض الوزارات لمتابعة مشاريع المنطقة والتعقيب عليها، وكان يطالب بالاهتمام بمنطقة الجوف وتركيز المشاريع فيها، ليس لأنه أمير عليها، فهو كما يقول لكبار المسؤولين: أنا موظف وقد أترك المنطقة، أو الوظيفة في أي وقت، ولأي سبب من الأسباب، ولكن أهمية المنطقة وعمقها التاريخي، وقابليتها للتنمية، لما تتوفر فيها من الموارد المائية والزراعية، وموقعها الإستراتيجي بين المناطق الشمالية المجاورة، كل ذلك يجعلها مؤهلة لاهتمام المسؤولين سواء كنت اميراً عليها أو كان غيري.

ب - دخل إلى مكتبه ذات يوم عامل عراقي يشكو مواطناً سعودياً في حق له كما يدعي، وكان العراقيون يتسربون في تلك الأيام إلى المملكة عبر الحدود، على الرغم من اتجاه العراق والسعودية إلى منعهم من ذلك، وهذا يعني أن وجود هذا الوافد وأمثاله غير نظامي، لكن الجانب الإنساني يغلب على تصرفات الأمير دائماً، لذا فقد كان جوابه له: لو علم رجال الشرطة بوجودك هنا لأخذوك ورحلوك إلى بلدك! ولكن أنصحك بأن تتصالح وتتفق مع خصمك»، وهو موقف يؤكد أن الجانب الإنساني لديه قد تغلب على الجانب الإداري والرسمي.

جـ - من مواقفه الإنسانية في مساعدة الأيتام ما كتبته نوارة عرسان الدغمي، نقلاً عن المواطنة زكية عبدالله المظهور عن موقفه مع قريبة لها أم لطفلتين يتيمتين، وكيف سعى لتسهيل امتلاكها سكناً تقيم فيه هذه الأسرة.

وما كتبته فهدة معوّد المنور نقلاً عن زميلات لها، لم يتمكنّ من الحصول على قبول في الكلية المتوسطة، وكيف أنه اصطحب معه ملفاتهن في رحلة إلى الرياض، وتوسّط مع الجهة المختصة لتأمين القبول لهن، وهن اليوم من فضليات المدرسات في المنطقة يذكرن له تسهيل القبول والدراسة، وقد تحدثت فاطمة بنت عدوان عطا الله السرحان مطولاً في مقال لها عن البعد الإنساني في شخصيته.

ما لم تقله الشهادات:

حتى بعد أن وضعت النقطة الأخيرة على هذا الفصل، كان ثمة شعور يلاحقني بأن مساحات بيضاء لم تنصفها الذاكرة كثيراً بسبب النسيان، ولم ألبث طويلاً حتى لاحت لي فكرة لم تمر عليها أحاديث الشهود مروراً صريحاً، أعني تلك المدينة الافتراضية التي شيدها عبدالرحمن السديري في المنطقة الوسطى بين الجوف والغاط المدينتين الأشد ثكلاً به، إنها مدينة شاهقة ممزوجة برائحة الحب والنخيل والماء والتربة الطيبة والزيتون تحيط بها أسوار شاهقة من علاقات وثيقة وطدت أواصر القربى بين الكثيرين من أهالي الجوف والغاط، ففي الجوف نصف قرن من مدينة الغاط وفي الغاط نصف قرن من الجوف، وكلاهما يتقاطعان معاً في قلب ووجدان إنسان أكثر بكثير مما هو نفسه، إنسان عاش أكثر من حياة ولم يمت بل ظل باقياً في بصماته المنحوتة حتى بعد أن أصبح في ذمة الله، وإذن فهو بهذا المعنى يمثل مساحة شاسعة هي هذه المدينة الافتراضية العصية على الاندثار.

إنه الرجل الذي أجزم أن لو قدر له أن يكتب سيرته بنفسه لتحول هذا الفصل بالذات إلى كتاب ضخم، وربما يكون حظ هذا الفصل هامشاً صغيراً في هذا الكتاب، رحمه الله، وأسكنه فسيح جناته.





يستقبل حسين منصوري وزير المواصلات (فوق)، وحسن المشاري وزير الزراعة، زائرين للجوف في مناسبتين مختلفتين.

الفصل التاسع

في الصحافة

يوسف العتيق*

تهدف الصفحات الآتية إلى إلقاء نظرة تحليلية عامة على ما يمكن تسميته الإطلالة الإعلامية لشخصية هذه السيرة: أمير منطقة الجوف الأسبق عبدالرحمن السديري، رحمه الله، في بعض المطبوعات الصحفية السعودية في فترة زمنية مختارة.

لقد كان من الصعب أن تتضمّن هذه الدراسة رصداً لكل ما نشر في الصحافة المحلية، ذلك أنها، كافة، لم تقم بعدُ بإعداد فهارس شاملة لمحتويات أعدادها منذ صدورها، فكان لا بد، إذاً، من أن نقوم باختيار عيّنة من هذه الصحف، وأن نجتهد في تحديد فترة زمنية، لاستعراض ما تضمنته من مادة صحفية تتعلق بموضوع هذا الكتاب وشخصيته، وأن نقوم شخصياً بالبحث في عيّنة من الأعداد، أو بالاستعانة بقواعد المعلومات الموجودة في بعض المكتبات.

من هنا، وقع الاختيار على صحيفة «الجزيرة» التي تصدر عن مؤسسة الجزيرة للطباعة والنشر بالرياض، منذ صدورها في عهد المؤسسات الصحفية سنة ١٣٨٣هـ وحتى عام ١٤١٠هـ، وهو العام الذي تقاعد فيه من عمله في إمارة الجوف.

كان اختيار هذه الجريدة من بين الصحف السعودية الأخرى لسببين: أولهما كون عبدالرحمن السديري أحد مؤسسيها، وبالتالي كان من المظنون أن نجد فيها تغطية أكثر لأخباره، أما السبب الثاني، فإن من الواضح أن الجزيرة تحظى، وما تزال، بحضور أكبر في منطقة الجوف، وبتوزيع أكثر، وبمكتب نشيط فيها.

---

* إعلامي وكاتب، ومحرر ملحق الورّاق في صحيفة الجزيرة، يعمل باحثاً في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية (مؤسسة الملك فيصل الخيرية).

ومع ذلك، فإن ما عثرنا عليه من مواد منشورة لم يكن بحجم ما توقعناه، من حيث الكثرة أو من حيث التعامل الخاص مع أخباره، مما جعلنا نتوصل إلى الحكم بأن شخصية هذا الكتاب، لم يكن لها حضور كاف على مستوى الصحافة، إذا ما قورن بأمراء بعض المناطق الرئيسية الأخرى، وهو ما قد يعزى إلى البعد الجغرافي لمنطقة الجوف، وإلى طبيعة الشخصية نفسها التي لم تكن تتلهف على الأضواء والظهور الإعلامي.

وباستعراض ما تم اختياره والعثور عليه من أخبار أو مقالات أو تقارير صحفية في جريدة الجزيرة عبر هذا الإطار الزمني يصل عددها إلى نحو (٢٠٠) مادة، فإنه يمكن تقسيمها على المحاور الآتية، مغفلين منها ما يمكن أن يتصل بأخباره الذاتية الخاصة:

النشاط الإداري، النشاط الخيري، النشاط الاجتماعي، النشاط الثقافي، مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، شعره، التعازي والمراثي.

علماً بأن هذا التصنيف لا يشتمل على الأخبار القصيرة التي كانت تحفل بها صحيفة الجزيرة تحت عنوان: أخبار من الجوف، وهي زاوية كانت تعد بين حين وآخر من قبل مكتبها فيها، وتتضمن أخباراً متنوعة عما تشهده المنطقة من نشاط.

النشاط الإداري:

كان من الطبيعي أن يحظى هذا النشاط بمعظم التغطية الصحفية، ضمن العينة «البيبليوجرافية» التي تم انتقاؤها، خاصة أن بقاءه في الوظيفة العامة قد امتد نحو نصف قرن، في حين أن الأنشطة الأخرى - الخيرية والاجتماعية والثقافية - المنظَّمة لم تبرز إلا بعد نحو عقدين من تعيينه.

كما أن العمل الإداري هو المظلة الأعم والأشمل لكثير من الأنشطة الفرعية والخدمية التي لا تدخل ضمن المحاور الأخرى.

تشتمل هذه القائمة على مواد إخبارية وتقارير صحفية وحوارات يعود تاريخ أولها إلى عام ١٣٨٤هـ، وتضمنت مقابلة معه نشرت في جريدة الجزيرة عام

١٣٨٦هـ، ومقابلة أخرى مع وكيل الإمارة نشرت في الجريدة نفسها عام ١٣٩٢هـ.

وفي عام ١٤٠٣هـ ظهر خبر في الصحيفة مفاده اعتماد التنظيم الإداري الجديد لإمارة المنطقة، كما وردت أخبار عن زيارات تفقدية لأنحاء منطقة الجوف وعن زيارات عمل قام بها إلى العاصمة (الرياض) لمتابعة مشروعات منطقته، وخبر عن تشكيل لجنة لدراسة إقامة مشروات صناعية في الجوف.

ثم ترد أخبار عن افتتاحه مشروع كهرباء طبرجل (١٤٠٣هـ) وغرفة تجارة الجوف (١٤٠٥هـ)، ومستشفى طبرجل (١٤٠٦هـ)، ومشروع كهرباء الجوف (١٤٠٦هـ) وهكذا.

كما تضمنت أخباراً عن نماذج من مطالباته لزيادة مدارس الجوف (١٤٠٧هـ) ودعم الخدمات الصحية في المنطقة (١٤٠٧هـ)، وهكذا.

وتضمن خبر نشرته جريدة الجزيرة بتاريخ ١٤٠٥/٨/٥هـ نتائج اجتماعات لجنة تخطيط منطقة الجوف، ومن بينها إحداث جهاز لاستقبال شكاوى المواطنين.

ثم ظهرت، مع عزم عبدالرحمن السديري على التقاعد من عمله أميراً لمنطقة الجوف، جملة من الأخبار التي تثمن جهوده، وتثني على إنجازاته.

من ذلك على سبيل المثال، الخطابات التي تلقاها بهذه المناسبة من خادم الحرمين الشريفين، الملك فهد، رحمه الله، ومن كبار المسؤولين (١٤١٠/٢/٢٧هـ)، ومقالة كتبها الشيخ عثمان الصالح في ذلك العام بهذه المناسبة، وكلمة بعنوان: استراحة الفارس للأستاذ محمد بن ناصر الياسر الأسمري (١٤١٠/٨/٤هـ). وقصيدة بعنوان: السلف والخلف من شعر حامد حمود الدرعان (١٤١٠/٩/١٥هـ).

وأخيراً نشر خبر عن تأسيس جائزة باسمه للتفوق العلمي، أعلن عنها خلفه ابنه الأمير سلطان (١٤١٠/٩/١٥هـ).

النشاط الاجتماعي:

ركز كثير من الأخبار التي نشرتها صحيفة الجزيرة تحت هذا المحور، على اهتمام

أمير الجوف الأسبق عبدالرحمن السديري بأمور الزراعة ورعاية المزارعين.

من ذلك على سبيل المثال، ما تضمنه عدد الجزيرة الصادر بتاريخ ١٣٩٩/٩/٢٤هـ حول تخصيص جوائز مالية لأفضل الفلاحين، وخبر آخر نشر بتاريخ ١٤٠١/١٢/٢٧هـ عن رعايته لمسابقة المزارعين الثامنة، وقد توالت أخبار هذه المسابقة في كل الأعوام اللاحقة.

وتضمن خبر منشور بتاريخ ١٣٩٠/٩/١٩هـ نبأً عن افتتاح ناد حديث للموظفين بالجوف، وتضمن خبر آخر نشر عام ١٤٠١هـ رعايته لاحتفال كُرِّم فيه الموظفون، كما احتلت أخبار سباق الهجن جملة من الأخبار في تلك الصحيفة وغيرها، ومن ذلك رعايته لسباق الهجن السابع (نشر بتاريخ ١٣٩١/٨/٢٩هـ).

وفي تاريخ ١٤٠٥/٧/٢٩هـ، تنشر الجزيرة خبر رعاية الأمير أحمد بن عبدالعزيز، نائب وزير الداخلية، سباق الهجن ومعرض المنسوجات اليدوية بحضور أمير منطقة الجوف.

ويوجد في هذه العينة المنتقاة من الصحيفة أخبار عدة عن افتتاحه على مدى أعوام مشروعات صحية أهلية، وتدشين المقر الجديد لمستشفى قوى الأمن (١٤٠٥هـ)، ومستشفى الولادة بسكاكا (١٤٠٧هـ)، مع حضوره حفل تخرج طلبة المعهد الصحي في العام نفسه.

النشاط الخيري:

واشتملت المادة الصحفية التي تم العثور عليها نتيجة البحث في هذه المطبوعات الصحفية، على أخبار عن نماذج لبعض الأنشطة الخيرية، منها على سبيل المثال: تبرعه بقطعة أرض لإقامة مركز علمي بمنطقة الجوف (١٤٠٦هـ)، وتبرعه بجهاز تفتيت الحصى لمستشفى سكاكا (١٤٠٧هـ).

كما اشتملت مقالات سابقة على خبر يدعو فيه لتأسيس جمعية خيرية في المنطقة (١٤٠٣هـ)، وخبر آخر عن رئاسته لاجتماع الجمعية الخيرية بالجوف وانتخاب مجلس إدارة جديد (١٤٠٥هـ)، كما تضمنت أخباراً أخرى مجموعة من التقارير عن نشاط هذه الجمعية ونشاط جمعية البر بالجوف.

النشاط الثقافي:

يختلط ما تم رصده تحت هذا العنوان مع المحاور الأخرى ذات الصلة، وبخاصة ما نشر تحت عنوان: المؤسسة الخيرية، وعنوان: شعره.

لكننا نضع تحت هذا العنوان عدداً محدوداً مما نظن أنه يقع تحت النشاط الثقافي لأمير المنطقة، من ذلك مثلاً خبر عن أمسية للشعر الشعبي (١٤٠٥/٥/١٤هـ)، وهو ما تكرر نشره عن ندوات الأعوام اللاحقة، واستقباله للسفير الكندي الذي زار آثار المنطقة (١٤٠٥/٦/٥هـ)، وقيام الأمير بحضور السفير البريطاني بافتتاح معرض الصور القديمة للرحالة آن بلنت (١٤٠٧هـ).

ويشير خبر نشر بتاريخ ١٤٠٥/١١/٢٠هـ إلى تلقي عبدالرحمن السديري ثلاث نسخ من كتاب الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون، هدية بتوقيعه الشخصي، كما تضمنت أخبار صحفية صدور الكتاب الذي أشرف عبدالرحمن السديري على إعداده بعنوان: «الجوف وادي النفاخ» (١٤٠٦/٦/٢٠هـ).

وأخيراً نشرت الجزيرة في ١٤٠٦/٧/٤هـ، خبراً عن إقامة أمسية للتراث بدار الجوف للعلوم.

مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية:

يتصدر الأخبار التي نشرتها جريدة الجزيرة عام ١٤٠٣هـ خبر الموافقة الملكية على إنشاء هذه المؤسسة، ثم تتوالى الأخبار في الأعوام التالية عن اجتماعات جمعيتها العمومية وندواتها الثقافية ودوراتها التدريبية والتربوية ونشاطاتها الأخرى المتنوعة.

كما يتضمن أحد الأخبار المنشورة عام (١٤٠٦هـ) بحثاً عن إمكانية قيام تعاون بين المؤسسة وجامعة الملك فيصل.

وتوضح الأخبار المتواصلة التي تضمنتها الصحف بين عامي ١٤٠٥ و١٤١٠هـ طبيعة النشاط العلمي والاجتماعي الذي كانت وما تزال المؤسسة تقوم به، مثل السوق الخيري وخدمات الحجاج ودورة باللغة الإنجليزية، وحفل تكريم لأحد الأطباء السعوديين المتميزين من أبناء المنطقة.

ونشرت الصحيفة عام ١٤٠٧هـ شيئاً مما تضمنه التقرير السنوي للمؤسسة، ومعلومات عما تعمله في سبيل حفظ التراث الأدبي، وافتتاح روضة الرحمانية (١٤٠٧/١/٢٧هـ)، وعقد لقاء للأمهات بالجوف في الشهر الذي تلاه، وندوة عن بناء الأسرة في الإسلام في العام نفسه.

شعره:

كان هذا المحور من أقل المحاور تغطية في العينة المنتقاة، وبخاصة في أثناء نشاطه وصحته، ذلك أنه - كما هو معروف - كان يحتفظ لنفسه بالمعلومات المتصلة بإنتاجه الشعري، ولهذا فقد آثرنا عدم التوسع في هذه الفقرة.

إلا أن مختارات من شعره بدأت تنشر في أثناء مرضه، وخلال فترة العزاء فيه.

والمعروف، كما سلف في موقع آخر، بأن نسبة كبيرة من أشعاره قد جمعت في ديوان القصائد الذي طبع عام ١٤٠٣هـ، أما القصائد التي عثر عليها بعد طبعه، فقد ألحقت في آخر هذا الكتاب.

التعازي والمراثي:

كان من اللافت للنظر، كمية المراثي، من الكلمات والقصائد والتقارير التي نشرت عن الراحل عبدالرحمن السديري بعد وفاته في شهر صفر ١٤٢٧هـ، وربما كانت في حجمها وعددها تفوق مجمل ما نشر عن أي محور من المحاور السابقة، وكانت نشرت في كثير من المطبوعات الداخلية والخارجية، وتضمن الرصد البيبليوجرافي المنشور ضمن ملاحق الكتاب بياناً بتلك المراثي، وتواريخ نشرها، الذي استمر أسابيع عدة بعد رحيله، رحمه الله.

وبعد:

لم يكن ما تم استعراضه سوى نماذج محدودة من التغطيات الصحفية المتصلة بالمرحلة التي عمل فيها عبدالرحمن السديري أميراً لمنطقة الجوف في مطبوعة واحدة، وفي فترة محددة، ولعل الرصد البيبليوجرافي الملحق بالكتاب يعطي صورة أوضح، مع أنه - هو الآخر - لا يشمل كل ما نشر.

في خدمة الجوف

المملكة العربية السعودية
ديوان نائب جلالة الملك
ورئيس مجلس الوكلاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم .. [illegible]
التاريخ [illegible]
التوابع

حضرة المكرم امير الجوف

بالاشارة الى برقيتكم رقم ٧٠٠ وتاريخ ٢٤/١٠/٣٦١ حول كتابة العدل والمحكمة بالجوف ورأى وزارة المالية ان لا داعي لانفصال كتابة العدل هناك عن كتابة المحكمة لانها محكمة صغيرة لا تزيد عن امثالها في تبوك والعلا وغيرها . نخبركم انه لدى احالة الموضوع لمجلس الوكلاء قرر بقراره رقم ١١ وتاريخ ٨/٤/٣٦٢ ـ ان منطقة الجوف لا تقاس بضبا وتبوك . وذلك لكبرها واتساعها وكثرة سكانها من حاضرة وبادية حسبما اشيرا ليه في البرقية الواردة من امارة الجوف وفيها قرى وبلدان وبادية كثيرون . والجوف قريبة من الحدود . والمناطق المتاخمة للحدود يحسن ان تكون دوائرها في غاية الانتظام ويختار لها الموظفون الاكفاء ولهذه الاسباب مجتمعة يوافق المجلس على رأى رئاسة القضاة القائل بفصل كتابة العدل عن المحكمة هناك . خصوصا وان كتابة العدل في مبدأ التأسيس ولان الراتب المقرر لكاتب القاضي بسيط في حد ذاته اذ هو اربعون ريالا ـ وحيث ان سمو سيدي الامير فيصل قد وافق على القرار المنوه عنه وابلغت وزارة المالية باعتماد موجبه . فيقتضى احاطتكم علما بذلك ولذا حرر ،،

معاون نائب جلالة الملك

الفصل العاشر

الجوف .. التاريخ المعاصر

د. خليل المعيقل*

كانت منطقة الجوف قبل انضمامها لسلطة الملك عبدالعزيز، طيب الله ثراه، تتجاذبها الأحداث والصراعات السائدة في شمالي الجزيرة العربية بين ابن رشيد وابن الشعلان، وقد مد ابن رشيد نفوذه على الجوف بعد تأسيس إمارة جبل شمر سنة ١٢٨٩هـ، إلا أن سلطته ما لبثت أن ضعفت بعد وفاة محمد بن عبدالله بن رشيد، وما حدث بعد ذلك من صراعات داخلية على السلطة في حائل، لذا فإن انشغال ابن رشيد عن الجوف، دفع ابن شعلان، وبدعم من الوالي العثماني بدمشق إلى التحرك باتجاه الجوف والسيطرة عليها، ومما عزز هذا الصراع بين ابن رشيد وابن شعلان انقسام أهل الجوف على أنفسهم وموالاة البعض لابن رشيد وبعضهم الآخر لابن شعلان.

وفي سنة ١٣٢٧هـ استطاع النوري بن شعلان السيطرة على المنطقة، وفوّض إمارتها إلى ابنه نواف الذي لم يستقر بالجوف، بل نصّب مفوضا آخر عنه هو أحد مواليه ويدعى عامر المشورب، مما أثار حفيظة جزء كبير من أهالي الجوف وعدم رضاهم لأن يُحكموا من قِبَل رجل قيل إنه أساء معاملة الناس وتعدى على أملاكهم، وهو ما دفع رجاء بن مويشير ومجموعة معه إلى السفر إلى عذراء مقر إمارة النوري بن شعلان وطلبوا منه عزله، وقد وعدهم النوري بالنظر في ذلك، إلا أن عامراً لم يعزل، واستمر على سلوكه السابق، وقام رجاله بقتل عامر المشورب، وإنهاء مرحلة من مراحل حكم ابن شعلان لمدينة سكاكا، وبعد تلك الحادثة طلب أهل سكاكا من ابن رشيد مساعدتهم على إنهاء حكم ابن شعلان للجوف.

---

* أستاذ الآثار بجامعة الملك سعود، وعضو مجلس الشورى، له كتب وبحوث عدة في مجال تخصصه، وهو من أبناء منطقة الجوف.

أسهمت هذه الأحداث في تمهيد الطريق لابن رشيد لاستعادة حكم الجوف، فسار مع جيشه وتمت له هزيمة ابن شعلان الذي كان متحصناً بدومة الجندل، وذلك في شهر جمادى الآخرة من سنة ١٣٢٧هـ، إلا أن وفاة سعود بن رشيد بعد عام ونصف، أدت إلى انشغال حائل بأحداثها الداخلية وصراعها مع الملك عبدالعزيز فانتهز النوري بن شعلان الفرصة للعودة إلى الجوف والسيطرة عليها مرة أخرى، وذلك بدعم من الشريف عبدالله والقوات البريطانية في الأردن.

وبعد استتباب الوضع في الجوف لابن شعلان ومصالحة أهلها، عيّن حفيده سلطان بن شعلان أميراً عليها، إلا أن سلطان لم يستقر بدومة الجندل، بل تركها واستقر في مدينة كاف، وعيّن على دومة الجندل أحد مواليه ويدعى دوجان.

دفع هذا الوضع في المنطقة - وحصار السلطان عبدالعزيز آل سعود لمدينة حائل - أهل الجوف إلى المبادرة إلى تسليم الجوف لسلطان نجد قبل ضم حائل، وقد قَدِم وفد من أهالي الجوف إلى السلطان عبدالعزيز أثناء حصار حائل للمبايعة، وعرض رغبة الانضمام إلى سلطة سلطان نجد، وطلبوا إرسال قوة من رجاله إلى الجوف وتنصيب أمير عليها يتبعه، إلا أن أمر هذا الوفد انكشف لرجال ابن رشيد وتم القبض عليهم وأودعوا سجن حائل، ولم يفك أسرهم إلا حين تم تسليم حائل في ٢٩ صفر ١٣٤٠هـ، وبعد إطلاق سراحهم قابلوا السلطان عبدالعزيز بن سعود وعرضوا عليه رغبة أهل الجوف، ورحب وشكر أهل الجوف على هذه المبادرة، إلا أن السلطان عبدالعزيز لم يعين أميراً على الجوف إلا سنة ١٣٤١هـ، حيث كان مشغولاً في ترتيب الأوضاع في حائل، وبعد تعيين عبدالعزيز ابن مساعد بن جلوي أميراً على حائل أصبحت الجوف ووادي السرحان تتبع إدارياً لإشرافه، وقد عُيّن عساف بن حسين أول أمير على الجوف في شهر ذي القعدة من سنة ١٣٤١هـ[١].

استمرت فترة تبعية الجوف ووادي السرحان لإمارة جبل شمر خلال الفترة من ١٣٤١هـ-١٣٥٥هـ، تعاقب على إمارة الجوف خلالها ستة أمراء، كان أولهم عساف

---

(١) خليل إبراهيم المعيقل، "الجوف في عهد الملك عبدالعزيز"، رسالة العروبة ص ٧٣.

ابن حسين الذي يعد - كما سلف - أول أمير يعين من قبل السلطان عبدالعزيز وقد تولى إمارة الجوف خلال الفترة من ١٣٤١هـ إلى نهاية شهر شعبان من سنة ١٣٤٣هـ، ثم خلفه في الإمارة عبدالله بن محمد بن صالح بن عقيّل التميمي الذي تولى الإمارة في الفترة من رمضان المبارك ١٣٤٣هـ حتى نهاية شهر ذي الحجة من سنة ١٣٤٥هـ، تولى على أثر ذلك تركي الأحمد السديري الذي استمرت إمارته الأولى على الجوف حتى سنة ١٣٤٦هـ حين كلف عبدالرحمن بن سعيد أميراً للجوف، واستمرت ولايته حوالي السنتين، وكلف بدلاً عنه بالوكالة ولفترة قصيرة إبراهيم النشمي، حتى تم تعيين تركي الأحمد السديري أميراً للجوف للمرة الثانية، وذلك في شهر رمضان المبارك من سنة ١٣٤٩هـ، وامتدت إمارته حتى سنة ١٣٥١هـ، وقد نقل المركز الإداري للمنطقة من دومة الجندل إلى سكاكا، في السنة ذاتها.

وفي شهر ذي الحجة سنة ١٣٥٢هـ عين عبدالعزيز بن أحمد السديري خلفاً لأخيه تركي، وقد استمرت إمارته للجوف حتى سنة ١٣٥٧هـ[١].

ثم في عام ١٣٥٥هـ صدر تنظيم للمناطق، كرّس فصل إمارة الجوف وإمارة القريات عن إمارة جبل شمر، وقد استمر عبدالعزيز السديري أميراً للجوف حتى ١٣٥٧/١/١٥هـ، عندما عين أميراً للقريات وحل محله على الجوف أخوه محمد بن أحمد السديري، وقد امتدت إمارة الأخير حتى بداية شهر رمضان المبارك من سنة ١٣٦٢هـ حين نقل إلى إمارة الحدود الشمالية، وعُين مكانه في إمارة الجوف أخوه عبدالرحمن بن أحمد السديري (شخصية هذا الكتاب)، الذي تولى الإمارة بتاريخ ١٣٦٢/٩/٥هـ (١٩٤٣/٩/٤م)، واستمر حتى تقاعد من العمل الحكومي بتاريخ ١٤١٠/٧/١هـ (١٩٩٠/١/٢٧م)[٢].

وفّر تولي عبدالرحمن السديري لإمارة الجوف عام ١٣٦٢هـ، بيئة استقرار للتطور الإداري في المنطقة، حيث تم في هذا العام إنشاء المحكمة الشرعية بمدينة سكاكا، وقد تولى القضاء مع بداية تأسيسها الشيخ فيصل بن عبدالعزيز المبارك الذي كان له أثر كبير على الحركة التعليمية والثقافية إضافة لشخصيته

---

(١) المعيقل، "الجوف في عهد الملك عبدالعزيز"، ص ٧٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٧٣.

المحببة لأهالي الجوف، حيث انشغل الشيخ بالتدريس في مسجد السوق المعروف حالياً باسمه، وكان يدرّس طلبة المدرسة الابتدائية علم المواريث وقواعد اللغة، وتتلمذ على يديه عدد من أبناء الجوف أصبح بعض منهم لاحقاً قضاة ومدرسين[١].

وفي عام ١٣٨٤هـ أنشئت المحكمة الشرعية بدومة الجندل وتلاها في عام ١٣٩٤هـ إنشاء محكمة بطبرجل.

ومع قدومه أيضاً، تم إنشاء مديرية شرطة منطقة الجوف، تلا ذلك في عام ١٣٧٥هـ فتح إدارة للجوازات بمنطقة الجوف، ثم في عام ١٣٨٤هـ تم إنشاء إدارة للدفاع المدني، وفي عام ١٣٩٣هـ فتح عدد من الإدارات الأمنية بالمنطقة كان من أبرزها إدارة الاستخبارات العامة، وإدارة المرور، وإدارة السجن بالجوف، وإدارة الدفاع المدني بدومة الجندل، وفي العام ١٣٩٥هـ تم إنشاء إدارة للمباحث العامة بالجوف وإدارة للشرطة بمحافظة طبرجل، وتلا ذلك في عام ١٣٩٧هـ فتح إدارة للنجدة والدوريات بالمنطقة، وإدارة للشرطة بمحافظة دومة الجندل، كما أنشئت إدارة لمكافحة المخدرات، وقوة طوارئ في المنطقة، وذلك في عام ١٣٩٨هـ[٢].

وهكذا يُشير تسارع اكتمال الإدارات الأمنية بالمنطقة إلى اهتمام عبدالرحمن السديري بهذا الجانب نظراً لحرصه على استتباب الأمن بالمنطقة، وتوفير الحياة المستقرة لأهالي المنطقة.

وبدأ التعليم النظامي في منطقة الجوف في مطلع ولايته، حيث افتتحت أول مدرسة نظامية في مدينة سكاكا سنة ١٣٦٢هـ، وكان يقوم على إدارتها مدرس واحد هو أحمد عبدالماجد من أبناء مكة المكرمة، وبلغ عدد تلاميذ المدرسة في سنتها الأولى ستين طالباً، وتحفيزاً لأبناء البادية من المنطقة بادر أمير الجوف مع أمراء تبوك والقريات بتقديم اقتراح للملك عبدالعزيز آل سعود بصرف مكافأة مالية شهرية للطلاب بمعدل أربعين ريالاً، وقد وافق الملك عبدالعزيز على ذلك

---

(١) "الجوف وادي النفاخ"، الجوف، مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، ص ص ٧٢-٧٣، ١٧٠، ١٧١.
(٢) السديري، الجوف، ص ص ٧٣-٧٤.

المقترح واعتمد الصرف من تاريخ ١٣٦٩/٢/٢١هـ، وقد كان لهذا الأمر دور كبير في تحفيز البادية على إلحاق أبنائهم بالتعليم[(١)].

كانت مدارس الجوف تتبع في البداية لمنطقة المدينة المنورة، ثم أسندت مهمة الإشراف بعد ذلك لإدارة التعليم بالدمام، وفي عام ١٣٧٧هـ أنشىء مكتب التفتيش المركزي بمدينة سكاكا، وهو جهة إشرافية مباشرة على مدارس المنطقة يرتبط إدارياً بتعليم الدمام، وفي عام ١٣٨٠هـ طوّر مكتب التفتيش المركزي إلى مكتب تعليم واستمر على وضعه تابعاً لتعليم الدمام، وطور مكتب التعليم إلى مكتب إشراف، وفي عام ١٣٩٨هـ أُنشئت إدارة مستقلة لتعليم الجوف.

وعُني عبدالرحمن السديري بتعليم البنات، وكان لمجهوده في هذا المجال الدور الأكبر في افتتاح أول مدرسة بنات بمنطقة الجوف عام ١٣٨٢هـ، ومنذ ذلك التاريخ انتشر تعليم البنات على نطاق واسع في المنطقة، وفي عام ١٣٨٩هـ، افتتحت مندوبية تعليم البنات بسكاكا، وطورت إلى إدارة تعليم البنات بالجوف عام ١٤٠٢هـ.

وأسست عام ١٣٧٦هـ، أول بلدية بمنطقة الجوف بمدينة سكاكا وسميت باسمها وقد طورت لتصبح بلدية الجوف، وفي عام ١٣٩٤هـ، أُنشئت بلدية أخرى في مدينة دومة الجندل، وتلا ذلك في عام ١٣٩٥هـ تأسيس بلدية طبرجل، وفي عام ١٣٩٨هـ أُنشىء المجمع القروي بقارا.

توّج تنظيم البلديات بالمنطقة بإنشاء المديرية العامة للشؤون البلدية والقروية بالمنطقة الشمالية بمدينة سكاكا، وذلك بتاريخ ١٣٩٨/١/٢هـ، وربطت بها بلديات مناطق الجوف وتبوك والحدود الشمالية والقريات، حيث كانت تشرف على عشر بلديات ومجمع قروي واحد، وقد أعطى إنشاء هذه المديرية للمنطقة دوراً قيادياً وإشرافياً في هذا القطاع على مستوى المنطقة الشمالية، إذ أسهمت المديرية في إعداد المخططات العمرانية الرئيسة بمدن الشمال وإجراء الدراسات والتصاميم والإشراف على مجموعة من المشاريع البلدية[(٢)].

---

(١) السديري، الجوف، ص ١٦٥، صالح بن حماد العنزي، "الحياة الاجتماعية والاقتصادية في منطقة الجوف خلال القرن العشرين"، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، ١٤٢٢هـ، ص ٧٠.

(٢) وزارة الشؤون البلدية والقروية، التخطيط الحضري والتنمية العمرانية، المديرية العامة للشؤون البلدية والقروية في المنطقة الشمالية، سكاكا الجوف، ١٤٠٨ه،، ص ص ٤-٥.

وتعود بداية الخدمات الصحية بمنطقة الجوف إلى عام ١٣٥٦هـ، عندما افتتح أول مستوصف في المنطقة، حيث كانت بداية خدماته بطبيب واحد، ثم تحوّل تدريجياً إلى مستشفى للتنويم دون إجراء عمليات جراحية، ومع النمو السكاني والتوسع العمراني أُنشىء أول مستشفى في المنطقة عام ١٣٨٥هـ، وهو مستشفى متخصص بالأمراض الصدرية، سعته ثلاثون سريراً، سمي مستشفى الجوف المركزي عام ١٣٩٣هـ، ثم أطلق عليه فيما بعد اسم الأمير عبدالرحمن السديري.

ونظراً لأهمية تنظيم الخدمات الصحية بالمنطقة، فقد استحدثت في عام ١٤٠٦هـ مديرية للشؤون الصحية بمنطقة الجوف، حيث كانت المديرية العامة للشؤون الصحية بمنطقة الحدود الشمالية تشرف على هذا الشأن بالجوف قبل ذلك، وأصبحت هذه المديرية تشرف على مستشفى الأمير عبدالرحمن السديري ومستشفى الصحة النفسية بسكاكا، ومستشفى محافظة دومة الجندل، ومستشفى طبرجل العام، والمعهد الصحي للبنين بسكاكا، والمعهد الصحي للبنات بسكاكا، إضافة إلى الإشراف على (٤٧) مركزاً للرعاية الصحية الأولية بالمنطقة[1].

واهتمت إمارة منطقة الجوف بربطها بالمناطق الأخرى من خلال طرق معبدة تصلها بالمدن المجاورة، وقد بدأت مشاريع الطرق قبل تأسيس إدارة متخصصة بهذا الجانب، وكانت الإمارة والبلدية تتابعان تلك المشاريع إلى أن تأسست إدارة للطرق عام ١٤٠٠هـ، تابعة لوزارة المواصلات، عُنيت بجميع أعمال الطرق والنقل وأعمال الصيانة، وقد ربطت مدينة سكاكا بالمدن الأخرى (دومة الجندل وطبرجل والقريات) بطريق إسفلت يتصل بالحدود الأردنية، وربطت سكاكا بطريق إسفلت بمدينة عرعر، كذلك تم ربط منطقة الجوف بتبوك بطريق إسفلت حديث.

أما الخدمات الجوية فقد كانت سابقة للطرق، إذ حطت أول طائرة في الجوف عام ١٣٧٥هـ، في منطقة السبخا الواقعة شرق سكاكا، ثم أُنشىء مدرج حديث إلى الجنوب من سكاكا بينها وبين الطوير، واستمر هذا المدرج مستخدماً حتى افتتاح مطار الجوف الحالي بتاريخ ١٣٩٧/٤/١٩هـ، ولا شك أن اهتمام الإمارة بهذا الشأن

(١) فارس هداج الهادي، "تطور القطاع الصحي بمنطقة الجوف"، رسالة العروبة، ١٤١٩هـ، ص ص ٦٠-٦١.

قد أسهم في خدمة المنطقة من خلال ربطها بخدمات جوية مع مدينتي الرياض وجدة، ومع مطارات الدول المجاورة مثل عمّان ودمشق وبيروت، إذ كانت هناك رحلات مباشرة لتلك المطارات قبل إيقافها في حدود عام ١٣٨٧هـ، حيث يشير خطاب موجه من الأمير إلى رميح الرميح مدير عام الطيران المدني حول توقف رحلة الجوف بيروت، مؤكداً أهمية هذه الرحلة وأمله بالحصول على طائرات أكبر من (دي س ٣)، حيث ذكر أن إلغاء الرحلة أضر بالمواطنين لارتباط بعض المصالح والمؤسسات ببيروت وأن هناك إقبالاً كبيراً على تلك الرحلة[1].

ولقد عني عبدالرحمن السديري بالعمل الأهلي بالمنطقة من خلال تشجيع المواطنين والإسهام معهم بتأسيس مؤسسات أهلية وخيرية تعمل على خدمة المجتمع المحلي في جوانب مختلفة، وكانت أولى المبادرات في هذا الجانب تأسيس مكتبة الثقافة العامة بالجوف عام ١٣٨٣هـ على حسابه الخاص، وكانت هذه المكتبة النواة الأولى للمؤسسة الخيرية التي أُنشئت عام ١٤٠٣هـ، حيث تعد دار الجوف للعلوم النسخة الجديدة المطورة لمكتبة الثقافة العامة.

وفي عام ١٣٨٦هـ، أُنشئت في مدينة سكاكا الجمعية التعاونية متعددة الأغراض، وقد كان له، رحمه الله، دور كبير في إنشاء هذه الجمعية التي أسهمت في خدمة المجمتع من خلال مشاريع الدواجن والألبان وتوفير أعلاف الماشية وإيجاد متطلبات الزراعة بأسعار معقولة، كما أسهم في تأسيس جمعية الوقاية والعلاج التعاونية، كانت تهدف إلى سد النقص في الخدمات الصحية بالمنطقة من خلال توفير الأدوية والمعدات الطبية، حيث أسست مخزن الأدوية في مدينة سكاكا، وكان من أهدافها البعيدة إنشاء مستوصف طبي.

وفي عام ١٤٠٥هـ، أسهم في تأسيس جمعية البر الخيرية بالجوف، وترأس مجلس إدارتها، وقد قامت الجمعية بجهود كبيرة لخدمة الأسر المحتاجة ومساعدة الشباب على الزواج، وصرف المساعدات للأرامل والمطلقات، وقد تم افتتاح فرعين للجمعية في كل من دومة الجندل وطبرجل.

إن ما تم بسطه في الصفحات السابقة، وبشكل سريع ومختصر، جزء يسير

(١) وثيقة بتاريخ ١٣٨٧/٢/١٤هـ، موجهة من أمير الجوف إلى رميح سليمان الرميح.

من جهود التنمية الإدارية في منطقة الجوف، يعرض لأبرز تلك الأعمال، ويكفي أن نشير إلى أن عدد الإدارات الحكومية وفروعها بنهاية عام ١٤١٠هـ قد تجاوز (٧٥) إدارة، إضافة إلى المؤسسات الأهلية والخيرية العامة والخاصة، ولا شك أن ذلك يظهر الجهد الذي بُذل في سبيل تنمية المنطقة إدارياً.

مشيراً - في الختام - إلى أن المقام لا يتسع لمزيد من الفقرات التي تتحدث عن تفاصيل أوجه التنمية التي طالت هذه المنطقة بخاصة، على اختلاف مجالاتها الاقتصادية والإنسانية والاجتماعية والثقافية، مكتفياً بما تطرقت إليه الكتب الصادرة عن منطقة الجوف من معلومات.

المملكة العربية السعودية
وزارة الداخلية
ادارة

الرقم
التاريخ
التوابع

برقية

معالي وزير الصحة - جدة
صورة لسمو وزير الداخلية - جدة

أخي لازلنا في انتظار صدور أمر معاليكم حول مصح السل في الجوف والمستوصف في دومة الجندل الذي تأخر تنفيذ بناؤهما منذ أربع سنوات تقريباً ومعاليكم وعد بعد عرضها من جديد لكنا فرصة نظراً إلى الحاجة الماسة لها نأمل أمركم بما يلزم نحوها بوجه السرعة إلى هذه المؤسسة الصحية والنظر في استعجالها وشكراً.

عبدالرحمن السديري

الفصل الحادي عشر

من أرشيف الإمارة

أحمد بن عبدالله آل الشيخ*

كان مجيء عبدالرحمن السديري أميراً للجوف في خضم أحداث الحرب العالمية الثانية، وما كان يحدث بسببها من توقف للتصدير من الدول المجاورة التي كانت منطقة الجوف تعتمد عليها في سد حاجتها من المؤن، ويتبين من مراجعتي لبعض صور المخاطبات - مع الملك عبدالعزيز ومع أبنائه الملوك من بعده التي وجدت ضمن أوراق قديمة في أرشيف الإمارة - نماذج تتصل بمختلف نواحي التنمية والظروف المحيطة بتطور المنطقة، وكان هاجس الفقر المنتشر بين صفوف الحاضرة والبادية بين أكبر اهتماماته في تلك الفترة، ففي برقية برقم (٣١٩) وتاريخ ١٣٦٤/٥/٢٣هـ (١٩٤٥م) يشير إلى ظهور الدبا[1] في المنطقة ويطلب مساعدة الحكومة "**أهل البلاد حيث أن أحوالهم لا تخفى على جلالتكم**".

وفي برقية برقم (٦٥) وتاريخ ١٣٦٨/١/١٥هـ (١٩٤٨م)، يبين الظروف السيئة التي كانت تمر بها قبيلتا الرولة والشرارات وغيرها من جراء رداءة المراعي ويطلب رفع الزكاة عنهما "**لأن أحوال القبيلتين في هذين العامين متأخرة**".

وفي برقية برقم (١٠٦) وتاريخ ١٣٦٨/١/٢٧هـ (١٩٤٨م) يتناول الصعوبات التي كانت تحيط بإجراءات التأشير لناقلي المواد الغذائية من شرق الأردن وضرورة التجاوز عن ذلك، نظراً لأن "**هذه المنطقة سوف تتضرر ضرراً كبيراً من انقطاع الأطعمة عنها**".

ويعود مرة أخرى في برقية برقم (١٢٢) وتاريخ ١٣٦٨/٢/٨هـ (١٩٤٨م)، فيشير

---

* من مواليد عام ١٣٨٣هـ (١٩٦٣م)، بكالوريوس علوم إدارية من جامعة الملك عبدالعزيز، ودبلومات من معهد الإدارة العامة عمل في وزارة التعليم العالي والملحقية التعليمية في لوس أنجلوس وبريطانيا، ثم عُيّن محافظاً لدومة الجندل فالقريّات، ثم صار وكيلاً لإمارة منطقة الجوف.

(١) هو صغار الجراد.

إلى الأمر بإعادة السيارات التي لا تحمل بياناً من مفوضية جلالة الملك إلى المكان الذي أتت منه، ولأن شرق الأردن يمنع تصدير الأطعمة، فينبه إلى أن إلزام أصحاب السيارات بالحصول على البيانات المطلوبة سوف يترتب عليه أن "**تشتد الأسعار ويلحق هذه المنطقة ضرر كبير مع ما هي فيه من الجدب**"ويقترح "**مفاوضة الحكومة الأردنية والحصول على موافقتها بتصدير الأنواع المذكورة من الأطعمة**" .

وفي برقية برقم (١٦٢) وتاريخ ١٣٦٨/٢/١٩هـ (١٩٤٨م)، يقول إن زراعات "الجماعة" **كانت رديئة فلم يسترجعوا "من البذار الذي سبق وأمر جلالة الملك بتوزيعه عليهم**" مشيراً إلى أن "**كشوفاته محفوظة لدى المالية**" وكأنه يطلب عدم الاستعجال على المزارعين بدفع ما هو مطلوب منهم.

وفي برقية برقم (٣٢٩) وتاريخ ١٣٦٨/٤/١٦هـ (١٩٤٨م)، يشير إلى أن "**الأشخاص الذين لهم قواعد في مالية الجوف من كبار البادية والحاضرة كثير ما يراجعون المالية يطلبون قواعدهم بموجب احتياجهم، ولكن المالية تطلب منهم الانتظار إلى شهر رجب حيث لديها أوامر وزارية بأن القواعد لا تسلم إلا بالشهر المذكور، ولأن المذكورين يستحقون المراعاة هذه السنة أكثر من ذي قبل أسترحم موافقة جلالتكم على تسليمها لهم الآن...**" .

وفي برقية برقم (١١٧) وتاريخ ١٣٧٠/٢/١٨هـ (١٩٥٠م)، يبرر سبب كتابة بعض أهالي البلاد بشأن الرسوم التي فرضت على الأطعمة ويشير إلى ظروفهم الصعبة التي دفعتهم لهذه الكتابة.

وفي برقية برقم (٥٤١) وتاريخ ١٣٧٠/٨/٢٠هـ (١٩٥٠م) يشير إلى "أهل المواطير" ويقترح "**إن استحسن نظركم الكريم أن الذي دفع من قيمتها يبقى على حكمه والذين لم يسلموا منهم يستحصل منهم نصف قيمتها ويترك لهم النصف الآخر....**" .

وفي برقية برقم (٨٢١) وتاريخ ١٣٧١/١٢/١٨هـ (١٩٥١م)، يشير إلى منع الحكومة العراقية تصدير التّمن (الأرز) والحنطة، ويؤكد على أن هذا الإجراء "**لابد وأن يكون له أثر بالغ على إرتفاع أسعار الأطعمة في هذا الظرف** "ويقترح" **محاولة إقناع الحكومة العراقية سريعاً لخروج الكمية المعتاد خروجها...**" .

وفي خطاب برقم (١/٣١٢) وتاريخ ١٣٨٢/١/٣٠هـ (١٩٦٢م) موجه لسمو وزير

الداخلية الأمير فهد بن عبدالعزيز يشير إلى أمر المتسولين وسؤال مدير شرطة الجوف عن الجهة التي يسلمون إليها، ويطلب من وزارة الداخلية مساعدته لدى وزارة العمل والشؤون الاجتماعية لتأسيس دار اجتماعية، وذلك لأنه "**ليس بخاف على سموكم ما حل بهذه المنطقة من كارثة نتيجة الجدب والجفاف اللذين حلا بها مما أضر البادية وأوجب تفرقهم وتمزقهم مما نتج عنه وجود رجال ونساء عاجزين كلياً وحالتهم يرثى لها**"، ثم يقترح "**تأسيس دار للعجزة شفقة بأحوالهم، وأننا نرى أن إقامتها أمر تدعو له الإنسانية والضرورة وحكومة مولاي حريصة كل الحرص أن توفر لشعبها لاسيما العاجز كل خير وكرامة**".

وبمطالعتي لما تيسر لي من هذه المخاطبات، وقفت عند عدد منها مما سوف لا يستغربه من عرف الأمير السديري، ففي برقيته برقم (٣٤٧) وتاريخ ١٣٦٤/٧/١٤هـ (١٩٤٤م)، يشير إلى موضوع شخص صدر الأمر بحبسه ومصادرة ما معه من بضائع يبدو أنها مهربة، فيقول في برقيته لجلالة الملك "**لا يخفى على جلالتكم أن بضاعته حمل بشوت وبمناسبة الصيف أصبحت مخطورة من الحرق ثم إن بعارينه جرب....**" وكأنه يسترحم الملك بإعادة هذه البضائع إلى صاحبها منعاً من تلفها والاكتفاء بحبسه.

وفي البرقية رقم (١٢٧) وتاريخ ١٣٧١/٣/١١هـ (١٩٥١م)، يشير إلى بضاعة مهربة أخرى، ويذكر لجلالة الملك أن البضاعة "**رست بالمزاد العلني قيمتها بمبلغ ثمانية آلاف ومائتين وأربعة وعشرين ريال بينما قيمتها موجب سعر السوق الحالي تقريباً ثلاثة عشر ألف وأربعمئة وتسعة وثمانون ريال، ومقدار رسمها مضاعفاً يبلغ سبعة ألاف وثمانمئة وثمان وثلاثون ريال، وحيث يا مولاي أيدكم الله الفرق بسيط بين مقدار رسمها إذا تضاعفت وبين ما رست عليه بالمزاد العلني، فإذا يستحسن نظركم الكريم مضاعفة الرسم عليها بدلاً من مصادرتها...**"، في محاولة لرفع بعض الضرر عن صاحب البضاعة المهربة.

وفي البرقية رقم (٨٣٤) وتاريخ ١٣٧١/١٢/٢٥هـ (١٩٥١م)، يشير إلى أحد التجار وأنه حصل عليه دين كثير "**حتى أنه باع جميع ما يملك ووزعه الشيخ (القاضي) على الديّانة وحيث أنه رجل مسن وله عائلة كبيرة أعرض لجلالتكم لقصد مساعدته....**".

وفي برقية برقم (٣٩٤) وتاريخ ١٣٦٤/٦/١٧هـ (١٩٤٤م)، يشير إلى أن "**معظم البادية بطرفنا توجد في وادي السرحان ما بين الجوف والقريات وجميع الرايح منهم والجاي والذي يرغب المكيل**[١] **يكون طريقه على القريات إلى شرق الأردن.... وبمناسبة ذلك إذا يستحسن نظر جلالتكم أن الدنانير التي وصلت طرفنا برفق ابن مضيان يرسل قسم منها إلى مالية القريات للتصريف هناك على البادية.... لأنها تنصرف بالقريات أكثر من صرفها بالجوف**".

وبعد مجيء عبدالرحمن السديري إلى الجوف ببضع سنوات، ترأس الجانب السعودي في اللجنة المشتركة بين حكومة المملكة والحكومة العراقية في تسوية قضايا النقايص[٢] وغيرها بين رعايا البلدين، وذلك خلفاً للأمير عبدالعزيز بن أحمد السديري الذي كان قد باشر هذه المفاوضات في السابق، وقد جاء تكليف الأمير عبدالرحمن بهذه المهمة ببرقية ديوان الملك عبدالعزيز بتاريخ ١٣٦٨/٦/٢هـ (١٩٤٨م)، ورد فيها أن الاجتماع سيكون في الليفية[٣] في شهر رجب من سنة ١٣٦٨هـ وأن الحكومة العراقية عينت لتمثيلها مطشر السعدون وعبد الصاحب علي[٤].

وفي برقية أخرى بتوقيع الملك عبدالعزيز بتاريخ ١٣٦٨/٦/٢٢هـ يشير فيها الملك إلى اجتماع سابق في (روية) حضره عبدالعزيز بن أحمد السديري عن الجانب السعودي، ويطلب من عبدالرحمن السديري سؤال وكيل عبدالعزيز السديري عن الأوراق التي كانت بحوزة عبدالعزيز مما له صلة بالموضوع وطلب الأوراق المذكورة واستلامها، ويشعره بأنه كلف الشنيفي ليحضر الاجتماع معه[٥].

وفي برقية بتاريخ ١٣٦٨/٦/٢٩هـ يصرح الملك عبدالعزيز بأنه أبدى للحكومة العراقية بأن يكون الاجتماع في الليفية في الخامس من رجب حتى "**يكون هناك وقت كاف لتستعدون بما يلزم لعملكم وتبلغ أهل الدعاوى بالحضور حسب**

(١) المقصود الميرة وابتياع المواد الغذائية.

(٢) "النقايص" هي المطالبات القائمة بين رعايا البلدين وجلهم من أبناء البادية.

(٣) "الليفية" تقع بالقرب من الحدود مع الجمهورية العراقية إلى الشمال من المركوز على خط طول ٤٣ وبين خطي عرض ٣٠-٣١.

(٤) برقية رقم ٥٥٧٠ بتاريخ ١٣٦٨/٦/٢ هـ (١٩٤٨م) في أرشيف إمارة منطقة الجوف.

(٥) برقية رقم ٥٣٠٠ وتاريخ ١٣٦٨/٦/٢٢ هـ في أرشيف إمارة منطقة الجوف.

الموعد..."[١] .

وورد في مفكرة قديمة للأمير عبدالرحمن إشارة إلى الاجتماع الأول، فورد في المفكرة: "**قمنا على رأس لجنة الحدود المشتركة مع العراق في الليفية الواقعة بالبطين بالقرب من رأس الحدود**" .

وتضمنت المفكرة أنهم غادروا متجهين إلى الليفية بتاريخ ٣ رجب ١٣٦٨هـ (١٩٤٨/٤/٣٠م)، وكتب عند هذا التاريخ "**توجهنا للاجتماع مع مندوبي الحكومة العراقية بالليفية لبحث نقائص عربان رعايا الحكومتين**"، وتضمنت المفكرة أنهم وصلوا الليفية بتاريخ ٦ رجب ١٣٦٨ (٣ مايو ١٩٤٩م) وباشروا الاجتماعات مع مندوبي الحكومة العراقية بتاريخ ٩ رجب ١٣٦٨ (٦ مايو ١٩٤٩م) وعادوا من الليفية بتاريخ ٢٩ رجب ١٣٦٨هـ (٢٦ مايو ١٩٤٩م).

وورد أن السديري ترأّس اجتماعاً ثانياً في الجديدة دام خمسة عشر يوماً[٢]، وقد تم هذا الاجتماع الثاني بتكليف من ولي العهد الأمير سعود ببرقية بتاريخ ١٣٧٣/١/١٩هـ (١٩٥٣م) تضمنت تكليف كل من الشنيفي وابن عبدالواحد والسماري بالحضور مع الأمير عبدالرحمن، كما تضمنت إخطار المفوضية في بغداد لأن ترسل إليه "**ما عندها من أوراق الحوادث**"[٣] .

ثم ترأس – بعدما تولّى الملك سعود – وفد المملكة في اللجنة المشتركة بين حكومة المملكة والحكومة العراقية لبحث الخلاف الواقع بين الحكومتين على الموقع المسمى فيضة أم قليب[٤] في ١٣٧٥/١١/١هـ (١٩٥٥م)، وتتضمن برقية الملك سعود للأمير (الملك فيما بعد) فيصل بتاريخ ١٣٧٥/١٠/٢٦هـ توجيهاً بتكوين لجنة تضم السديري ومندوباً من الخارجية ومهندسين[٥]، فتصدر من الأمير فيصل برقية بتاريخ ١٣٧٥/١١/١هـ للأمير عبدالرحمن بتكوين لجنة "**برئاستكم ومعكم مندوب من الخارجية ومهندس فني من قبل شركة أرامكو وواحد من قبل**

---

(١) برقية رقم ٥٣٤١ وتاريخ ١٣٦٨/٦/٢٩ هـ في أرشيف إمارة منطقة الجوف.

(٢) عن إبراهيم بن عنان.

(٣) برقية رقم ٣١٨٩ وتاريخ ١٣٧٣/١/١٩ هـ من أرشيف إمارة منطقة الجوف.

(٤) " أم قليب " تقع شمال غرب الليفية وهي عبارة عن روضة كبيرة.

(٥) برقية رقم ٣٠٦٧٥ وتاريخ ١٣٧٥/١٠/٢٦ هـ من أرشيف إمارة منطقة الجوف.

الأخ ابن مساعد"[١]، وتشير برقية من الأمير عبدالعزيز بن مساعد أنه كلف ابن عمار مندوباً عنه في اللجنة[٢]، وكان ابن عمار يعمل أميراً للمعانية[٣] حيث كان الاجتماع، وذكر من حضر هذه المناسبات مع عبدالرحمن السديري أن العراقيين كانوا يملكون من الاستعدادات، بما في ذلك السيارات والأسلحة، ما يفوق كثيراً المتوافر لدى الجانب السعودي، وأن خال ملك العراق، واسمه عبدالإله، كان يحضر مع الجانب العراقي في بعض هذه الاجتماعات[٤].

تحدث السديري عن اجتماعات الجديدة، فأشار إلى أنهم كانوا يراسلون الملك عبدالعزيز بمجريات المباحثات، فكانت الذلول تغادر مخيمهم في الجديدة صباحاً وتصل إلى سكاكا في مساء اليوم نفسه، فترسل البرقية ويطلع الملك عبدالعزيز عليها في اليوم التالي ويجيب في يوم استلامه لها فتصل سكاكا وتسير الذلول بها مساء وتصل صباح اليوم التالي إليهم[٥]، وقال الأمير عبدالرحمن إنهم كانوا كثيراً ما يجدون أنفسهم أمام طرق مسدودة وحجج طويلة يبديها الجانب العراقي، فإذا خاطبوا الملك عبدالعزيز بما يواجهونه أتاهم جوابه مهيئاً السبل لهم وكأنه معهم يسمع ما يسمعون ويشهد ما يواجهون.

وجدير بي - وفق ما رُوي لي - أن أشير هنا إلى الأثر الكبير الذي تركه فيه عمله مع الملك عبدالعزيز وإعجابه الشديد بشخصيته وتأثره بها، إذا تحدث عنه ظهر بسرعة إكباره له واحترامه لذكائه ومقدرته على اتخاذ القرار وحسن اختياره له، وقد قال مراراً: **إن من كتبوا عن الملك عبدالعزيز لم يوفوه حقه.**

وورد أن السديري رافق الأمير (الملك) سعود في زيارةٍ إلى سوريا وشارك في الاجتماعات التي دارت بين الوفدين، وتمت في سنة ١٣٧٢هـ (١٩٥٣م)[٦]، أي في

(١) برقية رقم ٧٠١٦ وتاريخ ١٣٧٥/١١/١ هـ من أرشيف إمارة منطقة الجوف.

(٢) برقية رقم ٣٠٢٥ وتاريخ ١٣٧٥/١١/٥ هـ من أرشيف إمارة منطقة الجوف.

(٣) "المعانية" تقع داخل حدود الجمهورية العراقية إلى الشمال من مركز الصحن وشمال شرق العويقيلة في المملكة العربية السعودية.

(٤) عن إبراهيم العنان وعبد الرحمن بن محمد الملحم.

(٥) تبعد عرعر عن سكاكا (١٥٠) كم تقريباً وتبعد الجديدة عن عرعر (٧٥) كم تقريباً، وتقدر المسافة بين الجديدة وسكاكا للمسافر على الذلول بحوالي (١٥٠ - ١٧٠) كم تقريباً.

(٦) انظر د. سلمان بن سعود بن عبدالعزيز، تاريخ الملك سعود بن عبدالعزيز ١٣١٩-١٣٨٩هـ / ١٩٠٢-١٩٦٩م نظرة علمية ورؤية تاريخية لدوره في توحيد المملكة العربية السعودية وحكمها - الوثيقة والحقيقة، الجزء الأول: دار الساقي، ص. ٢٠٥.

أواخر عهد الملك عبدالعزيز، وقد منحت الحكومة السورية السديري بمناسبة هذه الزيارة وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الممتازة بتاريخ ٦ شعبان ١٣٧٢هـ الموافق ٢٠ نيسان ١٩٥٣م.

عندما قدم عبدالرحمن السديري أميراً للجوف كان مدير مكتبه هو عبدالله الشقاوي[١] الذي استمر في العمل معه نحو سنتين، ثم قام بالعمل سليمان الراشد حتى حل جبر اللبيخان محله[٢]، وقد كان لجبر مكانةٌ واحترامٌ كبيرين عنده فكان إذا سافر أناب جبراً بعمل الإمارة، وكان في المكتب موظف آخر في تلك الفترة الأولى هو سليمان الراشد الذي صار في وقت لاحق مديراً لبلدية سكاكا[٣]، وقد استمر جبر في عمله مديراً للمكتب حتى تقاعد فأعقبه ابنه محمد لبعض الوقت حتى تعيّن محمد اليونس[٤] الذي استمر في هذا العمل حتى تقاعد الأمير عبدالرحمن.

ومن أبرز الموظفين الذين عملوا معه في إمارة الجوف عبدالرحمن بن محمد الملحم الذي تدرج في عمل الإمارة حتى صار رئيساً للمكتب السري ثم مدير عام الإمارة فوكيلاً مساعداً في الإمارة[٥]، ومنهم كذلك عبدالعزيز الدخيل الذي عمل أولاً في جوازات الجوف وكان مديراً لها، ثم انتقل إلى إمارة الجوف بطلب من الأمير فصار مديراً لمكتب البرقيات فيها إلى أن توفي[٦].

وعمل معه ابنه الأكبر فيصل، فكان وكيلاً للإمارة في الفترة الممتدة من ١٣٨٩/١١/٧هـ حتى ١٣٩٤/١١/١٧هـ (١٩٧٤م)، وعمل معه كذلك ابنه سلطان الذي صار وكيلاً للإمارة في ١٣٩٥/٥/٢٤هـ فأميراً للمنطقة خلفاً لأبيه من ١٤١٠/٧/١هـ

(١) قال محمد بن مريزيق الطالب إن عبدالله بن سليمان الراشد الشقاوي من السليمان من عنزة وأنه ولد سنة ١٣٤٠هـ وتوفي سنة ١٣٩٠هـ (١٩٧٠م).

(٢) هو جبر بن محمد بن الحميدي اللبيخان من الحباب من قبيلة السرحان توفي سنة ١٤٠٧هـ. المصدر السابق.

(٣) قال خالد بن سليمان الراشد إن والده سليمان بن عبدالله بن سليمان بن إبراهيم بن محمد الراشد من آل أبو عليان من بني سعد زيد مناة بني تميم ولد سنة ١٣٣٣هـ وتوفي سنة ١٤١٢هـ (١٩٩٢م).

(٤) هو محمد بن يونس بن صالح الهذيل من الهذيل ولد سنة ١٣٥٧هـ وتوفي سنة ١٤١٥هـ (١٩٩٥م).

(٥) جرى التعريف بعبد الرحمن الملحم في موضع سابق.

(٦) هو عبدالعزيز بن محمد بن علي الدخيل ولد سنة ١٣٣٥هـ وتوفي سنة ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م).

حتى ١٤١٩/٥/١٢هـ (١٩٩٩م).

ومع مرور الوقت وتطور العمل وتوسعه، ازداد عدد موظفي إمارة الجوف وقد كان لكثيرهم دور بارز في مجاله، ومن هؤلاء محمد بن نغيمش الذي كان الأمير ينتدبه في المهمات، ثم صار أميراً لدومة الجندل[١]، ومن الموظفين الذين دأب على تكليفهم بمهمات داخل الجوف وخارجه: عبدالله بن راشد الخوصان[٢] ومحمد بن مريزيق[٣] وعبد الله الغميز[٤] وفهد بن محمد الجبل[٥]، ومنهم كذلك فهد بن سليمان أبو هلال[٦] الذي طلب الأمير نقله من مديرية التجارة في عرعر وعينه مديراً لمكتبه الخاص وكان محل ثقته وتقديره.

وجدير بالذكر أن ما أشرت إليه من مراسلات سابقة، هو ما تسنى لي مطالعته منها جازماً بأنها بعض من كثير في هذا المجال، أما على صعيد المبادرات التنموية التي قام بها، فلقد سجل أرشيف إمارة منطقة الجوف، على مدى خمسة عقود تولاها عبدالرحمن السديري مبادرات كثيرة في سبيل النهوض بمنطقة الجوف ومعالجة المعوقات التي تحد من مسيرتها، ومن بين هذه المبادرات اقتراحه توطين البادية في منطقة وادي السرحان، وفي طبرجل على وجه الخصوص، ثم بعد ذلك تشجيعه للبادية على الاستيطان في صوير وهديب وخوعا والأضارع، وكان يحرص على أن يكون استيطان البادية في أماكن محددة تلافياً لتشتتهم في مواقع كثيرة يصعب توفير جميع الخدمات في كل منها، فحث البادية في وادي السرحان على الاستيطان في طبرجل وهكذا.

---

(١) هو محمد بن عبدالعزيز عقيل النغيمش من مدينة شقراء، ولد بالوشم وتوفي سنة ١٤٠٢هـ (١٩٨٤م)، قال عبدالرحمن الملحم إن الأمير السديري كان يختار محمد بن نغيمش للمهمات التي تستدعي التصرف والمقدرة على اتخاذ القرار والبت فيه، قلت سمعت الأمير يثني على محمد بن نغيمش فيشير إلى ثباته وحزمه.

(٢) هو عبدالله بن راشد الخوصان من الثبتة من الروقه من عتيبة ولد سنة ١٣٥٥هـ وتقاعد من إمارة الجوف في ١٤١٥/٧/١هـ (١٩٩٥م).

(٣) هو محمد بن مريزيق المعاذي من الطالب من عنزة ولد سنة ١٣٥١هـ.

(٤) هو عبدالله بن محمد عبدالله الغميز القويفلي التميمي ولد سنة ١٣٥٢هـ.

(٥) هو فهد بن محمد بن فندي الجبل العنزي من الجبلات من عنزة.

(٦) هو فهد بن سليمان أبو هلال (البهلال) آل عايذ القحطاني من آل عايذ من قحطان ولد سنة ١٣٦٧هـ.

ففي خطاب لسمو وزير الداخلية الأمير (الملك) فهد بن عبدالعزيز برقم (٣/١٦٣) وتاريخ ١٣٨٤/٨/١١هـ (١٩٦٤م) يشير فيه إلى ما نما إليه من علم «**حول تكوين لجنة من سمو الوزير ووزراء آخرين للنظر في "تنمية الملحقات[1]" بما في ذلك الشمال، وبما أن تلك الجهة يا صاحب السمو بحكم بعدها عن الموانئ وعدم وجود مشاريع إنمائية فيها مع ما تعرضت له من الجفاف الذي أفقد البادية ماشيتها مما سبب لنا مشاكل اجتماعية معقدة، وقد تتعقد أكثر وتتحول إلى مأساة بالنسبة للبادية ما لم تتداركها عناية الله ثم عناية حكومة صاحب الجلالة الملك المعظم**».

ثم يشير إلى ما أوصت به لجان وزارية عدة في السابق بشأن الجوف والقريات ويرفعه مع الخطاب وينهي خطابه قائلاً: «**ولا يفوتني بهذه المناسبة أن ألفت نظر سموكم إلى أن أهم ما يمكن أن ينهض بالمنطقة في سبيل إعمارها والبداية بحل مشاكلها الاقتصادية هو الإسراع بدراسة مشروع البادية الزراعي وطريق الإسفلت التي تحت الدراسة الآن، لأن البداية بهذين المشروعين بداية تنفيذية هي البداية الحقيقية لرفع مستوى المنطقة على الوجه الصحيح والتي أرجو أن يكون مثال حسن يمكن أن يحتذى به بالمناطق الثانية أعني بذلك مشروع البادية الزراعي...**»، وقد أرفق مع الخطاب ملحقاً بالتوصيات التي أشار إليها تتكون من اثنتي عشرة صفحة وتضمنت بنوداً تتعلق بالخدمات الصحية والتعليم والمواصلات والخدمات الاجتماعية والتجارة والقضاء والبلديات والزراعة والمياه.

وفي خطاب لسمو وزير الزراعة الأمير سلطان بن عبدالعزيز برقم ٥١/١٢٩٠ وتاريخ ١٣٧٣/٧/١٣هـ (١٩٥٣م)، يشير إلى كبر المنطقة ووفرة مياهها وصلاح أراضيها للزراعة، وإلى أهمية رفع أحوال المواطنين الاقتصادية، وينبه إلى بُعد المنطقة من الموانئ وخطورة ذلك عليها في حالات الطوارئ، ويطلب من سمو الوزير إرسال بعثة زراعية للاطلاع على ظروف المنطقة "**على أساس علمي ومن ثم تتفضلون في إجراء ما يلزم على أساس صحيح تشجيعاً وإنقاذاً لأهلها...**".

ثم يتابع مخاطباته للمسؤولين في مختلف الوزارات الحكومية مبيناً الأوضاع والظروف التي يعيشها المواطنون ومقترحاً الحلول لها.

---

(١) يقصد بها حالياً المحافظات.

من ذلك خطابه لوزير الزراعة عبدالله الدباغ برقم (غير مقروء) وتاريخ ١٣٨١/٤/١٣هـ (١٩٦١م)، الذي يشير فيه إلى " **المشروع الزراعي الكبير** "، ويبين أن تنفيذ المشروع سيتطلب سنوات عديدة مما يدعو إلى المبادرة بخطوات لـ " **القيام بما يوجب تشجيع ومؤازرة من عندهم الرغبة في الزراعة** "، وينبه الأمير في الخطاب إلى بعض السلبيات التي وقعت في تنفيذ مشروع إمداد المزارعين بماتورات مائية ويقترح وضع "**أسعار مبسطة جداً - وبالتقسيط**" و "**إعطاء الماتورات إلى أرباب المزارع القديمة من البادية**" دون سواهم.

ويتضمن الخطاب عدداً من المقترحات تدور حول توفير الماتورات بكميات كافية وإيجاد المهندسين الميكانيكيين لخدمة وصيانة هذه الماتورات وتأمين قدر كافٍ من الحراسات ومرشدين متجولين والبذور بجميع أنواعها والمبادرة بتنظيم توزيع الأراضي على المزارعين منعاً للسلبيات التي ظهرت من جراء تأخر ذلك، ومختتماً بالإشارة إلى أهمية إيجاد طريق إسفلت من طريق المدينة - تبوك إلى سكاكا.

وخطابه رقم ١٠١٨ وتاريخ ١٣٨٢/٤/٧هـ (١٩٦٢م)، الموجه إلى وزير الزراعة حول وضع مدينة دومة الجندل، وأن "**هذه المدينة الأثرية على وشك الانقراض لأسباب غريبة ومتعاكسة، وهي أن القسم الغربي منها لا يوجد فيه مياه سطحية وجميع ما فيه من مزروعات ونخيل تلف نهائياً والقسم الشرقي تكاثرت عليه مياه العيون والآبار الارتوازية حتى غمرت الأراضي بالمستنقعات**" ويقترح اعتماد مشروع ري وصرف للمدينة.

وخطابه رقم (١/١٦٦٢) بتاريخ ١٣٨٤/٥/٢٧هـ (١٩٦٤م) المتبوع بخطابه رقم (٤٥٩/د) وتاريخ ١٣٨٤/٨/١٨هـ (١٩٦٤م)، لسمو وزير الداخلية الأمير (الملك) فهد بن عبدالعزيز بشأن دومة الجندل أيضاً المتضمن توصيات تتعلق بالخدمات الصحية والتعليم والمواصلات والخدمات الاجتماعية والبلدية والزراعية والصرف والري.

وخطابه رقم (٤٣٣/د) وتاريخ (غير واضح) إلى وزير المعارف بشأن افتتاح المدارس الصناعية والزراعية في الجوف.

وخطاباته العديدة بشأن التعليم عامة في الجوف، بما في ذلك خطابه رقم (١/٢٠٩٧) وتاريخ ١٣٨٢/٨/٦هـ (١٩٦٢م) لمدير التعليم بالمنطقة الشرقية حول التأخير الحادث في مناقصات نقل الطلاب في القرى، وخطابه رقم (١/٣٤٣٧) وتاريخ ١٣٨٤/١١/٢٧هـ (١٩٦٤م)، إلى وزير المعارف حول افتتاح مدارس ثانوية في الجوف، وخطابه رقم (١/٣٤٧١) وتاريخ ١٣٨٤/١١/٢٩هـ (١٩٦٤م) بشأن التعليم المهني والمدارس الصناعية والزراعية، وخطابه رقم (٢١) وتاريخ ١٣٨٨/١/٨هـ (١٩٦٨م)، إلى الرئيس العام لتعليم البنات بشأن حاجة المنطقة لمعهد لتخريج المدرسات وإنشاء مدارس في المناطق التي لم يفتح بها مدارس.

والبرقية رقم (٢٣١٨١) وتاريخ ١٣٩٩/١١/١٣هـ (١٩٧٩م)، إلى وكيل وزارة المعارف للشؤون التعليمية والإدارية بشأن افتتاح مدرسة في مركز مستحدث.

والخطاب رقم (٦٥١/د) وتاريخ ١٣٨٢/١٢/١٩هـ (١٩٦٢م)، إلى وزير الصحة حول إيجاد مصل للسل في سكاكا ومستوصف في دومة الجندل.

وأخيراً، تظهر وثائق الإمارة والإدارات الحكومية المختلفة في منطقة الجوف تقرير لجنة وكلاء الوزارات التي زارت المنطقة، ورفعته إلى المقام السامي برقم (١٣٢١٨/٣) وتاريخ ١٤٠١/٣/٢٩هـ وتضمن مقترحات بمشروعات من وزارات المواصلات والبرق والبريد والهاتف والزراعة والمياه والصحة والصناعة والكهرباء والبلديات والمعارف (الآثار) بأمل اعتمادها في ميزانية العام التالي، وكان قد وقعه عشرة من وكلاء الوزارات.

أما في ميدان مبادراته الخاصة لتنمية المنطقة، فإنه عندما بدأ مشروع توطين البادية في وادي السرحان، أقام جائزة زراعية لهم سنة ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م)، وموّلها في أول تأسيسها مما كان يتيسر له من جوائز مالية وعينية يقدمها للفائزين، ثم دعا الشركات الزراعية والموسرين إلى المشاركة في تمويل هذه الجائزة التي أراد منها تشجيع المبتدئين من أهل البادية في الزراعة وتعريفهم بوسائلها الحديثة من خلال الجوائز التي تقدم لهم، وقد تطورت هذه الجائزة فيما بعد فشملت جميع مزارعي منطقة الجوف، ابتداءً من سنة ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) وبحيث تعقد سنوياً،

وبالفعل استمرت هذه المسابقة السنوية دون انقطاع حتى نهاية إمارة خلفه الأمير سلطان بن عبدالرحمن السديري، باستثناء مرة واحدة في عام ١٤١١هـ (١٩٩١م) بسبب الظروف التي نشأت في منطقة الخليج.

وورد في مطوية نشرتها مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية سنة ١٤١٣هـ (١٩٩٢م) أن "**أهداف هذه المسابقة منذ نشأتها هي بث روح المنافسة الشريفة بين المزارعين وحثهم على اتباع الأساليب الزراعية الصحيحة واطلاعهم على ما يستجد في عالم الزراعة، ومع استقرار هذه الأهداف، فقد مرت هذه المسابقة بعدد من المراحل التطويرية استجابة للمتغيرات التي طرأت، خاصة بعد التوسع الكبير الذي شهده القطاع الزراعي في العقد الماضي، وفي الآونة الأخيرة اتجهت اللجان المسؤولة عن هذه المسابقة إلى تحديد الهدف العام المباشر للمسابقة على أنه زيادة الإنتاج الاقتصادي الزراعي والحيواني وتحسين النوعية مع المحافظة على التوازن البيئي**"، كما أوضحت هذه اللجان أن الوسائل والأهداف التي يمكن من خلالها تحقيق الهدف العام هي:

١- تشجيع المزارعين على استخدام الطرق والوسائل الحديثة للزراعة.

٢- تشجيع زراعة المزروعات الملائمة لمناخ المنطقة.

٣- نقل الخبرات والأفكار الجديدة بين المزارعين.

كما وضع الأمير جائزة لصناعة السجاد رغبة منه في حفظ هذه الصناعة القديمة والتعريف بها من خلال المعرض الذي كان يقام بمناسبة الجائزة ويحضره المدعوون من أطراف المملكة، وقد خصصت أول جائزة للسجاد في سنة ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م).

ورد في مطوية نشرتها مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية سنة ١٤١٣هـ (١٩٩٢م) عن معرض السجاد أن "**حرفة النسيج وحياكة الصوف والوبر من أقدم الحرف بين أهل البادية في شبه الجزيرة العربية، وهي حرفة وصناعة أصلية بكل ما للأصالة من معنى، فالمادة الأولية هي الصوف والوبر الذي تنتجه الأغنام والإبل التي ترعاها البادية، والأصباغ المستعملة تأتي من أعشاب الصحراء،**

وأدوات التصنيع تنتجها نفس الأيدي الصانعة للنسيج، والأشكال والزخارف التي تزين هذه الصناعة تأتي وتتوافق من خلال تكوينها الفني بواقع البيئة الجغرافية التي تعيشها هذه البادية".

ومن ناحية ثانية، فإن هذه الصناعة التي كانت قديماً تمارس لسد الحاجة الشخصية يمكن أن تصبح اليوم مجالاً للعمل والكسب لقطاع واسع من هذا المجتمع، بهذه التصورات والتطلعات انبثقت فكرة معرض السجاد لدى الأمير منذ ما يقارب أربعة عقود، فلقد لفت انتباهه شهرة الجوف قديماً بالصناعات اليدوية، بما في ذلك صناعة السجاد والبسط والسياح والعبي والخزف والخوص ونحت الأشجار وصنع بعض الأواني المنزلية والخناجر، وسعى إلى لفت أنظار الجهات المختصة لهذا الجانب، وفي الوقت نفسه عمد إلى تشكيل لجنة محلية هي لجنة تشجيع الصناعات التقليدية في منطقة الجوف لدراسة هذا الموضوع وتقييم السبل لحفظ هذه الصناعات وتطويرها، وانتهى معاليه وأعضاء اللجنة إلى المبادرة بإقامة معرض لصناعة السجاد في الجوف له جوائز تشجيعية نقدية على نفقته الخاصة، لأن إقامة مثل هذا المعرض ربما يساعد في تحقيق غرضين: الأول هو التعريف بهذه الصناعات على مستوى واسع وتسليط الأضواء عليها لجلب الاهتمام بها، والثاني هو حفز من يزاولون هذه الصناعة وتشجيعهم معنوياً ومادياً من خلال المعرض والجوائز التي وضعها، وقد أقيم أول معرض للسجاد في الجوف في التاسع من شهر شوال سنة ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م).

وقد أثلج صدر الجميع النتائج الإيجابية التي أسهم في تحقيقها هذا المعرض وما تلاه من معارض، سواءً من حيث تزايد الاهتمام بهذه الصناعة خصوصاً من قبل من يزاولونها، أو من حيث تزايد تداول هذه المنتجات وظهور أسعار مجزية أو حتى مرتفعة لها، وانعكاساً لهذه النتائج قرر أن يكلف مؤسسته الخيرية بالاستمرار في إقامة هذا المعرض وغيره من المبادرات النافعة الناجحة التي بدأها".

وفي سنة ١٣٨٣هـ (١٩٦٣م)، أقيم أول سباق منظم للهجن في المملكة يقدم فيه جوائز نقدية وعينية للفائزين، وقد تحدث عبدالرحمن السديري عن سباق الهجن فقال: «**إن دافعه الأول لإقامته هو جمع البادية والحاضرة في هذه المناسبة**

لمعالجة المشاكل العالقة في حينه، سواءً كان ذلك خصومات قديمة بين أسر أو قبائل في المنطقة، أو حديثاً في أمر من الأمور، كتعليم الأبناء والبنات أو غلاء المهور أو خطر المخدرات، وأما الدافع الثاني فهو تشجيع البادية على حفظ سلالات الهجن المميزة الموجودة في المنطقة وأبرزها سلالة "الحرة "[(١)] .

وقد عُنِي كثيراً بنشر التعليم في منطقة الجوف وحث المواطنين على الاستزادة منه، وكان يحرص على تنظيم حملات لمحو الأمية وعلى إيجاد الحوافز لأبناء البادية لتعليم أبنائهم، وعندما بادرت الحكومة إلى فتح مدارس للبنات، قاد حملة لتشجيع الأهالي على إلحاق بناتهم بالمدارس وحث بناته على المشاركة في العمل التعليمي رفعاً للحرج عن المواطنين الحذرين من هذا الأمر الجديد عليهم.

ومن مبادراته في فترة إدارته المبكرة، حثه الأهالي على إقامة شركة للكهرباء في سكاكا وأخرى في دومة الجندل[(٢)] ، وقد جمع أهل دومة الجندل ما يلزم من مال للمشروع وشارك الأمير بسهم منه معهم وقامت الشركة، أما في سكاكا فلم يكفِ المال المساهم به من الأهالي فلم تقم الشركة وقام بالمشروع أحد المواطنين[(٣)] .

وفي أواخر العقد الثاني المذكور أيضاً، سعى لإيجاد مصنع لتعبئة مياه الجوف ذات الجودة العالية رغبة في إيجاد هذا المرفق الاقتصادي الحيوي في المنطقة، وأملاً أيضاً في التعريف بالمنطقة بواسطة توزيع مياهها في أنحاء المملكة[(٤)] .

وقد نُقل عن الأمير في حينه أن وزارة الصناعة كانت تعترض على الترخيص لمصنع لتعبئة المياه في المنطقة انطلاقاً من كثرة مصانع المياه في المملكة

---

(١) ورد في ورقة غير منشورة موجودة في مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية أن عدد المشاركين في سباق الهجن الأول المقام سنة ١٣٨٣هـ (١٩٦٣م) اثنا عشر هجاناً، ثم صارت أعداد المشاركين في السباقات اللاحقة تصل إلى بضع مئات، وقد كانت الجوائز العينية التي يقدمها الأمير نياقاً من الإبل.

(٢) قال عبدالرحمن بن محمد الملحم، إنه جمع رؤساء الإدارات الحكومية وكبار الأهالي وأوضح لهم أهمية توفر الكهرباء وإمكانية تحقيق ذلك عن طريق تكوين شركات لهذا الغرض.

(٣) المصدر السابق، قال إن المساهمات كانت تؤمن لدى متعب الحمدان، وقال إن المشروع في سكاكا أقامه حمد البازعي بعد أن تعذر قيام شركة فيها، فكان البازعي في البدء يأخذ من كل مستهلك اشتراكاً مقداره (١٣) ريالاً، ثم أحضر في وقت لاحق عدادات لقياس استهلاك المشتركين.

(٤) عن د. سلمان بن عبدالرحمن بن أحمد السديري.

وخوفاً عليها من تزايد المصانع المنافسة، وبعد مضي حوالي (١٨) سنة من المحاولات صدر ترخيص بالمصنع لاثنين من المواطنين فأتيا إليه وطلبا منه مساعدتهما في إقامة المشروع، فاشترط عليهما أن يفتحا المجال لمن يرغب من أبناء المنطقة في المشاركة فيه على الأسس نفسها التي سيستثمر بها المرخص لهما وبدون تكلفة مضافة على المساهمين الآخرين فوافقا على ذلك، وأعلن عن اجتماع في مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية للتعريف بالمشروع وفتح المجال لمن يرغب المساهمة فيه[١]، وتقدم ثلاثة عشر مواطناً للمساهمة في إقامة المشروع[٢]، وقد بدأ المصنع بتسويق منتجاته عام ١٤٠٦هـ (١٩٨٦م)[٣].

بعد هذا سعى الأمير لتكوين جمعية للبر في المنطقة، تستقبل الزكوات وتوزعها على المستحقين لها، وقد أسست الجمعية في سنة ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م)، وفي سنة ١٤١٢هـ (١٩٩٢م)، صار لها فرعان آخران أحدهما في دومة الجندل والأخر في طبرجل.

ومن المبادرات التي تبناها في تلك الفترة الأولى أيضاً، فندق في الجوف يؤمن الخدمة المطلوبة لزائري المنطقة ويسهم في تشجيع السياحة إليها، وقد واجهت هذا المشروع عقبة تكوين رأس المال اللازم لإقامة الفندق فطلب من صالح الراجحي وصالح كامل الإسهام في المشروع فاستجابا لطلبه وأعدت الدراسة اللازمة وصدر الترخيص المطلوب، ثم سعى المساهمون بطلب أرض حكومية لهذا المشروع وتمت الموافقة على بيع الأرض الحكومية، وكانت على هضبة مطلة على سكاكا، فلما بُدئ بإعداد الدراسات الإنشائية اللازمة، تبين أن في الأرض هذه فجوات استدعى التعامل معها ارتفاعاً كبيراً في التكلفة التقديرية لتشييد الفندق، فاعتذر كثير من المساهمين عن تقديم المال الإضافي المطلوب وتوقف المشروع عن التنفيذ.

بعد هذا، بادرت مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية إلى إقامة المشروع

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق. قال أسهم عبدالرحمن السديري ومؤسسته الخيرية بما نقص من رأس المال المطلوب للمصنع.

(٣) المصدر السابق.

الذي أسمته (فندق النزل) على أرض لها في مدخل سكاكا، كانت من بين العقارات الموقوفة عليها من الأمير، وذلك رغبة في تحقيق تطلعات مؤسسها وقناعة بأهمية وجود الفندق في المنطقة وجدواه على الأمد الطويل، وقد افتتح في شهر صفر ١٤١٦هـ الموافق يونيو ١٩٩٥م وهو مملوك بالكامل للمؤسسة الخيرية، وروعي في عمارة الفندق الجمع بين الطراز المحلي - الجوفي والنجدي - إضافة إلى الطراز الأندلسي. وتزامن إنشاء فندق النزل مع إنشاء مسجد الرحمانية ومدرسة الرحمانية وكلاهما من أعمال المؤسسة الخيرية.

أُقيم مشروع الفندق بعد حصول المؤسسة على قرض من وزارة المالية وبعد موافقة المسؤول عن هذا الأمر في الوزارة، وهو، وكيل الوزارة لشؤون الحسابات آنذاك الأستاذ محمد الشريف، على أن يتم تنفيذ المشروع بفريق تكونه المؤسسة بدلاً من مناقصة عامة، كما هي الإجراءات عادة في المشاريع التي تقدم لها الوزارة قروضاً، ولولا تفهم الأستاذ الشريف لهذا الأمر وموافقته عليه لما تمكنت المؤسسة الخيرية من إقامة المشروع نظراً لارتفاع العروض المقدمة من المقاولين من خارج المنطقة لإقامته، وقد استفادت المؤسسة من تكوين الفريق الإنشائي المذكور بتشييد مشروعين آخرين لها في وقت متزامن مع إقامة فندق النزل، وهما مسجد الرحمانية ومدرسة الرحمانية، ويتسع مسجد الرحمانية لـ (٢٠٠٠) مصلي و (٦٠٠) مصلية، ويجري تبريده بواسطة أسلوب مستحدث يعتمد على نظام الأبراج المعروف قديماً باسم "باقدير".

ويضم أرشيف إمارة منطقة الجوف مئات الوثائق الأخرى، التي يمكن أن تكوّن بنوداً متنوعة في هذا الفصل لمختلف نواحي التنمية الاقتصادية والاجتماعية كالزراعة والصحة والطرق والخدمات، وإصلاح حال الإمارة وتطويرها إدارياً، لكن المقام لا يتسع للمزيد من تفصيلاتها، فأكتفي بما ذكر من نماذج موجزة عما يحتويه الأرشيف، ومؤشرات مختصرة عما يضمه من وثائق عبر العقود الخمسة التي يتحدث موضوع الكتاب عنها.

الفصل الثاني عشر

التنمية الثقافية

د. عبدالواحد الحميد *

المرات التي قابلتُ فيها عبدالرحمن بن أحمد السديري قليلة، فقد كنت طالباً وقت أن كان أميراً لمنطقة الجوف، ولكن، من المصادفات، أن جميع تلك اللقاءات كانت ذات علاقة بالشأن الثقافي.

ومن أوضح الذكريات الباقية في ذهني بعد مرور سنوات طويلة، تلك المناسبة التي لم أكن مستعداً لها حينما جاء من يطلب مني أن ألقي خطاباً ترحيبياً بالأمير، كنت يومها في السنة الأولى من المرحلة الثانوية، أعد صُحفاً حائطية لنادي النجمة، الذي كان يقع في مبنى مستأجر بسوق الصبخا بسكاكا بعد أن انتقل من موقعه السابق بحي السوق القديم، وذات يوم، بعد صلاة العصر، دخل إلى النادي احد رجال الأعمال بالمنطقة، وهو صويلح الغانم وفاجأ الحضور بأن الأمير سوف يفتتح بعد قليل الفندق الجديد الذي يملكه الغانم والذي يقع في المبنى الملاصق للنادي، وكانت علاقةُ عملٍ تربط الغانم بوالدي، فعرفني على الفور وطلب مني أن أكتب كلمة على عجل لكي ألقيها أمام الأمير، وكنت وقتذاك قد بدأت في مراسلة الصحف المحلية وتزويدها بأخبار المنطقة، فكتبت كلمة قصيرة، وانتظرت إلى أن حضر الأمير وألقيت الكلمة بين يديه، وقد سرني أنه سألني عن اسمي وشعرت بالفخر حين عرف اسم الوالد.

كان ذلك هو اللقاء المباشر الأول معه، وبعد ذلك التاريخ بسنتين ألقيت أمامه كلمة خريجي ثانوية ابن القيّم بسكاكا في الحفل الثقافي لنهاية العام الدراسي،

---

* دكتوراه في الاقتصاد من جامعة وسكانسون الأمريكية، عمل أستاذاً للاقتصاد بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن، ثم أميناً عاماً لمجلس القوى العاملة، وعضواً في مجلس الشورى، ووكيلاً لوزارة العمل للتخطيط والتطوير، وهو من أبناء منطقة الجوف، وله إسهامات ثقافية واسعة.

وقد غادرت الجوف بعد ذلك للدراسة الجامعية ثم العليا، ولم يتح لي بسبب ذلك معرفة الأمير عن قرب.

وكطالب، كنت أرى الأمير عندما يفتتح نشاط الفنون التشكيلية في المعرض المشترك لمدارس المنطقة ويتجول بين صالات العرض، وقد شاركت بعرض لوحة في الصالة المخصصة لمتوسطة صلاح الدين، وكان العرض بالمدرسة الجنوبية التي تسمى الآن العزيزية، ورأيت الأمير وهو يدخل ويلقي نظرة على لوحاتنا المعروضة، ويقدم كلمات التشجيع.

لسبب أو لآخر، أجد أن جميع هذه الذكريات الشخصية مع الأمير ذات علاقة بالجانب الثقافي، وهو ما أكتب عنه هذه الكلمات القليلة في كتابٍ يضم سيرته، من جوانب متعددة وبأقلام مختلفة لا يمثل الجانب الثقافي إلا واحداً منها.

لكن اهتماماتي الثقافية الحقيقية في ذلك الوقت وجدت متنفساً لها في مكتبة الثقافة العامة بالجوف، وهي المكتبة التي أسسها عام ١٣٨٣هـ ١٩٦٣م. وكانت تقع غربي المدرسة الجنوبية في صالة ملاصقة للمستشفى، وقد اكتشفت المكتبة عندما كنت أذهب إلى مكتب البريد الواقع قبالة المستشفى بجوار مبنى الإمارة والمسجد الجامع.

دخلت المكتبة للمرة الأولى، وكان أمينها في ذلك الوقت الأستاذ محمد بدر الذي كان يُدَرِّس اللغة الإنجليزية ويراسل جريدة الرياض، فاكتشفت عالماً مبهراً من الكتب والمجلات والصحف، وصرت منذ ذلك الوقت أتردد عليها بصفة مستمرة حتى تخرجت من المدرسة الثانوية وغادرت الجوف، وقد تعاقب على أمانة المكتبة كل من الأستاذ عبدالعزيز أبو هلال والأستاذ علي بلال الدرعان، خلال الفترة التي كنت أتردد فيها على المكتبة.

كانت تتكون من صالة واحدة تتوسطها طاولات مستطيلة وتحيط بها رفوف الكتب، وفي ركن من الصالة يوجد مكتب أمين المكتبة لا يفصله فاصل عن رواد المكتبة.

أهم ما جذبني إلى المكتبة الروايات والقصص والصحف، فعلى الرغم

من وجود مكتبة منزلية لدى الوالد تحتوي على بعض إصدارت سلسلة روايات الهلال وبعض الدواوين الشعرية والمجموعات القصصية والكتب الأخرى، وعلى الرغم من أن الكثير من الصحف والمجلات كان يصل إلى الوالد بانتظام بحكم اهتماماته الصحفية والأدبية، مثل مجلة المنهل ومجلة قافلة الزيت وغيرهما، إلا أن محتويات مكتبة الثقافة العامة كانت بالنسبة لي تمثل كنوزاً ثقافية كبرى، وقد قرأت الكثير من الروايات والقصص التي تضمها الرفوف، والتي لم تكن متاحة في المنطقة.

وأذكر أن المكتبة كانت تحتوي على سلسلة من الأعمال الروائية الكلاسيكية المبسطة للقراء الناشئين مكتوبة بلغة إنجليزية ميسرة، ومن هذه الأعمال كتب مارك توين التي قرأت منها في ذلك الوقت مغامرات توم سوير ومغامرات هاكلبري فن، مستعيناً بقاموس صغير من إعداد إلياس إلياس، وكنت لكثرة ترددي على المكتبة أقيم علاقات جيدة مع أمنائها بسرعة مما أعطاني بعض الامتيازات، مثل استعارة الكتب دون أي إجراءات.

أما الصحف فكانت متعتي الكبرى، لأن بعضها لم يكن متاحاً في الأسواق لدينا في ذلك الوقت، فلم يكن في سكاكا إلا مكتبة تجارية واحدة ولم تكن توفر الصحف بانتظام، وكانت الصحف تأتي في الغالب عن طريق الاشتراكات في الدوائر الحكومية.

أعتقد أنني، وجيلاً كاملاً ممن كانوا في سني، ندين بالشكر لتلك المكتبة لإسهامها في تشكيل اهتماماتنا الثقافية وتنميتها، وقد كانت المكتبة بالنسبة لبعض الزملاء المصدر الوحيد للكتب والصحف والمجلات، كما كانت بمثابة ملتقى للتعارف بين من يجمعهم حب القراءة والاهتمامات الثقافية.

من تلك المكتبة الصغيرة، والتي كانت تبدو في عيوننا كبيرة جداً، انطلقت دار الجوف للعلوم، وقد أنشأ عبدالرحمن السديري مؤسسة خيرية كاملة عام ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م لتتولى إدارة الدار وتمويلها، بالإضافة إلى الأنشطة الثقافية والخيرية الأخرى في المنطقة.

تتمثل أهداف تلك المؤسسة - كما وردت في المادة الثانية من نظامها

الأساسي - في الآتي:

١- إدارة المكتبة الواقعة في سكاكا الجوف التي أنشأها المؤسس سنة ١٣٨٣هـ والمعروفة باسم (دار الجوف للعلوم)، والعمل على تطوير خدماتها لجعلها مركزاً للبحث العلمي والأدبي تتوافر فيه وسائل الدراسة والأبحاث العصرية، قادراً على المساهمة في هذا المجال على مستوى البلاد السعودية والدول العربية المجاورة.

٢- العمل على حفظ التراث الأدبي والأثري في منطقة الجوف، وإنشاء متحف لهذا الخصوص، والقيام بدعم الدراسات ونشر المعلومات المتعلقة بمنطقة الجوف.

٣- الإسهام في دعم النهضة العلمية في منطقة الجوف، والعمل في كل ما من شأنه رفع مستوى الفرد فيها ثقافياً وصحياً واجتماعياً واقتصادياً.

٤- إنشاء مجلة شهرية في منطقة الجوف وفقاً للنظام.

٥- إنشاء دار للحضانة وروضة للأطفال ومسجد جامع ومستشفى في مقر مؤسسة الدار في سكاكا.

٦- العمل على إحياء (أسبوع الجوف) في وقت مناسب من كل سنة وإقامة سباق الهجن ومسابقة المزارعين ومعرض سجاد الجوف، وهي النشاطات التي بدأها مؤسس الدار منذ سنة ١٣٨٥هـ.

وتعد دار الجوف للعلوم من المكتبات العامة الريادية على مستوى المملكة، حيث أقامت قسماً للنساء يماثل القسم المخصص للرجال، فأسهمت في نشر الوعي والثقافة بين جميع شرائح المجتمع في المنطقة. وتحتوي على ما يزيد عن مئة وعشرين ألف كتاب، متاحة للقراء والقارئات، وعلى قسم للدوريات يضم أكثر من مئتين وخمسين دورية، بالإضافة إلى أوعية معلوماتية متنوعة ومخطوطات ووثائق وطوابع ونقود قديمة ووسائل سمعية وبصرية مثل الأفلام والأشرطة وغيرها.

وقد بدأت الدار في إتاحة خدمة الإنترنت لروادها منذ عام (١٤١٧هـ- ١٩٩٧م)، فكانت سباقة في هذا المجال وخدمت فئات واسعة من أفراد المجتمع المحلي.

ومنذ إنشاء هذه المؤسسة، وهي تمارس العديد من الفعاليات الثقافية، سواء في مجال النشر أو الأنشطة المنبرية أو الأسابيع الثقافية.

وقد عُرفت المؤسسة بالتميز النوعي في أنشطتها الثقافية، حيث شهدت قاعة المحاضرات في المؤسسة العديد من المحاضرات والندوات والأمسيات التي أحدثت صدى واسعاً على مستوى المملكة، شارك فيها نخبة من ألمع مثقفي المملكة ومثقفاتها، بالإضافة إلى بعض مفكري العالم العربي.

وقد كان للمؤسسة ريادة مشهودة في تسليط الضوء على بعض القضايا الساخنة على الساحة الثقافية السعودية والعربية، وتناقلت الصحافة الأدبية نشاطاتها، وعرضت في ملحقاتها الثقافية ما كان يجري في منتديات المؤسسة من نقاش بين رموز التيارات الثقافية المتباينة في المملكة.

ويعتبر أسبوع الجوف الثقافي من الأنشطة الثقافية المميزة التي ظلت المؤسسة تقيمها على مدى مواسم عديدة، ويتكون هذا الأسبوع من عددٍ من الفعاليات مثل الندوات والمحاضرات والفنون الشعبية وغيرها، ويتم خلال ذلك دعوة ضيوف من خارج المنطقة للحضور والمشاركة، بالإضافة إلى أهالي المنطقة والمقيمين فيها من جميع الجنسيات.

وفي مجال النشر، كان للمؤسسة تأثيرٌ مباشر وكبير على الساحة الثقافية، وأحدثت أنشطة النشر نقلة نوعية في الحياة الثقافية بمنطقة الجوف، حيث قامت بنشر بعض الكتب والدراسات عن المنطقة، وفي مقدمتها الكتاب المرجعي المهم "الجوف: وادي النفاخ" لعبدالرحمن السديري، الذي صدر منه، حتى الآن، طبعتان باللغة العربية وطبعة باللغة الإنجليزية، وقد استمرت المؤسسة في إصدار المطبوعات وتبلور هذا التوجه بإنشاء هيئة تشرف على برنامج متكامل للنشر مكون من جزئين: الأول يركز على نشر الدراسات والإبداعات الأدبية، وتتمثل مجالاته في الدراسات التي تتناول منطقة الجوف وكذلك الإبداعات الأدبية والدراسات المقدمة من أبناء وبنات الجوف، وتتولى المؤسسة دفع جميع تكاليف الطباعة والتوزيع، فضلاً عن مكافأة مالية مناسبة لصاحب العمل.

أما الجزء الثاني، فيركز على دعم البحوث والرسائل العلمية المتعلقة بمنطقة

الجوف، ويشمل البحوث الأكاديمية والرسائل العلمية المقدمة إلى الجامعات والمراكز البحثية والعلمية، وكذلك البحوث الفردية وتلك المرتبطة بمؤسسات غير أكاديمية، ويخضع برنامج النشر للتحكيم، حيث يقوم متخصصون بتحكيم المادة المقدمة للنشر وإجازتها.

ورغم وجود هيئة للنشر مكونة من بعض أساتذة الجامعات من أبناء منطقة الجوف، إلا أن قبول تمويل أي مادة ونشرها يعتمد على ما يقرره المحكمون العلميون المتخصصون في الحقل الذي تدخل تلك المادة في إطاره وفق التقاليد العلمية المتعارف عليها في الأوساط الأكاديمية، بما في ذلك عدم معرفة المحكمين اسم صاحب العمل المعروض للتحكيم مما يضمن الحيادية العلمية وتحقيق المستوى المطلوب من الرصانة والجودة في الأعمال التي تنشرها المؤسسة.

لقد صدر عن المؤسسة حتى الآن عددٌ من الكتب في مجال الشعر والقصة والآثار والاقتصاد والعلوم والتاريخ والتدريب وأدب الأطفال، كما قدمت التمويل لإجراء بحوث ميدانية عن المنطقة لبعض أساتذة الجامعات، ويوجد لدى المؤسسة خطة طموحة للتوسع في النشر وفي دعم البحوث والرسائل العلمية، وفيما يلي نماذج مما صدر عنها:

١- الجوف: وادي النفاخ، عبدالرحمن السديري (الطبعة الأولى)، ١٤٨٣هـ (١٩٨٤م).

٢- القصائد (ديوان شعر)، عبدالرحمن السديري، ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م).

٣- (The Desert Frontier of Arabia: AL-Jawf Through the Ages) كتاب وادي النفاخ بالإنجليزية، ١٤٠٥هـ (١٩٩٥م).

٤- ملاحق كتاب الصحراء العربية، ألويس موسيل (مترجم عن الإنجليزية)، ١٤١٨هـ (١٩٩٧م).

٥- حي الدرع بدومة الجندل: دراسة معمارية أثرية، حصة الشمري، ط ١ ١٤١٨هـ (١٩٩٧م)، وصدرت الطبعة الثانية عام ١٤٢٥هـ (٢٠٠٤م).

٦- رائحة الطفولة (مجموعة قصص قصيرة)، عبدالرحمن الدرعان، ١٤٢١هـ (٢٠٠٠م).

٧- نقوش قارا الثمودية بمنطقة الجوف بالمملكة العربية السعودية، د. سليمان ابن عبدالرحمن الذييب، ١٤٢١هـ (٢٠٠٠م).

٨- بحوث في آثار منطقة الجوف، د. خليل بن إبراهيم المعيقل، ١٤٢٢هـ (٢٠٠١م)..

٩- التنظيمات العسكرية النبطية، صالح بن إبراهيم الدغيم، ١٤٢٣هـ (٢٠٠٢م)..

١٠- نقوش صفوية من شمالي المملكة العربية السعودية، د. سليمان بن عبدالرحمن الذييب، ١٤٢٤هـ (٢٠٠٣م)..

١١- ريم والصياد (قصة للأطفال)، د. أسد محمد، ١٤٢٤هـ (٢٠٠٣م)..

١٢- مفاجأة ماجد (قصة للأطفال)، محمد صوانة، ١٤٢٥هـ (٢٠٠٤م)..

١٣- حي الدرع بدومة الجندل: دراسة معمارية أثرية (طبعة ثانية)، د.حصة الشمري، ١٤٢٥هـ (٢٠٠٤م)..

١٤- أنواع العقارب والثعابين السامة بمنطقة الجوف، د. محمد بن خالد السعدون، ١٤٢٥هـ (٢٠٠٤م)..

١٥- اقتصاديات منطقة الجوف: نموذج جديد للتنمية المحلية، د.محمد عبدالعال صالح، ١٤٢٦هـ (٢٠٠٥م)..

١٦- الجوف وادي النفاخ (طبعة ثانية مزيدة ومنقّحة)، عبدالرحمن السديري، ١٤٢٦هـ (٢٠٠٥م)..

١٧- تقويم أداء مديري مراكز التدريب المهني في المملكة العربية السعودية، دخيل الله بن تركي الشمدين، ١٤٢٦هـ (٢٠٠٥م).

١٨- دومة الجندل من عصر ما قبل الإسلام إلى نهاية العصر الأموي، عبيد عابد الجابري، ١٤٢٦هـ (٢٠٠٥م).

١٩- ظهور الخطوط الحديدية وآثارها في المشرق العربي في القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، نوف رزق الروضان، ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦م).

٢٠- تخطيط المدينة المنورة في العهد النبوي والخلافة الراشدة: دراسة حضارية في ضوء المصادر التاريخية، د. حصة الشمري، ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦م).

٢١- الاشعاع الذري ودراسة غاز الرادون بمساكن منطقة الجوف، أ. د. محمد بن إبراهيم الجارالله، ١٤٢٨هـ (٢٠٠٧م).

أما البحوث الميدانية التي تم تمويلها ضمن برنامج دعم البحوث والرسائل العلمية فتتضمن على سبيل المثال:

-١ دراسة بيئية وسمية وإكلينيكية لأنواع العقارب والثعابين السامة في منطقة الجوف، بإشراف الدكتور محمد بن خالد السعدون، جامعة الملك سعود، ١٤٢٣-١٤٢٥ هـ (٢٠٠٢-٢٠٠٤م).

-٢ دراسة تركيز غاز الرادون في المساكن بمنطقة الجوف، الدكتور محمد ابن ابراهيم الجارالله، جامعة الملك فهد للبترول والمعادن ١٤٢٢-١٤٢٣هـ (٢٠٠٢-٢٠٠٣م).

-٣ دراسة التنوع الأحيائي (الحيواني) في منطقة الجوف، الدكتور محمد بن خالد السعدون، جامعة الملك سعود، -١٤٢٥ ١٤٢٨هـ (٢٠٠٤-٢٠٠٧م).

-٤ «دراسة أعراض القلق والاكتئاب والضغوط والعلاقات الشخصية والخوف من التقييم لدى عيّنات من المراهقين من سكان الهجر البدوية وسكان المدن الصغرى وسكان المدن الكبرى في المملكة العربية السعودية»، الدكتور فلاح بن محروت العنزي، ١٤٢٧-١٤٢٨هـ (٢٠٠٦-٢٠٠٧م).

ولم تتوقف جهود المؤسسة على نشر الكتب، وإنما أضافت إلى ذلك، أيضاً، نشر المطبوعات الدورية، فقد أصدرت المؤسسة في عام ١٤١١هـ - ١٩٩١م دورية ثقافية باسم "الجوبة" صدر منها نحو (٢٠) عدداً، تحتوي على مقالات متنوعة في شتى الحقول، بالإضافة إلى نشر المحاضرات والندوات التي تقيمها المؤسسة، وفور صدور "الجوبة" أصبحت ملتقى لأقلام العديد من الكتاب من داخل المنطقة وخارجها، حيث استقطبت بعض الأقلام البارزة في مختلف الحقول والتخصصات، وقد استأنفت هذه الدورية الصدور مؤخراً بعد أن كانت قد توقفت للمراجعة والتطوير.

وفي عام ١٤٢٠هـ (يناير ٢٠٠٠م)، أصدرت المؤسسة مجلة آثار باسم "أدوماتو" (الاسم القديم لدومة الجندل) وهي مجلة نصف سنوية مُحَكمة تعنى بآثار الوطن العربي، يرأس تحريرها عالم الآثار السعودي الدكتور عبدالرحمن الطيب الأنصاري، وتضم هيئة استشارية من نحو عشرين عضواً من مختلف الجامعات العربية والأجنبية، وتحتوي على قسم للمقالات المكتوبة باللغة العربية وآخر باللغة

الإنجليزية، وقد استطاعت أن تحقق شهرة واسعة في مجال الآثار داخل المملكة وخارجها رغم حداثة سنها.

وبالإضافة إلى إسهام المجلة في مجال البحوث والدراسات والمقالات المحكمة في مجال الآثار، أقامت ندوة علمية عالمية في الجوف تحت عنوان "المدينة في الوطن العربي في ضوء الاكتشافات الآثارية: النشأة والتطور" وذلك في شهر ذي القعدة ١٤٢٦هـ الموافق ديسمبر ٢٠٠٥م شارك فيها جمعٌ من العلماء البارزين في مجال الآثار في الجامعات العربية والأوروبية واليابانية.

وعندما يتأمل المرء فكرة هذه المؤسسة لا يملك ألا أن يتوقف عند بعض جوانب التفرد التي ميَّزتها، وفي مقدمتها الجوانب الثلاثة الآتية:

١. توظيف فكرة "الوقف" في تدبير الموارد المالية المستديمة للإنفاق على المؤسسة، وهي فكرة معروفة في تاريخنا الإسلامي لكنها غير مطبقة على نطاق واسع في المؤسسات الخيرية والثقافية إلا في السنوات الأخيرة، وقد كانت المؤسسة سباقة في هذا المجال عندما أنشأت بعض المرافق التي تدر دخلاً منتظماً يتم الإنفاق منه على أنشطة المؤسسة.
٢. اختيار الجانب الثقافي كمجال رئيس لعمل المؤسسة بدلاً من الأنماط الخيرية السائدة، التي غالباً ما تركز على أعمال الإحسان المباشرة التي تصب في الجانب الاستهلاكي من حياة الإنسان وهو، رغم أهميته، مجال مطروق تُعنى به مؤسسات خيرية كثيرة.
٣. الاهتمام بالمرأة وإتاحة الفرصة لها لممارسة الأنشطة الثقافية، سواء من خلال الندوات والمحاضرات أو من خلال المكتبة النسائية التي وفرت لها المؤسسة الكتب والصحف والأوعية الثقافية المختلفة، وكذلك من خلال استضافة الأسماء الثقافية النسائية البارزة من داخل منطقة الجوف وخارجها.

إن ما أوجدته المؤسسة من تنمية ثقافية في منطقة الجوف، لا يقاس فحسب بعدد الكتب التي تضمها رفوف دار الجوف للعلوم، ولا بعدد الكتب والدوريات التي أصدرتها، أو عدد الندوات والأمسيات والمهرجانات الثقافية التي نظمتها، وإنما أيضاً بما يمكن تسميته "البيئة الثقافية" التي تكوَّنت بفضل الجهود الكثيرة والمختلفة التي تقوم بها المؤسسة، وهو أثر تراكمي يتشكل عبر الأجيال العديدة المتلاحقة التي استفادت من جهود المؤسسة، ثم أثَّرت في بيئتها المحلية بشكل مباشر وغير مباشر.

وعلى سبيل المثال، فإن استضافة رموز الثقافة والأدب والعلوم من السعوديين وغير السعوديين ودعوتهم إلى المنطقة، كانت دائماً تمثل فرصة عظيمة لأهالي المنطقة من محبي الثقافة والأدب والعلوم لصنع صداقات وعلاقات مستديمة مع هذه الرموز، وفي مناسبات كثيرة كانت هذه اللقاءات وسيلة لاستكتاب أبناء المنطقة وبناتها في مطبوعات تصدر خارج المنطقة يحررها بعض الذين قامت المؤسسة باستضافتهم، كما تمثلت "البيئة الثقافية" التي تشكلت على هامش أنشطة المؤسسة في علاقات تكونت بين مثقفي المنطقة أنفسهم حيث أصبحت دار الجوف للعلوم حلقة الوصل التي تربط الكثيرين منهم ببعضهم البعض من خلال اللقاءات التي تتم في رحابها وما يجري من نقاشات في قضايا الثقافة والفكر وتبادل الكتب والمطبوعات والأعمال الأدبية والعلمية.

ولاشك أن هذه الغاية هي ما كان مؤسسها يسعى إلى تحقيقها عندما أنشأ المؤسسة الخيرية، وجعل دار الجوف للعلوم حجر الزاوية فيها، بهذا يمكن القول، إن الأهداف التي سعت المؤسسة إلى تحقيقها، من خلال نظامها الذي حدد تلك الأهداف، قد تحققت إلى حد كبير وأعطت ثمارها المباركة في مجال التنمية الثقافية في منطقة الجوف، بل إن دائرة التأثير الإيجابي تجاوزت حدود المنطقة لتشمل الساحة الثقافية السعودية بمجملها.



نواة دار الجوف للعلوم في بداياتها.

الفصل الثالث عشر

التنمية التعليمية

د. عارف مفضي المسعر*

كان من يمن الطالع أن يتزامن وصول عبدالرحمن بن أحمد السديري إلى منطقة الجوف مع افتتاح أول مدرسة حكومية بمدينة سكاكا عام ١٣٦٢هـ بخمسين طالباً (بنين)، وأصبح التعليم بمنطقة الجوف على رأس اهتمامات أميرها الجديد، حتى انتشرت المدارس انتشاراً أفقياً جيداً جرت فيه تغطية المدينة والقرية والهجرة، فمع تزايد الحاجة للمدارس وفقاً لمتطلبات التوسع السكاني والنمو، سابقتها طموحاته وتطلعاته، وترسخت قناعته بضرورة السعي المستمر نحو الظفر بالمزيد من افتتاح المدارس، بوصفها مناهل للعلم والمعرفة.

لقد تنبه إلى أهمية تنمية منطقة الجوف وتطويرها منذ النظرة الأولى، وأدرك أن تلك الأهمية يجب أن تقوم على دراسة موضوعية وميدانية، منبهاً إلى كسب عامل الزمن في هذا المجال، وضرورة المبادرة إلى توجيه الشباب للتخصصات العلمية، محذراً من طغيان العلوم النظرية على التوجهات الدراسية عند الشباب، في حال عدم توافر المدارس المتخصصة مهنياً، إنه يؤكد على الاهتمام بالعلم المهني لا فيما يخص منطقة الجوف فحسب، بل فيما يتعلق بالمصلحة العامة لعموم المملكة، وفقاً لما ورد بخطابه الموجه إلى وزير المعارف رقم ٣٤٧١ في ١٣٨٤/١١/٢٩هـ، مؤكداً الحاجة لهذا التوجه ومحدداً عناصر الخطاب بخط يده، مبيناً أن حاجة المملكة لذلك أكثر من ضرورية، بحيث يتوجب التوجه إلى تأهيل الشباب تأهيلاً علمياً تاماً ليقوم بدوره الفعال تجاه متطلبات البناء، وليسابق الزمن، معتمداً في هذه الرؤية على الله أولاً ثم على ما يراه شخصياً من أن ظروف المملكة - إذ ذاك - مناسبة، كما يقول، وقابلة للتطوير المستمر السريع، وهو في

---

* من أبناء منطقة الجوف، عمل مديراً عاماً للتعليم فيها، وأميناً عاماً لمجلس المنطقة، أنشأ دار معارف العصر للنشر والتوزيع في سكاكا، له إسهامات ثقافية واجتماعية عديدة، ويحمل الدكتوراه في اللغة العربية.

الوقت نفسه يشير إلى إمكانية أن تقوم وزارة المعارف بالسعي نحو تشكيل لجان لدراسة هذا الأمر.

يؤكد السديري، باعتباره رئيس لجنة تحسين أحوال المنطقة الشمالية وأمير منطقة الجوف، على ضرورة تهيئة الظروف للتأهيل المهني، بافتتاح المدرستين الصناعية والزراعية في مدينة سكاكا بعد أن تم إنشاء مبانيهما بناءً على توصية وتوجيه لجنة ملكية، وهنا نراه وقد نادى قبل اثنين وأربعين عاماً بالعمل على التأهيل المهني الذي شعرنا اليوم (١٤٢٨هـ) بالحاجة القصوى إليه، مسطراً العناصر الرئيسة لهذا المفهوم، حين فرّق بين الدراسات النظرية والعلمية مبيناً مدى ضرورة التعليم المهني لمتطلبات تنمية المنطقة، ومؤكداً على خصوصيتها ومستقبلها الزراعي والصناعي.

وهنا قد يتساءل المرء، بما أن المبنيين الخاصين بالمدرستين الصناعية والزراعية قد أنشئتا بمدينة سكاكا بمنطقة الجوف ولم يفتتحا بعد، كيف آل أمرهما من حيث المبنى والافتتاح؟ هنا نجد الجواب متمثلاً بخطاب وزير المعارف رقم ٦٧٧٥/٨/٢/٣٠ت وتاريخ ١٣٨٤/١١/٢٢هـ، ونصه كالتالي:

صاحب السعادة أمير منطقة الجوف المحترم

بعد التحية:

بالإشارة إلى طلبكم فتح المدرستين الزراعية والصناعية اللتين أقيمت بناياتاهما في منطقة الجوف، ونفيدكم بأنه بعد دراسة الموضوع من جميع نواحيه رأينا ما يلي:

١- يوجد بالمملكة خمس مدارس زراعية وهذه المدارس كافية في الوقت الحاضر لحاجة البلاد ويستطيع طلبة الجوف الذين يريدون الدراسة في مدرسة زراعية الالتحاق في أي مدرسة يشاؤون من هذه المدارس حيث يعتبرون مغتربين وتصرف لهم مكافآت اغتراب.

٢- الوزارة بصدد دراسة متكاملة للتعليم الزراعي ككل، وقد شكلت لجنة لهذا الغرض لرسم سياسة ثابتة، وعلى ضوء مقررات هذه اللجنة سيسير هذا التعليم مستقبلاً.

٣- أما بالنسبة لفتح المدرسة الصناعية في الجوف، فإن الوزارة تقوم الآن بدراسة إمكانية افتتاح إحدى المدرستين اللتين تم بناؤهما في الشمال تبوك - أو الجوف في العام الدراسي القادم بإذن الله، فلإحاطتكم بذلك.

وتقبلوا تحياتي،،

وزير المعارف

حسن بن عبدالله آل الشيخ

وخلاصة أمر مبنيي المدرستين الصناعية والزراعية بسكاكا أن مبنى المدرسة الزراعية أشغل حتى الآن (١٤٢٨هـ) بمتوسطة ابن القيم بسكاكا، كما أشغل مبنى المدرسة الصناعية حتى الآن (١٤٢٨هـ) بمتوسطة صلاح الدين المتوسطة.

- لقد بادر معاليه إلى الطلب من وزارة المعارف افتتاح مدرسة ثانوية بالجوف إدراكاً لافتقار المنطقة لها، ونراه هنا يحشد المبررات والحيثيات وحجم التطلعات، الحجة بالحجة، لتحقيق مطلبه، وذلك في خطابه رقم ١/٣٤٣٧ في ١٣٨٤/١١/٢٧هـ، إذ يقول مخاطباً وزير المعارف:

(لقد سبق أن تكرر الطلب إلى معاليكم وإلى المسؤولين في وزارتكم الجليلة حول افتتاح مدرسة ثانوية بالجوف، ومنذ عام ١٣٧٩هـ، إلى الآن ووزارة المعارف تكرر وعدها لنا في كل عام بتحقيق طلبنا في العام الذي يليه، ففي عام ١٣٨١هـ وعد سعادة وكيل وزارة المعارف بخطابه رقم ٢/٨٨٣/٨/٢/٣٠ في ١٣٨١/٦/٢٨هـ بافتتاح الثانوية بالجوف عام ٨٢، وفي عام ٨٢ تلقيت عدة مكاتبات حول اهتمام الوزارة بموضوع الطلب، كان من بينها خطاب معاليكم رقم ٢/٣/١/١٧٦٦ في ١٣٨٢/٤/٥هـ المرفق صورته، والذي جاء كبشرى للجميع هنا بقرب تحقيق ما يتطلع إليه كل مواطن وكل طالب في منطقة الجوف، ونحن لا نشك بمدى اهتمامكم نحو كل ما يرفع من مستوى التعليم في البلاد، ومع ذلك من الأهمية والأثر العظيم ما يجعلني ألح وأكرر الطلب لأننا نعيش في محيط المشاكل التي يلاقيها أبناء منطقة الجوف من عدم وجود ثانوية بسكاكا).

وهو بخطابه هذا يسوق مبررات عدة لهذا الطلب بتأكيده على وجود ثمان

وثلاثين مدرسة تحت إشراف مكتب التعليم بالجوف إذ ذاك، ولوسطية الموقع الجغرافي لمدينة سكاكا بين مدن المنطقة وقراها، يرى أن تفتح المدرسة الثانوية في مدينة سكاكا، ولا يُخفي قناعته بأن تأخر افتتاح المدرسة الثانوية سيلحق بشباب المنطقة أضراراً تجعلهم يحملون عوائق التخلف، ويصبحون عامل ضعف وهدم في كيان المجتمع، حينما يحرمون من تعليمهم الثانوي.

ولم يفت عليه أن ينوّه بخطابه هذا، الموجه لوزير المعارف، أن ينقل قناعته بأضرار اغتراب الطلبة عن أهلهم وذويهم مما يجعلهم تحت وطأة الوقوع في خضم المشاكل الأخلاقية والمادية والاجتماعية التي ترافقهم عند اغترابهم.

ويظهر لنا جلياً اجتهاده البالغ، بل وإلحاحه الشديد على إحداث مدرسة ثانوية بسكاكا، حين يخاطب الوزير قائلاً:

«**نلتمس العذر للوزارة لظروفها الحرجة عام ١٣٨٢هـ، والآن وقد استطاعت الوزارة التغلب على تلك الظروف نتوجّه إلى معاليكم، وكلي ثقة وأمل أن تُعيروا هذا الموضوع عنايتكم، لما له من أهمية بالغة بالنسبة لمستقبل الجيل الصاعد في هذا الجزء من المملكة، وإننى إذ أشفع بخطابي هذا صوراً من المكاتبات حول ذلك، لعل وزارة المعارف، برئاسة معاليكم، تفي بما وعدت به في السنوات الماضية**».

ولإصراره على حتمية وجود مدرسة ثانوية بالجوف نراه يقدم حلولاً مقترحة من شأنها تحقيق هذا المطلب، بواسطة أي من البدائل، فهو يعرض في خطابه هذا:

١- إحداث مدرسة ثانوية.

٢- أو نقل ثانوية من بعض الجهات أو المدن التي قد تكون منطقة الجوف أحوج منها، وكأنه يوحي بمطالبة الوزارة بمراعاة العدالة في هذا الأمر.

٣- أو تحويل معهد المعلمين الابتدائي بالجوف، المتقرر إلغاؤه - وفق ما أُعلن في الصحف آنذاك - إلى مدرسة ثانوية، يشجع على ذلك وجود كامل إمكاناته وأدواته العلمية والفنية، الأمر الذي يسهل تحويله إلى ثانوية.

ويختتم خطابه هذا، معرباً عما في نفسه بعبارة تحمل خلاصة الطلب وتأكيده،

وكل معاني التفاؤل، بقوله: «**وأنا أطمع في أنه لن يمضي عام ١٣٨٤هـ إلا وقد تحقق مطلبنا الذي تمليه مصلحة أبنائكم في هذه المنطقة**».

أما طموحه نحو تعميم فرص التعليم بالمنطقة على جميع مستوياته، فقد بدت من خلال مبادراته المتكررة بعرض تلك الاحتياجات مستجيباً لطموحات أهالي المنطقة في المدينة والقرية والهجرة، فقبل حوالي ثلاثين عاماً نجد بين وثائق أرشيف المكتب الخاص، أنه طالب بالتعليم الجامعي، وشكلت لجنة من المقام السامي لدراسة وضع المنطقة، وأوصت اللجنة - إذ ذاك - بإنشاء إحدى ثلاث كليات هي: كلية تربية، او كلية زراعة، أو كلية آداب، وعندما شرعت وزارة المعارف بإنشاء الكليات المتوسطة للمعلمين، أوصت اللجنة العليا لسياسة التعليم بعد اجتماع معاليه بها بإحداث كلية متوسطة في الجوف، وتم ذلك بإنشائها عام ١٤٠١-١٤٠٢هـ، إذ عدت وكأنها تلبية لأحد وجوه تلك المطالب.

واستمرت محاولاته، بل وملاحقاته نحو تأمين احتياجات منطقة الجوف من التعليم بقطاعيه للبنين والبنات، إذ يوفر لنا أرشيف إمارة منطقة الجوف سجلاً حافلاً بالمبادرات والمطالبات المتكررة من قبل معاليه موجهة إلى المسؤولين عن قطاع التعليم على أرضية من الحيثيات التي من شأنها كسب قناعة المسؤول وشده إلى تقدير واقع الحال، وبالتالي الاستجابة للمطلب.

ولا يفتأ أن ينقل آراءه وأفكاره، بل وقناعته المطلقة تجاه طبيعة العمل أو أسلوب التعامل الذي يعتقد أنه يخدم العملية التعليمية والتربوية، بحكم مسؤوليته كرئيس للجنة تحسين أحوال المنطقة الشمالية وأمير منطقة الجوف، فها هو يخاطب مدير التعليم بالمنطقة الشرقية وهي التي كانت منطقة الجوف إذ ذاك تتبع لها تعليمياً، ويقترح تبنّي فكرة إنشاء مجمعات مدرسية لمدارس القرى والهجر المنتشرة في المنطقة، ولا توجد فيها كثافة طلابية تبرر إحداث مدراس لأعداد ضئيلة جداً من الطلبة في تلك القرى والهجر، ويخشى أن تتلاشى كما حصل لعدد من الهجر، كما نجده في الوقت نفسه يدعم هذا الاقتراح بلفت النظر إلى الفوائد المحسوسة والمرجوة من تحفيز هذا التوجّه، ومن ذلك:

١- عدم الطمأنينة إلى الاستقرار السكني لأهل الهجر وقابلية بعضهم للتنقل.

٢- كثرة التكاليف المادية بانتشار الأعداد الكبيرة من هجر البادية.
٣- ضعف فاعلية المدرسة قليلة العدد طلابياً لافتقارها لعوامل النماء.
٤- زيادة عدد فرص التسرب الطلابي من مدارس الهجر والمدارس القروية الابتدائية، لانعزالها الشديد عن المدارس في المراحل المتوسطة والثانوية في المدن.
٥- أن من شأن التوسع في افتتاح المدارس في كل هجرة أن يكون مدعاة لتنافس البادية على تعدد الهجر المحدثة، وفي ذلك ما فيه من العوامل السلبية والتبعات التي لا تحصر.

وإذا كان قد قدّم هذا الاقتراح قبل خمسة وأربعين عاماً من تاريخ إعداد هذا الكتاب، فإننا نرى اليوم أن وزارة التربية والتعليم في المملكة وبعض البلدان الأخرى تأخذ هذا المنحى وهي تنشىء مباني للمجمعات المدرسية حتى في المدن.

وبخطابه رقم ٣/١٦٣ وتاريخ ١٣٨٤/٨/١١هـ الموجّه لصاحب السمو الملكي وزير الداخلية، نرى الأمير يستثمر ما بلغه من معلومات من أن هناك لجنة مكونة من سمو وزير الداخلية وبعض الوزراء لدراسة ما يتعلق بتنمية الملحقات (المحافظات) بما في ذلك الشمال، ونراه يتحين مثل هذه الفرص لعرض حاجة المنطقة إلى التنمية من خلال مشاريع إنمائية أوصت بها لجنة وزارية أنشئت لهذا الغرض، وقدمت تقريرها عام ١٣٨٢هـ، وتبين لنا أنه أعاد رفع ذلك التقرير بخطابه هذا إلى سمو وزير الداخلية، مضمناً إياه ما يخص منطقة الجوف والقريات، بعد شطب ما تم تنفيذه، ومن ذلك طلب بناء عدة مدارس ابتدائية ومتوسطة ومدرسة صناعية وأخرى زراعية بسكاكا، وإنشاء ملعب رياضي في سكاكا وتقديم وجبة غذائية للطلاب من التمر والحليب.

وقد أفرد لمدينة دومة الجندل خطابه لسمو وزير الداخلية رقم (١٤٦٣) وتاريخ ١٣٨٤/٥/٢٧هـ، حين وصف مدى تأخرها واحتياجها للإنماء والتطوير لكل وجوه الحياة فيها، ومن ذلك حاجتها من المدارس، مؤكداً بكامل الوضوح والموضوعية افتقار المدينة إلى "الإصلاحات والمشروعات".

واختتم خطابه هذا، المتعلق بضرورة تطوير دومة الجندل، بقوله: «... **وبناء على ما تقدم، فإني باسم مدينة دومة الجندل وسكانها أناشد همة سموكم العالية بأن تعيروا سموكم هذه المدينة لفتة كريمة، وأن تولوها ما تستحقه من عناية ورعاية، وما من شك في أن ما عرفه المواطنون عن سموكم من سهر على راحتهم وعمل دائب في سبيل رفع مستواهم ليدعونا إلى التفاؤل، بتحقيق ما هو ضروري، وإنا لمنتظرون ما سيأمر به سموكم، رعاكم الله وأخذ بناصيتكم إلى ما فيه رفعة البلاد ومجدها**».

لقد درج، رحمه الله، على إتيان الأمور من أبوابها، من خلال حرصه واهتمامه بكل جزئية من منطقته، فمنذ عام ١٣٩٣هـ أخذ بمبدأ استئذان وزارة الداخلية لتشكيل لجنة برئاسته مكونة من جميع رؤساء الدوائر الحكومية، لتفقد أوضاع بلدان وادي السرحان وهجَره، من حيث احتياجاتها للرعاية وتطوير كافة مرافقها، وبخاصة أن سكان وادي السرحان حديثو عهد بالاستقرار بعد حياة الرعي والتنقل، وذلك عن طريق الزيارة الميدانية لتقديم تقارير موضوعية ودقيقة عن كامل احتياجاتها، ليرفع التقرير فيما بعد لوزارة الداخلية التي بدروها تقوم بتبليغ تلك التقارير للوزارات مع التوجيه بالتنسيق كل فيما يخصه، ومن ذلك، وعلى رأس أولوياته، ما يتعلق بالتعليم العام بكل مراحله.

وهكذا يتكرر الأمر لعمل هذه اللجنة لعدة سنوات حتى تحققت للمواطنين في وادي السرحان العديد من المصالح والمرافق العامة، وفي مقدمتها مدارس البنين والبنات، وهو بهذا الأسلوب يؤكد دعائم الطلب، ويمنحه وجاهة ومشروعية أكثر، وبالتالي تأهيل تلك الطلبات لأن تحظى بموافقة وزارة الداخلية لتأخذ التوجيه اللازم للتنفيذ.

وبإجمال.. فإن ما يحمد للأمير ما ينطوي عليه سجله المليء بالمواقف الإيجابية والطموحة لتذليل أية عقبة في سبيل التحصيل التعليمي على مستوى الفرد والمجتمع، ومشاركاته التشجيعية الدائمة لقطاع التعليم بحضور المناسبات التعليمية والتربوية، ومقابلته الشخصية مباشرة، أو تفاهمه مع المسؤول في وزارة المعارف بنفسه، مع الوزير او من في حكمه، كما بينته لنا صور المكاتبات الدائرة

بخصوص التعليم في منطقة الجوف، وما عرض عليه إشكال متعلق بالتعليم لفرد أو جماعة إلا وسعى إلى حله.

ويلف مشاعرنا الآن مزيد من الاغتباط ونحن ندرك المستوى التعليمي والتربوي الذي يسود منطقة الجوف في مضمار التربية والتعليم أفقياً ورأسياً، مما تحقق في عهده، رحمه الله، وفي عهود الأمراء الكرام الذين توالوا على المنطقة من بعده.

لكن الصورة لا تكتمل عن الحركة التعليمية في المنطقة دون الحديث عن تعليم المرأة، وهنا أستشهد بما كتبته لطيفة بنت عبدالرحمن السديري، وهي الشاهدة المعاصرة لبدايات دخول التعليم الرسمي والدور الذي قام به والدها في سبيل توفير التعليم لأسرته ولبنات المنطقة، حيث تقول:

«لا يذكر تاريخ التعليم في الجوف إلّا باستحضار المواقف الدافعة بقوة لإقرار تعليم المرأة في هذه المنطقة العزيزة من جسد الوطن الغالي.

ففي عام ١٣٨١هـ (١٩٦٠م)، بدأت مدارس تعليم البنات تأخذ مكانها على خارطة المدن السعودية، وكان افتتاح مدرسة لتعليم البنات في سكاكا عام ١٣٨٢هـ حلماً منتظراً وهدفاً ملحّاً سعى إلى تحقيقه.

كانت هذه المنطقة تتبع - تعليمياً - للمنطقة الشرقية، وقد استُقطعت مدرسة واحدة من حصة المنطقة الشرقية كي يُبدأ بها في الجوف، وأُعد المكان وأُعلن عن بدء التسجيل بمتابعة من مدير التعليم بالدمام، الذي ساءه انخفاض قائمة المسجلات من الطالبات إلى نحو (٧) فقط.

حينها حضر إلى هنا، ليطلع والدي على الأمر، وليقترح عليه نقل المدرسة إلى منطقة أخرى، فما كان منه إلا استمهال اتخاذ القرار وطلب من ابنتيه (حصة ولطيفة) أن يكنّ القدوة لبنات الجوف في العمل بالمدرسة والقيام بعملية التسجيل، فكان شيوع الخبر مبعثاً للثقة في نفوس الأمهات والأسر، وحافزاً لها لإدخال بناتهن.

وبهذا بدأت المدرسة بـ (٥٧) طالبة، واستمر الوالد يتابع وضع المدرسة،

ويحث الأهالي على تشجيع البداية، مما جعل الرئاسة في العام التالي توافق على فتح مدرسة أخرى في دومة الجندل، ولم تكد المدارس التي تم افتتاحها بالتوالي تصل إلى تخريج طالباتها من السنة السادسة الابتدائية حتى تم افتتاح معهد لإعداد المعلمات، وازدادت المدارس حتى دخلت كل هجرة وقرية، ثم طالب مجدداً لافتتاح كلية متوسطة للبنات وحث ابنته مشاعل التي كانت قد حصلت على الماجستير من أمريكا، على الإشراف على الكلية.

جدير بالذكر، أنه حينما تقاعد في عام ١٤١٠هـ، كان عدد طالبات منطقة الجوف يتجاوز الخمسة عشر ألفاً، في (٧٥) مدرسة، ولا يفوتني أن أشير في هذا الصدد إلى أن نمو التعليم في المنطقة جعله يفكر في تأسيس دار الجوف للعلوم، التي خص المرأة بنصيب يماثل ما للرجل فيها من حيث أوعية المعلومات وقاعات القراءة ونظام الإعارة والنشاط الثقافي وعقد الندوات والمحاضرات، وتخصيص موسم ثقافي لها ضمن نشاطها السنوي.

فكان افتتاح القسم النسائي من دار الجوف للعلوم نقلة نوعية في نمو التشكيل الثقافي للمرأة في الجوف، وفرصة لتطوير معارفها وتنمية خبراتها واكتشاف طاقاتها الإبداعية وفتح المجالات المناسبة لها للعمل».

المملكة العربية السعودية
إمارة

الرقم ١٢٩٠ التاريخ ٥١

حضرة صاحب السمو الملكي وزير الزراعة الأمير سلطان بن عبدالعزيز

بعد التحية والسلام

سيدي أرفع لسموكم ما عرضوه بعض أفراد من الجماعة بطرفنا بخصوص مالديهم الزراعية الواقعة جلالة مولاي الملك المعظم وما صدر به الأمر الكريم تحت رقم ٢٧/٥/٢٠٠١ و تاريخ ٢٤/٥/١٣٧٦ وما أبداه مدير فرع الزراعة بالجوف.

ولما أن هذه المنطقة يا صاحب السمو منطقة كبيرة وواسعة ومياهها غزيرة جداً وأراضيها صالحة للزراعة من حيث المناخ والتربة

ولما هو معلوم لدى الجميع وما يلزم من تحسين الموارد الاقتصادية من جميع نواحيها بقدر الإمكان [illegible] عن المواني السعودية والتي يجعلها في حاجة إلى البلدان المجاورة وما يرخص لتوريد الخضار فإذا حصل لو حصل ما يوجب توقف ورود الخضار من البلدان المذكورة في الحالة الطارئة إنهم ... [illegible] سيكون الحكومة مضطرة بتوريد الخضار لهم من أماكن [illegible] ما يكلف الخزينة نفقات باهضة.

فنرجو من سموكم أن تولوها عنايتكم وتتفضلوا في إرسال بعثة زراعية من خبراء مهندس جيولوجي للاطلاع عليها ومعرفة [illegible] وبعدها تتفضلوا أيضاً إجراء ما يلزم على أساس صحيح تشجيعاً وإعانة [illegible] لأن هذه الموظفين [illegible] في ظل جلالة مولانا الملك المعظم [illegible] الوطنية [illegible]

مخلصكم

١٢/٦/١٣٧٧

[illegible]

وأرجو [illegible] عرضت مؤخراً إلى أنظار جلالة مولاي وقد أمر [illegible] في الأخذ بهذه الحالة [illegible]

[illegible]

الفصل الرابع عشر

التنمية البلدية والقروية

إبراهيم خليف السطام*

تتنوع الخدمات التي تقدمها البلديات والمجمعات القروية من تطوير التخطيط العمراني (للمدن والقرى القائمة)، وشق الشوارع وتعبيدها وإنارتها وصيانتها وتنظيفها، وتجميل المدن، وتوفير خدمات الترفيه، ومراقبة الأسواق، والمحافظة على صحة البيئة، ومواجهة الكوارث ومعالجة آثار السيول، وإنشاء الأحياء الجديدة في إطار النطاق العمراني للمدن، وتوفير الصيانة والنظافة، إلى غير ذلك من الخدمات العامة التي لا تدخل في اختصاص الأجهزة الحكومية المتخصصة الأخرى.

من هنا، صارت البلديات محط اهتمام السكان، ومحل حرص الحكومة على حد سواء في مختلف مناطق البلاد.

وفيما يتعلق بمنطقة الجوف، افتتحت - كما سلف - أول بلدية في مدينة سكاكا، وسميت (بلدية الجوف) عام ١٣٧٦هـ، كما افتتحت بلدية القريات في العام نفسه، وكانت القريات - كما هو معروف - إمارة قائمة بذاتها، ثم تلا ذلك إحداث بلدية في دومة الجندل عام ١٣٩٤هـ، ثم بلدية طبرجل عام ١٣٩٥هـ، ثم المجمع القروي بقارا عام ١٣٩٨هـ، وكانت البلديات تتبع وكالة وزارة الداخلية لشؤون البلديات حتى عام ١٣٩٥هـ، وهو تاريخ إحداث وزارة الشؤون البلدية والقروية في المملكة، وكانت بنود هذه البلديات متواضعة جداً في خدماتها، وموظفيها، ومشاريعها.

ومع أن الظروف والإمكانات في جميع مدن المملكة متقاربة، باستثناء بلديات

---

* من مواليد سكاكا عام ١٣٥٢هـ (١٩٣٣م)، عمل في تعليم الجوف حتى عام ١٣٩٣هـ، وحصل على البكالوريوس في الإدارة عام ١٣٩٨هـ، صار رئيساً لبلدية الجوف، ثم مديراً عاماً للشؤون البلدية والقروية بالشمال، وتولى إدارة مشروع كهرباء الجوف ثم أشرف على إدارة شركة الجوف الزراعية، له بحوث في التربية والإدارة.

المدن الكبرى، فإن جميع المواطنين في معظم مدن المملكة، وكذلك المواطنين في منطقة الجوف وإمارتها والإدارة المحلية غير راضين عن مستوى الخدمات في البلديات، حيث إن لهم طموحاً يفوق ما تحقق من مشاريع ومن خدمات، خلال أواخر القرن الرابع عشر للهجرة.

ومما لا شك فيه أن تدنّي مستوى الأداء الوظيفي إدارياً وفنياً، وضعف الإمكانيات، وقلة الاعتمادات المالية، وتعقيدات الروتين التي تحكم الإجراءات، تمثل جزءاً من المعوقات على طريق التنمية، وسبباً في انعدام الرضا الجماعي.

وقد جاء اهتمام أمير المنطقة بأوجه القصور في الخدمات والمشاريع في وقت مبكر، من خلال التقارير والمكاتبات والمقابلات، التي يكررها الأمير مع الوزراء والمسؤولين في العاصمة، ومن ذلك ما جاء بخطابه إلى وزير البلديات رقم (٤٦٤) وفي ١٤٠٥/٤/٤هـ، وهو واحد من عشرات التقارير والخطابات، التي تُرفع من إمارة المنطقة إلى الجهات المختصة، مما يؤكد حرص الإدارة المحلية على إزالة المعوقات ودفع عجلة التنمية العمرانية إلى الأمام.

يذكر في هذا المقام، أنه قبيل افتتاح البلدية وأثناءه، كان عبدالرحمن السديري يحث أهالي المنطقة على المسارعة إلى تسجيل ملكية ما يقع تحت تصرفهم من عقار، لعلمه أن الأوضاع والإجراءات سوف تكون أصعب عند ممارسة البلدية لمهامها، ولكن هذا التنبيه لم يكن ليأخذ طريقه إلى تصوّر كثير من الناس وأذهانهم، لظروف تحيط بنمط الحياة في ذلك الوقت ولأسباب متعددة من أبرزها عزوف الناس وعدم اهتمامهم بالأراضي السكنية والزراعية إلى ما بعد عام ١٤٠٠هـ، وذلك عند بدء النشاط الفعلي لصندوق التنمية العقاري وكذلك البنك الزراعي في المنطقة.

وفي تلك الفترة، أي بعد عام ١٤٠٠هـ، كان من أبرز نشاطات البلدية بصورة عامة ما يلي:

التخطيط العمراني: عندما أحدثت البلدية في مدينة سكاكا، كان الجهاز الفني يتكون من مساح واحد فقط، ودام ذلك حتى عام ١٣٩٠هـ، ومع انها ربطت فنياً

بمكتب تخطيط المدن بجدة، إلا أن هذا المكتب لم تكن لديه إمكانيات تساعده على تقديم خدمات تلبي احتياجات بلديات المنطقة.

وفي عام ١٣٩٢هـ، تعاقدت وكالة وزارة الداخلية لشؤون البلديات مع شركة (دكسيادس) العالمية القابضة المحدودة، لإعداد مخطط عمراني شامل لتطوير مدن المنطقة الشمالية، وإعداد مخططات رئيسية لخمس مدن هي: حائل، وسكاكا، ودومة الجندل، وعرعر، والقريات، وقدمت الشركة دراستها عام ١٣٩٤هـ، لكنها لم تقدم دراسات ومخططات، تتناسب مع طموحات المواطنين والمسؤولين في تلك المناطق وبخاصة، في مدينة سكاكا.

فقد لوحظ أنه عند إعداد المخطط العام لمدينة سكاكا، اعتمدت الشركة المذكورة فكرة توقف المدينة من الجهة الجنوبية (عند بداية أرض المطار القديم) ومن الشمال عند نهاية حي الضلع، ولم تراع الشركة حاجة مدينة سكاكا للتوسع في المستقبل، كما أوصت بأن تبقى الأحياء والمزارع القديمة في مدينة سكاكا على وضعها الراهن بدون تطوير أو تخطيط، على أن يغادر السكان أحياءهم إلى المخططات السكنية الجديدة، فاعترضت البلدية، بدعم من الأمير السديري، على هذا المخطط، وعندما عُرِضَ الأمر على وزارة البلديات أيّدت الاعتراض وكلفت المديرية العامة للشؤون البلدية والقروية بالشمال بإعداد المخطط العام للمدينة، وتم ذلك بالفعل وأعد المخطط العام وأعتمد عام ١٣٩٨هـ، ومن أبرز مزاياه أنه جعل التوسع في مدينة سكاكا متاحاً من الجنوب حتى نهاية الطوير، ثم إلى قارا ومن الشمال بقي المجال مفتوحاً قابلاً للتوسع.

في عام ١٣٩٦هـ، افتتح مكتب لتخطيط المدن والإدارة الهندسية بالمنطقة الشمالية مقره الجوف، ثم طوّر ليصبح مديرية عامة للشؤون البلدية والقروية بالمنطقة الشمالية، (لتشمل بلديات منطقتي تبوك والحدود الشمالية) وذلك في ١٣٩٨/١/٢هـ، وعندها باشرت المديرية مهامها وأعدت على مدى السنوات التالية واعتمدت وطورت مخططات رئيسية وتفصيلية لمدن المنطقة وقراها خلال فترات متلاحقة، ومن ذلك:

١- إعداد المخطط العام والنطاق العمراني لمدينة سكاكا وضواحيها عام

١٣٩٨هـ مع التطورات التي أدخلت عليه فيما بعد.

٢- تطوير المخطط العام لمدينة دومة الجندل عام ١٤٠٠هـ وما بعد ذلك.

٣- تطوير المخطط العام لمدينة القريات الذي اعتمد عام ١٣٩٤هـ وطور فيما بعد.

٤- إعداد المخطط العام لمدينة طبرجل، وما تبع ذلك من تطورات.

وذلك بالإضافة إلى ما تم إنجازه من أعمال التخطيط والتنظيم لبلديات وقرى منطقة تبوك، ومنطقة الحدود الشمالية، في أثناء ارتباط بلديات هذه المناطق بالمديرية العامة للشؤون البلدية والقروية بالشمال، والتي كان مقرها مدينة سكاكا.

وفي تلك الفترة كانت تعليمات وزارة البلديات إلى جميع البلديات، بأن لا تزيد مساحة القطع السكنية في المخططات العمرانية ومعظمها لذوي الدخل المحدود عن ٢٠ × ٢٠ متراً، مع قناعة مهندسي التخطيط والإدارة المحلية والأهالي بأن هذه المساحة لا تسمح بإنشاء سكن كافٍ ومريح للمواطن السعودي، لكن التقارير والطلبات بإعادة النظر بهذا التنظيم ذهبت أدراج الرياح.

وبعد اعتماد المخطط العام لمدينة سكاكا، خططت أحياء، ووزعت قطع سكنية في تلك المخططات، واكتمل تخطيط الأراضي الواقعة جنوبي سكاكا القديمة وحتى ضواحي الطوير.

وحتى عام ١٤٠٨هـ كانت إحصائية المخططات العمرانية في مدن المنطقة وقراها تشير إلى اعتماد (٧٥) مخططاً سكنياً في منطقة الجوف، و(٣٨١٣٤) قطعة سكنية لذوي الدخل المحدود، و(٦٤٠) قطعة في المخططات الصناعية، و(٥٠٠) قطعة إدارية داخل المخططات السكنية، و(٢٠٠) مرفق تعليمي، و(٤٠٠) مرفق ديني، و(٥٠٠) مرفق صحي وتجاري، و(٢٥٠)مرفق ترفيهي وحدائق عامة.

المشاريع الإنشائية: وفي عام ١٤٠٠/١٤٠١هـ، وبناء على طلب من أمير المنطقة إلى المقام السامي، أمر جلالة الملك خالد، رحمه الله، بتشكيل لجنة وزارية من عشرة من وكلاء الوزارات، قامت بزيارة منطقة الجوف وقدمت تقريرها، وعلى

ضوء ذلك رفع التقرير للمقام السامي بخطاب سمو وزير الداخلية، وتم اعتماد عدد من المشاريع الهامة لبعض مدن المنطقة في ميزانية عام ١٤٠٢/١٤٠١هـ، ومن ضمنها الآتي:

- ٥٠٠ مليون ريال لمشروع المياه والصرف الصحي وتصريف الأمطار بمدينة سكاكا.
- ٥٠٠ مليون ريال لمشروعات المياه والصرف الصحي وتصريف الأمطار لمدينة عرعر.
- ٤٠٠ مليون ريال لمشروع المياه والصرف الصحي وتصريف الأمطار بمدينة القريات.
- ٣٠٠ مليون ريال لمشاريع تهذيب الشوارع القديمة وتنظيمها في مدينة سكاكا.
- ٢٠٠ مليون ريال لتحسين مدينة سكاكا وتجميلها (سفلتة وأرصفة وإنارة).
- ٥٠ مليون ريال لتحسين مدينة دومة الجندل وتجميلها (سفلتة وأرصفة وإنارة).
- ٢٠ مليون ريال لتحسين مدينة طبرجل وتجميلها (سفلتة وأرصفة وإنارة).
- ٢٠ مليون ريال لتحسين المجمع القروي بقارا وتجميله (سفلتة وأرصفة وإنارة).
- ٤٠٠ مليون ريال نفذت في مدن المنطقة وقراها خلال الخطة الخمسية الثالثة وما قبلها في مشاريع: السفلتة، والإنارة، والمباني التابعة للبلديات، ودراسات المرافق العامة.

كما تمت ترسية مشروعين للمياه والصرف الصحي وتصريف الأمطار لمدينتي عرعر والقريات.

وخلال فترة وجيزة تمت دراسة مجموعة من المشاريع، ومن ضمنها مناقصة مشروع المياه والصرف الصحي وتصريف الأمطار بمدينة سكاكا، والتي رست على شركة الراشد للتجارة بمبلغ وقدره (٣٩١,٩٧٢,٠٨٨ ريالاً)، بموجب خطاب وزير الشؤون البلدية والقروية رقم (٢٦٤١/٥٦٨٣) في ١٤٠٢/١١/٢٥هـ، وقد رأى المقام السامي إحالتها جميعاً إلى لجنة مكونة من البلديات، والتخطيط، والمالية،

والداخلية، لإعادة دراستها وتقويمها، وبقيت تلك المناقصات لدى اللجنة المكلفة فترة من الزمن، ولم تبلغ الإدارة المحلية بتوصية أو قرار بشأن تلك المناقصات إلى تاريخه على الرغم من التعقيب والمتابعة، وهو ما يؤكد حرص الإمارة والإدارة المحلية وحسن تصرفها، ويدحض ما قيل حول مسؤولية الإمارة في تأخير أو إلغاء بعض المشاريع، ومن ضمنها تلك المناقصات.

وفيما يتعلق بمشاريع نزع الملكية بمدينة سكاكا، تم افتتاح (١١) شارعاً رئيسياً في الأحياء القديمة، بالإضافة إلى شارع الملك عبدالعزيز والملك فيصل اللذين تم فتحهما في وقت سابق، ثم قررت وزارة البلديات تحويل مبلغ (١٠٠) مليون ريال من هذا الاعتماد إلى مشاريع أخرى.

لقد كانت أحياء مدينة سكاكا القديمة ولا تزال، في وضع عشوائي يعود إلى فترات إنشائها. وأن تطويرها يحتاج إلى مئات الملايين من الريالات، ومعلوم أنه سبق أن مرت على البلاد سنوات لم تعتمد الميزانية فيها أية مبالغ لنزع الملكية في معظم مناطق المملكة بسبب ظروف مالية عامة.

وفيما يتعلق باعتماد (٢٠٠) مليون ريال للسفلتة والإنارة، فقد بدأ تنفيذ هذا المشروع على مراحل حسب قدرة المقاولين وظروف الميزانية والسيولة المتاحة، واستمرت الدراسات لتنفيذ مشاريع السفلتة من المرحلة الأولى عام ١٤٠٢هـ وإلى المرحلة (١٢) وكان ذلك خصماً من الاعتماد المشار إليه.

نقل سكان دومة الجندل إلى الظهرة: كانت الأحياء القديمة في مدينة دومة الجندل واقعة بين مزارع النخيل ومنحدرات التلال، التي تشرف على أحياء البلدة القديمة، على هيئة شريط يأخذ شكلاً هلالياً غير قابل للتوسع والتطوير، ومع بداية إنشاء صندوق التنمية العقاري بادرت الإمارة إلى حث الناس وإقناعهم للانتقال من مساكنهم في البلدة القديمة إلى مواقع جديدة في المرتفعات، أو ما يسمونه (الظهرة)، وهو موقع مدينة دومة الجندل حالياً.

وعلى الرغم من تمسك الأهالي ببلدتهم وأحيائهم القديمة للارتباط العاطفي بين السكان وبين تلك الأحياء، لأنها مسقط رؤوسهم وآبائهم، إلا أنه أمام الإلحاح

والترغيب بتوزيع المخططات والقطع السكنية، أخذ السكان بالانتقال تدريجياً إلى مخططات الظهرة التي صارت تدب فيها الحياة، بعد إنشاء البنية التحتية مثل الطرق والكهرباء والهاتف والخدمات، إلى أن أصبحت مدينة حديثة عامرة، وكانت بالأمس القريب منطقة وعرة بالصخور والمرتفعات والمنخفضات.

مشاريع الإسكان الريفية: بعد نجاح مشروع توطين البادية في وادي السرحان، وفي العديد من أرياف المنطقة ومدنها، استمر عبدالرحمن السديري يتابع وضع مخططات سكنية لأهل بقية بلدان المنطقة منعاً لنمو العشوائيات في البناء والاعتدء على الأراضي، ولتنظيم تلك القرى على المدى القريب والبعيد.

وقد أُعدت واعتمدت مخططات لأكثر من (٤٠) قرية وهجرة ملحقة بالمدن الرئيسية، وكان، رحمه الله، وراء الجهود الإدارية الخيّرة لاعتمادها وتطويرها، فكان يقوم بالجولات الميدانية، وزيارة المدن والقرى للوقوف على مشاكلها مصطحباً معه المديرين والمهندسين لاشراكهم في وضع حلول لمشكلات السكان، كما كان يتابع بنفسه أعمال لجان التخطيط الفرعية ومناقشة مشاريع البلديات مع موظفيها ومع الإدارات المركزية (الوزارات) في العاصمة.

وأخيراً، كان له، رحمه الله، وعي بأهمية الآثار والمباني ذات القيمة التاريخية، ويؤكد على العناية والاهتمام بأوضاعها مما تحدثت عنه إصدارات أخرى.

المملكة العربية السعودية
امارة الجوف

الرقم
التاريخ
المرفقات

حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم ايده الله امين .

بعد تقبيل اياديكم الكريمه ارجو لجلالتكم دوام الصحة والحياة السعيده .
ياصاحب الجلالة . لقد عرض الخادم لجلالتكم عن التجربه الزراعيه التي قام الخادم فيها بوادى ابا روات شرقي الجوف مسافة (١٧٥) كيلومتر حيث وقعت امطار في يوم ٧/من شهر القعده من العام الماضي وفي يوم ٢/ من شهر الحجه اى بعد نزول الامطار بمدة (٢٧) يوم بدانا بزراعة الخضار من بطيخ وخيار وكوسا وكذلك ذره بيضا ومكثنا بهذه الزراعه الى يوم (٨) من شهر الحجه اى اخر الزراعه بعد نزول الامطار في (٣٢) يوم والسبب في هذا التاخير هو انتظارنا وقوع امطار بالمحلات القريبه من الجوف حيث الاراضي على مايعتقد الخادم متماثله وبالنهايه ظهرت النتيجه يامولاى مشجعه للغايه حيث استمر البطيخ بشكل ممتاز جدا كما هو ظاهر يامولاى – من الحبات المرفقه بهذا الخطاب وعددها (٢٠) وقد اثمرنا من الكميه تمشيا مع رغبة جلالتكم . وكذلك الذره الا انها لم تنضج بعد والكوسه والخيار ايضا انتجت فيها ولازالت جميع الانواع المشار اليها بحالة جيده جدا ويعتقد الخادم بانه لوجعلت زراعة هذه الانواع في وقت مبكر من نزول الامطار لكانت النتيجه باهره جدا وبما ان الاراضي يامولاى بعموم المملكه مماثله كالوديان والفياض المنتشره هنا وهناك فان يستحسن نظر جلالتكم الصائب ان شاء الله الايعاز الى من يلزم بنشر هذه الفكره وتنميتها تنمية عمليه لانها لاشك ستكون ذات فائده كبيره لسهولة هذه الطريقه بالزراعه على الامطار ونظرا الى ما لمسه الخادم من رغبة جلالتكم الاكيده لما فيه مصلحة هذا الوطن العزيز تجاسر بعرضه حفظكم الله من كل سوء ومكروه مولاى .

٩/ ٣/ ١٣٨١

الخادم
عبد الرحمن السديرى

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
ديوان جلالة الملك
الشؤون الداخلية



رقم ٩/٢٤/٩٦٦٨
تاريخ ١٣٨١/٣/١٦
مرفوقات..

حضرة المكرم امير الجوف عبد الرحمن السديرى سلمه الله

بعد التحيه . لقد وصل لدى صاحب الجلالة الملك المعظم خطابكم ٩/ ٣/ ١٣٨١ وباكورة البطيخ للارض التي زرعتموها بوادى ابا روات شرقي الجوف وامرني ابلغكم شكره ومنونيته ورجاء جلالته بأن يزدهر هذا الوادى بالزراعه والانتاج المفيد ودمتم ...

رئيس الديوان الملكي
[signature]

المملكة العربية السعودية
امارة الجوف
قيد الوارد ٢/...
تاريخه ٨١/...
المرفقات

الفصل الخامس عشر

التنمية الزراعية

فيصل بن عبدالرحمن السديري

كان للزراعة بُعدان متناغمان في حياة الوالد: البُعد العام المتصل بالجوف وبأسباب تنميتها، والبُعد الشخصي المتمثل في كون الزراعة عشقه الخاص وهوايته الأولى، كما ذكر في مقابلته المطولة في (ضيف الجزيرة).

فلقد أدرك منذ أن قدم إلى المنطقة، وفي ظل حقيقة بُعدها عن الموانىء البحرية، وخلوها من المشروعات الإنمائية والصناعية، أن للزراعة جدوى كبيرة، وأهمية قصوى في التنمية، آخذاً في الاعتبار وفرة المياه وعذوبتها، وخصوبة الأرض، واتساع الرقعة الصالحة للزراعة، وتزايد الإقبال على استيطان البادية في شمال المملكة، بل لعله لم يكن يحبذ إقامة المجمعات الحضرية على خط (التابلاين) العابر إلى موانىء البحر الأبيض المتوسط، أو يستحسن تشجيع الاستيطان على امتداد الخط ومجمعاته السكانية، وذلك بسبب نقص المياه فيها، وفقدان المقوّمات اللازمة للمعيشة المستمرة، وبالتالي، فقد توقع أن تشكل عبئاً على الدولة، لا طائل اقتصادياً منه.

كان يبين للبادية مزايا السكن في المنطقة، ويوضح للحاضرة كيف أن تزايد عدد السكان يصب في صالح تنشيط الحركة الاقتصادية، ويزيد من أهمية المنطقة، ويكاد لا يخلو له مجلس دون الحديث عن الزراعة ومنافعها وتشجيعها.

ومع السنين، حلّت البادية تدريجياً في الحواضر، واختار منها من يقيم في حاضرة الجوف وبالعكس، دون أن ينشأ عن ذلك، بفضل الله، أي خلاف أو نزاع يذكر، فحلت القعاقعة من الرولة – وأولهم شهاب بن قليل – في صوير، ونزل الخضعان وجماعتهم من الفرجة من الرولة في هديب، وأقام الصنوخ من شمر في الأضارع، واستوطن الشرارات – وأولهم عاشق اللحاوي – في طبرجل ومواقع

أخرى من وادي السرحان.

كما توسع المزارعون من حضر المنطقة في الفيضات المحيطة بسكاكا ودومة الجندل، ومؤخراً في بسيطاء وما جاورها، وكان للدعم المتواصل من الدولة، وتوزيعها الأراضي البور، ومنحها القروض والإعانات دور كبير في تحقيق ذلك، وقد تحدثت مواقع أخرى في هذا الكتاب عن نماذج من مشروعات الاستيطان الرئيسية التي تمت وأسهمت في انخراط كثير من أبناء القبائل في الزراعة، كما تحدثت فصول أخرى عن تأثير جائزته التي وضعها عام ١٣٩٣هـ وشملت المزارعين كافة، على تطوير الزراعة وتسابق الجميع، من حديثي المزارعين وقديميهم، نحو الإبداع والتفوق في هذا المجال.

وكان من مبادراته لدفع عجلة تطور الزراعة في الجوف، سعيه لإدخال وسائل التقنية الزراعية الحديثة إلى المنطقة وتيسير وصولها إلى المزارعين، وجلب أنواع الزراعات المطورة إليها ومحاولاته الدؤوبة لاكتشاف مصادر جديدة للمياه، وتشجيع الاستثمار الزراعي في أماكن واعدة.

وتشير الوثائق إلى مساعيه المثمرة في السنين الأولى من قدومه إلى الجوف في اعتماد الحكومة إقراض المزارعين مكائن استخراج المياه التي لم تكن معروفة في المنطقة قبل ذلك، ثم إعفائهم من باقي الأقساط المستحقة عليهم نظير قيمة هذه المكائن، كما تشير هذه الوثائق إلى متابعته للجهات الحكومية المختصة فيما يتعلق بمصالح المنطقة عامة والزراعة بخاصة.

وعلى صعيد آخر، قاد مبادرات خاصة أسهمت في تطوير الزراعة في الجوف، ومن ذلك حفر أول بئر أنبوبية في مزرعته التي عرفت فيما بعد باسم «السديرية» وجلب أول مكينة لاستخراج المياه لاستعمالها في هذه المزرعة، وتشجيعه صالح المويشير ودعمه له لحفر أول بئر في منطقة الفياض الواقعة إلى الغرب من سكاكا، وتجربته الناجحة في زراعة الخضروات البعلية في وادي أباروات، وزراعة الحمضيات في سكاكا - ذات الشتاء القارس الجاف - بين أشجار النخيل، وإعادة إحياء زراعة الزيتون الموجودة تاريخياً في المنطقة، وجلب أنواع كثيرة من الأشجار غير المعروفة سابقاً في المنطقة بما في ذلك التفاح واللوزيات والبرتقال

والنكتارين (اليوسفي) والليمون الحلو والجريب فروت وألوان من الخضروات وأنواعٍ من النخيل المميزة مثل البرحي (من العراق) والسكري (من القصيم) والخلاص (من الأحساء) والخضري (من الغاط) والصقعي (من العارض)، وكان يوزع فسائل الأنواع الجديدة على المزارعين وينصحهم بالإقلال من زراعة نخلة «الحلوة» والاهتمام بسواها نظراً لصعوبة تسويق منتج الحلوة وسرعة تلفه.

ثم إنه أول من جرب تربية الأبقار (الفريزين) الهولندية واستعمال أسلوب الري بالأنابيب للنخيل والري بالرش للمحاصيل في الجوف.

يقول عبد الرحمن الملحم إنه وزّع من هذه الأبقار على مزارعي الجوف واستمر يهدي من نتاجها حتى تقاعد، وقد اصبح بستان (السديرية) حقلاً للتجارب ومصدراً لانتقال الكثير من الأساليب والزراعات الحديثة لمزارعي الجوف.

وفي سنة ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م) تبنى مبادرة لتأسيس جمعية تعاونية في المنطقة بهدف خدمة المزارعين فيها، بما في ذلك إعداد الدراسات وتقديم المشورة المعرفية لهم[١]، وقد تأسست الجمعية بمشروع للدواجن اللاحم والبيّاض ، ثم أقامت مشروعاً للأبقار الحلوبة.

وفي أواخر العقد الثاني من إمارته، تبنى محاولة لاكتشاف الماء النافوري (المتدفق من باطن الأرض) في سكاكا[٢]، فقد كان مقتنعاً بأن الماء النافوري الموجود في دومة الجندل لابد وأن يكون موجوداً أيضاً في سكاكا، كما كان مقتنعاً أن اكتشاف هذا الماء سوف تكون له آثار حميدة على النشاط الزراعي في سكاكا والمنطقة الزراعية المحيطة بها، فتبنى المشروع واستمر في تمويله بحدود

(١) قال عبد الرحمن الملحم، إن الأمير جمع المسؤولين والأهالي وحثهم على تكوين الجمعية، حتى إنه أسهم نيابة عن بعضهم منعاً لفشل المبادرة، وقال إن مشروع الأبقار بدأ بحوالي (١٨ - ٢٠) بقرة أحضرت من هولندا، وكان في مزرعته فحول تستعيرها الجمعية والأهالي لتلقيح الأبقار.

(٢) قال الملحم أيضاً إن صاحب الحفار الذي تولى حفر البئر هو الدرع، بدأ أولاً بحفار دقاق وحفر حتى عمق (٢٣٠-٢٥٠ م) ثم توقف، وبعد فترة استجاب الدرع لطلب الأمير فأحضر حفاراً اسطوانياً (دريل) وتم تأمين المواسير الحامية للبئر (كيسي) من بيروت بواسطة محمد الزبن، فحفر حتى عمق (٧٠٠ م) فلم يظهر الماء فتوقف مرة أخرى، ثم أُحضرت مواسير حامية أخرى وبدأ الحفر من جديد حتى ظهر الماء النافوري بعد امتار قليلة، وكان الماء الظاهر حاراً مما استدعى إقامة بركة لتبريده قبل استعماله للري، بمعنى أن مشروع حفر البئر استغرق سنوات عدة من المحاولة حتى نجح.

إمكاناته المتاحة حتى تحقق ما أراده ووصل إلى الماء النافوري في ١٣٩٠/٣/١٩هـ (١٩٧٠م)[1]، وقد تبع ذلك حفر أبار أخرى في المنطقة المحيطة.

وفي العقد الرابع من فترته، سعى لإقامة شركة زراعية في الجوف تأخذ نصيبها من الأراضي الزراعية في منطقة بُسِيطا الغنية بمياهها الحلوة وأراضيها الزراعية الواسعة، وتفيد من البرامج والإعانات الحكومية المتاحة، وقد قاد المبادرة وتابعها حتى تأسست في عام ١٤١٠هـ (١٩٩٠م).

بدأت الشركة بزراعة الحبوب، ثم أقامت مزرعة للأبقار الحلوب ومصنعاً للألبان، وعنيت بزراعة الزيتون والفاكهة وتوسعت فيهما، مع بناء مستودعات للتبريد تخدم في تسويق منتجات الشركة من فواكة وخضار، كما سعت إلى إنتاج مكعبات البطاطا وتطوير زراعة الزيتون وتشغيل محطة تنقية البذور ومعالجتها.

ويتضح من التقرير السنوي لعام ١٤٢٤هـ (٢٠٠٣ / ٢٠٠٤م) الذي أصدرته المديرية العامة للشؤون الزراعية بمنطقة الجوف أن فيها الآن نحو أربعة ملايين شجرة زيتون منها حوالي (٨٠٠,٠٠٠) شجرة في بسيطاء والمناطق المجاورة لها، وتقدر المديرية – وقت صدور هذا الكتاب – أن المنطقة تنتج حوالي (١٢٠,٠٠٠) طن زيتون و(١٧٠٠٠) طن زيت زيتون، وأنه يوجد في المنطقة عشر معاصر زيتون.

وقد تضمنت الفصول السابقة تفاصيل أوسع عن الجانب الزراعي، وعن عشقه لها وأنه ينظر إلى النخلة نظرة الابن البار بوالدته، وأنه شغف بتطوير الأساليب الزراعية الجديدة، وكان يعجب بالمزارع الذي يبدي عناية خاصة بمزرعته وينوّه بذلك ويتبادل معه خبراته، إلى غير ذلك من اهتماماته وخبراته، وقد أشار الأخ د. زياد في الفصل الثالث إلى أن من أساليب الوالد حرصه على تيسير دخول السيل إلى مزرعته، وإزالة العراقيل التي تتسبب في جرف التربة، ونقل عنه أنه طلب أن تخطط دارة الضيافة في مزرعته بسكاكا بشكل لا يتعارض مع صفوف «مقاطر» النخل، ولا يزيل منها إلا ما كان لازماً، وبحيث ينقل إلى مواقع أخرى.

---

(١) وجدت هذا التاريخ مسجلاً في مفكرة قديمة.

لكنني قبل اختتام هذا الفصل، استشهد بما ذكره أحد المهتمين بالزراعة في منطقة الجوف، ممن عاصر فترة وجود الوالد فيها، وهو الأخ صالح بن متروك البليهيد، إذ قال في رسالة حررها بتاريخ ١٤٢٨/٤/١٣هـ (٢٠٠٧/٤/٣٠م):

«... أنشأ مزرعته المسماة بالسديرية أو (البستان) بُعَيْد قدومه إلى الجوف عام ١٣٦٢هـ، وغرس فيها أنواعاً منتقاة من النخيل المحلية ومن خارج الجوف، وقد سمعت منه في إحدى جلساته الإرشادية أنه جلب فسائل من العراق من أجل نشر النخيل ذات النوع والإنتاج الجيد بالمنطقة، وقد وزع فسائل كثيرة على المزارعين من مزرعته في الجوف ومزرعته في الغاط، وانتشرت هذه الفسائل كثيراً بين المزارعين.

كان ري البستان في أوائل إنشائه يتم عن طريق الجمال، وفي أوائل السبعينات الهجرية جلبت أربعة مواتير من نوع (رستن ٨ حصان) حينها بدّل الري التقليدي بإحدى هذه المواتير، وهذا أول تطوير للري الزراعي بالمنطقة عن الطريقة المعمول بها منذ أحقاب خلت، فهو أول من واكب هذا التطور وعمل به وشجع عليه، وقد حذا حذوه مواطنو المنطقة - كل حسب اقتداره - إلى أن عمت كافة المزارع في وقت قصير، وانتعشت بواسطته زراعة النخيل والأعناب والفواكه والحبوب بسبب التحول في طريقة الري، وقد كان البستان نموذجاً اقتدى به كثير من مواطني الجوف، وذلك بسبب ما يسمعونه أو يرونه عند زيارة مزرعته واطلاعهم على ترتيبها والعناية بها كماً وكيفاً.

تجدر الإشارة إلى أن من محتويات البستان من الأنواع الكثيرة شجر الزيتون الذي أحضره من الأردن، وتوسعت زراعته في المنطقة إلى أن بلغ حالياً أكثر من مليون شجرة، فهو الرائد الأول لهذا النوع من الأشجار بالجوف، وهو الأول في اكتشاف المياه النافورية بسكاكا، حيث يوجد فيها حالياً ستة آبار نافورية.

وقد انتشرت المزارع خارج مدينة سكاكا عندما صدر قرار توزيع الأراضي البور، حيث شكلت لجنة محلية برعاية الأمير وفق ضوابط نظامية، واستمر التوزيع على المواطنين إلى أن وصل مداه نحو خمسين كيلومتراً بكل اتجاه، وهي الآن عامرة وفي تطور، إذ وصل إنتاجها إلى المناطق المجاورة للجوف.

وعندما أحس بكثرة المزارع ومعداتها وحاجة المزارعين لقطع الغيار والبذور وغيرها من الخدمات التي هم بحاجة لها تبنى إنشاء الجمعية التعاونية متعددة الأغراض في أوائل الثمانينات الهجرية ورأس مجلس إدارتها ما يزيد على عقدين من الزمان، تم من خلالها توفير قطع الغيار اللازمة لأنواع المواتير الموجودة آنذاك من نوع (رستن - لستر - بيتر)، وغيرها وكذلك المضخات المطورة المستوردة من الشام، وبيعت على المواطنين بأسعار مخفضة إلى جانب ضمان جودتها، وكذلك وفرت البذور اللازمة للمزارعين من الأنواع الجيدة، مع إنشاء مزرعة الدواجن لاحم وبياض ومعصرة للزيتون في سكاكا ودومة الجندل إلى جانب نشاطات أخرى.

وقد تتابعت جهوده في تشجيع الزراعة وتطويرها فتبنى جوائز تشجيعية لأصحاب المزارع المتميزة في التنويع والترتيب واستعمال الطرق الحديثة في الري، وكانت هذه الجوائز مجزية حيث يتم توزيع الأجهزة المحورية والتراكتورات والسيارات وأدوات الزراعة الأخرى والفسائل الجيدة على الفائزين في مهرجان سنوي محدد واستمر هذا التشجيع سنين عديدة، وتبعاً للتطور الزراعي ونموه خاصة في زراعة القمح والشعير والأعلاف، تأسست شركة الجوف للتنمية الزراعية في بسيطا وهي الآن من كبريات الشركات فيها».

أبحاث الزيتون والمراعي والإبل:

لا تكتمل صورة الزراعة في الجوف، دون الحديث، ولو بإيجاز، عن المركز الوطني لبحوث الزراعة والثروة الوطنية، الذي أنشأته وزارة الزراعة عام ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م) في الجوف، بالتعاون مع منظمة الزراعة والأغذية الدولية (الفاو)، ويُعد الأول - في مجاله - في المنطقة العربية المجاورة.

يقع هذا المركز الرائد على مساحة ستة كيلومترات مربعة في مدينة سكاكا، ويحتوي على وحدات ومختبرات علمية في مجال الصحة الحيوانية وتحاليل النبات والتربة والمياه وبيئة المراعي والإنتاج الحيواني والأعشاب الصحراوية، كما يضم مزرعة لأبحاث الإبل والأغنام والماعز، تحتوي على عينات من السلالات المحلية والمستوردة.

كما يشتمل المركز على محمية رعوية نموذجية ومحطة لتكاثر البذور، ومحطة رعوية في طبرجل وبسيطا، ومشاتل لإنتاج نباتات المراعي ومصدات الرياح، وذلك فضلاً عن وحدة متكاملة لأبحاث الزيتون.

يصدر المركز تقريراً سنوياً عن إنجازاته، يغني الرجوع إليه عن الإطالة في تفصيل أعماله ومكوّناته.

نموذج كتابته في الزراعة:

وجدت في أوراق الوالد بداية لمشروع كتاب، كان يفكر في وضعه عن الأساليب الصحيحة – التقليدية والمطورة – لزراعة النخيل والعناية بها وتصنيع إنتاجها وتسويقه، وأنقل فيما يلي صفحات مما كتبه بقلمه وأسلوبه:

«تبعاً لما سبق ذكره عن النخلة

بعون الله تعالى قررت البدء بهذه الكتابة واستعراض بعض المعلومات عن النخلة والنخيل بالمملكة العربية السعودية، وقد راودتني هذه الفكرة منذ وقت طويل وكان هناك من يشجعني عليها، والحمد لله على هذه البداية والمرجو من الله أن تكون النهاية أفضل.

١ - أولاً أن النخلة بالمملكة كما هو معروف هي من أهم المزروعات فيها، وستظل كذلك بعد أن تطورت الإمكانيات المادية وتوسعت الزراعة بشكل عام وكبير ومشجع للغاية، وأكثر مما كان أي إنسان يتمناه أو يتصوره بالماضي البعيد والقريب، وعلينا أن نتنبه للآتي عند زراعة النخيل.

٢ - نوعية النخل التي تزرع يجب انتقاؤها من الأنواع الجيدة والمؤمل أن تتطور زراعة النخيل بواسطة الأنسجة من أنواع منتقاة.

- بعض الأمثلة والصور -

٣ - طريقة نقل فسائل النخيل للحفاظ عليها من العبث فيها عند نقلها.

- سوف ندلل على ذلك بواسطة الصور-

٤ - طريقة سقايتها خاصة عند الشهرين أو الثلاثة الأوائل بعد زراعتها حيث يلزم استمرار تبليل تربتها بالماء باستمرار بشكل كافٍ، للرطوبة فقط ودون احتقان الماء في أحواض الغرائس بأي شكل من الأشكال.

٥ - تحفر للغريسة حفرة كبيرة وعميقة وتدفن بتربة خاصة حتى تتمكن الغريسة من النمو بشكل أفضل من التربة الصلبة، وتوضع الغريسه بالأرض - بعد حفظ

مقطع الغريسة من أمها بطين لزج جداً يمنع دخول الماء إلى الغريسة من مقطعها من الأم - بحدود ما كانت عليه بالأم أساساً ولا بأس من الاحتياط للمستقبل من انخفاض حفرة الغريسة بحيث يمكن بالمستقبل دفنها بشكل يتفق مع تغطية جذع الغريسة على شكل ما هو واضح من الصورة المرفقة.

٦ - لا بد من وضع بعض المبيدات للحشرات مثل الفلوريدان في حفرة الغريسة للحفاظ عليها من (الديدان) التي عادة تعاصر نمو غريسة النخلة.

٧ - يلاحظ عدم وضع أسمدة عضوية في حالة زراعة الغريسة ريثما يكتمل نموها وتصبح مستعدة لتحمل مثل هذه الأسمدة مع الوقت.

٨ - عدم استئصال جرائد الغريسة أثناء تقليمها من أمها لئلا تكون جمّارة الغريسة معرضة للانفصام أثناء نقلها حتى غرسها وأن يكون قطع الجريد من الأعلى بحدود متر لا أكثر وحتى لا تكون عرضة لحركة الرياح مما يعرض جمّارتها للخلل والانكسار كما هو بالصورة المرفقة.

٩ - تغرس النخلة بانحراف بعض الشيء إلى الشمال حتى لا تكون معرّضة لسقوط الشمس على جمّارة الغريسة أثناء فصل الصيف الأول وفي نهاية المطاف سوف تعتدل الغريسة تلقائياً.

١٠- أفضل وقت لغرس النخل هو موسم الربيع، حتى تعاصر الغرسة اعتدال الجو بموسم الربيع والصيف حتى فصل الخريف، واعتدال الجو هذا يمكنها من العناية التامة بها من النمو قبل حلول فصل الشتاء حيث لاحظت أن أكثر ما يؤذي النخل وهي صغيرة هو البرد لا شك.

١١- يفضل أن تبتعد كل غرسة عن الأخرى ثمانية أمتار من كل الجهات ولا بأس من الزيادة في المسافات إذا هناك رغبة بزراعة شيء من الأشجار فيما بين النخيل خاصة مثل الحمضيات لأنها بحاجة إلى عناية من العوامل الجوية في الصيف والشتاء معاً.

هذا ما أتصوره بالنسبة للنخيل عند زراعتها كالمتبع، ولكن هناك طرق ربما تكون أفضل لضمان نجاح زراعة الغريس إما بواسطة زراعتها في مشاتل ريثما يتم نمو الغريسة ومن ثم تنقل إلى محلها الأساس، وهذه الطريقة ربما تتطلب وقتاً أطول.

والطابع السائد هو الاستعجال مع الأسف عندما يبدأ أي شخص بزراعة شيء من النخيل لهذا ينقل الغرائس من الأمهات إلى الموقع الدائم وهذه الطريقة لا شك تعرضه إلى خسارة كبيرة بالشتلات (من ١٠٪ - ٣٠٪)، مع أن هناك طريقة لا شك أفضل وأضمن لنجاح زراعة الغرايس وهو بوضعها في علب بلاستيكية أو خشبية بحيث توضع كل غرسة بعلبة خاصة بها كما هو المتبع بالنسبة لجميع الأشجار الأخرى. وبعد نمو شتله الغريس بموقعها المشار إليه تنقل إلى محلها الأساس، وهذه الطريقة فيها ضمان أكبر لنجاح نمو جميع الشتلات مع اختصار الوقت لنمو الإنتاج بمشيئة الله.

وعن النخلة القديمة والكبيرة فلابد من ملاحظة تقليمها بشكل يجعلها تتخلص من الكرب والألياف التي هي بالواقع مركز لتجمع الحشرات بالنخيل، إليكم صور وأمثلة على أنواع النخيل المهملة والأنواع المعتنى بها بالتقليم.

لا شك أن النخلة ذات فائدة إنتاجية وغذائية لا تحتاج إلى تدليل جديد، وهي مع الوقت تكبر أهميتها وآمل أن يزداد تصنيع إنتاج النخيل بشكل عام وعلى أنواع متعددة وهو ما أصبح محل اهتمام جميع المزارعين، ولعل مثل هذا الوعي يتطور لدى أصحاب رؤوس الأموال حتى تتحقق الفائدة من النواحي الزراعية والمالية معاً.

وفي اعتقادي أن وجود معامل ومصانع من أجل تنظيم تعليب إنتاج النخيل بمواقع عديدة حيث توجد زراعات النخيل أكثر فسيكون ذلك أفضل لئلا يتعرض الإنتاج لنقل الحشرات والغبار مما يفقده شيء كبير من جماله ورطوبته، أما في حالة وجود مصانع جماعية وبمواقع متباعدة فإن ذلك يعرض التمور للنقل ومصاريف أكثر، والتمور لا شك حساسة ومعرضة للتلف وعدم النظافة.

سقاية النخيل: لا شك النخلة بحاجة إلى كميات من المياه بصورة منتظمة تختلف في بعض الفصول عن بعضها خاصة أوقات الإزهار أي التلقيح لئلا يتساقط ثمرها إذا أخذت زيادة من الماء في هذا الوقت بالذات، ولا شك أنه بالطريقة المتبعة التقليدية تصرف مياه أكثر من اللازم ولذلك تضيع هدراً، هذه المياه الثمينة صعبة الاستخراج وينتج عن ذلك أيضاً أضرار على الزراعة والتربة مع تكاثر نبات الأعشاب بشكل مؤذي ويصعب استبعاده باستمرار، مع أنه لو أمكن حرثه بالأرض بواسطة محاريث خاصة وصغيرة جداً لأمكن التقليل من المصاريف مع ما هناك من فائدة تعود على التربة.

والأجدر بنظري الإقلاع عن سقاية النخيل والأشجار كما هو الحال واستبدال ذلك

عن طريق سقايتها بواسطة التنقيط (الببلر) أو أي نوع من الأنواع الحديثة فهذا أفضل وأنظم على الأمد القريب والبعيد، وربما يعتقد بعض الإخوان أن هناك تكاليف كبيرة لهذه التمديدات وهذا شيء واقع ولكنه بمراعاة المصلحة مع الوقت سيجد الإنسان فائدة كبيرة من حيث التوفير بالمياه وتحسين الزراعة والمزرعة في آن واحد.

والأهم من زراعة النخيل هو البحث عن طريقة جديدة من أجل تصنيع الإنتاج من التمور بشكل يحقق فائدتها والاستفادة منها أكثر، حيث التمور مهمة للغاية من الناحية الغذائية والمادية وهي الزراعة الأساسية في المملكة منذ قديم الزمان وحتى الآن كما ولها أسواق مفتوحة من أهمها مواسم الحرمين المستمرة طيلة العام وبالأخص موسم الحج حيث يتكاثر الحجاج، وبلاشك أنه إذا أمكن تصنيع التمور بشكل يتلائم مع طلب الوافدين والمسافرين، فإن ذلك يمكن من سحب كميات كبيرة من إنتاج التمور مما يشجع على التوسع في زراعة النخيل والاهتمام بالنخيل بشكل مجدي.

وفي نظري أن قيام معامل صغيرة قروية من أجل تعليب التمور أفضل من العمل على قيام مصانع للتمور بمناطق معينة، مثل منطقة الأحساء ومنطقة القصيم، على أمل نقل التمور من المحلات الأخرى ذات الإنتاج إلى المناطق الرئيسية المشار إليها، لأن ذلك فيه بعض الصعوبات ويتعرض الإنتاج أثناء نقله للتلف والتلبك الذي قد يتلف الكثير منه ويفقده أهميته وشكله، أما إذا قامت معامل فردية لدى أصحاب المزارع الكبيرة أم جماعية في كل بلدة وقرية فلاشك بنظري من جدوى ذلك ولعل عندي تجربة بهذا الخصوص أسوق إليكم صوراً فوتوغرافية ومعلومات مغرية تعطي الدليل القاطع على أهمية مثل هذه المعامل الصغيرة.

وعلى العموم فإن الزراعة قطعت شوطاً كبيراً جداً من النمو خاصة زراعة الحبوب منها ولكون المملكة العربية السعودية لا زالت تستورد كميات هائلة من أنواع الفاكهة، والحاجة لا زالت تتضاعف سنوياً للحمضيات والحلويات والزيتون وغيرها وكثير منها ممكن زراعتها بشكل مجدي لوجود أجواء مختلفة بالمملكة إذ تصلح هذه المنطقة لذلك النوع، والأخرى تصلح لنوع آخر مما يشجع على الزراعة والاستفادة أكثر».

الفصل السادس عشر

توطين البادية

د. خالد الرديعان*

لا نأتي بجديد، إذا قلنا إن نشر التعليم وتشجيع الزراعة كانا من أكفأ الأدوات التي وظفهما عبدالرحمن السديري بحنكة لاستدراج بدو منطقة الجوف نحو التوطن والاستقرار، ولا نأتي بجديد إذا قلنا أيضاً، إن البدو كانوا يشكلون زهاء (٥٠٪) من إجمالي سكان المنطقة وذلك حتى منتصف الخمسينات الميلادية، كما يشير إلى ذلك كثير من المصادر التي بين أيدينا[(١)].

ويعود توطن بدو المملكة بشكل عام إلى جملة من العوامل، لعل أهمها بسط الدولة سلطتها على جميع النواحي وإنهاء الكيانات القبلية المتناحرة، بعد أن أعلن الملك عبدالعزيز عام (١٣٤٤هـ-١٩٢٥م) أن جميع الأراضي تعود ملكيتها للدولة، وكان الملك في تلك الفترة قد بدأ مفاوضات حثيثة مع جيرانه في الخليج والعراق والأردن لرسم حدود دولته الجديدة بهدف تثبيت الوضع، والبدء بخطوات التحديث، وفي (١٣٥١هـ-١٩٣٢م) أعلن الملك قيام المملكة العربية السعودية وأن الغزو والتناحر والاقتتال على الأراضي والمراعي على أسس عشائرية وقبلية لم تعد أموراً مقبولة في دولة ذات سلطة مركزية وتسير بخطى حثيثة نحو المستقبل.

وقد أصبح توطن البدو أمراً واقعاً بل وملحاً بسبب عدم قدرة البدو على التنقل كما كان يحلو لهم في السابق، فظهور الحدود بين الدول وصدور أوراق رسمية لكل فرد تثبت هويته الوطنية حدّا من هجرات البدو الموسمية وتجاوز

---

* من مواليد سكاكا عام ١٣٧٨هـ (١٩٥٨م)، دكتوراه في الأنثروبولوجيا من بريطانيا، يعمل أستاذاً في جامعة الملك سعود، له عدة بحوث ومؤلفات بالعربية والإنجليزية.

(١) Alradihan, Khaled (2001). Nomadic sedentarisation, with special reference to the Shararat of Saudi Arabia, Doctoral Thesis, University of Wales, Swansea: pp. 59.

الحدود بين الدول بغرض الرعي، كما أن التوسع في حيازة الأرض لغرض الزراعة والسكنى بعد منع الحمى عام ١٩٥٣م، أسهم وإلى حد كبير في تغير مفاهيم البدو حيث أصبحت ملكية الأرض تتم على أساس فردي وليس عشائرياً مقارنة بما كان الوضع عليه إبان فترة الرعي عندما كانت الملكية جماعية ومشاعة.

كما دفع ظهور النفط منذ نهاية الثلاثينات الميلادية - ووصول الشركات الأجنبية إلى المملكة بغرض استخراج النفط وتصديره - بأعداد كبيرة من أبناء البادية للعمل في شركتي ارامكو والتابلاين قدر د. العبادي (١٩٨١م) عددهم بنحو (٢٠،٠٠٠) مواطن جاء قسم كبير منهم من المنطقة الشمالية في المملكة[١].

وقد لعبت شركة التابلاين - تحديداً - دوراً بارزاً في جذب أبناء بادية شمال المملكة نحو الاستقرار، حيث لجأت إلى بناء مضخات لدفع النفط خلال أنبوب كبير يبدأ من المنطقة الشرقية في المملكة ويسير بمحاذاة المنطقة الشمالية الشرقية، ويخترق الأردن وأجزاء من سوريا لينتهي عند ميناء الزهراني قرب صيدا في لبنان، واكتمل بناء الخط عام ١٩٥١م، وتم تشييد طريق اسفلتي بجانبه لربط مناطق الضخ ببعضها.

قامت الشركة أيضاً ببناء مكاتب لموظفيها وبعض البيوت الحديثة للعاملين في الشركة، حيث استقرت أعدادٌ كبيرة من البدو بجوار محطات الضخ، ولا سيما أن الفترة المذكورة كانت فترة جفاف قاسية تناقصت خلالها أعداد الثروة الحيوانية بشكل مريع.

وبسبب حاجتها إلى اليد العاملة، وظفت شركة التابلاين أعداداً كبيرة من أبناء البادية في منشآتها وفي مراكز حماية الأنبوب النفطي، حيث كانت استجابتهم للعمل في التابلاين أحد أسباب نشوء عدد كبير من المدن الجديدة مثل عرعر وطريف والقيصومة والشعبة، وغيرها من المراكز التي نمت وأزدهـرت لاحقاً بسبب توفر فرص العمل في مكاتب شركة التابلاين[٢].

---

(١) انظر على سبيل المثال: عبدالله بن حسن العبادي (١٩٨١م) توطين البدو في المملكة. تحليل من منظور تاريخي-اجتماعي. رسالة دكتوراه غير منشورة. جامعة ميتشجان الحكومية. ايست لانسنج (بالإنجليزية)، وكذلك دونالد كول وثريا التركي (١٩٩٨م) بدو ومتوطنون وصناع إجازات، التغير الاجتماعي عند سكان السواحل الشمالية الغربية في مصر، منشورات الجامعة الأمريكية بالقاهرة (بالإنجليزية).

(٢) (Alradihan, Khaled (2001) :PP. 72-77).

التحقت أعداد كبيرة من بادية الجوف بشركات النفط للعمل هناك، إلا أن قسماً منهم لم يفعل بسبب طبيعة بداوتهم التي كانت تتمركز حول الجمل وصعوبة التخلي عنه، غني عن الذكر أن بدو الأغنام أسرع في عملية الاستجابة للتوطن والتكيف مع حياة المدينة والقرية، لأن حيواناتهم لا تتطلب انتقالاً مستمراً للبحث عن مراعي جديدة مقارنة بالأبّالة (أهل الإبل) أو الجمّالة الذين يتوغلون في الصحراء ولا يستقرون في مكان، فهم يغيرون المراعي بين فترة وأخرى عندما تستهلك إبلهم الأعشاب، وهو ما يعني أنهم أكثر فئات البدو مقاومة للتوطن والاستقرار طبقاً لمتطلبات الحيوان البيئية (الأيكولوجية)[١].

وبالنظر إلى القبائل الرحل في منطقة الجوف، فإننا نلاحظ أن أكثريتهم من أبناء قبيلة الرولة وفروع من عنزة وشمر والشرارات ومجموعات أخرى تجاورها، وأن أغلبهم من مربي الإبل حيث كانت استجابتهم للتوطن بطيئة للغاية كما أسلفنا، وقد كان الجفاف الذي أتى على المنطقة بين عامي ١٩٥٣ و١٩٦٣م الأقسى مما اضطر معظم البدو إلى الرحيل والتشتت في أماكن متباعدة من المملكة، بعد أن فقدوا جزءاً كبيراً من ثروتهم الحيوانية بفعل الجفاف، وكان من الأهمية بمكان توطين البدو في أماكن ثابتة لدواعي أمنية وسياسية لتفعيل اتفاقيات الحدود المبرمة مع تلك الدول، كما يشير إلى ذلك الفرا (١٩٧٣م) في دراسته عن أثر التوطين على القبائل[٢].

يشار في هذا الصدد إلى أن المملكة في حينه، كانت تعاني من مشكلة تهريب بعض البضائع من وإلى المملكة، وهي أعمال كانت تضر بالاقتصاد الوطني بدرجة كبيرة، فبعض السلع التي تستوردها الدولة كانت مدعومة السعر ويتم تهريبها إلى دول مجاورة، في الوقت الذي لجأ المهربون إلى جلب سلع غير أساسية تباع على المواطنين بمبالغ مرتفعة، وعليه كان من الضروري ضبط الحدود لثلاثة أهداف، أولاً: تثبيت اتفاقيات الحدود مع الدول المجاورة، وثانياً: منع عمليات التسلل والتهريب، وثالثاً: توطين البدو في أماكن معلومة حتى يسهل الوصول إليهم وتقديم الخدمات التي كانوا بأمس الحاجة إليها، كمياه الشرب والمدارس والعيادات الصحية.

---

(1) Alradihan, Khaled (2001): P 78.

(٢) El-Farra, T (1973) The Effects of Detribalizing the Bedouin on the internal cohesion of an emerging state: the Kingdom of Saudi Arabia. PhD dissertation. University of Pittsburgh. Pittsburgh.

نضيف نتيجة أخرى لكل ذلك، تمثلت في زيادة عدد أفراد سلاح الحدود السعودي، مما خلق وظائف وفرص عمل جديدة لأبناء البادية في أماكن قريبة من مناطق سكناهم، ويكفي الإشارة بهذا الصدد إلى مركز العيساوية قرب الحدود الأردنية حيث يضم المئات من أبناء البادية للعمل فيه، ناهيك عن المراكز الأخرى التي تنتشر على طول الحدود الشمالية للمملكة، علماً أن تلك المراكز هي تجمعات حضرية بالدرجة الاولى، حيث تم توفير المساكن للجنود والمدارس لأبنائهم وبناتهم، والمجمعات الصحية لعامة السكان والمقيمين دون تمييز، مما أسهم في تشبث أبناء البادية بخيار الاستقرار(١).

ننوه بهذا الصدد إلى أن تعديلاً على حدود وادي السرحان قد حدث، وهو ما تم بالتفاوض بين حكومة المملكة العربية السعودية وحكومة الأردن، تلى المفاوضات توقيع اتفاقية عرفت باتفاقية عمان المبرمة بين الدولتين سنة ١٩٦٥م، حيث تنازلت الأردن عن أجزاء داخلية من وادي السرحان لتصبح أراضي سعودية، بينما قامت المملكة بمد الشريط الساحلي المحاذي لميناء العقبة مسافة (١٥) كيلومتراً جنوباً بهدف إعطاء الأردن مجالاً أرحب على خليج العقبة(٢)، والاتفاقية تعد بحق نموذجاً يحتذى به، فهي تمت بالتفاوض السلمي والتراضي بين الطرفين، إذ راعى كل طرف مصالح الطرف الآخر.

وقد كان عبدالرحمن السديري عضواً في لجان رسم الحدود بين المملكة وجاراتها من الشمال حيث استعانت به وزارة الداخلية في بعض الأمور الخاصة بأراضي القبائل المتنازع عليها، وذلك بسبب إلمامه بطبوغرافيا الأرض ومعرفته بأماكن الرعي التي ترتادها كل قبيلة، كما أنه يعد من أقدم أمراء المناطق التي تضم تجمعات بدوية وتتوفر لديه قدرة أخاذة في الإقناع إذ كثيراً ما حض أبناء البادية على التوطن وممارسة الزراعة(٣).

---

(١) Alradihan, Khaled (2001): PP. 92-99.

(٢) النعيم، مشاري عبدالرحمن (١٩٩٩م) الحدود السياسية السعودية: البحث عن الاستقرار. دار الساقي: لندن. ص ص: ٢٧-٣٧

(٣) سعد بن عبدالله بن جنيدل (١٩٨١م) بلاد الجوف او دومة الجندل: بحوث جغرافية، تاريخية، اجتماعية، ادبية. منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

وللتذكير، فإنه وخلال فترة تولّي عبدالرحمن السديري، برز إلى الوجود ما يزيد على (٥٠) مركزاً وهجرة بدوية يقع معظمها في وادي السرحان حيث أصبحت آهلة بالسكان، أغلب تلك المراكز زراعية وتتوفر على مقومات الحياة، مثل طبرجل وسهل بسيطاء، إضافة إلى صوير وهديب وهدبان والفياض، وهي المناطق التي تنتج الآن الفواكة والحبوب والزيتون، والتي كانت فيما مضى أماكن جرداء قاحلة وغير قابلة للسكن البشري.

مشروع وادي السرحان لتوطين البدو: من المشاريع المهمة التي وقف خلفها عبدالرحمن السديري مشروع وادي السرحان لتوطين بدو الشرارات، وذلك عام (١٣٧٩هـ-١٩٥٩-م)، حيث ضرب المنطقة جفاف قاسٍ غير معهود، نجم عنه فقدان ٩٠٪ من الثروة الحيوانية كما يقدر ذلك بعض الباحثين[١]، وقد بدأ المشروع بدعوة الشرارات إلى التوطن في أماكن يختارونها بأنفسهم مما كانوا يعدونه مراعي لهم في السابق، وقد أسهمت وزارة الزراعة والمياه في حينه بحفر آبار مياه، وزودت من يرغبون في الزراعة بموتورات ضخ مياه متنقلة يتم تبادلها بين المزارعين.

وقع الاختيار على مناطق هي اليوم في نطاق طبرجل، إلا أن ملوحة بعض المواقع التي تم اختيارها للزراعة ونشوء مشكلات فنية تتعلق بصيانة المعدات الزراعية وعدم إلمام السكان بأساليب الزراعة الحديثة وتلكؤ بعضهم في الاستقرار النهائي نتج عنه فشل المشروع في مراحله الأولى.

وحقيقة، فإن فشل المشروع لم يكن بسبب نقص الجهود الحكومية بقدر ما يعود إلى عوامل بيئية (إيكولوجية) محضة، إذ بعد هطول الأمطار سنة ١٩٦١م وبكميات وفيرة هجر معظم السكان مزارعهم وعادوا إلى حياة البداوة والترحال، إلا أن عودتهم لم تكن موفقة بأي حال من الأحوال إذ سرعان ما اكتشفوا أنه لم يعد بمقدورهم تنمية ثروة حيوانية كما كانوا يأملون، بسبب استمرار الجفاف في السنوات اللاحقة وتوالي فقدان الثروة الحيوانية[٢].

---

(١) العبادي (١٩٨١) مصدر سابق. ص ص ١٣٦-١٥٧

(٢) محمد حسن إبراهيم (١٩٨١م) مشكلات توطن البدو في الشرق الأوسط مع اشارة إلى مشروع حرض التوطيني. رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة كورنيل: نيويورك. (بالإنجليزية).

مشروع حماية وتنمية المراعي: وفي عام (١٣٨٢هـ-١٩٦٢م)، وبعد إدراك الحكومة فشل مشروع وادي السرحان وأنه لم يحقق إلا بعض أهدافه، لجأت إمارة منطقة الجوف إلى حماية المراعي في منطقة وادي السرحان بعد أن لاحظت الإمارة مقدار الضرر الذي أحدثه الجفاف من جهة، وسلوك البدو من جهة أخرى، فدخول السيارة مكّن البدو وفي جميع مناطق المملكة من الوصول إلى معظم مناطق الوادي ومن ثم نقل حيواناتهم وبأعداد كبيرة إلى تلك المناطق بسهولة، الأمر الذي قضى على الغطاء النباتي في معظم أجزاء الوادي كما قضى الاحتطاب الجائر على كثير من الشجيرات التي كانت تنبت في الوادي.

وحقيقة، فإن السكان وحتى تلك الحقبة، كانوا يستخدمون الحطب وقوداً في المنازل وللتدفئة، علماً أن الوقود السائل كالكيروسين كان يتوفر وبأسعار معتدلة للغاية، فقد كانت صفيحة الكيروسين تكلف مبلغاً لا يزيد عن خمسة ريالات وهو مبلغ زهيد في حينه، إلا أن الحصول على الأخير دون عناء يذكر بسبب توفر بعض السكان على سيارات، نجم عنه تناقص في أعداد الشجيرات ومن ثم مشكلة تصحر على نطاق واسع[(١)].

وقد كان من أهداف المشروع حماية المراعي، وتوجيه السكان نحو الزراعة المروية، واستخدام الوقود السائل بدلاً من الحطب، وهو ما يحتم في المرحلة الأولى استقرارهم في أماكن ثابتة، وبعد جهد كبير نجحت خطط الحماية، ولا سيما أن إمارة الجوف طبقت معايير صارمة في حماية الأرض حيث حددت المواقع الخصبة في الوادي و منعت الرعي فيها سنوات عدة حتى تعود إلى طبيعتها، وقد توصّل البدو إلى قناعة تامة أن لا سبيل أمامهم إلا الاستقرار وذلك بعد أن خصصت لهم قروض وأراضٍ زراعية جديدة لمن يرغبون في الاستقرار وفلاحة الأرض، وهي محفّزات تلافت جميع الأخطاء التي حدثت في مشروع وادي السرحان.

توطين بدو الشرارات: كان من أهداف مشروعي وادي السرحان وحماية المراعي

---

(١) محمود العقيلي (١٩٨٦م) توطن القبائل البدوية في شمال المملكة العربية السعودية. رسالة دكتوراه غير منشورة. جامعة مانشستر. (بالإنجليزية).

هو – كما سلف – توطين بدو الشرارات وجماعات أخرى، حيث قام كل من عبدالرحمن بن احمد السديري أمير الجوف، وعبدالله بن عبدالعزيز السديري أمير القريات في تلك الفترة بعرض أمر توطين الشرارات على الجهات المختصة، فصدرت الموافقة على توطين القبيلة في عام ١٩٦٢م، حيث تمت مساعدة الراغبين في التوطن على امتلاك أراض زراعية و حفرت لهم الآبار وتم توفير مضخات الماء، وقد كان من نتاج ذلك قيام مدينة طبرجل (اللحاوية سابقاً) في قلب وادي السرحان.

وفي مراحل لاحقة، تم توزيع أراضي إضافية لمن يرغب سكنى المكان الذي أصبح مأهولاً، الأمر الذي استلزم إنشاء بلدية طبرجل عام (١٣٩٥هـ١٩٧٥-م)، وهو العام الذي بدأ فيه صندوق التنمية العقاري تقديم قروض للراغبين ببناء مساكن حديثة، ومن أقدم الذين سكنوا طبرجل الشيخ عاشق بن كاسب اللحاوي، وعبدالله الدويرج، وسمير الأصوغ وغيرهم ممن تمسكوا بخيار التوطن[١].

وتتوافر في طبرجل الآن معظم الإدارات الحكومية التي تجعل منها مكاناً مناسباً للسكنى، خاصة وإن معظم سكانها (٧٥٪) ممن تقل أعمارهم عن (٢٥) سنة ومنهم (١٥) ألف طالب وطالبة، يذهبون إلى (٢٠) مدرسة للأولاد و (١٥) مدرسة للبنات، وقد تم افتتاح كلية مجتمع للبنات في المدينة عام ٢٠٠٣م بسبب زيادة عدد السكان، الأمر الذي تطلب التوسع في الخدمات، ومنها التعليم.

يشار إلى أن أول مدرسة للأولاد افتتحت قبل ذلك بكثير، أي خلال سنوات التوطين الأولى، وكانت عبارة عن غرفتين ألحقتا بمنزل الشيخ عاشق اللحاوي حيث ابتدأت بفصل دراسي واحد وستة تلاميذ شكلوا فيما بعد نواة النخبة المتعلمة في المدينة، مما دفع الأهالي إلى إدراك أهمية التعليم وإرسال أبنائهم إلى المدارس فيما بعد، وهو ما أسهم وبدرجة كبيرة في نجاح عملية التوطين[٢].

ذكر إبراهيم السطام (١٤٠١هـ١٩٨١-م)، أن عدد سكان طبرجل لم يكن يتجاوز (٣٠٠٠) نسمة في منتصف السبعينات الميلادية، ثم قفز إلى أكثر من

(١) إبراهيم بن خليف السطام (٢٠٠٦م) الشؤون البلدية والقروية بمنطقة الجوف. تقرير غير منشور.

(٢) Alradihan, Khaled (2006). Adaptation of Bedouin in Saudi Arabia to the 21st Century: Mobility and Stasis among the Shararat", In: Nomadic Socities in the Middle East and North Africa, Edited by Dawn Chatty. Published by: Brill.

(١٥) ألف نسمة خلال الثمانينات الميلادية[١]، وبحلول (١٤١٧هـ١٩٩٧-م) قدر الرديعان[٢] أن عدد السكان كان بحدود (٢٤) ألف نسمة طبقاً لإحصاءات بلدية طبرجل في العام (١٤١٧هـ١٩٩٧-م)[٣]، أما اليوم فإن عدد سكانها يناهز (٤٥) ألف نسمة طبقاً لإحصاءات عام ١٤٢٥هـ، وهي زيادة مضطردة جاءت نتاجاً لجهود توطين البدو ونمو عدد السكان طبيعياً، وتدني نسب الوفيات مع تقدم الخدمات الصحية وارتفاع مستوى المعيشة.

وفيما يتعلق بجهود الإمارة في عملية توطين الشرارات، فإنها بدأت مبكرة عندما اكتشف عمق مأساة البدو بعد تراجع أهمية الجمل الذي فقد بعضاً من قيمته المادية والمعنوية بعد دخول السيارة ووسائل التقنية الحديثة إلى المنطقة وبعد تنوع سبل الرزق، وقد تكثفت الجهود في العقد الممتد ما بين عام ١٩٥٣م و١٩٦٣م، حيث تشير الدراسات (العبادي،١٩٨١م، كول والتركي، ١٩٩٨م، الرديعان، ٢٠٠١م) إلى أن تلك السنوات كانت من أصعب ما مرّ على البادية في المملكة بشكل عام والشرارت على وجه الخصوص، فقد كان من سمات تلك الفترة انحباس المطر سنوات عدة، ونفوق أكثر من ٩٠٪ من الثروة الحيوانية التي كان يمتلكها الشرارات، ومن ثم عدم قدرتهم على بناء اقتصاد رعوي (pastoral economy) كما كانت الحال عليه عندما كان خيار الهجرة متاحاً أمامهم قبل رسم الحدود السياسية بين الدول[٤].

لقد أسهم الوضع الجيوبوليتيكي والجفاف، وبشكل كبير، في دفع السكان نحو مستقبل غامض، يشير عبدالله بن قاسم النواق (١٩٩٣م) في معرض حديثه عن

---

(١) إبراهيم بن خليف السطام (١٩٨١م) مصدر سابق. ص ص :١٤٠-١٤٥

(٢) Alradihan, Khaled : 2001 .

(٣) في عام ١٩٩٧م وخلال زيارة المؤلف إلى طبرجل بهدف جمع معلومات حول أطروحته للدكتوراه تمت مقابلة المهندس عبدالله الدهام مدير بلدية طبرجل حيث زوده بمعلومات أولية تتناول عدد السكان والمساكن. اتضح من التقديرات الأولية أن عدد سكان طبرجل بحدود (٢٤) ألف نسمة. تم حساب ذلك في ضوء عدد المساكن ومعدل عدد أفراد الأسرة الواحدة. تمكن المؤلف أيضاً من زيارة مستشفى طبرجل العام حيث قام بإحصاءات أولية حول عدد المواليد لحساب الزيادة السكانية بعد الأخذ في الاعتبار متغيرات معدل الوفيات و الهجرة الداخلية إلى طبرجل.

(٤) Alradihan, Khaled : 2001

نشأة طبرجل إلى أن عبدالرحمن السديري كان وراء ظهورها بعد أن تقدم إليه عاشق بن كاسب اللحاوي شيخ الشرارات عام ١٩٥٦م طالباً منحه أرضاً زراعية في وادي طبرجل الخصب(١) بغرض السكنى و استصلاحها وزراعتها(٢)، وقد وافق الأمير على الطلب فوراً بل إنه، في بادرة تشجيعية، قدم للشيخ عاشق مضخة ماء ومساعدة فنية لحفر بئر تأكيداً لرغبته في رؤية أبناء قبيلة الشرارات، وقد اتجهوا نحو الزراعة والاستقرار، سيما وأنهم كانوا أكثر فئة تضررت اقتصادياً جرّاء الجفاف، وكتب العبادي (١٩٨١م) بهذا الصدد أن عدد الجمال النافقة بلغ نحو (٣٣،٠٠٠) جملاً إضافة إلى فقدان أكثر من (٢٤٢،٠٠٠) رأساً من الغنم في وادي السرحان(٣)، بينما يذكر كل من العقيلي(٤) وإبراهيم(٥) أن الذين تضرروا من الجفاف بلغ عددهم أكثر من (٣٦٣،٠٠٠) نسمة في شمال المملكة، معظمهم من البدو الرحل وخاصة الشرارات والرولة وبطون أخرى من عنزة، إضافة إلى السكان الحضر الذين لم يعد بمقدورهم زراعة القمح والشعير كما هي عادتهم السنوية بسبب شح الأمطار(٦)، وبعد أشهر عدة قام الشيخ اللحاوي بطلب (١٥٠٠) دونماً أخرى بغرض استصلاحها وهو ما تمت الموافقة عليه(٧).

يذكر بهذا الصدد أن عبدالرحمن السديري قام بزيارة الموقع الذي استصلحه الشيخ عاشق عندما علم بظهور الماء على عمق منخفض لم يتجاوز ستة أمتار، وقد أسهم أيضاً في تكلفة بناء منزل الشيخ لتشجيعه على الاستقرار النهائي بدلاً من بيوت الشعر التي كان الشرارات يقيمون بها، وهي الخطوة التي شجعت أكثرهم على بناء مساكن دائمة، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل امتد إلى الأسر المعوزة والفقيرة حيث أمر بإرسال أولاد البدو الذين لا عائل لهم، وأغلبهم أيتام، إلى مدينة سكاكا

---

(١) عبدالله بن قاسم النواق (١٩٩٣م) قبيلة الشرارات بنو كلب: موطنهم والانتماء وقول الكتاب...والشعراء. مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٢) النواق (١٩٩٣م) مصدر السابق. ص: ٧٨

(٣) العبادي (١٩٨١م) مصدر سابق.

(٤) الرديعان (٢٠٠٥م) مصدر سابق.

(٥) الرديعان (٢٠٠٥م) مصدر سابق.

(٦) الرديعان (٢٠٠٥م) مصدر سابق.

(٧) النواق (١٩٩٣م) مصدر سابق.

للإقامة في مأوى خصص لذلك بحي الشلهوب ليحصلوا من ثم، على غذاء وملابس ومصروف شهري بحدود (٤٠) ريالاً. وقد انتظموا في مدارس سكاكا لتلقي التعليم وأقبلوا عليه بشكل جيد، وهي الخطوة التي أسهمت وإلى حد كبير في فتح الآفاق أمامهم لاحقاً للعمل في القطاع الحكومي وخاصة قطاع التدريس.

لقد انخرط معظم أولئك في معهد إعداد المعلمين في سكاكا بعد انهاء تعليمهم الابتدائي، وكانوا بعد تخرجهم يعودون للعمل في قطاع التعليم في تجمعاتهم الجديدة في وادي السرحان، كطبرجل والنبك أبو قصر والهجر الأخرى التي نشأت في وادي السرحان بسبب الجهود المخلصة التي كانت الإمارة وراءها.

لم يقتصر الأمر على قيام طبرجل ونموها، بل نشأ في وادي السرحان ما يربو على (٣٠) مركزاً ومنها النبك أبو قصر، والنباج، وشيبة، والعيساوية، وقليب خضر، والناصفة، والرديفة، وغطي، وميقوع، وأبو عجرم، وجميع هذه المراكز يقطنها أسر من الشرارات، إضافة إلى مركز جماجم الذي لا يبعد كثيراً عن القريات وتسكنه أسر من العوازم، ومع مرور الوقت تحول معظم أبناء الشرارات إلى حياة التحضر والرفاهية، بل إن علاقة أبنائهم الذين ولدوا بعد عام ١٩٧٥م مع البداوة بالمعنى المادي (جمل وصحراء وتنقل..) انتهت ولم يعودوا بدواً، عدا ما يسمعونه من آبائهم وأجدادهم عن حياتها ومشاقها، وحتى لا يفقدوا صلتهم بالبداوة التي يظل لها جوانب إيجابية كثيرة فإن بعض الأسر لا تزال تربي الإبل بالإضافة إلى أنشطة الزراعة ليس بالضرورة لأهداف اقتصادية وإن كان ذلك وارداً، ولكن لهدف آخر يتمثل في رغبتهم بالحفاظ على هويتهم وتراثهم، ولاسيما أنهم يربّون بعض سلالات الهجن القوية والتي تعد بحق نادرة.

وحتى لا يكون التوطين غاية بلا معنى، لم يغفل الأمير أهمية الجذور الثقافية لأبناء البادية، بل إنه كثيراً ما كان يقربهم من مجلسه و يشجعهم على المواءمة بين إيجابيات البداوة ومنجزات العصر، فنجده في عام (١٣٨٥هـ-١٩٦٥م) يأمر بإقامة أول سباق للهجن، حيث ترصد للفائزين جوائز قيمة ليتكرر السباق بشكل سنوي، وفي عام (١٣٩٥هـ-١٩٧٥م) يقام المعرض السادس للمنتجات البدوية كالسجاد المصنوع يدوياً ويخصص للفائزين والفائزات جوائز ثمينة بهدف تشجيع صناعة عريقة كادت

تندثر، وكل ذلك بهدف ربط الماضي بالحاضر وخلق التوازن المطلوب بين الأصالة والمعاصرة، بغية منع الأجيال من الانسلاخ من هويتها وتراثها الثقافي.

مشروع توطين بعض عشائر الرولة: عرف عن هذه القبيلة أن معظم أبنائها كانوا من رعاة الإبل، بل إن المستشرق ألويس موزل الذي نشر كتابه عن القبيلة عام ١٩٢٨م قال: «**تعد قبيلة الرولة من أهم رعاة الإبل في شمال الجزيرة العربية بسبب كثرة خيامهم وانتشارهم على بقعة كبيرة من الأرض، فمراعيهم تمتد من شرق دمشق في بلاد الشام وحتى بلدة تيماء في المملكة العربية السعودية**[١]**، وهو ما يعني أيضاً صعوبة جمعهم في مكان واحد حتى يتسنى توطينهم**».

يمكن الإشارة إلى أن رسم الحدود السياسية قد خلق بعض الصعوبات لقبائل الشمال، مما دفَعهم في نهاية المطاف نحو الاستقرار ولا سيما أنه خيار اقتصادي مكنهم من الوقوف على أرجلهم بعد سنوات الجفاف الطويلة التي ضربت معظم المناطق الشمالية في الجزيرة العربية خلال عقدي الخمسينات والستينات من القرن الميلادي المنصرم.

سعى الأمير السديري إلى تشجيع الرولة على التوطن ومنهم: القعاقعة، والمرعض، والفرجة، والبطن الأخير من مربي الأغنام، وقد استجاب معظمهم للتوطن في أماكن كثيرة منها صوير التي نجحت فيها الزراعة بشكل كبير، حيث ينقل سعد بن جنيدل (١٩٨١م) عن ناصر الخضع أمير مركز صوير في حينه قول الأخير إن نجاح السكان وإقبالهم على الزراعة يعود إلى جهود عبدالرحمن السديري ونصائحه بهذا الخصوص[٢].

نشأت مراكز أخرى مثل: هديب وهدبان وزلوم والشويحطية والرفيعة وصفان وخوعاء، علماً أن بعض هذه المراكز مختلطة حيث تضم أسراً من الرولة ومن قبائل أخرى، وقد كان الاستثمار في الزراعة وتقديم القروض العقارية والزراعية للسكان من أسباب نجاح توطن البدو بشكل نهائي في الأماكن المذكورة، إضافة إلى إمداد تلك المراكز بمعظم خدمات البنية التحتية التي تحتاجها، كالمرافق التعليمية،

(١) الويس موزل (١٤١٧م) أخلاق الرولة وعاداتهم. ترجمة د. محمد السديس. ط٢: مكتبة التوبة، الرياض.
(٢) سعد بن جنيدل (١٩٨١م) مصدر سابق. ص:١٧٣

والصحية، وشبكات الطرق، والكهرباء، بحيث يصدق عليها مقولة "المتصل الريفي-الحضري"، فهي مراكز ريفية صغيرة وذات كثافة سكانية منخفضة، إلا أنها تتوفر على معظم الخدمات التي نجدها في المدن الكبرى مما ينفي عنها صفة الريف الخالص، إذ إن أغلب إن لم يكن جميع الأسر تقيم في بيوت إسمنتية حديثة مزودة بالماء والكهرباء ووسائل الحياة العصرية، ويقتني السكان سيارات، وصحوناً لاقطة وأجهزة حديثة، ولم يعودوا بمعزل عن العالم كما كان الحال عليه قبل نصف قرن.

مشروع توطين بعض عشائر شمّر: تعد هذه القبيلة تاريخياً من رعاة الإبل، وتمتد مراعيها من حائل وحتى تخوم مدينة الموصل في العراق، وقد واجهت كغيرها من القبائل نتائج ترسيم الحدود السياسية خلال فترة العشرينات الميلادية من القرن الماضي، ثم موجة الجفاف في الخمسينات، مما أدى إلى هجرة أبناء القبيلة إلى أماكن متفرقة، وتسنى لبعضهم الاستقرار في بعض المواقع وممارسة الزراعة كما فعلوا في قرية الخطة في حائل، حيث كان نجاحهم في الزراعة مثالاً آخر يشير إلى نجاح توطين البدو.

وفيما يتعلق بمنطقة الجوف وجهود عبدالرحمن السديري، فإنه لم يبخس هذه القبيلة حقها إذ شجع أبناءها على الاستقرار ولا سيما أن بعضهم كان يقيم في المنطقة ولكن بشكل مؤقت، وقد تم بهذا الصدد تخصيص موقعين هما: الأضارع والرديفة وكلاهما إلى الغرب من مدينة دومة الجندل حيث قطنت مجموعات كبيرة من أسر الصنوخ والرمال في الموقعين[(١)]، ومما زاد من عدد سكانهما قيام بلدية الجوف بتخصيص مخططات سكنية تم توزيعها على السكان وراغبي الإقامة في الموقعين ممن ينتمون إلى عشائر شمر، بحيث نمت تلك المراكز بشكل سريع بعد تزويدها بالمدارس والمرافق الحكومية.

وسوف يصبح للمراكز المذكورة أهمية بالغة مع الانتهاء من طريق حائل - الجوف، إذ من المأمول أن تزدهر الحركة التجارية في المنطقة، وأن يستفيد السكان اقتصادياً.

(١) ابراهيم خليف السطام (٢٠٠٦م) مصدر سابق.

الفصل السابع عشر

تنمية الأسرة

لطيفة السديري*
هدايـــة درويش**

غنمت المناطق الشمالية الغربية من المملكة الجوف والقريات وتبوك وما حولها، من ميزة الانفتاح الاجتماعي الحاصل من تأثير التواصل السكاني، والتخالط القبلي مع التجمعات الحضرية المجاورة، في سوريا والأردن وفلسطين، فلقد ظلت قبائل الحدود تنداح شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً دون تقيّد بعلامات تلك الحدود ومراسيمها، واحتاج الأمر إلى فترة من الزمن لإقناع تلك العشائر بالانضباط وبمراعاة الاتفاقيات السياسية ومعاهدات حسن الجوار التي تنظّمها.

وكان من حسن حظ هذه المناطق الحدودية الواسعة، أن تختار لها الحكومة أمراء مستنيرين ساعدوا في تنمية هذا الانفتاح، وتعاملوا مع الأهالي وفق الظروف التي اعتادوا عليها ونشأوا، بل وربما تطبّعوا هم أنفسهم - أي الأمراء - بكثير من طبائع المجتمعات التي اختيروا لها، وصارت لهم مع الأيام صلات واسعة مع حكومات الدول المجاورة وشعوبها.

كانت هذه هي سمة المنطقة، وتلك ملامح أهاليها، وصفات معظم ولاتها، ومن بينهم شخصية هذا الكتاب الذي لا يختلف اثنان على أنه كان شخصية مؤثرة في منطقة الجوف، إنّ بالنسبة لطبائعه الشخصية والقيادية، أو بالنسبة للمدة التي أمضاها حاكماً إدارياً فيها.

كانت المملكة تمر بتحولات اجتماعية وثقافية عميقة، وتهيء نفسها للانتقال

---

* تقدم التعريف بها، وقد حررت الجزء الأخير من هذا الفصل.

** إعلامية تدرجت في عدد من الأعمال الصحفية، ثم أسست موقعاً للصحافة الإلكترونية (هداية نت)، يعد من أقدم المواقع المماثلة وأكثرها تميّزاً، وقد كتبت الجزء الأول من الفصل.

من مجتمعها القبلي إلى مجتمعها المدني العصري، ومن عصر البداوة المتناثر البيوت والخيام والمراعي، إلى تجمعات حضرية تساعد في مركزية الخدمات والمرافق، وكان عبدالرحمن السديري أحد أولئك الأمراء الذين امتازوا برؤية حكيمة هادئة، وكان يقرأ الواقع، ويلم بظروفه ومعطياته، ويستشرف المستقبل، مع ذخيرة معرفية واجتماعية واعية بكل من حوله وما حوله من أهل وعادات.

لم يكن هذا الأمير أو ذاك من أمراء المناطق في عموم البلاد، يمتلك تلك العصا السحرية التي تمكّن من التغيير السريع، بل إن هذا النهج لم يكن محبّذاً أصلاً من القيادة، ولا يتناسب مع الظروف الاجتماعية السائدة، إذ كان عليهم أن يعملوا بتدرّج وهدوء لا يُخل بالموروثات والتقاليد والقيم، وهو ما حدث في شتى مناطق المملكة، باستثناء ما كان عليه من تأثيرات خارجية بعيدة (كمنطقة الحجاز) أو مجاورة (كالمناطق الحدودية).

كان أمير منطقة الجوف، موضوع هذا البحث، كما تناقلته الروايات، منفتحاً بطبعه، وكان من أبرز ملامح ذلك إدراكه لأهمية البدء من النواة، من الأسرة، من البيت، وأن يكون القدوة في المجتمع في هذا الشأن، من هنا، كانت البداية في منزله ومع بناته، إذ استدعى مدرسات خصوصيات للكبار منهن، وأوفد الشابات منهن لمدارس داخلية في الدول القريبة المجاورة (لبنان والأردن)، بينما سمح لهن بعد هذا أن يدرسن في جامعات خارجية.

أما بالنسبة للمجتمع، فقد خطا الأمير خطوات حثيثة لإتاحة الفرصة لبنات الجوف للحصول على التعليم، وكان أخوه عبدالعزيز قد تمكن في القريات من قبل، من أخذ زمام المبادرة لافتتاح أول مدرسة حديثة خاصة لتعليم البنات قبل بدء التعليم الرسمي للفتيات، فسار عبدالرحمن على خطى أخيه في هذا المضمار لافتتاح مدرسة مماثلة في وقت مبكر في الجوف، وهو ما مهّد للمنطقة أن تكون في مقدمة المناطق التي يبدأ فيها التعليم الرسمي للبنات بعد إقراره بعام واحد (١٣٨١هـ).

وهكذا تواصل اهتمامه الشخصي لإيجاد البدايات الضرورية لتنمية الأسرة، التي هي أساس قضايا التنمية، فعمل - كما سيأتي - على إنشاء أول مكتبة

مخصصة للمرأة على مستوى الوطن، مما مكن الطالبات والباحثات من أن يتجولن بين جنبات المعرفة والعلوم.

وخُصّت المرأة والأسرة في منطقة الجوف بنصيب أساسي من خدمات مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، التي ما تزال حتى اليوم تقوم بترتيب برنامج ثقافي سنوي للمرأة، وتنظم مختلف الأنشطة والمهرجانات الاجتماعية على النحو الذي تطرقت إليه فصول هذا الكتاب.

وكان من أبرز البصمات التي سجلت لشخصية هذا الكتاب، أنه تعامل معاملة حضارية مع بعض العادات الاجتماعية المتوارثة، التي لا تقوم على أساس شرعي أو إنساني، فكانت له مواقف معينة تجاه التقليد السائد، في كثير من مناطق المملكة، في الحجر على المرأة منذ صغرها أو ما يسمى عادة "التحجير"، والتي تقضي بحجز البنت الصغيرة في القبيلة أو الأسرة حتى تكبر ويكبر قريب معيّن من أقاربها، لتكون بمثابة خطوبة مبكرة قد تبدأ من المهد، وتبقى الفتاة معلقة، بشكل تعسفي، محكوماً عليها بشخص الزوج الذي ستقترن به بعد أن تبلغ سن الزواج.

لم يكن عبدالرحمن السديري، وكثير من المصلحين الاجتماعيين في مناطق المملكة، ليفرض على الأسر والقبائل تغيير هذه العادة بالقوة، وإن كان لديه من الاستنادات ما يخوّله ذلك، لكنه آثر التعامل مع هذه العادات المتأصلة، وإن كانت محدودة الحدوث، بكثير من الحسنى والتعقل والتبصير والتوجيه المباشر وغير المباشر، والإرشاد والتوعية.

فهو، كما في مسألة غلاء المهور، كان ممن يؤمن بأن الإصلاح في مثل هذه الأمور، لا يتأتّى بفرض الأوامر، بقدر ما يتحقق بالإقناع وعرض الحجة ومناقشة السلبيات لكل واحدة من هذه القضايا.

لقد كانت هناك فتيات وعجائز بين عشائر الجوف، وبين كل نساء المملكة، يرزحن تحت حصار من التقاليد، وأطواق من الجهل والتخلف، ويعانين من سطوة عادات، لا يستند كثير منها إلى منطق يبررها أو دين يقرها، ولكي تحقق الأوطان نصراً حضارياً في هذا الاتجاه فهي بحاجة إلى عقول قادرة على أن تحلّق في فضاء

الغد وتعانقه بكل ما فيها من طاقة، فالمعادلة صعبة والتوازن يتطلب الحكمة التي تخترق ميراث الأجداد، وتختزن الصالح منه في قالب واعٍ، وفي وسطية وعقلانية مستنيرة.

إذاً لا بد من الاهتمام بتعليم البنات، في مدرسة تخرُج إليها الفتيات، يحملن الأقلام والدفاتر والكتب، كي يكتبن صفحات التاريخ ومستقبل الوطن، ويرسمن نخلاً باسقاً يظلل وهج الرمال، وغداً، تكون في كل حي مدرسة، وفي كل مدينة معهد وبجواره كلية، وفي كل منطقة جامعة للبنات والبنين، حتى يتجنبون ويتجنبن الغربة في الخارج، أو النزوح في الداخل في طلب العلم.

تدور الأفكار في رؤوس القادة المستنيرين من ممثلي الملك في إمارات الأقاليم، فتبدأ في القريات ثم في الجوف أول مدرستين في شمال غربي البلاد، بدأ التفكير في الأولى شقيقه عبدالعزيز، الذي كان ذهنية عصرية متصلة بالعالم الخارجي، فيلحقه أخوه عبدالرحمن في الجوف، ويشجع الأهالي على أن يرسلوا بناتهم، كما أرسل هو بناته إلى تلك المدرسة، وليرتفع عدد الطالبات وتزداد الصفوف، وتتنافس الطالبات على أعلى الدرجات، أسوة بما يحدث في بقية المناطق بين الفتيات وكذلك بين الفتيان، ويكون من بينهن الكاتبات والمبدعات في شتى حقول المعارف العلمية والإنسانية.

إن من أجمل الأشياء، التي تلفت أنظار زائر الجوف، هو هذا المَعْلم الحضاري الفريد، مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، بمبناها، ومسجدها الأنيق، ونزلها ذي التصميم المميز، لكن ما يعنينا في هذه الصفحات من هذه الدار أن للمرأة والأسرة والطفل، نصيباً كبيراً من عمل المؤسسة ونشاطها، تشغيلاً وحضوراً وتفاعلاً، وسيجد القارىء الكريم في تقارير أدائها وفي الرصد الملحق بالكتاب (للمادة الصحفية)، تعدد الندوات والنشاطات المخصصة للأسرة بين فعاليات هذه المؤسسة الرائدة في شمال غربي البلاد.

وقد أدرك أهمية المكتبة في حياة المرأة ومسيرتها نحو التنمية، وكان مشروعه الذي يجب أن نذكره له بكل الخير ضمن منظومة تحديثه هو إقامة هذه المكتبة: مبانيها وقاعاتها، صحائفها ومجلاّتها، موسوعاتها وكنوزها، والفتيات يجلسن

في مقاعدهن، وعلى الطاولات تتراص وتتناثر الكلمات، وتتعدد وتزداد الأنامل الصغيرة التي ستزرع بذوراً في فضاء الوطن تقلّب الصحائف بحثاً عن علم ينفع ويروي في القلب ظمأً ويورق في شجرة العمر أغصاناً يانعة تُؤتي ثمارها لأرض تستحق منا أن نقدم لها ولو قليلاً مما قدمته لنا.

مكتبة للمرأة بجوار مدرسة البنات.. كم كانت الفكرة رائدة ولغة الرقم تقول عنها: إن عدد الزائرات للمكتبة منذ إنشائها في ٩/ ٩/ ١٤٠٣هـ قد بلغ (٤٩٣٠٠٠) زائرة، بمعدل (٢٠٥٠٠) زائرة سنوياً، أي ما يقارب (٦٠) زائرة يومياً من التلميذات والطالبات في المدارس والكليات والباحثات في درجات علمية متقدمة وسيدات المجتمع اللاتي يحرصن على الثقافة وعلى التزود بالعلوم الشرعية وغيرها من العلوم والاداب.

وليتخيل القارئ الكريم هذا العدد من الفتيات والسيدات في اليوم الواحد يقفن أمام الأرفف والفهارس، ويخترن ما يردن من الصحف والدوريات في شتى شؤون المجتمع والحياة إلى دوائر المعارف التي رصدت تجربة الإنسان، تجلس كل واحدة منهن زهرة في رياض العلم، تتنسم هذا المناخ الذي يبعث على الإبداع الإنسانيّ بكل جوانبه وأبعاده.

قد تنطلق كلمة الإبداع أول ما تقال نحو الأدب والفكر، ولكن الإبداع الأكثر حيوية والذي نحتاجه اليوم هو من الوعي الإنساني الذي يتشكل منه مجد الوطن ورقيّه.

إننا اليوم نعد الإنسان في المدارس والجامعات والمراكز البحثية والدورات التدريبية ونساعده بالتكنولوجيا المنفتحة على العالم، وذلك بحكم المنظومة العالمية التي علينا أن نقتحمها ونثبت وجودنا في سياقها، وكل هذا ما كان سيحدث لولا الرؤية الثاقبة لجيل عايش ظروفاً قاسية، مناخاً وتقاليد وعادات، جيل أخذ على عاتقه مهمة التحديث بوعي اجتماعي لا يبتعد عن الشرع، وباستشراف حدسي نابع من بصيرة ذكية وروح مؤمنة بالله، وإدراك يعي مصالح الوطن، ومن رموز هذا الجيل كان أميرنا عبدالرحمن السديري، وعلامات مثله استطاعوا أن يتخيلوا المملكةَ في فضاء الغد وأن يرسموا لها ملامحَ على طريق الإصلاح والتحديث،

فالحديث عن مرتبة المرأة التي شيّدها يضيف إلى رصيد هذا الرجل في سجل عطائه الإداري والإنساني، ويصبح السديري وأمثاله بهذا الفعل نموذجاً يحتذى أيضاً في أهمية استشراف الغد على أساس من الحكمة والتدرج والصبر.

إن الواقع والخيال يتضافران في شخصية هذا الكتاب، بما يدل على تكامل رؤية الرجل، والوفاء هنا يحتم علينا أن نرد شيئاً من الجميل الذي قدّمه لنا عبدالرحمن السديري، يتمثل في استثمارِ منشآته، والعمل على تطويرها ومتابعة سير أدائها بشكل يصب في مصلحة الوطن والمواطن.

إن كلّ تلميذة تستمع وتحصل على معرفة في مدرسة الجوف هي بذرة وفاء للأمير عبدالرحمن السديري، وكل روح تبحث عن الكلمة الصادقة في مكتبة الجوف هي زهرة رواها بعطائه، وبابه المفتوحِ لكلّ أخواته وبناته من أهلِ الجوف، وكل امرأة شاركت في تنمية بلادها هى نتاج لفكر ورؤى وضعها على أول الطريق منذ عشرات السنين.

الإنسان كل لا يتجزأ، والرجل الذي عاش راعياً في بيته ولأسرته استطاع أن يرعى أسرة الجوف الكبيرةَ بالحب ذاته، وبالحنو نفسه، وبالعطاء المستند إلى رؤية عقلية واضحة المعالم، وهكذا كان عبدالرحمن السديري قلباً وعقلاً يعملان بالقدرِ نفسه من الطاقة المستمدة، من قبس روحي كان في تلك النفس التواقة لأن تفعل لمن حولها أكثر مما تفعل لنفسها، وهذا هو سلوك الفرسان في كلَ زمان ومكان.

كان مدركاً للصورة التي تشكل ملامح المجتمع الحديث، كان يرى هذه الصورة بكل ما فيها من عناصر وخلفيات وعلاقات ومساحات وألوان وأحوال، وكان من الحكمة بحيث يشارك في صنعها دون خوف، وبالمرونة التي يتقبلها المجتمع ولا يصّدم بها، وتلك ميِّزة الإنسان المنتمي إلى ثقافته، فهو يجدد فيها من داخلها وباستيعاب كامل لطبيعتها على عكس بعض الشخصيات التي تصدم العقل الجمعي وتجعله رافضاً لكل تغيير أو تحديث، وأكثر تمسكاً بتقليديته لأنه يدرك أن هذه الشخصيات لا تصدر في خطابها عن وعي حقيقي بجماعتها الإنسانية أومنظومتها القيمية.

كان يتمتع بحضور وقدرة على الإقناع، إضافة إلى معرفة عميقة بروح بيئته وثقافته وفهمه لطبائع الناس ودوافعهم، وحينما تفهم الناس فإنك تستطيع أن تنتج خطاباً صادراً من أعماقهم، بشكل يجعلهم يرون أنك تتحدث باسمهم جميعاً، وأنك تحقق أحلامهم وأمانيهم، وترى ما يستشرفون إليه، وتبني لهم الدار التي تتوق نفوسهم للسكنى فيها.

كان من الصعب على أي شخص آخر أن يتخذ قراراً يمسّ ما يراه الناس عرفاً وتقليداً، فالمجتمع لم يشاهد من قبل امرأة تقود سيارة وتمضي في سبيلها، اعتاد الناس على رؤية الرجل فقط يقوم بهذا، ولم يتساءل أحد، وماذا لو كانت المرأة ترعى أباً شيخاً وأمّاً عجوزاً، مَنْ الذي سيقود دفة الحياة، ومَنْ الذي سيوجه المركب العائلي؟

وواجهت السديري هذه المشكلة وسمح لتلك المرأة التي ترعى والديها أن تفعل ذلك تحقيقاً لمبدأ المصالح المرسلة الذي ينظر إلى ما ينفع الناس ويمكث في الأرض، وأمر رجال الأمن ألا تمنع من هذا العمل، خاصة وهو لايخالف الدين ولا يمس بالشرع.

حقاً كم كان هذا الرجل قادراً على أن يستمد من القيم الدينية جواهر العقد الاجتماعي، كان واعياً بضرورة مشاركة المرأة نفسها في ذلك السياق الإصلاحي من خلال الأدوار التي منحها لبناته في التعليم والإشراف على المؤسسة التعليمية بالجوف، وكانت بناته في قلب العمل الاجتماعي، ومع كل أسرة يقمن بوظيفة خيرية وإصلاحية ويصبحن القدوة والمثل للمرأة في الجوف.

كانت زوجته (أم فيصل) وبناته أكبر عون له على متابعةِ أحوال المرأة من داخل البيوت، ومن رؤية واقعية، فهو لم يطالب المرأة بالمشاركة في إعادة صياغة المجتمع فحسب، على أساس من الأخلاق الدينية والأفكار الصالحة لكل زمان ومكان، وإنما كانت المرأة في بيته علامة على الدور الإنساني والاجتماعي للمرأة في الجوف وفي المملكة بعامة.

كانت نظرته الإصلاحية شاملة، فكما كان مجدِّداً في بعض السياقات الاجتماعية كان محافظاً ومنمّياً لبعض التقاليد الإيجابية، مثل الاهتمام برموز

الهوية العربية، وبصفة خاصة الخيل وسباقات الهجن والصناعات اليدوية لأعمال السجاد والسدو، بل ونظَّم المسابقات ورصد جوائز لأفضل قطعة سجاد وسدو من أجل تحفيز الفتيات «الجوفيّات» على العمل وزيادة الإنتاج وتحسين مستواه، وقد كانت أول جائزة للسجاد في عام ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م)، وكان اهتمامه الخاص أيضاً بالزراعة وتنمية الثروة الحيوانية واضحاً للعيان.

وقد يبدو للقارئ الكريم أن هذه الاهتمامات تنفصل عن موضوع المرأة، ونحن لا نرى ذلك، لأن التنمية الاقتصادية والاجتماعية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بقضية المرأة في منظومة واحدة، ولا شك أن كل ازدهار في فضاء الوطن تواكبه مساحة أكثر إنسانية للمرأة التي تجد لنفسها أشكالاً من الوجود الثري البنَّاء، في سياق مجتمع يطمح إلى مزيد من الارتقاء اللائق بإمكاناته البشرية والاقتصادية والأخلاقية والمعرفية.

لقد كانت قضية الأسرة، بكل مكوّناتها، البيت والطفل والأمومة، والمرأة بكل صفاتها ومواقعها في العائلة، تطرح نفسها في فكر كل ذات مشغولة بالتنمية الإنسانية، وقضية محورية في كل عملية إصلاح اجتماعي، ذلك أن المجتمع لا يمكن أن يسير دون محركيه الأساسيين: الرجل والمرأة معاً، أما إذا تعطل أحدهما فإنه الخلل بعينه، يصيب المسار الحضاري والتنموي.

وكان مما تميزت به شخصية هذا الكتاب بين أقرانه من التنويريين الإداريين، أنه عندما بدأ بتشجيع بناته على مواصلة التعليم، وأتاح لهن التعلم داخل بيته أو بإيفادهن إلى الخارج، أو بدراسة منهج البنين (من المنازل)، لم يكن ليؤثرهن على غيرهن، بقدر ما كان يقصد أن يكون قدوة للغير، وأن يؤهلهن للعمل في كل مدرسة جديدة خاصة أو عامة تفتتح في المنطقة، ولذلك نراه يسارع عند افتتاح تلك المدارس الرائدة في الجوف، فيدفعهن للعمل، ليقدن عملية الإسهام في تعليم المرأة، وذلك إلى جانب التزامات بعضهن الزوجية أو الدراسية.

كما أنه ينبغي التأكيد، على أن هذا المسؤول، لم يكن ليتخذ هذه الخطوات، لو لم يكن يحظى بثقة القيادة السياسية ودعمها لجهوده، ولو لم يكن ليجد التجاوب والتفاعل من المحيطين به من الأهالي والعشائر والأفراد، إذ لم يسجل لنا الرواة

أي مقاومة تذكر لما كان يتخذه من مبادرات في مجال إدخال التعليم في مجتمع الجوف، بخلاف ما كان لقيه مصلحون آخرون في بعض تجمعات سكانية أخرى من مناطق البلاد.

ولو قدّر لنا أن ندخل في أعماق عبدالرحمن السديري ونفسيته، وأن نحلل دواخل شخصيته، لوجدنا أنه ربما اكتسب كثيراً من صفاته الإنسانية من خلال تأثيرات الأبوّة والأمومة عليه، فأما مؤثرات الأبوة، فإن مكانها في موقع آخر في مطلع الكتاب، وأما تأثير الأمومة، فالظاهر لي أن شخصية والدته، رحمها الله، منيرة بنت زيد آل رشود، قد كان لها تأثير بالغ في تشكيل شخصيته، وكانت بالنسبة إليه المدرسة الأولى التي تلقن منها خصال الصبر والأناة، ونهل من عطائها صفات العطاء والحنو والحنان، وكنت قد عرفت من خلال الحديث مع عدد من نساء الأسرة، كم كان، رحمهما الله، ملتصقاً بها وقريباً منها، وهو أمر طبيعي بالنسبة لمن كان يمثل أصغر أولادها.

ولن نذهب بعيداً عن تأثير الأمومة والأبوة، لننتقل إلى مؤثر أشمل آخر وهو محيط البيت الذي تربى فيه، فالمعروف، كما ورد في الفصل الأول من الكتاب، أنه عاش في أسرة كريمة جبلت على الحب والتسامح وصلة الرحم، وشاع فيها مبدأ احترام الصغير للكبير وتوقير الكبير للصغير، وهي بيئة استمرت على هذا النمط من الشمائل حتى اليوم، وأورثته لكثير ممن ارتبط مع هذه الأسرة بروابط أرحام ومصاهرات.

لقد عاش رحمه الله، بفتح قلبه وبيته لأهله وذويه حيث يعمر الحب كل أرجاء منزله، ويسود الاحترام أركان داره، وكانت قريباته يرين فيه، وإخوانه، «ديمة مطر» تزرع الحب والأمان والسكينة في المكان، في حين كان الإخوة الذكور مظلة وصل وقربى لأخواتهم وحفيداتهم وأسباطهم.

ولا تسلني أيها القارىء الكريم، كم كانت المرأة، أماً وزوجة وأختاً وبنتاً، تمثل في مثل هذه الأسرة، سواء عند شخصية هذا الكتاب أو عند غيره من إخوانه، فإن الأمور الخاصة والعامة، الداخلية والخارجية، لا تعقد دون استشارتها وأخذ وجهة نظرها وإشراكها في الرأي حيالها، في بيئة أشبه ما تكون بـ «برلمان» أسري

مصغر داخل الأسرة الصغيرة، فالأكبر وهكذا، فضلاً عن كون الأمور لا تبرم دون إذن الكبير، وإعطاء الفوارق العمرية كل اعتبار.

وقد عرف عن علاقته الزوجية بحرمه منيرة الملحم «أم فيصل» التي عاشت عمرها معه، وتوفيت قبل وفاته بعامين، أنها كانت – دون انتقاص للآخريات – بمثابة العلاقة النموذجية التي يمكن أن نتصورها بين شخص بمكانته من الأخلاق الفاضلة، وبمنزلتها هي من حصافة الرأي وسداد الزوجية والأمومة وإدارة البيت.

لم أكن لأتطرق إلى مثل هذه الأمور الخاصة لولا أنها تكشف للقارئ الكريم الدواخل النفسية والشخصية لصاحب السيرة، وهي الدواخل التي يمكن أن نستشف منها تركيبته الإنسانية والبيئية التي نشأ فيها وعاش عليها ومارسها داخل منزله، ولنستنتج منها فكره الذي انطلق منه لغرس بذور التنمية الأسرية في مجتمع الجوف.

إن كثيراً من الأمراء الذين تولوا مناطق عديدة داخل منظومة هذا الوطن العزيز، كانوا يُنقلون من مدينة إلى أخرى أو من منطقة إلى منطقة، فلم يكن بمقدور بعضهم أن يرتبطوا وجدانياً مع الأماكن التي أُمِّروا فيها، أما بالنسبة لصاحب هذه السيرة، فكان من ثمرة بقائه خمسة عقود في الجوف، أن أصبحت مدنُها وقراها وبواديها حاضرة في أعماق قلبه تنافس مسقط رأسه، وكان من نتيجة ولاء أسرته لها، أن ظل أبناؤه وبناته أوفياء للجوف، بيد أنه لا فرق بين منطقة وأخرى، ومدينة ومدينة، لكنه على كل حال أمر يحمد للأسباب التي أسهمت فيها، كما يحمد للإنسان الذي غرس في أبنائه وبناته خُلُقَ الوفاء للأوطان.

لقد روت لي بناته كلهن دون استثناء، وزوجات أبنائه قصصاً عديدة، لو دخلنا في تفاصيلها لاحتجنا إلى عشرات الصفحات، حول معايشة والدهن للقضايا الأسرية المختلفة التي كانت تواجهه إبان عمله في الجوف، وكيف كان يعالج الأمور بخصوصية بالغة، وبسريّة تامة، وكيف كان يتخذ من بناته مستشارات عمل اجتماعي للمشكلات التي تعرض له، فهذه حال امرأة تتعرض لولادة متعسرة في الستينات من القرن الهجري الماضي، ويبعثها بسيارته الخاصة إلى أقرب دولة

عربية مجاورة، أو تلك التي تحتاج إلى نقل دم في إثر عملية جراحية فيوقظ ابنته وزوجها للعمل على إسعاف المريضة، وثالثة يبعث ابنته لتقصّي أوضاع أسرتها المادية.

وهذه بنات أخواته وإخوانه، يروين حالات أخرى من لقاءات حميمة معهن، يتبادلون فيه أطراف الحديث حول العديد من القضايا الخاصة والعامة، وكان ينصت إليهن، ويمنحهن المشورة عند الحاجة، مما يبين أن احترامه لعقل المرأة كان جزءاً لا يتجزأ من نظرته للإنسان ولكيان الأسرة والمجتمع ككل.

واستمرت هذه العلاقة الحميمة ظاهرة على سلوكه مع قريباته ومع أسر منطقة الجوف، كما بقيت ظاهرة مع الأطفال والأحفاد يمنحهم من الحب والوقت كل الذي يستطيع أب أن يمنحه لأطفاله وأطفال من حوله بالرغم من مسؤولياته.

وكما شغلت الأسرة وعيه الإنساني والاجتماعي والإداري من منظور تطويري، فقد شغلت حسه الإبداعي من خلال القصيدة، إلا أن ذلك مما تطرقت إليه مواقع أخرى من هذا السّجل، نماذج مما قاله في أهله وأطفاله وأحفاده.

لقد كنت على يقين، عندما التزمت بكتابة هذه الفقرة، وشرعت بوضع بداياتها أنها ستكون مشروعاً مشتركاً مع بناته اللواتي أعتز بصداقتهن منذ سنوات، لكن الأيام مضت دون أن أنجح في تحقيق ما أردت، ذلك أن العاطفة كانت تحجب التعبير عندهن، وحالة مرضه كانت تعقد اللسان، ثم صارت معاناة العودة بالذاكرة إلى استحضار الذكريات مع الأم والأب بعد فقدهما تربك التفكير، كنت أدرك أنه ما كان بالإمكان لإنسانة مثلي من خارج محيط الأسرة، مهما بلغت صلة الصداقة والمعاشرة، أن تكفي لتصوير علاقته الخاصة داخل أسرته، واحتاج الأمر إلى أكثر من عام بعد وفاته، كي تتفق الأخوات على إنابة ابنته لطيفة للمشاركة في تحرير هذه الفقرة، وهي التي تتواضع كثيراً عن الإفصاح عن دورها في خدمته، وملازمته في مرضه، وتنفيذها لرغباته الإحسانية، وكتمانها لأسراره الإنسانية، والالتصاق به إبان صحته وفي أثناء مرضه واستشفاءاته.

ورغم مرور بعض الوقت على وفاته، رحمه الله، إلا أن «أم عبدالله» كانت السباقة إلى الاعتذار بأن ما كتبته من مشاركة، ما كانت لتعبر بما يكفي عن

مكنوناتها، فلقد كانت تتوقف عن الكتابة كلما «جرفها» الموقف إلى تذكّره، وتمزق أوراقها كلما حرقتها العاطفة.

تقول لطيفة بنت عبدالرحمن السديري:

«تصنع تاريخ الرجل مواقفه من قضايا عصره، وتوجهاته وعلاقاته المتشابكة بمن حوله من أسرته أو في محيط العمل وخارجه..

وإذا كانت الشخصية التاريخية هي من يقدر له أن يحيا حياة متوازنة تستجيبب للمتطلبات الإنسانية، وتفي - في الوقت نفسه - بالتزامات الواجبات العملية، فإنه لا فاصل بين ما هو رسمي وما هو إنساني، وبين ما هو شخصي وما هو عملي، دون أن يطغى أحدهما على الآخر، فلا إفراط ولا تفريط.

هكذا كان للوالد ميزان دقيق في علاقاته: رسمي المظهر، رقيق المخبر، التزام صارم مع تؤدة وتأنٍّ في اتخاذ القرار..

إيمان بالثوابت مع انفتاح على المتغيّرات، التي لا يقبلها على عواهنها بل يناقشها بهدوء، مؤمناً بحتمية العصر دون الإخلال بتميز خصوصية المجتمع ورواسخ معتقده وأعرافه.

كانت مواقف الوالد، تنساب في هذا الإطار، في علاقاته الإنسانية الشخصية والعملية الرسمية، وكانت المرأة جزءاً من هذه الحياة بشقّيها، تلوّنت بمواقف داعمة، وإنجازات مثمرة.

ففي الجانب الشخصي كانت المرأة في حياته تمثل صلة الرحم والنسب، أما في الجانب الرسمي فإن المرأة صاحبة حاجة، والشريكة في التنمية والإنتاج.

لم أدرك والده (جدي) ووالدته (جدتي)، لكنني عرفت من والدتي كيف كان والدي قريباً جداً من والدته، باّراً بها، كثير الاستماع إلى شكواها في وقت كان والده مشغولاً بالتزاماته الأسرية والإدارية.

وكان من أبسط مظاهر بر والدي بوالدته، أنه كان يوقظ والدتي قبيل صلاة الفجر كي تعد القهوة لوالدته، ولتعمل على تدفئة الماء لوضوئها، ومن المعلوم أن الكهرباء - في حينه - لم تكن ميسورة، ومواقد التسخين والتدفئة العصرية بالتالي لم تُجلب

بعد، فكان التسخين يتم على الحطب، كعادة الناس في ذلك العصر.

وكانت والدتي، تُقبل بأريحية على البر بأمه، لأنها تجد في ذلك طاعة لزوجها، وقدوة لأبنائها، ودرساً اجتماعياً للأحفاد، وكان يثّمن تصرفها ويحسسها برضاه وتقديره لما تفعله، بل كانت اجتهاداتها تجاه الأم (الكبيرة) مصدر ارتياح الأسرة بأكملها، يزيد من حلاوة العشرة، وينعكس على ترابط العائلة وترابط أفرادها.

والسلوك الحميمي ذاته كان يوشّح علاقته بإخوانه عاطفة متينة من الحب والترابط تسود بينهم، وقد ذكرت لي أكثر من عمة من عماتي الباقيات، كيف كان يتعامل معهن، باحترام بالغ للكبير منهن، وتقدير عميق لمن في عمره أو دونه، يحفظ أسرار الجميع، ويأنس بارتياح لإطلاعه على مشكلاتهن، ويقدم نصائحه لمن يحتاج منهن بترفق وحنوّ، حتى لقد سمعت من أكثر من واحدة وصفهن له بالديمة، وهي - كما هو معروف - المطر الهادىء الخالي من مرافقة الرعد والعواصف، وقد كان الوالد يحرص على الاجتماع بهن في كل زيارة له قادماً من مقر عمله في الجوف.

امتدت علاقة والدي بوالدتي «منيرة بنت محمد الملحم» لأكثر من ستين عاماً، وعلى أكثر ما تكون العلاقة بين زوجين تميّزاً وعمقاً، هو من جانبه كان رجلاً سابقاً لعصره من حيث الانفتاح والارتفاع بالعلاقة الزوجية نحو الحميمية الصادقة والسموّ والندية في التعامل، وهي من جانبها من حيث التضحيات والوفاء وحسن إدارة الشأن الداخلي للأسرة، وكانت - بتشجيع من الوالد - تستقبل ذوات الحاجات من النساء، وتستمع إلى شكاواهن، وتنقلها إليه، ولم تكن لتكتفي بالنقل بل ربما استقصت أوضاع أولئك السيدات وقدمت مقترحات وتوصيات وفتحت له آفاقاً لكيفية تلبية مطالبهن وفق فهمها ورؤيتها النسائية المدركة لظروفهن وقضاياهن مما قد يغيب عن نظر الرجال، كان، رحمه الله، يحترم رأيها ويطلب وجهة نظرها في العديد من الأمور الأسرية والعامة، ويوصينا بالرجوع إلى رأيها في المشكلات التي تستعصي علينا حلولها وفهمها ومجابهتها.

ومع أنها - أسوة بكثر من أمهات جيلها - لم تتلق تعليماً حديثاً كافياً، لكنها كانت موهوبة بذكاء فطري وحس إنساني وفهم اجتماعي يقدر الواقع ويحسب

للمستقبل، وهو ما جعل الوالد يعتمد عليها في البحث عن حلول لكثير من العُقد الأسرية الحساسة.

لقد كان، رحمه الله، أسرياً بطبعِه، عائلياً بعاداته، فبرنامجه اليومي لا يكاد يخرج عن محيط منزله ومكتبته ودكّته وصالونه ومسجده ومزرعته ومسار رياضة المشي عنده، مخصصاً جزءاً من صبحه وظهره ومسائه وقتاً للالتقاء بأسرته الصغيرة، زوجته وبناته، يتعرف على أحوالهن، ويمازح أحفاده وأسباطه، ويوجه بلطف حين يكون التوجيه لازماً، ويحل المشكلات حيث يكون تدخله ضرورياً، لا ينتهك خصوصيات أبنائه وبناته إلا بقدر ما يراه لازماً، فتجده يعالج الأمور بروّية ورفق، وبالتلميح غالباً، حتى لقد ترك في ذاكرتي وذاكرة كل واحد منا مواقف ملؤها الثقة بالنفس والاعتزاز بنصائحه وأبوّته، وخلّف في انطباعاتنا معه مشاهد لا تنمحي من الحب والعطف والإرشاد المقرون بالتوجيه غير المباشر.

إن من نافلة القول التذكير - بعد كل ما صوّرته فصول شخصيته - كيف كان متوافقاً مع أطروحات نصرة قضايا المرأة في عصره المبكر، وأن تتاح الفرصة لها لإثبات وجودها وتأكيد ذاتها وشخصيتها، يظهر ذلك جلياً من خلال طلب رأي المرأة فيما يعرض له من قضايا أسرية عامة أو عائلية خاصة، فإذا ما لمس السداد في رأيها بارك لها ذلك وشجعها على العمل به، وإن لاحظ أن الرأي مجانب للصواب فإنه - بأدب رفيع - لا يجابه بالرفض وإنما يكتفي بتقليب الموضوع على خيارات بديلة ليشعر محدثته بأنها شريكة في صنع الحلول، بعد أن يفتح لها من خلال النقاش المستفيض آفاقاً أخرى لم تكن على دراية بها، فتتوصل إلى اتخاذ القرار وكأنها صاحبته.

لم تكن دعائم المودة وجسور المحبة هي وسائله الوحيدة لإشاعة جو الألفة والتراحم داخل أسرتنا، بل كان يتخذ من العدل ميزاناً لتنظيم العلاقة بين الإخوة والأخوات، لإذابة أي شعور سلبي قد يولّده طارىء معين، ويسعى للتقريب وإزالة أسباب الجفوة إن وجدت ويوجه بالترابط واجتماع الكلمة مهما اختلفت الآراء، من هنا بقيت العلاقة الأخوية موشّحة بالمودة والاحترام المتبادل، وصار الإخوة والأخوات في حالة عالية من التقارب والمكاشفة والصداقة الصدوقة.

ثم كان الوالد يبدي أهمية خاصة لتلبية نداء المحتاجين إلينا ما أمكن ذلك، مذكّراً بأن من يساعد الآخرين سيعرف كيف يوجه وقته وظروف حياته حيث يستطيع الوقوف معهم، وقد رسخ فينا من القيم أن احترام النفس من احترامها للآخرين، فغرس في أسرته الصغيرة مبدأ احترام الآخر مهما كبر أو صغر.

وشكّل التعليم في تربيته لنا حجر زاوية تمثلت في حثنا عليه وتهيئة أسبابه مهما كانت، وتذليل الصعوبات من أجل تحقيقه، وجعله من الأولويات، ولما كانت ظروف المجتمع بأكمله لا تتيح فرصة التعليم النظامي في ذلك الوقت، كان الجيل المبكر من أخواتي يتلقى تعليماً خاصاً في المنزل، وذلك باستقدام معلمات يُقمن معهن، ويُعددن جدولاً دراسياً منتظماً بتدرج مع كل مرحلة حسب منهج وزارة المعارف (للبنين آنذاك)، مع تنمية المواهب مثل الأشغال اليدوية والتدبير المنزلي، ثم أُلحقن فيما بعد ببرامج التعليم الحكومي بعد بدئه، أما الجيل اللاحق من الأخوات الأصغر فقد أتيحت لهن فرص أوسع بعد افتتاح مدارس البنات أوائل الثمانينيات الهجرية (الستينيات الميلادية).

عنده، لم يكن التعليم - بمفرده - ذا قيمة جوهرية، بل كان يضيف إليه قيمة أخرى، وهي الانتماء للوطن، فكان يقول دائماً: إن القيمة المضافة للمرء هي صلته بمجتمعه، وفيما يقدمه لأمته من خدمات، شعور غرسه في أولاده - بنين وبنات - منذ صغرهم، أن يكونوا أعضاء نافعين، باذلين لمجتمعهم، فنحن منه وله.

أما العنصر الثالث، فكان العمل، الذي له معه قصة عشق وتفانٍ فكل عمل لديه للوطن وللآخرين كان تطوعياً ولو كان مسجلاً بشكل رسمي، أما الفلسفة الأخرى لديه تجاه العمل، فهي أن يحب الموظف عمله حتى يتمكن من العطاء، وكان يرى أن عدم توجه المرء للعمل هو هدر للوقت والطاقة، وأن قيمة الإنسان في وجوده تكمن في إنتاجه وعمله، وهو ما لا يتأتّى إلا بتظافر جهد الجميع من رجال ونساء.

مرّ وقت كنت شكوت إليه من بعض المعوقات في العمل، وأبديت له رغبتي في الاستقالة، فكان يهوّن عليّ الصعوبات، ويحثني على مواجهة المشكلات وحلها، وعدم التخلي عن العمل، لأنه مسؤولية مقدسة، وخدمة عامة.

وكان رحمه الله، يبدي رأفة وحنّواً خاصين للخادمات في المنزل، ويوصي بالّا نشق عليهن، وأن نسعى لخدمة أنفسنا ما أمكن ذلك، ومن أقواله المعروفة في هذا الصدد أنهن ذوات حاجة لدينا، وأننا أصحاب حاجة عندهن، وأن الحاجة متبادلة، وكان يوصي بالموظفات المتعاقدات خيراً، ويعمل على حل ما يعرض لهن من مشكلات، ويستمع إلى شكاواهن، ويوجه بمساعدتهن قدر الإمكان، ولن أنسى في هذا الشأن موقفه مرة مع سيدة متعاقدة كانت تمر بظرف نفسي حادّ وضغط أسري ناتج عن تركها لطفلتها في بلدها بعد أن رفض والدها أن ترافق أمها، فقد تدخل لتذليل هذه المشكلة فضلاً عن التوجيه بدفع ما ترتب على ذلك من نفقات إضافية.

وكثيراً ما كانت الوالدة رحمها الله، أو واحدة من بناته همزة وصل بينه وبين نساء من المجتمع لهن قضايا أسرية واجتماعية معينة، فتنقل ما تسمعه منهن إليه، وربما رتبت لهن مقابلات خاصة لعرض قضاياهن مباشرة عليه.

أذكر مثالاً على ذلك، كنت يوماً في دومة الجندل، وقد استيقظت على صوت سيدة تطلبني شخصياً، وعند استقبالها، واجهني شبح امرأة حفرت الدموع في تضاريس وجهها جداول لا تعرف لها لوناً، يفجعك مرأى البؤس في تقاطيعه، فما أن رأتني حتى صاحت: «أنا داخلة عليك بالله تقضين حاجتي» فقلت لها سأحاول جهدي ما استطعت.

هدّأت من روعها، وجلست أستمع إلى معاناتها، فإذا هي حكاية تتكرر مع بعض النساء من مثيلاتها مع اختلاف في بعض التفاصيل، وهي قصة تنتهي إلى حقيقة واحدة: عجز الزوجة عن افتداء نفسها من زوجها وشراء حريتها، بعد أن كانت قد تزوجت كرهاً وهي صغيرة من رجل يكبرها، فهو يهينها ويوجه إليها صنوف التعذيب والإيذاء الجسدي والنفسي، ولما طلبت الطلاق اشترط عليها أن تفتدي نفسها بمبلغ كبير يفوق طاقتها، وبعرض حالتها على أنظار الوالد والتحقق من صحة أقوالها، أرسل إليّ في دومة الجندل ظرفاً بالمبلغ المطلوب، مع رسالة صغيرة يذكر فيها أن المبلغ من حق المرأة لحل مشكلتها، وإن كان ينصحها بالتوجه نحو الصلح.

وكنت رويت في موقع آخر من هذا الكتاب قصصاً أخرى من مواقفه الإنسانية المماثلة، لكنني أختم هذه الأمثلة بقصة طالبة يتيمة الأب، كانت معروفة بجدها واجتهادها في المدرسة، وبإقبالها على الدراسة والتحصيل، لكنها تتغيب فجأة قبل الاختبارات، ونكتشف أنها كانت تقيم مع أخيها الذي كان منعها من مواصلة دراستها، ولم تُجد محاولات المدرسة معه نفعاً لعودتها، فما كان أمامنا سوى الاستعانة بالوالد، الذي استطاع أن يتحدث مع أخيها بطريقة لا تثير غضبه عليها ويقنعه بعودتها، وقد كانت الحادثة حدثاً فاصلاً في سجلها الدراسي وتحصيلها العلمي، وما زالت تدعو للوالد على معالجته لموضوعها بهذا الأسلوب الجميل.

وأخيراً، لعلي أختم هذه المشاركة، بأن أذكر أن تعامله، رحمه الله، مع زوجات أبنائه وأزواج بناته بالمعاملة الكريمة التي يتعامل بها مع أولاده، كان يلاطف الجميع ويتودد إليهم ويتفقد أحوالهم، يسأل عنهم في حال غيابهم، أما بالنسبة لعلاقته بأحفاده وأسباطه فإن فيها أكثر من قصة تروى، لكن المجال ضيق، فأكتفي بما ذكرت، داعية للجميع بالمغفرة والثواب» انتهى.

وبعد:

ستظل صورة عبدالرحمن السديري، أمير الجوف الأسبق، الرجل البسيط الهادئ، أحد علامات هذا الوطن، جنباً إلى جنب، مع رجالات عصره المخلصين المستتيرين، القريبين من الناس، في صبحهم ومسائهم وعشيهم، الذين منحوا هذا الوطن حياتهم، فوضعهم في سجل الخالدين.

إن سيرته وأمثاله في سياق عصره وإمكاناته وظروفه، مساحة مضيئة في مسيرة الوطن العطرة التي يعطّر شذاها الأثير والرحاب وتزداد سطوعاً مع الأيام.

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد التحية والتقدير والمحبة التي أكنها للشيخ الفاضل العزيز عبد الرحمن بن أحمد بن محمد السديري الذي قام بإنشاء هذه المؤسسة وتوجها باسمه الذي يستحق منه التقدير عن جدارة لقد قدم فعلا البرهان القاطع باستحقاقه لها والقيمة بوجود هذه المؤسسة الهادفة الى تحسين العلم الديني والدنيوي للمواطنين المستفيدين عن ماهو موجود قبل من مراجع تستحق الاستفادة منها لمواطني جوفنا العزيز منطقتنا ومواطننا. وإذا أتابع بعين تقديري لما بناه الذين بنوا بجوده عن كثب تطور هذه المؤسسة مع ما تقوم به مجلس ادارتها مشكورا من واجبات تدل على القناعة بفعالية هذه المؤسسة وعلى رشد مديرها. الذي نتج عن ادارته واخوانه الأعضاء ما جعلني أحاول الوفاء ولو ببعض ما أستطيع من خاطر من تعبير بما تستحقه مؤسسة عبد الرحمن بن أحمد آل محمد السديري الخيرية. وعليه أرجو المعذرة من الجميع بما سطرته من مشاعر وأرجو الله التوفيق للجميع

عبد الرحمن بن عبد العزيز

٣٠/١٠/١٤١٥هـ

سكاكا

بسم الله الرحمن الرحيم

أسعدني الحظ أن أزور مؤسسة الحاج عبد الرحمن بن أحمد السديري هذا العمل النافع الذي أسس على التقوى إن شاء الله. هذه المؤسسة التي تؤدي واجبها في خدمة الوطن والمواطنين وخدمة الدارسين راجياً من الله أن يوفق القائمين عليها في أن يقوموا بجهد وإخلاص في تأدية ما هو مطلوب منهم جزى الله الحاج العزيز والقائمين على هذه المؤسسة خير الجزاء من الله راجياً لهم التوفيق والسداد إن شاء الله

نايف بن عبد العزيز آل سعود

يوم الثلاثاء ٢٤/٥/١٤٢٠

من سجل زيارات المؤسسة الخيرية بالجوف.

الملاحـــق

المملكة العربية السعودية

امارة الجوف

الرقم ٢٥٨٨

التاريخ ١٣٧٦/٣/٢٨

المتبوعات

حضرة المكرم مدير مدرسة الجوف المحترم .

بعد التحية :

بخصوص ابناء الباديه الذين يتقاضون منحة قدرها اربعون ريالا كل شهر ارسلوا لنا كشفا مفصلا باسماء جميع الذين يتقاضون هذه المنحة في مدرستكم ودمتم .

امير الجوف

صوره لمدير مدرسة دومة الجندل

" " " تارا

" " " الطوير

" " " اللقايط

" " " الشماليه .

المملكة العربية السعودية

وزارة الداخلية

ادارة

الرقم ٢٩٤٥/د

التاريخ ١٨/٨/٨٢

المرفقات

برقيه

صاحب السمو وزير المالية والاقتصاد الوطني الرياض

صورة لصاحب السمو الملكي وزير الداخليه ---

نعرض لسموكم بان لجنة تحسين احوال المنطقة الشماليه لاحظت حين زيارة سكاكا ان الارض التابعة لاملاك الدولة والواقعة شرقي قصر الامارة هذه القطعة تصلح لان تكون ساحة عامة للبلدة وترجو اللجنة من سموكم التنازل عن هذه القطعة لبلدية الجوف لكي تشجرها وتهيئها لان تكون ساحة عامة وتستطيع البلدية تعويض وزارة المالية ارضا بدلها في المخطط الجديد اذا كانت بحاجة اليها نظرا لان القطعة المشار اليها في موقع مناسب مع تحياتي ؟؟؟؟؟

رئيس لجنة تحسين احوال المنطقة الشماليه وامير الجوف

ضيف الجزيرة*

محمد الوعيل**

العناوين:

- **عميد أسرة "السدارى" معالي الشيخ عبدالرحمن السديري يتذكر: علاقة أسرة "السدارى" بآل سعود قديمة.. قد تعود إلى ما قبل حرب الدرعية**
- **تخرجت من مدرسة الحياة ونهلت العلم من مدرسة المغفور له الملك عبدالعزيز.**
- **لماذا هدد ابن رشيد بهدم الغاط.. بعد هزيمته في الرياض والحريق وشقراء؟**
- **أخشى على الشباب من سهولة الأمور وتوفر المادة، وأُنبّه لهذه النقاط.**
- **أنصح دارة الملك عبدالعزيز بالاستفادة من هذه الشخصيات لإضافة شيء جديد للتاريخ.**
- **شاركت في تأسيس مؤسسة الجزيرة الصحفية لقناعتي بالدور الإيجابي الذي يمكن أن تلعبه الصحافة.**
- **على المرأة مسؤولية خدمة المجتمع وعليها مراعاة تقاليدنا ومبادئنا**
- **الزراعة هي هوايتي الأولى.. وفي منطقة الجوف تجرى مسابقة سنوية بين المزارعين لزيادة الإنتاج.**
- **عائلة السدارى تقدر بـ (٢٠٠٠) شخص.. وأصلهم من الدواسر.. ومن قبيلة "البدارين" بالذات.**
- **أعشق مدينة الغاط، فهي موطن "السدارى" ومسقط رأسي.. ولا زلت مرتبطاً بها..**

---

* جريدة الجزيرة، العدد (٣٣٥٨) في ١٤٠٢/١/١٧هـ (١٩٨١/١١/١٣م).

** كان في حينه صحفياً في جريدة الجزيرة، ثم نائباً لرئيس تحريرها، وأصبح، فيما بعد، رئيساً لتحرير جريدة اليوم.

- أقرأ في الشعر للعوني والقاضي وابن سبيّل وابن لعبون والشويعر، ولم أتأثّر بأحد..
- لم يُكتب تاريخ الملك عبدالعزيز حتى الآن بما هو كافٍ.. والوقت سبب ذلك.
- تسمية "السديري" جاءت نسبة لمنطقة سدير..
- هذه البطولات سجلها الملك عبدالعزيز بأحرف من نور.
- يجب تشجيع الرياضة للجميع.. والفرد السعودي المدرب هو المصدر الرئيسي.

مقدمة الحوار:

عبر الهاتف، كان الحوار معه حاراً ومليئاً بكل الاعتذارات لكي لا يكون ضيفاً، وأمام إلحاح "الجزيرة" قَبِل الرجل.. لكن كيف..؟ إنه يطمع أن تزور "الجزيرة" الجوف أولاً.. ثم تبدأ محاولات الإقناع من جانبه لكي لا يكون ضيفاً، غير أن المحاولة معه تكررت أثناء مقابلة في مزرعته بالجوف.

هذا هو عبدالرحمن السديري حين يتحدث معك يشعرك وكأنه يعيش مراحل العمر كلها: الطفولة المبكرة.. المراهقة.. الشباب.. سن الرشد أيضاً.

وتزداد إعجاباً به حين يروي لك جزءاً من تاريخ هذا الكيان السعودي العظيم..

وتزداد عشقاً لكل حرف ينطقه حين يُسمعك شيئاً من الشعر سواء له أو لغيره.

كلمة حق لا بد أن تذكر قبل البدء في هذا الحوار مع الرجل الإنسان معالي الشيخ عبدالرحمن السديري أمير منطقة الجوف، هي أنه يعد نموذجاً فريداً في حياته، فالبساطة والكرم والشجاعة، هي من الخصال التي يتمتع بها، هذا الرجل الذي هو الآن عميد أسرة "السدارى".

قبل أن أبدأ في الحوار كما قلت، كان علي أن أقول لكم إن الحديث معه دام أكثر من (٤٨) ساعة.. استطعت خلالها أن أنقل لكم حواراً أعتبره قصيراً وقصيراً جداً لإيماني الشديد بأن في جعبة الرجل الشيء الكثير الذي يمكن أن تكون فيه

إضافات جديدة للحياة والتجارب.

.. وكما عوّدنا القراء.. كان السؤال الأول عن اسمه وتاريخ ميلاده:

- اسمي: عبدالرحمن بن أحمد بن محمد بن أحمد السديري.

- الميلاد عام ١٣٣٨هـ، ومكانه: الغاط.

ذكريات الطفولة:

● **طفولته ذات طابع خاص.. كما يذكر أصدقاؤه.. لنقرأ قوله رغم أن إجابته كانت قصيرة:**

■ الطفولة من أسباب ما يذكّر بالوالدين تغمدهما الله برحمته، ومزاملة الإخوان من العائلة والأصدقاء من الجماعة.

تعليمي.. وهؤلاء:

● **مراحل التعليم في حياة هذا الإنسان جميلة.. كما أنه لا يزال يعتز بالأساتذة الذين علموه القراءة والكتابة.. عن هذه الفترة يقول:**

■ تلقيت التعليم من الشيخ عبدالمحسن بن عبدالعزيز بن منيع رحمة الله عليه، ومن بعده الشيخ سليمان بن عبدالله بن إسماعيل وهو لا زال حياً يرزق والحمد لله، وكلاهما من أفضل الرجال برجولتهم وورعهم وثقافتهم، لذلك فأنا أعتز بهما كثيراً، ومن زملاء الدراسة الأخ مساعد بن أحمد السديري والأخ أحمد بن عبدالمحسن السديري أمير العلا حالياً، والشيخ عبدالعزيز بن رشيد الرشيد، والأخير كانت فيما بيني وبينه منافسه دراسية شديدة.

لم أكن شقياً ولكن..

● **تلمح في شخصيته كامل معاني الرجولة.. بل إن أبناءه متأثرون جداً بشخصيته.. لكنه عندما كان طفلاً ماذا كان أصدقاؤه يقولون عنه؟.. لنسأله:**

■ لم أكن شقياً، وكنت أتألم من الأشقياء منهم، وأعتقد أن علاقتي بالجميع كانت حسنة، وأما الذكاء فهذا أمر يعرفه الإنسان في نفسه.

الحياة مدرستي:

● **أبو فيصل.. لو سألت: من أي المدارس تخرجت؟ ماذا تكون؟**

■ مدرسة الحياة ومعرفة شخصيات مثل الملك عبدالعزيز.

أنا ومدينة الغاط:

● **مدينة الغاط.. هي مسقط أسرة آل السديري.. وضيفنا عشق هذه المدينة إلى حدٍ كبير، لنقرأ ما قاله عنها:**

■ الغاط هي مقر عائلة السدارى ككل وهو مسقط رأسي، والغاط بلد قديم أتى ذكره في كتاب صفة العرب للهمداني، الذي كتب قبل أكثر من ألف عام، قصيدة ابن عقيل بن بلال بن جرير يصف برقاً فيقول:

يا ليلة البرق الغميض ودونه
من بطن طخفة أو سواج منكبُ

جاد الجريب فبات ضور ربابه
بحمى ضريّة يستهل ويسكب

طوراً يضيء ويستطير ربابه
قدما وتدفعه العداب الغيهب

فأطم ذا مرخ فبات يكبه
عما اطمأن من الكثيب توثب

وعلا لغاط فبات يلغط سيله
ويلج في لبب الكثيب ويصخب

وأقام بالصمان عامة ليله
فكأن داره كل جو كوكب

وأناخ بالدهنا وشق مزاده
بدهاسها وعزازها يستسكب

لي في الغاط مزارع ويهمني كل شيء يتعلق بتطور الغاط، وهي آخذة في التطور بشكل صار مشجعاً للغاية، خاصة من الناحية الزراعية.

العدد التقريبي لعائلة السدارى:

● **أبو فيصل هو عميد أسرة آل السديري الآن.. ورجالات هذه الأسرة العريقة كانت قبل مئة عام لا تزيد عن عشرة أشخاص.. ولكن السؤال كم يبلغ عدد هذه الأسرة الآن؟**

■ قبل مئة عام كانوا بالفعل لا يتعدون العشرات تقريباً، منهم على سبيل المثال الوالد أحمد المحمد السديري، والعم سعد العبد المحسن السديري، والعم محمد العبد المحسن السديري، والعم أحمد العبد الرحمن السديري، والعم عبدالله الناصر السديري، والعم تركي العبدالله السديري، أما في الوقت الحاضر فعائلة السدارى لا يقلون عن ألف شخص من الذكور ومثلهم من الإناث.

نحن من البدارين:

● **معالي الشيخ.. ولكن أصل هذه الأسرة من أين؟**

■ عائلة السدارى هي من الدواسر، ومن البدارين بالذات.

هذه التسمية لماذا؟

● **عفواً أبو فيصل من أين جاءت تسمية العائلة «سديري»..؟**

■ الاعتقاد أن تسمية السديري جاءت نسبة إلى منطقة سدير، موطن عائلة السدارى، وفيه من يقول بأنه كان من بين العائلة شخص سمي بهذا الاسم.

علاقة آل سعود بالسدارى:

● **يظل اسم عائلة السدارى من الأسماء التي قدمت للدولة الشيء الكثير، فالتاريخ يحفظ العديد من الشخصيات التي تنتمي إلى هذه الأسرة العريقة.. وهناك علاقة وثيقة بين هذه الأسرة وأسرة آل سعود الأسرة المالكة الكريمة.. لنسأل إذاً عميد هذه الأسرة عن هذه العلاقة.**

■ إن علاقة أسرة آل سعود والسدارى قديمة، وهي قد تعود إلى ما قبل حروب الدرعية، وإن كنا لا نعرف بالتأكيد إلا أخبار ما بعد الدرعية، يذكر ابن بشر في كتابه (عوان المجد في تاريخ نجد) أن أحمد السديري الأول أمير الاحساء قد عمل هو وباقي أسرته مع الإمام فيصل بن تركي، فقاد الحملة إلى عُمان وبقي بها سنتين ثم عاد إلى إمارته بالأحساء وتولى عمان بعده ابنه تركي وتولى ابنه محمد إمارة سدير ومنيخ، وصار عبدالمحسن أميراً بالغاط.

هذه الشخصيات لا زال التاريخ يذكرها:

- **كثير من شخصيات عائلة السدارى على حد قول الشيخ عبدالرحمن وافتهم المنية خلال الـ (٣٠) عاماً الماضية، وهم معروفون بالفعل.. غير أن هناك مئات الشخصيات من هذه الأسرة.. فماذا يقول عنها أبو فيصل؟**

■ شخصيات عائلة السدارى الموجودون والذين وافتهم المنية خلال الثلاثين سنة الماضية قد تكون معروفة للكثير، لذا، سأترك الحديث عنهم، أما شخصيات العائلة القدامى فمنهم سليمان السديري جد أحمد (الأول) الذي قال فيه حميدان الشويعر، من ضمن ما قال، أبياته المشهورة:

مـــن قـــابـــل خـــشـــم الـــعـــرنـــيّـــه
فـــالـــخـــاطـــر مـــنـــقـــول خـــطـــره

ومـــن قـــال أنـــا مـــثـــل ســلـــيـــمـــان
كـــــرم الـــســـامـــع يـــاكـــل بـــعـــرة

والأبيات لها قصة، وملخصها أن سليمان كان يلتزم بحماية كل من يرى خشم العرنية، وهو جبل فوق وادي الغاط.

ومن السدارى أحمد (الأول) الذي ذكرناه سابقاً، والذي تكلم عنه الكثير من شعراء وقته، مثل القاضي وابن لعبون وفواز السهلي ومحسن الهزاني بقصائد قيّمة لا يتسع الحديث لذكرها، ومن السدارى: تركي بن أحمد الذي تولى إمارة عُمان بعد أبيه، وقصره ومسجده بها ما زالا قائمين، ومن السدارى: محمد بن أحمد والوالد أحمد الذي تولى إمارة الأفلاج والقصيم في عهد الملك عبدالعزيز.

هذا الدور لعبته هذه الأسرة:

● **وأسرة آل السديري لها تاريخ ودور في الحكم السعودي.. إذاً ما هو الدور الذي لعبته هذه الأسرة؟**

■ الدور الذي لعبته الأسرة دور متواضع حتّمه الواجب والمسؤولية كما سبق ذكره، فلقد كان لأحمد (الأول) وأبنائه دور مع الإمام فيصل، أما بالنسبة لأحداث الدولة السعودية الثالثة بقيادة الملك عبدالعزيز فالمعروف أن الوالد أحمد بن محمد كان على عهد مع ابن رشيد وكان على استعداد للاشتراك معه لحرب الملك عبدالعزيز إلا أن ابن رشيد لم يأمن أحمد حتى بعد مجيئ أحمد إلى معسكر ابن رشيد، الذي كان يستعد لحرب عبدالعزيز، بل إن ابن رشيد، كاد أن يتعدى على أحمد فاعتبر أحمد ذلك بمثابة عدم الالتزام من جانب ابن رشيد، مما سهل للأخير ترك ابن رشيد ومساندة قريبه عبدالعزيز، ومن معسكر ابن رشيد ذهب أحمد إلى شقراء، وكان أهلها مختلفين فيمن يؤيدون، فشجع الوالد أحمد البواردي وأعيان أهل شقراء على تأييد الملك عبدالعزيز، وقد اشترك الوالد والبواردي في إعداد قصيدة عرضة يجيبون فيها على من كان ينتقدهم أو يعارضهم على تأييدهم للملك عبدالعزيز، ومن أبيات القصيد قوله:

أنـت يـالـلـي تـقـول الخـطـا منا
الـخـطـا مـنـك يـالـلـي مـعـاديـنـا

حـريـكـم تـوّنـا بـه تـبـيـنـا
تـونـا فـي مـراقـيـه باديـنـا

ثم ماذا بعد؟

■ بعد انهزام ابن رشيد من جهات الرياض والحريق، عاد إلى شقراء للتمركز بها فوجدها مستعدة لحربه وعلم عن وجود والدي أحمد بها فأرسل إليه طالباً منه ترك شقراء بأي وسيلة، ولما رفض أحمد هدده ابن رشيد بالذهاب إلى الغاط وهدمها وقتل من فيها من السدارى وأطفالهم، فلم بستجب أحمد، وبالفعل ذهب ابن رشيد إلى الغاط وأمر بالبدء بقطع مزرعة أحمد (الحوطة)، إلا أن

الشيخ محمد بن هندي، من كبار قبيلة عتيبة، كان نازلاً هو وقومه على الغاط، ويشرب من الحوطة فلم يقبل باعتداء ابن رشيد، خاصة وأنَّ السدارى غائبون فاضطر ابن رشيد إلى ترك الغاط والذهاب إلى الشماسية.

ثم إلى سدير:

- **لكن بعد شقراء إلى أين ذهب أحمد؟**

■ إلى سدير، ومعه حامية من جيش الملك عبدالعزيز، وبقي هناك إلى أن قدم الملك عبدالعزيز لغزو القصيم سنة البكيرية بعد أن احتل المحمل والعارض وسدير واشترك أحمد في غزوة البكيرية، وبعد ذلك تولى إمارة الأفلاج ومن ثم القصيم ومكث في الإمارتين ثماني عشرة سنة، بعدها ترك العمل، كذلك بالنسبة للعم سعد بن عبدالمحسن وكان أميراً بوادي الدواسر، وهذه الالتزامات الإدارية حالت دون اشتراكهم في غزوات الملك عبدالعزيز الأخرى، والمعروف أن الإخوان تركي وعبدالعزيز وخالد ومحمد ومساعد قاموا بإمارات الحدود، والعم عبدالله بن سعد في إمارة تبوك ثم المدينة المنورة، والأخ عبدالرحمن الأحمد العبدالرحمن لازم قائمقامية جدة حتى الآن، وناصر العبدالله الناصر بإمارة الوجه، وأحمد العبدالمحسن السعد بإمارة العلا، وسعود العبدالرحمن التركي عمل في إمارة غامد وزهران، وأحمد التركي العبدالله بالريث، وسليمان التركي السليمان في تبوك، وسليمان الأحمد المحمد الأحمد عمل بالقطيف وقت إمارة الأخ المرحوم خالد الأحمد بالدمام، وناصر السعد الناصر بالغاط، وبعده أخوه فهد بن سعد ثم سعد بن فهد، ومحمد العبدالله بالمجمعة والخرج.

أهم الغزوات:

- **أبو فيصل.. طيب هل يحفظ معاليكم بعض الشيء عن الغزوات التي كان لأسرتكم مساهمة فيها؟**

■ من الصعب أن نحصر جميع الغزوات والمعارك التي اشتركوا بها، ولكن سنذكر أهمها، خاصة ما أتى بمناسبته قصيدة تؤكده، فمنها غزوة عُمان التي قادها أحمد السديري (الأول) كما ذكرنا سابقاً، وقد نظم الشاعر الشيخ أحمد بن مشرّف قصيدة عربية بمناسبة هذه الغزوة يبشر بها الإمام فيصل بانتصار

أحمد، يقول في مطلع القصيدة الموجودة في ديوانه الذي طبع في مطابع العروبة في قطر[1]:

تهلل وجه الدين وابتسم الثغر
وقد لاح من بيض السيوف له النصر

وجلى دياجير الضلالة والردى
سنا المرهفات البيض فانصدع الفجر

وشمس الأماني بالتهاني لنا بدت
وبالسعد لاحت فانجلت نجم زهر

وقد جاءنا ذاك البشير مبشراً
بفتح عمان حين حل به السدر

وهناك قصيدة لعبدالله بن أحمد السديري تدور حول غزوة قام بها أحد الأئمة، وهو لا يذكر اسمه، في شرقي الجزيرة العربية ولعلها في عُمان، حيث جاء في عرض القصيدة أسماء مواقع يتبين لنا الآن أنها هناك.

يقول عبدالله بن أحمد السديري:

جينا ديار ما تجيها القرانيس
عن راس رجمه ينثني كل طاير

النو خالفنا نشوفه مغاليس
على الوطا يمطر ومن بالحجاير

دار السعيدي فيه شبت مقابيس
سوّوا بها ربعي لهوب السعاير

جينا صحم وسْعار وشْناص وام قيس
وهو ببركه بانيٍ له حصاير

ومن الغزوات، الغزوة التي قادها الجد محمد بن أحمد بأمر الإمام فيصل بن تركي سنة ١٢٧٩هـ إلى عنيزة، وللشاعر ابن مشرف قصيدة بهذه المناسبة يقول مطلعها:

(١) ديوان ابن مشرف، ص ٦٨.

خـرجـنـا والأمـيـر بـنـجـم مسعد

نـقـود الـخـيـل بـالإبـل الـرسـيـم

تـدوس بـنـا الحـصـى فـي كـل فج

فـتـورى الـقـدد فـي الـلـيـل البهيم

نـهـضـنـا لـلـجـهـاد بـلا تـوانـي

سـوى قـدر الـتـرحـل للمقيم

ومحمد بن أحمد هو الذي قتل في معركة طلال، الذي جاء بمناسبة قتله قول الشاعر:

لـولا وجـبـنـا عـنـد عـيـد المـرامـيـل

طـلال سـيـلـه بـابـن مـاضـي عـذابـه

عـيـنـت ابـو زيـد وهـاك المشاكيل

صـرت الـعـوض فيهم عسى لا هـلا به

وغزوة البكيرية، كما نوهنا سابقاً، وغزوة السبلة، التي اشترك بها الأخ تركي بن أحمد السديري وعبدالعزيز بن أحمد السديري وغيرهما كغزوات الريث لمرتين، الأولى: قادها الأخوان الأمير تركي السديري والأمير خالد معاً، والأخرى قادها تركي السديري، وأخيراً قاد المرحوم خالد السديري معركة الوديعة المشهورة.

هؤلاء.... هم الشعراء:

- **اشتهرت أسرة السدارى بقرض الشعر، بل إن هناك شعراء وشاعرات بارزين... السؤال: لماذا اشتهرت هذه الأسرة بهذه الصفة؟ وكيف يرى العميد ذلك؟**

■ عائلة السدارى فيها الكثير من الشعراء، منهم الجد أحمد (الأول) الذي من أقواله:

قـم يـاحـمـد سـو الـفـنـون العجيبة

فـي دكـة سـويـتـهـا لـلاجـانـيـب

كـم كـور وجـنـا فـي ذراهـا رمـي به

لـى جـنـب الـخـاطـر ردي المعازيب

اشــري لـهـم مــن كـل غــالــي واجيبه
وابــذل لـهـم نـفـسـي بـلـطـف وتـرحيب

وبـيـت يـجـنّـب يـاحـمـد ويــش لــي بـه
لــى عــاد مــا يـنـصَـنّـه الـفـطـر الشيب

ومنهم العم عبدالله بن أحمد (الأول)، ومن أقواله:

يــا راكــب يـالـلـي فــوق مـثـل الدوانيق
عــيــرات مــنـقـيـات مــاهــي مخله

لاغـراضـكـم سـقـتـو ســوات الـنـقـانيق
شـيـب ومـــن بـــرد الاشـــاتـــي مكله

لْــيــا غـــدوا عـنـكـم ســـواة المــرازيــق
عــيــال الـــرخـــوم مــرتـبـيـن الاســلــه

نـهـلـي بـكـم مــن قـبـل عــرف وتبريق
والـــلـــي لـفـانـا بــالـوطـن مــا نمله

بــتــرحـيـب مـشـفـاق لــربـع مشافيق
مـــن لـــب قــلــب صــافـي مـصـخـر له

والوالد أحمد، ومن قوله:

يــا الـلـه يـالـلـي لـلـدواعـي سموعي
يـالـلـي لْـيـا مـنّـه طْـلِـب مايشحا

تــفــرج لـقـلـب بــايــن بـــه صــدوعــي
وعـيـن ذريــف الـدمـع مـنـهـا فـضـحـا[1]

ابـــتـــصـــبّـــر واغـــرقـــنـــي دمــوعــي
والـعـيـن عـيـت تـسـمـع الـلـي نصحا

عـلـيـك يــا كـامـل جـمـيـع الطبوعي
والـــلـــى الــيـــا زلّــيــت زلـــة دمـحـا

---

(١) الأصل: فضحها.. وهكذا الكلمتان في آخر البيتين بعده.

مـا قـط يـوم قـيـل عـنـهـا شحوصي

الـلـي عـلـى جـيـرانـهـا مـا تـوحـا

وصف الحرب:

● **وماذا عن شعر المرحوم خالد بن أحمد...؟**

■ الأخ المرحوم خالد بن أحمد من قوله في وصف الحرب[1]:

رجـل تـهـمـه عـزتـه وارتـفـاعـه

يـبـعـد عـن الـلـي راعـه الـخـوف ترويع

يـضـرب عـلـى الـكـايـد ويـرخـص متاعه

حـتـى يـطـيّـر بـالـظـلام المهاجيع

ولا يـحـسّـب مـيـتـتـه وانـتـفـاعـه

الـيـا الـتـقـنّ جـمـوعـهـم بالمجاميع

وتـغـطـلـسـت فـي مـدلـهـم قـنـاعـه

دوس الـمـشـوّك والـنـشـامـى المصاليع

واسـتـحـكـمـت كـل يـكـيـلـه بصاعه

وغـابـوا بـحـامـي الـهـوش ربـع مواجيع

كـل يـدور غـايـبـه ويـن ضـاعـه

تـنـخـاهـم الـخـفـرات دلـع مفاريع

تـنـدب مـدابـيـس الـوغـى والشجاعه

يـا مـدعـيـن الـمـرجـلـه مـالـكـم زيـع

مـن مـوحـسـن عـشـو هـزايـل ضباعه

وشهب النسور المحدبات المهازيع[2]

---

(١) قصائد من الوجدان، الأمير خالد بن أحمد السديري ط١، ١٤٠٧هـ، ص٢٦.

(٢) من قصيدة طويلة قالها عام ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م)، وهو في طريقه إلى أمريكا في رحلة علاج.

والمرحوم الأخ خالد له قصائد عربية كثيرة، اذكر منها قصيدته في رثاء الملك فيصل التي يقول في مطلعها[١]:

حـمـل الـلـواء لـيـنـصـر السمحاء
وحـبـا الـشـريـعـة عـزمـة ومـضـاء

وسـمـا فـحـلّـق لـلـتـضـامـن رائـد
ورقـا فـنـال الـعـزة الـقـعـسـاء

وسـقـى مـريـض الـقـلـب تـريـاق الهدى
وأمـال داء الـمـسـلـمـيـن دواء

ما خاب ظني:

● طيب.. أبو فيصل.. هل تذكر شيئاً من شعر الأخ محمد بن أحمد؟

■ الذي قال[٢]:

لـى خـاب ظـنـي بـالـرفـيـق الموالـي
مـالـي مـشـاريـهٍ عـلـى نـايـد الـنـاس

يـاعـل قـصـرٍ مـا يـجـي لـه ظلالي
يـنـهـد مـن عـالـي مـبـانـيـه للساس

لـى صـار مـاهـو مـدهـل للرجالي
وملجا لمنهو يشكي الظيم والباس

وقوله[٣]:

الـلـه مـن هـم بـروحـي سهجها
بخافي ضميري في كنين الحشا لاج

---

(١) قصائد من الوجدان، الأمير خالد بن أحمد السديري، ط١، ١٤٠٧هـ، ص١٩١.

(٢) ديوان محمد بن أحمد السديري، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ص٨.

(٣) ديوان محمد بن أحمد السديري، ص٦.

أحـــر مـــن نـــار تـــوقـــد وهـجـهـا
منـهـا خطـر روحـي عـلـى سلـك ديباج

وعــين عـسـى المـولـى يـعـجـل فرجهـا
يــفــوح نــاظــرهــا كـمــا عــيــن هــداج

استـرسـلـت لـلـدمـع مـن مـا رهـجـهـا
غـيـظ يـكـظ عـبـارهـا مـثـل الامــواج

أخــاف مــن عـوجـا طـويـل حججهـا
كـلـمـه قـفـى يـركـض بـهـا كـل هـراج

يمسك عليك المخطيه من حججها
حـلـو نـبـاه وقـلـبـه اسـود مـن الصاج

عنيت بقصائدي:

● يعشق الشعر ويحفظه.. لكن هل يقوله؟

■ بالنسبة لي أنا، فقد سجلت بعض القصائد وعنيت بقصائدي ببعض الملاحظات ممثلاً بذلك على الأولاد الذي وجدت منهم وفيهم ما هو مقنع بالنسبة لي، بارك الله فيهم.

أنا والشعر الحر:

● معالي الشيخ ما رأيك في الشعر الحر؟

■ الشعر الحر أسمع به ولكني لا أهتم به ولا أستسيغه..

يصعب تحديد هذا الشيء:

● برز الكثير من عائلة السدارى كشعراء وشاعرات لماذا؟ وهل يعني ذلك أن الشعر بالوراثة..؟

■ الشعر موروث وغير موروث، لأنك تجد شعراء أخذوه بالوراثة، ويصعب تحديد

الرأي، ولكن الاهتمام والاختلاط له أثر كبير على الموهوبين.

لم أتأثر بأحد:

● بقول الشعر.. فهل تأثرت بأحد؟

■ لا أعرف أنني تأثرت بأحد بالذات، وإن كنت أقرأ للعوني والقاضي وابن سبيّل وابن لعبون والشويعر وغيرهم.

هذا هو رأيي:

● طيب.. كيف ترى شعر المرحومين خالد ومحمد السديري؟

■ لا شك أن الأخوين المرحومين خالد ومحمد من أفضل شعراء وقتهم، وكما قلت فإن خالداً له قصائد عربية.

لا أعرف عنها شيئاً:

● هناك مطارحات شعرية بين محمد وخالد السديري.. هل في ذاكرة معاليكم شيء منها؟

■ لا أعرف منها شيئاً ويجوز وجود شيء منها في ديوان المرحوم الأخ محمد.

رابطة يفتخر بها الجميع:

● هناك علاقة وثيقة بين الملك عبدالعزيز، رحمه الله، وبعض شخصيات عائلة السديري.. كيف؟.. وهل تتذكر شيئاً من ذلك؟

■ الرابطة بالملك عبدالعزيز رحمه الله ومن قبل مع آل سعود ومن بعده منهم نوهت عنها بإجابتي على الاسئلة السابقة، وهي رابطة يفتخر بها الجميع.

البادية والصحراء:

● عُرف محمد السديري بحبه للصحراء.. وهذا العشق ولّد لديه الكثير من المشاعر.. لنسأل العميد عن ذلك؟

■ رابطة المرحوم الأخ محمد بالصحراء وثيقة، فكلنا من الصحراء ونعتز بها، ويكفي أن الصحراء تحتضن البادية، الذين تتوفر فيهم جميع الصفات العربية الحميدة: الشجاعة والكرم والنخوة والتسامح والعفة والأخلاق الفاضلة.

المملكة وتطورها الاقتصادي:

● أخذ بعض المؤلفين، سابقاً، من خارج المملكة إصدار بعض الكتب عن المملكة.. غير أنه في الآونة الأخيرة بدأت الأقلام السعودية تأخذ الصدارة.. ما هو تعليق أبو فيصل على ذلك؟

■ هذا معروف بالماضي، والأسباب لهذا ليست بخافية على أحد، أما بعد الآن فلا بد من تحرك الموهوبين من شبابنا الذين أخذوا من العلم الشيء الكثير، ومن الشواهد على ذلك ظهور الكتب العلمية بأقلام سعودية، أذكر كتاباً بقلم الابن فيصل اسمه: (المملكة العربية السعودية وتطورها الاقتصادي)، الذي صدر مؤخراً.

هؤلاء القادة:

● منذ عام ١٣٦٢هـ وهذا الإنسان، عبدالرحمن، يعمل مع قادة هذا الكيان الكبير.. ولأنه كذلك دعونا نقرأ ما يقوله عن هؤلاء القادة؟

■ ذكرياتي عن الملك عبدالعزيز وأبنائه الملك سعود والملك فيصل رحمهما الله كثيرة، حيث عاصرتهم في خدمة هذه البلاد منذ عام ١٣٦٢هـ (١٩٤٢م)، وهي ولا شك ذكريات طيبة، وفي اعتقادي أنه لم يكتب عن الملك عبدالعزيز حتى الآن ما هو كفاية والوقت سيثبت ذلك.

ومن الروايات التي يمكن أن أوردها للتدليل على شخصية الملك عبدالعزيز القيادية حادثة اعتداء بين بعض أكبر قبائل بالمنطقة، وكان من بين نتائجها سرقة أعداد كبيرة من الإبل، وبعد التحقيق اقتنعنا بهوية المعتدين فاعتقلناهم وطلبنا منهم إرجاع الإبل، فأصروا على براءتهم وطلبوا الإفراج عنهم، وخشية من خطورة الوضع رفضنا الطلب وأكدنا لهم عزمنا على إبقائهم حتى عودة الإبل،

فلما يئس المتوسطون ذهبوا إلى الملك عبدالعزيز وطلبوا منه أمرنا بإعفاء جماعتهم، فاستجاب الملك عبدالعزيز وأمرنا بإطلاق سراح المحجوزين، مما وضعنا في موقف حرج بين معصية الملك عبدالعزيز وبين تفاقم الأمر إذا ما نجح هؤلاء بجريمتهم، فقررنا التريّث واعتقد المتوسطون أن الملك عبدالعزيز لم يستجب لطلبهم فاعترفوا بمسؤوليتهم عن الحادث وأتوا بالإبل، وهنا أخبرنا الملك عبدالعزيز بما جرى مبيّنين له أمره السابق وموقفنا تجاهه، فأجاب الملك عبدالعزيز شاكراً لنا تصرفنا، وباعتقادي لا يعمل ذلك إلا شخص على حد كبير من المقدرة القيادية.

هناك أوراق محفوظة:

● بين الملك عبدالعزيز وبينكم بعض المكاتبات.. لو طلبنا إعطاء القارئ إطلاله على تلك المكاتبات؟

■ كتاباتنا مع الملك عبدالعزيز تتعلق بمصلحة العمل في إمارة منطقة الجوف، وهي من محفوظات الإمارة، أما الوالد أحمد فإن بينه وبين الملك عبدالعزيز كتابات كانت موجودة عند المرحوم الأخ محمد السديري لأنه هو الذي حضر وفاة الوالد.

هذه الروايات لها تاريخ:

● هناك الكثير من الروايات.. ربما تضيف شيئاً جديداً للتاريخ.. فهل يتذكر معاليكم شيئاً من ذلك؟

■ هناك العديد من الرويات والحوادث التي لم تسجل، ومن أطرف الروايات ما كان يرويه الوالد أحمد عن قصة مجيء ابن رشيد لحرب الملك عبدالعزيز بعد استيلاء الأخير على الرياض، حيث يذكر أن ابن رشيد نزل على بلدة رماح الواقعة على طريق الأحساء والكويت، وكانت أرضه ربيعاً والأعشاب بها كثيرة، لذا تمكن ابن رشيد من التمركز في مكان يمكنه من التضييق على الرياض عن طريق مراقبة القوافل القادمة من الكويت والأحساء، وشعر الملك عبدالعزيز بأهمية إبعاد ابن رشيد عن منطقة رماح واجتمع بأبيه الإمام عبدالرحمن

وأبدى له رأيه، وهو أن يخرج الملك عبدالعزيز من الرياض ويشاع أنه هرب إلى الكويت، وكان المقصود من ذلك وصول الخبر إلى ابن رشيد على أمل أن يتحرك الأخير من موقعه، فإذا تبين عدم صحة الخبر يصبح ابن رشيد في موقف محرج، إما أن ينزل عند (بنبان)[١] وهو مجدب أو يعود إلى رماح فيظهر تردده ويشعر قومه بهزيمته، فأبدى الإمام عبدالرحمن تأييده للفكرة، ولكنه حذر عبدالعزيز بأن ماجد الحمود العبيد الرشيد لن يقع بالحيلة حتى وإن وقع بها عبدالعزيز بن رشيد نفسه، ويروى أن الملك عبدالعزيز أجاب أنه حَسَب لذلك، ولكنه يعتقد بأن عبدالعزيز بن رشيد لن يأخذ برأي ماجد الحمود.

وبالفعل خرج الملك عبدالعزيز ووصل الخبر إلى ابن رشيد فأمر ابن رشيد بالرحيل حالاً وركب ذلوله وتحرك، فلما وصل الخبر إلى ماجد الحمود أسرع إلى ابن رشيد للاطلاع على ما استجد فأخبره ابن رشيد أن ابن سعود هرب وأنه يريد اللحاق به قبل وصوله إلىالكويت، فأجابه ماجد الحمود كما توقع الإمام عبدالرحمن والملك عبدالعزيز بأنه يشك في صحة الخبر، خاصة وأن عبدالعزيز بن سعود أبقى على أهله بالرياض، فلم يستجب ابن رشيد وأصر على الاستمرار، ولما أتاه المخبر الثاني بأن ابن سعود لم يهرب بل يعرض بالحاير[٢]، استدعى ابن رشيد ماجد الحمود ليأخذ رأيه فأجاب الأخير أنه تم ما أراد عبدالعزيز، وأنه لا يعتقد أن ابن رشيد سيستطيع التغلب على عبدالعزيز ما دامت هذه مقدرته.

وهذه قصة للتاريخ:

- **مقتل ابن رشيد، فلنقرأ ما يقوله رجل التاريخ عبدالرحمن السديري:**

■ ومن الروايات ما كان يقصّه نايف بن هذال بن بصيّص على الوالد أحمد على مسمعي، عن قصة مقتل ابن رشيد، يذكر نايف كما هو معروف أن عبدالعزيز ابن رشيد بقي مدة طويلة في روضة مهنا[٣]، وشعر نايف الذي كان موالياً لابن

---

(١) جبل معروف شمال الرياض.

(٢) يعرض: يؤدي العرضة (استعراضاً للقوة)، والحاير موقع جنوبي الرياض.

(٣) موقع في القصيم.

رشيد في حينه بخطأ بقاء ابن رشيد بهذا الموقع، فذهب إليه وأشار عليه بالتحرك من موقعه فلم يأخذ ابن رشيد قول نايف مأخذ الجد، وأجابه بأنه لا بد أنه مشتاق لزوجته وسمح له بزيارة أهله، فعاد نايف إلى ربعه، وكان بينهم مشاري بن بصيّص وابن دعجون.

ويقول نايف: إنه كان يشعر بشعور غريب فأمر ربعه بالاستعداد للرحيل مباشرة فطلبوا منه التمهل والانتظار حتى الصباح فرفض وأصر على المغادرة في حينه حتى وإن كان الوقت متأخراً من الليل، وبالفعل سرى نايف وربعه وبقي على إصراره يلح عليهم بالاستمرار والاستعجال وكأنه على علم بشيء ما، وفجأة أوقف نايف ذلوله وسأل ربعه عما إذا كانوا يسمعون ما يسمع، فلما أصغوا أجمعوا أنه صوت الملك عبدالعزيز وهو يوجه جنوده وهو على رأسهم في طريقه إلى ابن رشيد، فعاد نايف بن بصيّص وربعه عاجلاً لإنذار ابن رشيد، فلما وصلوا المخيم اتجه نايف إلى خيمة ابن رشيد فحاول الحرس منعه ولكن ابن رشيد أفاق على أثر الضجيج فسأله ابن رشيد عن الأمر فأخبره نايف أن عبدالعزيز بن سعود قادم على رأس جيشه، فأمر ابن رشيد قومه بإشعال النار ودق الطبول، وكان باعتقاده أن ذلك سيوحي لابن سعود باستعداد ابن رشيد فيربكه، وعارض نايف هذا الرأي واقترح أن يتقدم جنود ابن رشيد ويتمركزون حتى إذا قرب جيش الملك عبدالعزيز فاجأوه، فلم يقبل ابن رشيد بذلك وبالفعل أُشعلت النار ودقت الطبول ولكن ذلك لم يؤثر على القادمين حتى أن طلائعهم وصلت إلى خيمة ابن رشيد والأخير يعتقد أنهم من جنوده، فكان يخاطبهم معاتباً لوجودهم في ذلك المكان فعرفه جنود عبدالعزيز وقتلوه كما هو معروف.

الجوف كما أرى مستقبلها:

- **بالمناسبة معالي الشيخ.. فات عليَّ أن أسأل.. وأنت الآن الذي عاش في الجوف منذ ثلاثين عاماً.. كيف ترى مستقبلها بين مدن المملكة؟**

■ بدأت العمل في الجوف من تاريخ ١٣٦٢/٩/٥هـ وكانت مثل مناطق المملكة الأخرى، الحاضرة تعتمد على ما تنتجه مزارعها الصغيرة، بينما تعتمد البادية

على ما تنتجه ماشيتها في المراعي الصحراوية.. وكان من أمنياتي رؤية الجوف في تطور، وقد حصل الكثير من ذلك ولا زال التقدم مستمراً، وباعتقادي أن مستقبل الجوف الزراعي طيب خاصة بالنسبة لزراعة النخيل بسبب كثرة المياه، وتطور أساليب تسويق بلح (تمر) الحلوة المشهورة بالجوف.

وأهل منطقة الجوف من خيرة الرجال من الناحية الأخلاقية وإخلاصهم لله ثم لحكومتهم، وهم المعروفون بالكرم فيسميهم البادية أهل (وادي النفاخ)، نسبة إلى كرمهم إذ يقول فيهم منصور الجنيدي، وهناك من ينسبها إلى ابن سراح راعي الجوف:

لا واحلى والشمس باد شعقها
من حدّر الزرقا على نقرة الجوف

تسقي لنا غرسٍ ظليل ورقها
نقلط نماها للمسايير وضيوف

كم حايل للضيف نرمي شنقها
يقلط وحد ما هو على الزاد مردوف

أحلى من البلقاء وحامي مرقها
مقلطة للضيف كرعان وكتوف

هذا ما قدمته للوطن:

- **عفواً.. أبو فيصل اعتدنا أن نقول للضيف ماذا قدم للوطن، وماذا استفاد الوطن منه، فما تقول معالي الشيخ؟**

■ قدمت كل ما كنت أستطيعه وفائدتي خدمتي لبلدي وأبناء وطني.

هذا الإنسان ودارة الملك عبدالعزيز:

- **دارة الملك عبدالعزيز تحتاج إلى بعض الشخصيات التي يمكن أن تضيف شيئاً جديداً عن حياة مؤسس هذا الكيان فهل يمكن أن نقول لهم شيئاً؟**

■ العم عبدالله التركي السديري وهو يتجاوز في عمره مئة عام، والعم حمد العبدالمحسن التويجري الذي كان رئيس بيت المال في منطقة القصيم، هذان الرجلان يمكن الاستفادة منهما.

العميد والمرأة:

• مسؤولية المرأة السعودية بين البيت والعمل.. كيف يرى ذلك العميد؟

■ عمل المرأة يجب أن يتناسب مع الوقت والظروف التي تتغير باستمرار، فهي عليها مسؤولية من حيث خدمة مجتمعها وبلدها، كما أن عليها مراعاة تقاليدنا ومبادئنا والمستحسن في حينه، فتكون الأمور متدرجة.

سهولة الأمور والشباب:

• شبابنا ما هي مشكلته.. وطموحاته؟.. هذا ما يحدده معالي الشيخ عبدالرحمن.

■ إن كان هناك مشكلة، فهي بنظري سهولة الأمور وتوفر المادة بشكل أخشى أن يكون عائقاً أمام نضوج شبابنا وتدريبهم وممارستهم للحياة بصورة مبكرة.

علاقتي بالصحافة:

• لماذا شارك في تأسيس مؤسسة الجزيرة الصحفية؟ وما هو الدور الذي تلعبه الصحافة؟ يقول:

■ شاركت في تأسيس جريدة الجزيرة لقناعتي بالدور الإيجابي الذي يمكن أن تلعبه الصحافة، وليس لي علاقة مباشرة بالصحافة وتحريرها في الوقت الحاضر لانشغالي بعملي وثقتي بكفاءة الموجودين برئاسة الإبن عبدالله العبدالعزيز السديري، رئيس مجلس إدارتها.

عن هذا وذلك:

• ما هي عيوب النفط خاصة، وأن الجميع يتفق أن له محاسن وعيوباً.. والشيخ

عبدالرحمن صاحب تجارب عديدة، إذن فلنسأله عن هذا وذاك؟

■ محاسن النفط واضحة، أما عيوبه التي أخشاها أن تعودنا المادة على الخمول وتفقد بيننا روح الابتكار، والنفط يحملنا مسؤولية كبيرة لما له من أهمية لدول العالم أجمع والكبرى خاصة، مما يفرض علينا اليقظة والاستعداد لمواجهة هذه العوامل المؤثرة.

تطوير الفرد السعودي:

• **لا بد من إيجاد البدائل.. وخلق الإنسان السعودي المدرب.. فبذلك نصل إلى المستقبل الذي ننشده جميعاً.. تجربة هذا المسؤول كبيرة وكبيرة جداً.. فلنتعمق في إجابته التي يقول فيها:**

■ تطوير الفرد السعودي، فنحن بلد عدد سكانه صغير والمادة فيه كثيرة، لذا فإن البديل الذي سيرتكز اقتصادنا عليه بالمستقبل يجب أن يتوافق مع هذه الظروف أو المعطيات، وتوفر المادة يمكننا من عمل الكثير في سبيل تطوير الفرد السعودي وهذا بدوره سيفتح أمامنا البدائل المناسبة، وما المانع أن تكون ركيزة اقتصادنا السبق في مجال التكنولوجيا وتقديم الخدمات المتطورة، فتكون صادراتنا هي عقولنا.

يجب الاهتمام بالزراعة:

• **الشيء الذي يلفت انتباه جلساء الشيخ عبدالرحمن وأصدقائه أيضاً، حبه الشديد للزراعة.. بل لو قدر لأحد القراء زيارة معاليه في منزله بالجوف، فإنه سيتحول بقدرة قادر إلى رجل زراعي من الدرجة الأولى لأن حديث هذا الإنسان لا يمل عن الزراعة.. لنقرأ ما يقوله إذن:**

■ يجب الاهتمام بها خاصة بالنسبة لمعالجة مصادر المياه، وإيجاد بدائل للمصادر الحالية، فقد لا يكون هناك من بد عن دعم الزراعة لما للزراعة من تبعية وارتباط في مجتمعنا، ولكن هذا لا يمنع من العمل على تجنب أو الإقلال من الأضرار التي قد تنجم عن الإقبال الواسع على الزراعة. وقد يكون أفضل

أنواع الدعم وأبقاه أثراً هو الدعم الذي يتجه إلى إيجاد بدائل مستقرة للمياه الزراعية.

هذه تجاربي الزراعية:

● **وماذا عن تجارب معاليكم؟**

■ تجاربي مشجعة، وأهم نتائجها هو تأكدنا من نجاح الأنواع المتطورة من النخيل وبعض الأشجار الأخرى في الجوف، وإذا أمكن تشجيع المزارعين وإرشادهم إلى الطرق الصحيحة العلمية أمكن زيادة الانتاج وتحسين نوعيته، ولقد أخذت إمارة الجوف منذ عدة سنوات خلت على إعداد مسابقة بين المزارعين يتنافس خلالها جميع مزارعي المنطقة وتقدم لهم الجوائز النقدية والعينية، وكان آخرها هذا العام، حيث أقيم حفل بتاريخ٢٣/١٢/١٤٠١هـ، وبلغت قيمة الجوائز النقدية والعينية (٤١٢٣٨٧) ريالاً وزعت على خمسين شخصاً من المزارعين.

هذه مشكلة المزارع السعودي:

● **وأنت العاشق للزراعة.. دعني أسأل ما هي مشكلة المزارع السعودي؟**

■ العلم المعرفة العلمية، صغر الحيازات، الأيدي العاملة.

أنت والرياضة:

● **وماذا عن الرياضة؟**

■ يجب تشجيعها للجميع شباباً وشياباً.

التدريب.. التدريب:

● **خطة الدولة الثالثة ركزت على خلق الإنسان السعودي المدرب.. كيف يرى ذلك أبو فيصل؟**

■ التدريب قائم وسيستمر والفرد السعودي يجب أن يكون هو المصدر الرئيسي لاحتياجاتنا التي ينبغي أن تتلاءم وظروفنا.

عدد أبنائي ومؤهلاتهم:

• على فكرة أبو فيصل كم عدد الأبناء؟

■ الأولاد خمسة والبنات ثمان:

الابن فيصل حصل على شهادة ماجستير بالاقتصاد، والابن سلطان حصل على شهادة ماجستير بالعلوم السياسية، والابن زياد حصل على دكتوراه بالقانون، والابن عبدالعزيز ما زال يدرس بالجامعة، والابن سلمان أنهى الجامعة ويحضّر الماجستير.

أما البنات فجميعن متعلمات ومنهن من تحمل شهادة جامعية وإحداهن تحمل شهادة ماجستير.

أرفض الزواج من الأجنبية:

• أبو فيصل كيف ترى الزواج من الأجنبية؟

■ أثبتت التجارب أن الزواج من الأجنبية غير ناجح في مجتمعنا.

برنامجي اليومي:

• على فكرة برنامج معاليكم اليومي.. كيف؟

■ الرياضة بعد صلاة الفجر والعمل في الإدارة ثم الجلوس للاستقبال بعد صلاة العصر حتى العشاء وبعد العشاء حتى الساعة الحادية عشرة مساءً تقريباً.

الزراعة والرياضة:

• طيب وماذا عن هواياتك؟

■ الزراعة والمشي.

الجوف.. وسباق الهجن

• الفروسية من الأشياء التي يعتز بها ابن هذا البلد.. وسباق الهجن لها قصة مع هذا الرجل.. ومنطقة الجوف تعتبر سباقة في إيجاد هذا النوع من الرياضة، لماذا.. وكيف؟

■ الأسباب كثيرة وأهمها اجتماعي فإن اجتماع أهل المنطقة بأعداد كبيرة يمكّن الإدارة من الاتصال بهم للتعرف عليهم ومشاكلهم وتشجيعهم وإكرامهم، وقد نتج عن ذلك أشياء عملية منها مكافحة بعض العادات السيئة مثل غلاء المهور والتنافر بين العوائل والشخصيات وتعريفهم بالإدارة التي ليس لها دور الا خدمتهم، كما نتج عن السباق ومعرض السجاد الحفاظ على الهجن الأصلية وتطوير صناعة السجاد في المنطقة.

السعادة.. الطمأنينة:

• يختلف وصف السعادة بين إنسان وآخر.. إذن ماذا يقول معالي الشيخ؟

■ الطمأنينة والحفاظ على جانب الله واستقامة الأخلاق.

هذا لا يعجبني:

• هناك بعض القضايا التي ينفر منها الإنسان دعونا نسأل هذا الرجل؟

■ أضيق من وجود التنافر بين أفراد العوائل والأشخاص الذي لهم أهميتهم.

أغضب لماذا؟:

• ومتى يغضب هذا الإنسان..؟

■ عندما تضيع حقوق الأفراد عن طريق الغلط أو الاهمال.

• معالي الشيخ عبدالرحمن السديري الجميع يتحدث عن كرمه.. لنسأله ماذا يعني الكرم وكيف يتعامل معه؟

■ كرم النفس واحترام حقوق الآخرين.

الجهل.. الجهل:

• أبناؤه متعلمون.. وله احترام كبير من الجميع لكن هل يخاف من شيء معين؟

■ الشيء الذي يخيفني.. هو الجهل وأنصاره.

المرأة.. وأنا:

● **وماذا عن المرأة؟**

■ المرأة الصالحة ثروة لمجتمعها.

أنا والمرأة.. والشعر:

● **حين يتحدث عن المرأة يشدك إليه.. وبالذات عندما يلقي قصائده عنها.. السؤال كيف تظهر المرأة في شعر هذا الإنسان الشاعر؟**

■ المرأة تظهر كثيراً في شعري لأسباب وبأشكال مختلفة وقد وصفتها في إحدى القصائد قائلاً[1]:

جميل خلق وخلق ما فيه مثلوم
اسمع تماثيله وتلقى كلامي

عليه من عدل الجناحين صاروم[2]
وعليه من قهار خشف الادامي[3]

ما هي من اللي زينها لبس وهدوم
اللبس ياخذ من حلاها انسجامي

ولا هي من اللي تدمج الشوم باللوم[4]
تشفق على تنتيح غبص الكلامي[5]

فيها من الغِزْلان سجَّات وسجُوم[6]
وفيها صُبَاح الصُّبْح وفيها ظَلامي

---

(١) من قصيدة طويلة بعنوان: «مبحلة» وردت في ديوانه، ص ١٩٣.

(٢) المقصود هو أن عينها تشبه عين الصقر الصارم.

(٣) الخشف هو الغزال الصغير، الادامي جمع ادمي وهو أحد أنواع الغزلان الموجودة بالجزيرة العربية (عادة تسكن قرب الجبال)، المقصود هو أن خصر الفتاة يشبه وسط كلب السلق السريع الذي يستطيع اللحاق بالغزلان، والمعروف أن وسط السلق نحيف جداً.

(٤) الشؤم واللؤم.

(٥) التلفظ بالكلام الخارج والمسيء.

(٦) أي أن هذه الفتاة تشبه الغزلان في حذرها ونباهتها.

اوفيـهـا ثِـقـيـل وخـفّـهـا مـا بَـه ثلوم
إمـتـعـادلٍ قِـصْـرَه وطُـولـه تِمامي

وفيها ليان وبَـه غـظَـاظَـة[1] اوبـه زُوم[2]
عـدل الـنـواحـي بـارده فـيـه حامي

اوفيـهـا ثـلاثٍ مـن ثـلاثٍ بـلا وهـوم[3]
تِـثَـالَـثـت فـيـه الـثـلاث التمامي

اوفيها من اشكال الرمك قدر ملزوم[4]
او تَلْقَى عليها من تهايا الحمامي[5]

يغيظ من شَافَه ويغطِي على هزُوم[6]
اويِـزْعِـل عـدوَّه مـع صديقـه دوامـي

يظلم ولا يخشى من الناس ظالوم
ويـبْـرى بـنَـظْـراتـه مـريض الجذامي[7]

عَـذْبٍ عـذيٍ نـاعـمٍ مـا بَـه وجـوم[8]
كنَّـه نِـبَـات الـقَـفِـر عُقب الوسَامي[9]

مسؤولية مشتركة:

● بالمناسبة مسؤولية تربية الأبناء أعني أبناءكم.. كانت مسؤولية من؟

---

(١) غظاظة: صغر بالسن.

(٢) زوم: كبرياء.

(٣) أي أن هذه الفتاة تتصف بثلاث من أهم الصفات ويعتقد أن المقصود هو حسن الأخلاق والذكاء والجمال.

(٤) الرمك هي الخيل. المقصود أن هذه الفتاة تشبه الخيل في تناسق جسمها.

(٥) المقصود أن هذه الفتاة تشبه الحمام في مشيها.

(٦) الهزوم جمع هزم وهو مرض يصيب العين. يغظي على اهزوم أي يغض بصره على مضض.

(٧) الجذام: من الأمراض الجلدية.

(٨) اوجوم: خشونة.

(٩) الوسامي: الأمطار التي تأتي في بداية فصل الأمطار.

■ مسؤولية مشتركة والحمد لله النتائج حسنة إلى أبعد الحدود بالنسبة للبنين والبنات.

لوجود الزراعة أعجبت بالبلد:

● **مدينة إنديو في كاليفورنيا بأمريكا أعجب بها معالي الشيخ عبدالرحمن السديري لماذا؟ فلنقرأ هذه السطور.**

■ الواقع لم يسبق لي أن سافرت إلى الخارج بقصد الزيارة أو الفسحة، وإنما كانت جميع رحلاتي علاجية، لذا لم أتمكن من التعرف على الكثير من البلدان وإن كنت مررت بروما ولندن، كما زرت توسان بولاية أريزونا التي درس فيها جميع الأبناء، وزرت وأعجبت بالطبيعة بولاية فرجينيا التي كان يدرس بها أحد الأبناء، والمكان الوحيد الذي ذهبت إليه بقصد الزيارة هي مدينة أنديو في كاليفورنيا المشهورة بزراعة النخيل، وكان هدفي الاطلاع على أساليبهم في زراعة النخيل.. عموماً ومن دون رياء لم أجد أجمل من بلادي..

● **كيف يمكن تطوير الاستثمار الخارجي.. سؤال يطرحه عبدالرحمن نفسه.. لكن كيف.. دعونا نقرأ..!**

■ ما دام يوجد فائض بالأموال سواء على مستوى الدولة أو على مستوى بعض الأفراد يفوق الاستيعاب المحلي يبدو أنه ليس هناك من خيار.. السؤال هو: كيف يمكن تطوير الاستثمار الخارجي بما يخدم المصلحة العامة؟

هذه عيوبي:

● **لكل إنسان أخطاء.. لكن هل يعترف معالي الشيخ عبدالرحمن بعيوبه..؟!**

■ قد تكون كثيرة وإ، كنت أحاول تجنبها دائماً..

الإسلام هو الحضارة:

● **عفواً أبو فيصل هل تعتقد أن هناك صعوبات تواجه العالم الاسلامي..؟!**

■ الإسلام هو أساس حضارتنا ورقيّنا وهو المخرج لنا من ضعفنا وتفككنا..

متى أندم؟

• يتخذ الإنسان أحياناً قراراً يندم عليه بعد حين.. فهل عاش أبو فيصل هذه الحالة؟

■ ربما وعلى كل حال كل قرار اتخذته وقت الغضب أندم عليه.

أهتم بالمجتمع:

• طيب أبو فيصل لو سألنا ما هي الأشياء التي تحرص عليها الآن؟

■ الحفاظ على جانب الله والمثابرة على العلم والتفكير السليم فيما يخص المجتمع.

هذه ثروتي:

• يختلف البعض حول تفسير معنى الثروة.. دعونا نسأل معالي الشيخ عن ثروته.. وماذا؟

■ ثروتي هي علاقتي باخوتي وباقي الأسرة.. وإن كنت تقصد المال فإننا بخير المال بالنسبة لي وسيلة لخدمة الإنسان وتمكينه من الإصلاح وأداء الواجب وقد أشرت إلى هذا المعنى بإحدى قصائدي قائلاً[(١)]:

زيـــاد بـيــاع الــعــز بــالمــال خــاسـر
جـــــداه يـنـقـص مـحـكـم الــبــريم

وسيلـتـه هـي غـايـتـه ومـصـدر ملذته
الـبـطـن عـــايم والجــنـــاب حــــريم[(٢)]

يـقـولـه الـعـونـي[(٣)] ومــن عــرض قوله
الـعـــز بـيـعـه بــالــسـحــوت[(٤)] ذمـيـم

---

(١) من قصيدة طويلة وردت في ديوانه بعنوان: (الحكيم) يخاطب فيها ابنه زياد، ص ٧٠، (المحرر).

(٢) الجناب: العرض. حريم: مفقود.

(٣) العوني: هو الشاعر المعروف محمد بن عبدالله العوني من أهل الربيعية بالقصيم، عاش في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري.

(٤) السحوت: المادة.

سـعـــادة الإنـــســـان فـــي عـــز راســه
ومـــن عـــز راســــه بــالـحـيــاة يقيم

الإنـســان مــن عـقـلـه وتـنـفـع تجاريه
وبـالـعـقـل يـسـمـو الـعـلـم والتعليم

التعليم في الجوف:

- **التعليم في منطقة الجوف له قصة.. ومعالي الشيخ عبدالرحمن عايش هذه القصة وعمل من أجل تذليل كل الصعاب.. لكن كيف ؟.. هذا ما سنكشفه خلال هذه السطور التالية؟**

■ كان أهل المنطقة جميعهم ذكوراً وإناثاً حاضرة وبادية يقبلون على العلم بشكل يشكرون عليه..

القصة التي تسأل عنها أنه كان الشيخ ناصر بن حمد الراشد الرئيس العام لمدارس البنات في حينه أبدى تردداً في فتح مدرسة للبنات في طبرجل وكان أهلها من البادية، وصادف أن التقيت بالشيخ ناصر، وقد شكى لي من معارضة بعض الجماعات بالبلدان والقرى الأخرى لتعليم البنات فذكرته بموقفه إزاء مدرسة طبرجل فكانت فرصة لتسهيل الخروج من معارضته السابقة.

ولا شك أن التعليم بهذه المنطقة قطع شوطاً كبيراً جداً من التقدم لوجود اليقظة لديهن ومثابرتهن على كسب العلم الذي هو سلاح المصلحة حاضراً ومستقبلاً، كما وكان لابنتَيّ حصة ولطيفة منذ البداية شرف العمل بهذه المصلحة الحيوية مما كان له كبير الأثر بموجب ما هن عليه من الحماس، وقد تحصل للبنت لطيفة فرصة الاستمرار بهذا العمل حتى الآن كمراقبة ثم مدّرسة ثم مديرة ثم موجهة على مستوى المنطقة وهي قائمة على عملها خير قيام، وأخيراً التحقت البنت مشاعل التي تحمل شهادة الماجستير بهذه المصلحة كعميدة لكلية البنات بالمنطقة التي باشرت أعمالها خلال هذا العام الدراسي الجديد، وفق الله الجميع إلى ما فيه الخير..

- **العائلة جميعهم يعشقون الزراعة.. لكن أبو فيصل أكثرهم عشقاً.. ربما يكون هناك سبب... دعونا نقرأ..**

■ الواقع أن محبة الزراعة شيء ملتصق بالعائلة، فالأولاد جميعهم يهوون الزراعة، والزراعة تشكل أكثر المهن انتشاراً بين أفراد المجتمع السعودي ومنهم أهل الجوف.. لذا فقد شعرت منذ البدء بأهمية العناية بالزراعة كمسؤول، من منطلق أن المؤثرات على الزراعة سيكون لها أثر مباشر على حياة المواطن السعودي، ومزرعتي بالجوف ما هي إلا بستان وكما كنت وما زلت أنظر إليها كوسيلة لإدخال الزراعات والنوعيات الطيبة والأساليب الزراعية الحديثة خاصة في مجال الري إلى المنطقة..



يجيب على أسئلة الجزيرة.



قصائد لم تنشر

د. زياد السديري

هذه قصائد أعدها الوالد بعد صدور ديوانه "القصائد" في سنة ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م)، وقد وجد أكثرها مكتوباً بخط يده، وليس على الورق الذي كتبت عليه ما يشير إلى تاريخ نظمها أو مناسبتها الخاصة، وقد وجدت القصائد الثلاث التالية مكتوبة على ورق كليفلاند كلينك، يقول في أولها مخاطباً زوجته منيرة الملحم:

الزين شفته بليّا شوف — جاني وجيته وحييته
قلبي على شوفته ملهوف — ياليتني ما تعديته
اللي ذكرني وهو بالجوف — بالبعد يا سين[1] جازيته
سجل على الطرس خمس حروف — اسمه ورسمه تحليته[2]

ويقول في الأخرى:

أسست بالجوف غرس ودار — ولا تشبثت بتجاره
تجارتي صحبة الاخيار — هذا هوى القلب وشعاره
نبذل ولا نبدي الاعذار — في ساعة الكود صبّاره
ما قول قول وهو ما صار — اللي مضى تكفي اخباره
البذر يلقي به البذار — والجار من مصلحة جاره
والبر ثروة مع الأبرار — والسن بالسن مخساره
والبيض[3] فيهن وسط وخيار — وفيهن ذميمه ومحّاره
وفيهن مثل فيضة الأزهار — ما تودي الجار والجاره

---

(١) ياسين: وا أسفاه. (٢) تحليته: تصورته

(٣) البيض: المقصود الحسان أي النساء.

ويقول في الثالثة:

يـــالــــلـــه يــالــــلـــه يــالـطـيـف	**لـطـفـك بـنـا مـكـسـب كـافـي**
زل الـشـتـا واقـبـل الـمـصـيـف	**تـلـولـسـت[1] والـقـدر خـافـي**
لا مــن ربـيـع ولا مــن ريـف	**حـتـى الـشـجـر دمـه[2] الـسـافـي**
يـا سـيـن يـا مـكـرمـيـن الضيف	**الـلـي يـقـودون الاسـلافـي[3]**
كـلٍ نــزل بـالـحـلال مـعـيـف	**تـعـذرت كـل الاطــرافــي**
مـن الـشـرق للغرب حتى السيف[4]	**عـقـب الـطـرب شـاف مـا عـافـي**

وهذه قصيدة أعدها أثناء رحلة علاجية قام بها إلى الولايات المتحدة وكان ابنه سلمان المرافق له:

سلمان يا سلطان صفت مواسيه[5]	**طـيـر السـعـد لقيت بـه مـا هقيته**
الـلـى بغيته فيه كـنـي موصيه	**عـلـيـه والـمـطـلـوب كـلـه لقيته**
صبر وشجاعة نفس والعرف حاويه	**وان جاد حظه كود تسمع بصيته[6]**
الا ولا يـزعـج خـويـه ويـطـنـيـه[7]	**مـثـل الـذهـب تغليه لـو مـا شريته**
مـا كـل طـيـر يـخـتـلف عـن مجانيه	**الا الـنـوادر والـنـوادر بـهـيـتـه[8]**
طـلـوعـهـا صـعـب طـوال مـبـاديـه	**شـي تـعـرفـونـه ولـو مـا حكيته**
درب المراجل صعب والصعب راعيه	**يعجبك فعله فيه لو ما نخيته[9]**
والا الـتـصـنـع لـو تـصـنـع مسويه	**يـومـيـن والـثـالـث حـصـيـلـه قريته**
مـا كـل مـن يـمـلـك سـلاح فعل فيه	**درب الأمـانـة والـحـيـا إن قويته**
تـصـعـد بـهـا الـعـلـيـا وفـكـرك تنميه	**وعرضك تصونه عن عدوك حميته**
الـرجـل يـبـرز لـو تـقـاعـس مربيه	**والـتـربـيـه حـصـن حـصـيـنٍ مبيته**

---

(١) تلولست: تشابكت الأمور وتعقدت.
(٢) دمه: غطاه.
(٣) الاسلافي: مقدمة الظعن المرتحلة.
(٤) السيف: الساحل.
(٥) مواسيه: ريش الصقر الموجود في طرف الجناح وهو أخر ما يظهر من الريش بعد اكتمال " قرناس " الصقر أول الخريف.
(٦) صيته: سمعته.
(٧) يطنيه: يؤذيه ويزعجه.
(٨) بهيته: في مكان عالٍ صعب الوصول.
(٩) نخيته: طلبت نجدته.

اليا حصل هذا وهذا حسانيه	يسعد بها الطيب ويفخر ببيته
العرف ما يعرض على اللي يواليه	ومن هام درب المرجله لو ثنيته
ما ينثنى عنها والايام ترضيه	والعسر(١) سهل اليا وصلته وجيته
الصعب صعب إذا ترددت تخطيه	وبالعزم صعبات المراجل رقيته
بعض الرجال اللى ضعاف مهاجيه(٢)	وش عاد لو انك غفرت ونسيته

ووجدت القصائد التالية مكتوبة على قصاصات ورق ليس عليها ما يفيد بشيء عنها، القصيدة الأولى موجهة لسمو الأمير سلطان بن عبدالعزيز:

ياللي عناك امري توصل لسلطان	بلغ سلامي له وقلّه وقلّه
تلقاه ما يحتاج نمره وعنوان	كلٍ يدله والمراجل تدله
اللي قوى نفسه بنفسه ولا هان	كل الرجال الطيبه ما تمله
الله يجيره دام للعمر ميدان	أيام ولا الوقت شمسه وظله
يزول والنفس العزيزة لها شان	وبعض النفوس السايبه مسفهله(٣)
الطيب فزتوا فيه يا طير حوران(٤)	نفس تغذيها ونفس تبله
الله يجيرك يا سلايل كحيلان	يا منتهى طول المثايل وجله
لو كثروا فيك القصايد والألحان	الجود منك وعنك جله وكله

والقصيدة التالية تبدو موجهة لسمو الأمير سلمان بن عبدالعزيز:

سلمان لو ما انت موجودي	والله لا صوّت وانادي لك
سلمان يا منبع الجودي	حصيلنا من محاصيلك
الدار(٥) لو تطلب الزودي	حق لها يوم تشكي لك
تشره على الزود والفودي(٦)	يوم افلست من مخاييلك(٧)

(١) العسر: العسير. (٢) مهاجيه: مقاصده.
(٣) مسفهله: المقصود ضعف النفس.
(٤) طير حوران: الصقر الآتي من منطقة حوران في سوريا وهو مشهور بتميزه.
(٥) المقصود الغاط.
(٦) الفودي: المغنم. (٧) مخاييلك: المخاييل هي السحب الممطره.

دار لجديك وجدودي ما الومها يوم تومي لك
اسمع جوابي ومردودي من راس ما اريد اوصي لك
وشلون يا مدرب القودي[1] تكشف ضميري ويبدي لك

والأبيات التالية تبدو موجهة إلى الأمير سلمان:

أمسيت وأصبحت يا سلمان عيني مريضه ووجعانه
لو زان لك يوم باكر شان عزي لمن لا قضى شانه
أشكي لك الحال ياكحيلان[2] هلي تعليت ميدانه

وهذه قصيدة موجهه لأخيه مساعد:

اهدوا سلامي للمساعد[3] وردوه عني ومني بلغوه التحايا
الجود منه وعنه ورث عن أبوه عساه يسلم لي غريب السجايا
أخوي يوم الأخو يستر باخوه ياالله لا تقطع رجاه ورجايا
أيام لو الوقت لو طال مكروه جربت في ماضيه كبر الهوايا[4]
ما يدرك الماضي ولوقلت ردوه ولا ينفع المفلس سمين الحذايا[5]
بالله مكتوبي إلى اخوى ودوه اللي سكن بالمجد روس العلايا[6]
من قاس غاص ومن تساهل توطوه سود الليالي كود فيها رزايا

وهذه قصيدة غزلية يخاطب فيها ابنه سلطان:

عيني تعاظم غيظها وعظلتني[7] أزريت أخفى عبرةٍ فيضتها
ياليتها يابو مها[8] شاورتني ولا بعد حنت علي وتركتها

---

(١) القودي: ركائب الإبل.
(٢) كحيلان: من سلالات الخيل العربية الأصيلة.
(٣) بيت أخيه مساعد.
(٤) الهوايا: المصائب.
(٥) الحذايا: العطايا.
(٦) العلايا: العوالي.
(٧) عظلتني: أعاقتني.
(٨) أبو مها: ابنه سلطان.

لي حين[1] وهي عبراتها صايبتني جوارحي تكتم وهي خالفتها
جارت علي بفعلها لولستني[2] الله يكون بعون نفسٍ كوتها
تجاربي بالصبر قبل انفعتني الصبر غلطات الزمان ادملتها[3]
كم غلطة كتمتها وانقذتني من علةٍ ما تنعرف تاليتها
لا شك عيني من غثاها ابلشتني[4] مثل السحاب دموعها نثرتها
السد باح وللكشاف اكشفتني ما من خيار اسرار نفسى حكتها
ما ودي أبدي يوم عيني لظتني[5] شطت على وعلتي بيحتها
خشف[6] الغزال اللى بقلبي كوتني هذي سبايبها علي اعكستها
هذي سبايبها بدت واشغلتني عن لذة الراحة عزيت[7] وعزتها
جوارحي لذاتها فاختتني[8] ياليتها ياليتها ما عرفتها
وياليتها بالسوق ما عارضتني[9] ولا بعد قلبي وعيني خذتها
شفت الهَول والهُول[10] لو ما عنتني شيٍ طبيعي شكلها وحركتها
غصبٍ علي أخفية يوم اصدفتني[11] تاه النظر فيها ونفسى بغتها
فكرت فيها وضحكت وشطنتني[12] واستغربت من خرعتى[13] وضحكتها
استغربت من شوفتي وابلشتني اسرار نفسي ميزتها وقرتها
اقفت وأنا قفيت ما سايلتني[14] وعين الشقا عبراتها شوهتها
شافت وكجت[15] دمعها وشدهتني لا عرف لا معروف روحي شوتها
لو أنها بلسانها كلمتني بلكي[16] عسى نفهم لدار نصتها

(١) لي حين: منذ زمن.
(٢) لو لستني: شبكتني.
(٣) أدملتها: دفنتها.
(٤) ابلشتني: أشغلتني.
(٥) لظتني: حرقتني.
(٦) خشف: صغير الظبا.
(٧) عزية: يئست.
(٨) فاختتني: فاتتني.
(٩) عارضتني: قابلتني.
(١٠) الهَول والهُول: الأهوال.
(١١) اصدفتني: التقيتها صدفة.
(١٢) شطنتني: شبكتني.
(١٣) خرعتي: فجيعتي.
(١٤) سايلتني: سألتني.
(١٥) كجت: سيلت دمعها بغزارة.
(١٦) بلكي: ربما.

ندورها لو أنها حيدتني لا غازلت عيني ولاجاملتها
شبت على كبدي بنار صلتني تفاعلت نيرانها واشعلتها
أحلام نفسى ساهمت وارغمتني متمشكلٍ لا فوقها لا تحتها
باوهن سلوك العنكبوت احدرتني إلى الرجا والضعف بمقابلتها
بين الرجا والياس ما ساعفتني دنياى غلطات الزمان حرثتها
من خيرها ياليت ما حاسبتني زادت اشجوني والعيون اسهرتها
بغيتها واخطيتها وادركتني الظلم والظلما تعم بركتها
الجادل[1] اللى في سهمها رمتني مالي ومال دروبها وشبكتها
قبل رمضان بشرها صومتني حاريت لذاتي وروحي رمتها
في ما قفٍ ما بيه غصب أجبرتني من شفتها روح الشقا كبلتها
مالي وما لدروبها سلمتني إلى العذاب وعبرتي سيّلتها
يا منتهى شكواي يوم اعسرتني أفزع[2] لعينٍ بيحت كارثتها
وش خانة[3] الفرصات ما ساعدتني فرصه وبال لراحتي عكرتها
الناس مرتاحه وأنا عرضتني دنياي عدلات السلوم قْطعتها
تغيرت عدلاتها واوجعتني توحدت بي علةٍ سببتها
عوامل بالنفس ما شجعتني وانا بعد ما اقدر على مصارحتها
ما ودي ابديها وهي حطمتني الله يكون بعون نفس سقتها
امرارها واشرارها طاولتني تحطم القاسى تحت طايلتها
مهما فعلت وقلت بقعا[4] وطتني بكفوفها ونيابها كشرتها
تحظني[5] في كدرها وارهقتني الله يساعدني على خاتمتها

(١) الجادل: الفتاة ذات الجدائل الطويلة
(٢) أفزع: انقذ.
(٣) وش خانة: ما فائدة؟
(٤) بقعا: المقصود مصائب الدنيا.
(٥) تحظني: تحتضني.

وهذه قصيدة يخاطب فيها ابنه زياد:

البارحة عيني تعاظم نكدها والقلب كن[1] النار شبت بزوره
هاظتني الفاطر[2] تحن لولدها يا سين[3] من فقده عليه محروره
ولي خلوج[4] هيظتني بعدها زادت علي شجون نفسي حروره
اللي هجدني[5] يابو طارق[6] هجدها ما عاد ينفع فيه شور ومشوره
اواه من دنياً كبار عقدها الشر والاشرار فيها جسوره
ما حدٍ قنع منها ولا حدٍ حمدها من عاش فيها يوم باكر تعوره
تطاولت وادمت جروحي بيدها شطت على روحي ولوهي صبوره
شطت على وعبرتي زوّدتها صبري تفاقم والعيون محروره
اكظها[7] لا شك عاظب[8] جهدها امر مقدّر والعلوم مخبوره[9]
صبري تحطم والليالي سعدها حْظوظ والمفلس تخونه ظفوره
من بر في غيره وعينه حسدها لابد ما يفهم نتاج مخسوره
الا بحالات عسير عددها في والديه دْروب خير يدوره
دارٍ بلا عقل ضعيف عمدها ورجل بلا ربع قصار شبوره
درب المراجل والمروات زدها بقدر ما تقدر ترى الرجل دوره
يفوت والدنيا طويل مددها ومن لا سعى ماادرك وفعله يعوره
النفس للخيرات حاول وقِدْها حاول ترى الواجب طوال جسوره
ما يدرك الطولات[10] من لا طردها ومن نام هان وشاف وادرك قصوره
نفسك عن الزلات[11] والزود سدها ومن لا حكم نفسه توالت عْثوره[12]

---

(١) كن: كأن.
(٢) الفاطر: الناقة المسنة.
(٣) ياسين: وا أسفاه.
(٤) خلوج: الناقة إذا مات ولدها.
(٥) هجدني: الهجوم الواقع في منتصف الليل.
(٦) أبو طارق: ابنه زياد.
(٧) أكظها: أحاول السيطرة عليها.
(٨) عاظب: تعذر.
(٩) مخبوره: معروفه.
(١٠) الطولات: الأفعال الكبار.
(١١) الزلات: الأخطاء.
(١٢) اعثوره: عثراته.

افهم ترى خصومك كثير حقدها　　تبحث عن الزلات في كل صوره
ناس تبي صيدتك عاصر وصدها　　اللى بداك بظلم حطم شعوره

والأبيات التالية مرثية برفيقه محمد بن صالح المنصور الذي وافاه الأجل بحادث سيارة في ١٤٠٦/١١/٢هـ (١٩٨٦م).

عزيز علي وراح واعذرت عن رؤياه　　عسى الله يعوضه عقب دنياه بالجنة
جرحني وأنا مجروح لو ينفدى لا فداه　　أسوق الثمن ما والله أغليه وأكنه[(١)]
أبو صالح[(٢)] صابني علمه[(٣)] والضمير أدماه　　أمين السراير كل الأعيان[(٤)] يبكنه
صفالي وأنا ما برت به والثمن سقناه　　الا ليت فيه أسباب عندي يجيبنه[(٥)]
كثير الحسايف[(٦)] تحسفت واعزاه　　سببهن قصير قاصر ما يطولنه

وهذه قصيدة يرثي بها عاشق بن كاسب اللحاوى، كبير قبيلة الشرارات:

عاشق رحل يا وي والله فقيده　　اللي يعرف الصايبه ويحظاها[(٧)]
يا عنك[(٨)] ما نفسه ضعيف وزهيده　　يدرك مقامه من تزاحم خطاها
عاشق ولد كاسب علومه بعيده　　وافي ويافي والمراجل قواها
شوفات عاشق واضحات أكيده　　ما خانته نفسه حفظ مستواها
يمشي قصاد[(٩)] وكل شي يريده　　يقوس غورة قبل يفلت رشاها
عينه على الغلطات دايم شديده　　ولا يتابعها ويركض وراها
ما ودي اقصد فيه واكثر حميده　　ما فات راح وكل نفس جزاها
تلقى جزاها كل نفس سعيده　　ومن قدم الحسنى تورّث ذراها
ومن لا فعل ماادرك علوم تفيده　　ومن نام هان وعلته من دواها

---

(١) أكنه: أخفيه.
(٢) أبو صالح: محمد بن صالح.
(٣) علمه: خبر وفاته.
(٤) الأعيان: الأعين (جمع عين).
(٥) يجيبنه: يأتيني به.
(٦) الحسايف: الندم.
(٧) يحظاها: يحتضنها، يتبعها.
(٨) يا عنك: عبارة يقصد بها التأكيد.
(٩) قاصد: المقصود الاستقامة.

درب المراجل كود[1] واللي يريده   يضغط على نفسه لزوم يعصاها
ومن جاد مع ربعه علومه سديده   ومن خانته نفسه تورّث غثاها
أبو سعود[2] أضحت علومه جديده   عرفوه يوم السود مست لحاها[3]
صياد ما يقدر ضديده يصيده   عن كثرة الزلات[4] نفسه حماها
أقول هذا عنه والله شهيده   وعساها بالفردوس يسكن حماها
يا سعود[5] كلٍ وارثه هو رصيده   بروا بوالدكم وردوا ثناها
ترى بجمع الشمل خير البديده[6]   وسوّ المراجل طردها من قفاها
العضد ما ينقل اليا أجزل عضيده[7]   والدار نادرها يعدي جباها[8]

وهذه الأبيات في ابنته ريم:

يا زين نور القمر زيناه   في خد ريمه وجبهتها
يا مدور الشين ما تلقاه   والله فلا هو بحروتها[9]
اسمه على جسمها تلقاه   ومسجل في إسوارتها

وأخرى في ريم أيضاً:

عز الله انا فرحنا بك   ياللّي سجاياك مرضّيه
الله يخليك لأحبابك   ويفكك الله من السّيه

وهذه القصيدة بحفيدته لابنته ريم، فلوة بنت سلطان بن تركي الأحمد السديري:

يا ريم ياريم شفت حلاك   من لاهة الغار[10] لمظله[11]

---

(١) كود: كائد، صعب.
(٢) أبو سعود: عاشق اللحاوي.
(٣) السود مست لحاها: أي عندما كادت الليالي الرجال.
(٤) الزلات: الأخطاء.
(٥) سعود: سعود بن عاشق.
(٦) البديده: القبيلة.
(٧) أجزل عضيده: أي سقطت العضد الأخرى.
(٨) يعدي جباها: يحمي حماها.
(٩) حروتها: محيطها.
(١٠) لاهة الغار: مكان في شمال صحراء الحماد مرتع لظبا الريم قديماً.
(١١) امظله: مكان في شمال صحراء الحماد مرتع لظبا الريم قديماً.

سبحان من صورك ماحلاك شيٍ عرفته وفطنٍ له[1]
فلوه إلى أقبل سعدها جاك[2] الزين هو والحلا كله
يا تاجر الزين من مجناك[3] الزين بك وانت ورثٍ له

وهذه بحفيده لابنته ريم، ممدوح بن سلطان بن تركي الأحمد السديري:

شفنا علامات نور وظوح[4] وجانا الخبر عقب ما شفناه
ممدوح باسمه وهو ممدوح من ماكر بالجبل مجناه
بطويق بين السهل والصوح[5] دار[6] لنا عندنا مشهاه[7]
نبذل لها المال هو والروح قول على ساس واسسناه
يوم الدهر عاري مفتوح صنا وطنا وعزيناه

وهذه قصيدة سامري كتبها في مناسبة زواج ابنته مشاعل:

هلا ما ناح بالغابه حمامه عدد ما تندب الورقا[8] ولدها
هلا ما أمطر وما حقت[9] غمامه تعاظم برقها وارزم رعدها
غزال الريم ياخشف[10] العدامه[11] رعاك الله وجارك من نكدها
عليك من المها شكل وعلامه من أدرك شوفتك قال وحمدها
عسى الدنيا تبرك بابتسامه تفوز بخيرها واجمل سعدها
عزيز جانبه عندي مقامه رفيع شأنها غضٍ جسدها
مشاعل مشعل بدد ظلامه سمت باخلاقها وأغلت بلدها
سمت بالعلم ودروب الكرامه باهلها وامها كلٍ حسدها

---

(١) فاطن له: منتبه له.
(٢) جاك: أتاك.
(٣) مجناك: أصلك، عشك.
(٤) ظوح: نور.
(٥) الصوح: الجبل.
(٦) المقصود الغاط.
(٧) مشهاه: نحبها.
(٨) الورقي: الحمامة.
(٩) حقت: هلّ مطرها بغزارة.
(١٠) خشف: صغير الظبا.
(١١) العدامة: كثيب الرمل.

كبير الحظ يصحى من منامه　　عزيزٍ شدها وافلح بيدها
عساهم للغنايم والسلامه　　لعل ايامكم يكثر مددها

والأبيات التالية تبدو موجهة لحفيده نايف بن فيصل بن عبدالرحمن السديري:

نايف يداعبني وهو خالي البال　　ياليت بالي خالي مثل باله
ما هوب يدري عن غثا البال لا زال　　صغير سن من الدهر عزتا له[1]

والأبيات التالية موجهة لحفيدته لابنته حصة، هنا بنت عبدالمحسن المحمد السديري:

شوفة هنا للهنا مدلول　　كل الحلى صادر عنها
ما ينفع القول فات القول　　تشاوروا وافلسوا منها
ما كل زول[2] يعوض بزول　　كمالها من معادنها

والقصيدة التالية يخاطب فيها رفيقه فيحان بن ضبيب بن عرهان السهلي:

فيحان هيظني وانا كان أبا غيظ[3]
وراك يا فيحان تبحث خفايه
قلبي يكظه[4] مثل عوج المقاريظ
يالله لا تقطع رجاه برجايه
أمسي على العبرات وأصبح على الغيظ
متمشكل عارض هواي الهدايه
ما ودي أبدي واردات العواريظ[5]
أخفيتها وسيلة للنهايه

---

(١) في آخر الأبيات شطر من بيت غير مكتمل يقول في شطره الأول: واعزتيله كان مالت به الحال.
(٢) زول: إنسان، شخص.　　(٣) أبا غيظ: كنت سأهدأ.
(٤) يكظه: يحركه.　　(٥) العواريظ: الخواطر.

قلبي كما قدر على النار بالقيظ
جوّدت[1] غطيانه[2] وزود لظايه

ركضت واطنتني[3] كثير المراكيض
يالله لا تضعف مثاني رشايه[4][5]

وهذه أبيات ورد أنه كتبها في شتاء سنة ١٤٠٥ه (١٩٨٥م) موجهة إلى عبدالمحسن المسعر من أهل الزلفى:

ردو سلامي لابو ناصر[6] لازم لزومٍ تودونه[7]
اللى مع المرجله حاضر يا كثر ما تومى ردونه[8]
حرصٍ[9] على الطيب ومعاصر ربعٍ على الجود ينخونه[10]
حشاه ما يقبل القاصر ما ينثني لو يعذلونه[11]

وهذا جواب عبدالمحسن على القصيدة:

الشيخ ما نيب له خاصر[12] لو صعب القاف وفنونه
يا مير يا ساتر القاصر المرجله فيك مرهونه
أزريت[13] ماالقى لي مناصر ياكود فنه وياهونه
يا شوق ملهوفة الخاصر[14] اللى عن الدنس مصيونه

---

(١) جودت: أحسنت تثبيته.
(٢) غطيانه: أغطيته.
(٣) اطنتني: أزعجتني.
(٤) ارشايه: حبلى.
(٥) في أخر القصيدة شطر من بيت غير مكتمل يقول في أوله: أشوف واسمع وأتجاهل ملاحيظ. وقد كتبت قافية الأشطر الأولى من هذه القصيدة بالظاء، مع أن البعض بالضاد، وذلك مراعاة للتجانس في نطقها العامي (المحرر).
(٦) أبو ناصر: عبدالمحسن المسعر.
(٧) تودونه: توصلونه إليه.
(٨) تومي ردونه: إشارة إلى كثرة الحركة لخدمة الضيوف.
(٩) حرصٍ: حريص.
(١٠) ينخونه: يدفعونه. يشجعونه. المقصود أهل الزلفي.
(١١) يعذلونه: يلومونه.
(١٢) ما نيب له خاصر: لست متجاهله.
(١٣) أزريت: عجزت
(١٤) ملهوفة الخاصر: الفتاة نحيفة الخصر.

واسـعـد مـن لـه بـك أواصـر بـراس حـيـداً[1] زمـى دونـه[2]
الـمـرجـلـه دونـهـا مـحـاصـر يـا قـل نـاسٍ يـعـدونـه
إلا أنـت يـالـنـادر الـبـاصـر حـلـحـيـل[3] دربٍ يـهـابـونـه
يـا حـظ مـنـهـو لـك مـقـاصـر[4] يـا مـن مـن الـخـوف وشـطـونـه[5]

والأبيات التالية يخاطب فيها رفيقه محمد بن درزي الدغمي:

صاحبي باخر الدار بالشمال يا بوعفات[6] يا بعد منزاله
والله اني على شوفها ميال من صفا لي عسى الوقت يصفاله
أكتم الغيظ والغيظ ما ينشال[7] وزنه أكبر من طويق وجباله

وهذه قصيدة موجهة لرفيقه عيد بن سلطان الدعجاني يبدو أنها كتبت في مناسبة وفاة قريب له:

مـاجـور[8] يـا عـيـد بـن سلطان والـحـمـد لـلـه عـلـى مـراده
مـا دبـر الـلـه لـعـبـده كـان والـلـي بـغـى[9] زودتـه زاده
الـصـبـر تـفـتـح بـه الـبـيـبـان[10] وتـنـول بـالـصـبـر رواده
وانـتـم لـكـم بـالـتـحـمـل شـان[11] ومـن عـامـل الـهـون مـا فـاده
وانـا عـلـى حـاجـة الـخـلان حـريـص والـنـفـس مـنـقـاده
والـخـصـم لا غـزه الـشـيـطـان نـقـصـر هـقـاويـه[12] وقـيـاده

ولم يتسنّ معرفة المقصود بالأبيات الآتية:

أمـرّ بـيـتٍ لـه وأنـا مـعـجـب فيه والـحـمـد لـلـه كـل شـي لقيته

---

(١) راس حيداً: مثل يطلق رمزاً للأمان.
(٢) زمى دونه: أي حال دونه.
(٣) حلحيل: شجاع، قوي الشكيمة.
(٤) مقاصر: يجاور.
(٥) شطونه: متاعبه.
(٦) أبو عفات: محمد بن درزي الدغمي.
(٧) ما ينشال: لا يطاق.
(٨) ماجور: تقال للعزاء في وفاة قريب، يطلب له الأجر من الله.
(٩) بغى: أراد.
(١٠) البيبان: الأبواب.
(١١) شان: شأن.
(١٢) هقاويه: أطماعه.

يالله يارب المقادير تذريه[1]	عمود من عمدان بيت بنيته
سمح المحيّا[2] وارثه من مجانيه[3]	لو ان طيري طير سمت[4] وشريته
أرجيه للطولات[5] وارجي حسانيه	أرجيه للطولات واللي بغيته[6]
للجار والدانين[7] يرخص غواليه	يقوم بالـلازم ولو ما نخيته[8]
عذب الجناب[9] يشجع القلب طاريه[10]	طير السعد يعجبك لو ما دعيته[11]

وله من قصيدة رثى بها جلّال بن عليوي الهشّال السرحاني، يحفظها حفيده نايف بن محمد بن جلال الهشّال، وهي في ستة أبيات:

قلت اخبروني كيف حال ابن هشّال	قالوا توفي قلت واعزّتا له
مرحوم يا جلّال يا طيب الفال	ياللي بوجهه للمروّة دَلاله
كِدحت يوم الوقت صعباته طوال	والمرجله والرزق صعبٍ مناله
أرّثت غرسٍ من حسينات الأشكال	وصالح مع إخوانه بدور الشكاله
موارث السرحان ماضين الأفعال	أهل الحميّة والشرف والبسالة
اللي يقيم اليوم لو قام رحّال	عساك للجنة تورّث ظلاله

أما القصائد والأبيات التالية فهي – على ما يبدو – غير موجهة لأحد بعينه وبعضها غير مكتمل، يقول في إحداها:

أرى الأيام تمضي والليالي	تتابع والفتى من حال يومه
اليا ضاعت غواليه الغوالي	فلا والله ينفع لو تلومه
اليا هان الحيا ساد الظلالي	وليا عمي البصر غابت نجومه
يفوت من الفتى أول وتالي	طفولاته وشيخوخه ونومه

(١) تذريه: تحميه.
(٢) سمح المحايا: سمح الوجه.
(٣) مجانيه: عرينه، عشه، من أصله.
(٤) سمت: عرضت فيه المال.
(٥) الطولات: الأفعال الكبيرة.
(٦) بغيته: أردته.
(٧) الدانين: الأدنين، الأقارب.
(٨) نخيته: طلبت نجدته.
(٩) عذب الجناب: لين الجانب.
(١٠) طاريه: ذكراه.
(١١) في أخر القصيدة بيت شطره الأخير غير مقروء ، يقول في مطلعه: باكر اليا صفت توالي مواسيه.

غـرابـيـل[1] الـدهـر عــوجٍ طـوالـي كـثـيـر الـنــاس تـعـطـبـهـا سهومه
تـبـصّـر وانــتـبــه مــا زان زالـــي تـــرا الـدنـيـا طـويـلـه ومـعـدومـه
حـيـاتـك كـلـهـا مـثـل الـظـلالـي تـلاشـى كــود مــا يـبـقـى رسـومـه
بــدون الـبــذر مـا نـرجـي غلالي ولا تـقـنـص وطـيـرك فــرخ بومه
ولا تـــدرك عـظـيـمـات الـنـوالـي بــدون اخــلاص ورجـــال عــزومــه[2]
لـيـا هــمـوا يـهــدون الـجـبـالـي يـقـودون الـمـلا لافـضـل اسلومه
يـرومــون الـشــرف فــي كـل عالي نـفـوس حـشـمـوهـا ومـحـشـومـه
هـدفـهـم واضـح مـا بـه جـدالـي ولا يـرضـون جـانـبـهـم تـهـومـه[3]
سـبـاع الـغـاب وذيـــاب[4] المفالي وعـــدوان الـخـفـا تـلـبـس اهـدومـه
تــخــدم اغــراضــهـــا ولا تـبـالـي تـسـانـع[5] لـك وتـوريـك النعومه
أقــول مــن الـخـواطـر مـا طـرالـي تـمـاثـيـلٍ جـمـيـلـه ومـهـضـومـه
تـمـاثـيـل الـرجـال غـذا الرجالي تـشـد اعــزوم مـن طـابـت اعـزومـه
كـثـيـريـن الـتـجـارب والـفـعـالـي هــم رجـــال الـحـيـاة بـلا خصومه
وعــلــى الـلــه كـل شــيٍ واتـكـالـي عـلـيـه وحـاجـتـي فـيـه مـخـتـومـه[6]

ويقول في أخرى:

نـفـسـي بـهـا مـن كـثـرة الـشـوق حاجات
الـلـه يـسـاعـدنـي عـلـى مـا تـريـده
يهيضن الـقـمـري بـغـضـات[7] الأصـوات
وبـالـلـيـل عـبـراتـي تـهـيـض جـديـده

(١) غرابيل: مصائب.
(٢) عزومه: ذات عزم.
(٣) تهومه: تصل إليه.
(٤) ذياب: ذئاب.
(٥) تسانع: تجامل.
(٦) يوجد في الورقة التي كتبت عليها القصيدة أبيات أخرى غير مقروءة وبالتالي لم يتسن نقلها.
(٧) غظات: ناعمات.

ما مـن[1] سلامـه يـالـعـيـون المريضات
شـوقـي[2] يـراودنـي وانـا بـزود[3] أريـده

تـفـاعـل الـعـبـرات لـلـشـوق مشهاة
بـغـيـت لـه وادركـت كـود ومـكـيـده

مـا يـدرك المبـغـي[4] بـرغبـه وساعات
دريـه طـويـل ومـوجـبـاتـه شـديـده

و في أخرى:

سـلـم عـلـى أهـل الـوطـن كله   عـلـى الـجـمـاعـه مـن اتـلاهـم
مـن راس عـرفـان[5] لـمـظـلـه[6]   أحـرص عـلـيـهـم وتـلـقـاهـم
ومـن الـعـلـم[7] كـان تـفـطـن[8] له   دريـك تـرى الـعـرق[9] يـبـراهـم[10]

وفي أخرى:

عـافت النفس يا مـدرب الهياب[11]   واخـلـج[12] الـقـلـب والـرجـل منصابه
كـلـمـا قـلـت جـرحـي مـصـابـه طاب   الـتـهـب وانـبـعـث كـود مـضـرابـه

وأخرى:

يـلـوج فـي نفسي هـواجـيـس واذكـار   يـلـوفـهـا لـوف الـلـهـوب السعيره
أبـرد مـن الـبـارد غليظ عـلـى الحار   مـا يـدركـه مـن لا وقـف فـي مسيره
أصبر حيا واضغط على النار بالنار   ومـن ضـدتـه سـود الـلـيـالـي تديره

---

(١) ما من: ليس.
(٢) شوقي: محبوبتي.
(٣) بزود: كثيراً.
(٤) المبغى: الغاية.
(٥) راس عرفان: مكان يقع في شمال شرق صحراء منطقة الجوف.
(٦) امظله: مكان يقع في شمال صحراء الحماد في منطقة الحدود الشمالية.
(٧) العلم: مكان في وسط النفود الكبير.
(٨) تفطن له: تعرفه.
(٩) العرق: النفود.
(١٠) يبراهم: يمتد بجوارهم.
(١١) الهياب: الرجال الجبناء.
(١٢) اخلج: بكى.

لـو هـادتـه يـوم مـحـاريـفـهـا اكبار   واجبـر عـلـى نفسي بليا بصيره [1]

وأخرى:

فـكـرت فـيـمـا فـات وادركـــت سّـوه   ياليت لـي فـي مـاضـي الـوقـت حيله
مهما عذلـت الـنـفـس بـالـقـلـب هّوه   يـسـنـنـي بـالـعـرض وايـضـا بطوله

والقصيدة التالية على وزن - طرق - العرضة النجدية يظهر من مضمونها أنها ربما ارتجلت في زيارة الملك سعود إلى منطقة الجوف عام ١٣٧٣هـ:

أقـــــول وابـــــــدا بــالـــسـلام   عـلـيـك يـا خـصـم الـخـصـيـم
واثـــنـــيــه لــوجــيــه الــكــرام   الــلــي حـضـر والـلـي مـقـيـم
أنــــت الامـــــام ابـــن الامــــام   أبـــــوك لا عــــــدوا عـظـيـم
مـهـمـا نـقــول مــن الـكـلام   عـبـد الـعــزيـز [2] أكـبـر زعـيـم
أنـــقـــذ بـــهـــمـــاتـــه مـــقـــام   وأضــفـــى عـلــى داره نـعـيـم
عــظّــم مــقــامـــه واســتــقـــام   عـقـلـه وبـاخـلاقـه شـمـيـم
الـيـا نـامـوا الـنـوام قـام [3]   والـيـا انـتـحـوا [4] عـط الـرهـيـم [5]
الـجـوف مـن حـد الـعـدام [6]   إلـى الـجـبـل [7] حـتـى القصيم
أبـــــدوا لــكــم كــل احــتــرام   أطــفــال ورجـــال وحــريــم
ويـرجـونـكـم رجـوا الـغـمـام   ويـفـدونـكـم عـن كـل ظـيـم

---

(١) في آخر الأبيات شطر من بيت غير مكتمل يقول فيه: أكتم لغيظي واتعرض للاضرار
(٢) المقصود الملك عبدالعزيز.
(٣) قام: أفاق.
(٤) انتحوا: المقصود دارت دائرة الحرب.
(٥) عط الرهيم: أي علا صوت الخيل.
(٦) العدام: الكثبان الرملية.
(٧) الجبل: المقصود حائل.

أنتم لراجيكم كرام   في ظفكم[١] عاش اليتيم
وبنى على العرا[٢] سنام   أقول قول بالصميم
في داركم عم الوئام   غير أمنها خير عميم
وانتم على دربه تمام   الجود فيكم مستديم
أنتم مدابيس الظلام[٣]   اليا انحرف خطو[٤] الغشيم

وهذه قصيدة يرثى بها جاره عماش بن جريّد:

النفس ضاقت وانا منداش[٥]   علم لفانا مواذيها
علم لفا والقلوب هشاش[٦]   تبينت مقدر أخفيها
زانت بك الدار يا عماش   واليوم قل الحلا فيها
طرقة[٧] لا عاد هالمطراش[٨]   والحمد لله بتاليها
يا مكرم الضيف والطراش[٩]   نفسك على الطيب قاويها
ويقدم البن والمعاش   لو غليت الشاة تشريها
ما فيك خبثٍ ولا غشاش   بك طيبة القلب حاويها
عليك دمع العيون رشاش   والبيض[١٠] كثرة بواكيها
تنعاك ولا الردي لو عاش   ما همها لو يعزيها
العش ماروث والهواش[١١]   نفسه من الطيب يرضيها
وإن عاضب[١٢] الحظ قيل بلاش[١٣]   يكفي عن النار صاليها

---

(١) ظفكم: جانبكم، حماكم، كنفكم.
(٢) العرا: الناقة التي لا يظهر لها سنام.
(٣) مدابيس الظلام: المقصود الشجعان.
(٤) خطو: أحد الأشخاص.
(٥) منداش: مشغول البال.
(٦) هشاش: ضعيفة.
(٧) طرقة: سافرت.
(٨) المطراش: السفر.
(٩) الطراش: المسافر.
(١٠) البيض: النساء.
(١١) الهواش: الخصم.
(١٢) عاضب: امتنع.
(١٣) قيل بلاش: اكتفى عنه. المقصود أنه لا يأبه بالخسارة.

قائمة ببليوجرافية*

١) حديثنا الشهري.. رحلتي إلى الظهران وشمال المملكة، اللواء علي بك جميل: المنهل ١٣٧٠/٥هـ (فبراير/١٩٥١م).

٢) رحلة الشمال لمدير الأمن العام: المنهل، ١٣٧٢/٥هـ (يناير/١٩٥٣م).

٣) الرحلة الملكية إلى الشمال: حماد بن سليم، مجلة المنهل ١٣٧٣/٤/١هـ (١٩٥٣/١٢/٦م).

٤) الرحلة الملكية إلى الشمال: بريد المنهل، ١٣٧٣/٦هـ (فبراير/١٩٥٤م).

٥) ماذا تعرف عن بلاد شمال المملكة: محمد السويلم، المنهل محرم وصفر ١٣٧٦هـ (أغسطس/سبتمبر ١٩٥٦م).

٦) المكتبة العلمية بالجوف: المنهل ١٣٧٦/٣هـ (أكتوبر/١٩٥٦م).

٧) ماذا تعرف عن المكتبة العلمية بالجوف التي أسسها الأمير عبدالرحمن السديرى: الجزيرة ١٣٨٦/٦/٥هـ (١٩٦٦/٩/١٩م).

٨) حديث شامل مع أمير منطقة الجوف: الجزيرة ١٣٨٦/٨/٢٣هـ (١٩٦٦/١٢/٥م).

٩) حديث شامل مع أمير منطقة الجوف – يروى قصة التطور الكبير الذي تعيشه المنطقة: عبدالواحد الحميد، الجزيرة ١٣٩٠/٨/١٩هـ (١٩٧٠/١٠/١٩م).

١٠) تطور التعليم بمنطقة الجوف: عبدالواحد الحميد، الجزيرة ١٣٩٠/٨/١٩هـ (١٩٧٠/١٠/١٩م).

١١) أمير الجوف يفتتح نادياً حديثاً للموظفين بالجوف: الجزيرة (١٣٩٠/٩/١٩هـ) (١٩٧٠/١١/١٧م)

١٢) أمير الجوف يرعى سباق الهجن السابع في المنطقة – إقامة المعرض السنوي الثالث للمنسوجات المحلية: الجزيرة ١٣٩١/٨/٢٩هـ (١٩٧١/١٠/١٨م).

١٣) أمير الجوف يفتتح المعرض السنوي للمنسوجات المحلية: الجزيرة (١٣٩٢/٩/٢هـ) (١٩٧٢/١٠/٩م).

١٤) جولة صاحب السمو الملكي الأمير نايف في إمارة الحدود الشمالية: المنهل ١٣٩٢/١٠هـ

* محفوظة في مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية بالجوف، مرتبة وفق تواريخها.

(نوفمبر/١٩٧٢م).

١٥) تأسيس شركات كهرباء في سكاكا والجوف وشقراء ورفحاء: الجزيرة ١٩/ ١١/ ١٣٩٢هـ (٢٤/١٢/١٩٧٢م).

١٦) الجوف: درة الشمال وموطن التاريخ والآثار: عثمان الصالح، الجزيرة، العدد (٥٣٧) الأحد ٢٩/١/١٣٩٣م (٤/٣/١٩٧٣م).

١٧) أمير الجوف يزور بلدية صوير: الجزيرة ١١/٧/١٣٩٦هـ) (٨/٧/١٩٧٦م)

١٨) افتتاح متحف الآثار بمنطقة الجوف: الجزيرة ٢٥/٤/١٣٩٩هـ (٢٣/٣/١٩٧٩م).

١٩) ٧٢ ألف ريال لأفضل الفلاحين بالجوف: الجزيرة ٢٤/٩/١٣٩٩هـ (١٧/٨/١٩٧٩م).

٢٠) العمل جار لإنهاء مخططات جديدة في أراضي ذوي الدخل المحدود: محمد النامس، الجزيرة ١٣/١/١٤٠١هـ (نوفمبر/١٩٨٠م).

٢١) لقاء الجوف «قصيدة « حجاب بن يحيى الحازمي: المنهل -١ ٢/١٤٠١هـــ (نوفمبر/ ديسمبر/١٩٨٠م).

٢٢) عميد أسرة السدارى معالي الشيخ عبدالرحمن السديرى يتذكر – علاقة أسرة السدارى بآل سعود قديمة قد تعود إلى ما قبل حرب الدرعية: محمد الوعيل، الجزيرة، (العدد ٠٣٣٥٨)، ١٧/١/١٤٠٢هـ (١٣/١١/١٩٨١م).

٢٣) لقاء الجوف: حجاب يحي الحازمى، المنهل ١٢/٦/١٤٠١هـ (١٦/٤/١٩٨١م).

٢٤) أمير الجوف في زيارة عمل للرياض: الجزيرة ٦/٧/١٤٠١هـ) (٩ /٥/١٩٨١م).

٢٥) أمير منطقة الجوف يرعى مسابقة المزارعين الثامنة ويشيد بجهود الدولة الرامية إلى تشجيع الزراعة والمزارعين: الجزيرة ٢٧/١١/١٤٠١هـ (٢٥/٩/١٩٨١م).

٢٦) أمير الجوف يرعى الاحتفال الثامن لتكريم الموظفين: الجزيرة (٢٢/١٢/١٤٠١هـــ) (٢٠/١٠/١٩٨١م)

٢٧) لقاء الجوف: حجاب يحي الحازمي، المنهل ١٢/١٤٠١هـ (٩/١٩٨١م).

٢٨) أمير الجوف يفتتح مستوصفاً أهلياً بدومة الجندل: الجزيرة (٢١/٧/١٤٠٣هـ) (٣/٥/١٩٨٣م)

٢٩) أمير منطقة الجوف يفتتح مشروع كهرباء مدينة طبرجل: عبدالرجمن المصيبيح، الجزيرة ٢٨/٨/١٤٠٣هـ (٩/٦/١٩٨٣م).

٣٠) اعتماد التنظيم الأدارى الجديد لإمارة الجوف: الجزيرة ٦/٩/١٤٠٣هـ (١٦/٦/١٩٨٣م).

٣١) قصيدة حولية للأمير عبدالرحمن السديرى: عبدالله الثميرى، الجزيرة ٢١/٩/١٤٠٣هـــ

(١٩٨٣/٧/١م).

٣٢) موافقة ملكية على إنشاء مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية: خالد الحميد، الجزيرة ١٤٠٣/١٠/٨هـ (١٩٨٣/٧/١٨م).

٣٣) ديوان القصائد وعبدالرحمن السديرى: اليمامة ١٤٠٤/٨/٨هـ (١٩٨٤/٥/٨م).

٣٤) اجتماع الجمعية العمومية لمؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية: الجزيرة (١٤٠٤/٩/٤هـ) (١٩٨٤/٦/٢م)

٣٥) الجوف تحتفي بأميرها بعد عودته من رحلته العلاجية في أمريكا: الجزيرة، ١٤٠٥/٢/١٠هـ (١٩٨٤/١١/٣م).

٣٦) ندوة في مؤسسة السديري الخيرية: الجزيرة (١٤٠٥/٢/٢٠هـ (١٩٨٤/١١/١٤م).

٣٧) أمير منطقة الجوف يحث على سرعة إنجاز المعاملات: الجزيرة (١٤٠٥/٣/٢١هـ) (١٩٨٤/١٢/١٤م)

٣٨) السديري يفتتح غرفة الجوف: الجزيرة، ١٤٠٥/٤/٢٢هـ (١٩٨٥/١/١٣م).

٣٩) السفير الكندي يزور الجوف: الجزيرة، ١٤٠٥/٦/٥هـ (١٩٨٥/٢/٢٤م).

٤٠) إقامة الحفل السنوي لسباق الهجن بالجوف: خالد الحميد، الجزيرة ١٤٠٥/٦/١٤هـ (١٩٨٥/٣/٥م).

٤١) أمير الجوف يباشر عمله: الجزيرة (١٤٠٥/٦/١٦هـ) (١٩٨٥/٣/٨م)

٤٢) أمير منطقة الجوف: الميزانية الجديدة أكدت الحرص على الاستمرار ودفع عجلة التنمية والتطور: الجزيرة، ١٤٠٥/٧/٣هـ (١٩٨٥/٣/٢٤م).

٤٣) معرض للكتاب والخرائط وأمسية شعرية تنظمها مؤسسة السديري الخيرية: الجزيرة، ١٤٠٥/٧/٢١هـ (١٩٨٥/٤/١١م).

٤٤) بحضور أمير المنطقة: الأمير أحمد يرعى سباق الهجن بالجوف ويفتتح معرض المنسوجات اليدوية: الجزيرة، ١٤٠٥/٧/٢٩هـ (١٩٨٥/٤/١٩م).

٤٥) السديري يرأس اجتماعاً للجمعية الخيرية: الجزيرة (١٤٠٥/٩/١هـ) (١٩٨٥/٥/٢٠م)

٤٦) برعاية أمير منطقة الجوف مركز تحفيظ القرآن الكريم يحتفل باختتام دورته الأولى: الجزيرة، ١٤٠٥/٩/١٩هـ (١٩٨٥/٦/٧م).

٤٧) مؤسسة السديرى والقبول بدورة تعليم اللغة لغير الناطقين بها: خالد الحميد، الجزيرة ١٤٠٥/١٠/٢هـ (١٩٨٥/٦/١٩م).

٤٨) مؤسسة السديري إنجازات علمية ودينية وندوات ثقافية فكرية - وإصدار صحفي واهتمام بالطفل والمرآة والتراث: مطارد مانع الدغمى، الجزيرة ١٤٠٥/١٠/١١هـ (١٩٨٥/٦/٢٨م).

٤٩) السديري يغادر إلى أمريكا والملحم يقوم بعمله: الجزيرة (١٤٠٥/١٠/١٢هـ) (١٩٨٥/٦/٣٠م)

٥٠) أمير الجوف يرعى ندوة الشعر الشعبي: خالد الحميد، الجزيرة ١٤٠٥/١٠/١٩هـ (١٩٨٥/٧/٦م).

٥١) المواجهة ثلاثة أيام في الجوف: اليمامة ١٤٠٥/١٠/٢٩هـ (١٩٨٥/٧/١٦م).

٥٢) السديري يوقع عقد إنشاء مبنى جمعية الوقاية والعلاج بالجوف: الجزيرة (١٤٠٥/١١/٥هـ) (١٩٨٥/٧/٢٢م).

٥٣) إهداء ثلاثة كتب من نيكسون لأمير منطقة الجوف: الجزيرة، ١٤٠٥/١١/٢٠هـ (١٩٨٥/٨/٦م).

٥٤) منابر لعلها ما تهدم شيدت على عز وصلاح وكرامة: حمود النافع، الجزيرة ١٤٠٥/١١/٢٦هـ (١٩٨٥/٨/١٢م).

٥٥) في ليلة نوريها.. علم وأعلام وروح الأدب من فرحها عانقها: حمود النافع، الجزيرة ١٤٠٥/١٢/٢١هـ (١٩٨٥/٩/٥م).

٥٦) افتتاح مستشفى طبرجل مساء اليوم: الجزيرة (١٤٠٦/١/٢٥هـ) (١٩٨٥/١٠/٩م)

٥٧) تقرير يتلقاه السديري: إيصال الكهرباء إلى مخططات ضرماء وسوق الجملة بدومة الجندل الجزيرة (١٤٠٦/٢/٢٣هـ) (١٩٨٥/١١/٦م)

٥٨) أمير الجوف سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية: الجزيرة (١٤٠٦/٢/٢٣هـ) (١٩٨٥/١١/٦م)

٥٩) بحث إمكانية التعاون بين مستشفى الملك فيصل ومؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية بالجوف: الجزيرة (١٤٠٦/٣/٤هـ) (١٩٨٥/١١/١٦م)

٦٠) مهرجان شعري ناجح بالجوف: الجزيرة (١٤٠٦/٣/٢٧هـ) (١٩٨٥/١٢/٩م)

٦١) في رحاب مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية: فهد العريفى، الجزيرة ١٤٠٦/٣/٢٩هـ (١٩٨٥/١٢/١١م).

٦٢) اجتماع الجمعية متعددة الأغراض برئاسة الأمير عبدالرحمن السديري: خالد الحميد، الجزيرة ١٤٠٦/٤/٩هـ (١٩٨٥/١٢/٢١م).

٦٣) برئاسة معاليه اللجنة الفرعية لتطوير منطقة الجوف تجتمع: الجزيرة ١٤٠٦/٥/٣هـ (١٩٨٦/١/١٣م).

٦٤) السديري يفتتح رسمياً مشروع كهرباء منطقة الجوف: الجزيرة، ١٤٠٦/٥/١٩هـ (١٩٨٦/١/٢٩م).

٦٥) السديري يرعى حفل بدء فعاليات أسبوع الشجرة بالجوف: خالد الحميد، الجزيرة ١٤٠٦/٦/١٥هـ

(١٩٨٦/٢/٢٤م).

٦٦) السديري يتبرع بقطعة أرض لمركز علمي: الجزيرة (١٤٠٦/٦/١٦هـ) (١٩٨٦/٢/٢٥م).

٦٧) السديري ابن الجوف ووادي النفاخ: الجزيرة، ١٤٠٦/٦/٢٠هـ (١٩٨٦/٣/١م).

٦٨) السديري يفتتح معرض التربية الفنية والاجتماعية بسكاكا: خالد الحميد، الجزيرة ٨/٧/ ١٤٠٦هـ (١٩٨٦/٣/١٨م).

٦٩) أمير الجوف يرعى حفل تكريم الفرق الرياضية: خالد الحميد، الجزيرة ١٤٠٦/٧/١١هـ (١٩٨٦/٣/٢١م).

٧٠) السديري يفتح معرض الكلية المتوسطة للبنات بالجوف: الجزيرة (١٤٠٦/٧/٢١هـ) (١٩٨٦/٣/٣١م)

٧١) السديري يرعي الحفل السنوي للكلية المتوسطة بالجوف: الجزيرة (١٤٠٦/٨/١هـ) (١٩٨٦/٤/١٠م).

٧٢) السوق الخيري لمؤسسة السديري: الجزيرة، ١٤٠٦/٨/١٥هـ (١٩٨٦/٤/٢٤م).

٧٣) تمهيداً لافتتاحه: تجهيز متحف الجوف بالمواد الأثرية، الجزيرة؛ ١٤٠٦/٨/٢٢هـ (١٩٨٦/٥/١م).

٧٤) السديري يرعى احتفال المعهد العلمي للبنين بالجوف: الجزيرة (١٤٠٦/٨/٢٦هـ) (١٩٨٦/٥/٥م)

٧٥) الاستعدادات لمعسكر الحجاج بالجوف بإشراف الأمير: الجزيرة، ١٤٠٦/١٠/٧هـ (١٩٨٦/٦/١٤م).

٧٦) دورة للتقوية في اللغة الانجليزية تنظمها مؤسسة السديري الخيرية بالجوف: الجزيرة، ١٤٠٦/١٠/١٢هـ (١٩٨٦/٦/١٩م).

٧٧) خطة لتوفير الخدمات للحجاج المارين بمنطقة الجوف - معسكر كشفي بسكاكا: عبدالرحمن النبط، الجزيرة ١٤٠٦/١١/٣هـ (١٩٨٦/٧/١٠م).

٧٨) السديري رعى ندوة استمرار الأعمال الصالحة بالجوف: الجزيرة (١٤٠٦/١١/٢٠هـ) (١٩٨٦/٧/٢٦م)

٧٩) الجوف، وادي النفاخ: تاريخ وآثار من مملكة أدوماتو إلى ملامح النهضة الحديثة، الشرق الأوسط ١٩٨٦/٨/٢م.

٨٠) السديري يفتتح روضة الرحمانية ويرعى ندوة النخيل: خالد الحميد، الجزيرة ١٤٠٧/١/٢١هـ (١٩٨٦/٩/٢٤م).

٨١) أمير الجوف يتفقد مستشفى الصحة النفسية ومستوصف قوى الأمن: الجزيرة (١٤٠٧/٥/١٤هـ) (١٩٨٧/١/١٤م)

٨٢)	السديري يطلب زيادة مدارس البنات بالجوف: عبدالرحمن نبط العسكر، الجزيرة ١٤٠٧/٦/٣هـ (١٩٨٧/٢/١م).

٨٣)	السديري يؤكد على تدعيم الخدمات الصحية بالجوف: عبدالرحمن نبط العسكر، الجزيرة ١٤٠٧/٦/٧هـ (١٩٨٧/٢/٥م).

٨٤)	السديري يبحث مشاركة فرقة الجوف الشعبية بمهرجان الجنادرية: الجزيرة، ١٤٠٧/٧/٢هـ (١٩٨٧/٣/٢م).

٨٥)	الأمير نايف يشكر أمير الجوف: الجزيرة (١٤٠٧/٧/١٠هـ) (١٩٨٧/٣/١٠م)

٨٦)	السديري يفتتح معرض الصور القديمة ورسومات الرحالة آن بلانت: الجزيرة، ١٤٠٧/٧/١١هـ (١٩٨٧/٣/١١م).

٨٧)	أمير الجوف يفتتح مستشفى سكاكا المركزي: الجزيرة، ١٤٠٧/٧/١١هـ (١٩٨٧/٣/١١م).

٨٨)	أمير الجوف يتبرع بجهاز لتفتيت الحصى لمستشفى سكاكا؛ الجزيرة؛ ١٤٠٧/٨/١١هـ (١٩٨٧/٤/٩م).

٨٩)	مؤسسة السديري الخيرية بالجوف تعمل على حفظ التراث الأدبى والأثرى ورفع مستوى الفرد: الجزيرة، ١٤٠٧/٨/٢٠هـ (١٩٨٧/٤/١٨م).

٩٠)	تعال معي إلى الجوف: سعيد الصويغ، الجزيرة ١٤٠٧/٩/٣هـ (١٩٨٧/٥/١م).

٩١)	لقاء مع أمير الجوف: منطقة الجوف ما زالت في حاجة إلى خدمات وخاصة الطرق الإقليمية، الجزيرة ١٤٠٧/٩/٦هـ (١٩٨٧/٥/٤م).

٩٢)	لجنة للتخطيط والتطوير بجمعية البر الخيرية بالجوف: عبدالرحمن نبط العسكر، الجزيرة ١٤٠٧/٩/٩هـ (١٩٨٧/٥/١٠م).

٩٣)	السديري يترأس الاجتماع الأول لشركة الجوف الزراعية: الجزيرة (١٤٠٧/٩/٢٣هـ) (١٩٨٧/٥/٢١م)

٩٤)	تكريم المتفوقين بالجوف برعاية الأمير السديري: خالد الحميد، الجزيرة ١٤٠٧/١٠/٦هـ (١٩٨٧/٦/٢م).

٩٥)	أسرة السدارا «تعقيب»عبدالرحمن بن أحمد السديري: مجلة العرب، ١٤٠٧/١٠/٩هـ (١٩٨٧/٦/٥م).

٩٦)	الجوف تتبرع بالدم لأسبوع كامل: اليمامة ١٤٠٧/١٢/٤هـ (١٩٨٧/٧/٢٣م).

٩٧)	السديري يفتتح أسبوع المساجد بالجوف: اليمامة ١٤٠٨/٣/٢٧هـ ١٩٨٧/١٠/١٩م).

٩٨)	السديري يفتتح أسبوع المساجد بالجوف: الجزيرة (١٤٠٨/٣/٢٧هـ) (١٩٨٧/١١/١٨م)

٩٩) أمير الجوف يستقبل وفداً كويتياً برئاسة العتيقي: الجزيرة، ١٤٠٨/٥/٢٤هـ (١٩٨٨/١/١٣م).

١٠٠) استطلاع صحفي مصور عن الجوف: خالد الحميد، الجزيرة ١٤٠٨/٩/٧هـ (١٩٨٨/٤/٢٣م).

١٠١) تاريخ الجوف، وادي النفاخ: عبدالكريم الخطيب، جريدة المسائية، العدد (١٨٢٤) ١٤٠٨هـ (١٩٨٨).

١٠٢) السديري يرعى احتفالات العيد بالجوف بمشاركة كل الجاليات العربية: الجزيرة، ١٤٠٨/٩/٢٩هـ (١٩٨٨/٥/١٥م).

١٠٣) أمير الجوف يشكر المتبرعين لدعم الانتفاضة: الجزيرة، ١٤٠٨/١٠/١٠هـ (١٩٨٨/٥/٢٥م).

١٠٤) شكر وعرفان لأمير ولأهالي الجوف: فرقة الفنون الشعبية بمنطقة حائل، الجزيرة ١٤٠٨/١٠/١٩هـ (١٩٨٨/٦/٣م).

١٠٥) السديري يفتتح معرض الفنون التشكيلية: الجزيرة ١٤٠٩/٢/٢٤هـ (١٩٨٨/١٠/٥).

١٠٦) الجزيرة تواصل رصد الانطباعات حول ميزانية الخير - رأى معالي أمير منطقة الجوف: الجزيرة، ١٤٠٩/٥/٢٧هـ (١٩٨٩/١/٤م).

١٠٧) الجزيرة تجرى حواراً مع مشاعل السديري: روضة الأطفال التابعة لمؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية تقوم بدور تربوي لخدمة أطفال المنطقة: الجزيرة ١٤٠٩/٥/٢٩هـ (١٩٨٩/١/٦م).

١٠٨) مؤسسة السديري تكرم الطبيب السعودي المتفوق الروضان: الجزيرة (١٤٠٩/١٠/٦هـ) (١٩٨٩/٥/١١م)

١٠٩) الجوف الزراعية تحتفل بموسم الحصاد: اليمامة ١٤٠٩/١١/٤هـ (١٩٨٩/٦/٧م).

١١٠) الجوف تعد لإنشاء مركز خدمة للأطفال المعوقين وفق أفضل المواصفات العالمية: الجزيرة، ١٤١٠/٣/٦هـ (١٩٨٩/١٠/٦م).

١١١) الجوف تاريخ وحضارة ومستقبل مشرق: الجزيرة، ١٤١٠/٧/١٢هـ (١٩٩٠/٢/٧م).

١١٢) كلمة حق: الأمير عبدالرحمن السديري وخدمة الوطن: الجزيرة: ١٤١٠/٧/١٣هـ (١٩٩٠/٢/٨م).

١١٣) تقديراً لخدماته الطويلة من أجل الوطن: سمو النائب الثاني يشكر عبدالرحمن السديري: الجزيرة (١٤١٠/٧/٢٧هـ) (١٩٩٠/٢/٢٢م)

١١٤) عبدالرحمن السديري استراحة الفارس: محمد ناصر الأسمري، الجزيرة (١٤١٠/٨/٤هـ) (١٩٩٠/٣/١م)، وكان المقال قد نشر في جريدة الرياض، العدد (٧٩٠٩) بتاريخ (١٤١٠/٧/٢٢هـ).

١١٥) عبدالرحمن السديرى رجل المسؤوليات: عثمان الصالح، الجزيرة ١٤١٠/٧/١٦هـ (١٩٩٠/٢/١١م).

١١٦) جائزة التفوق العلمي بالجوف باسم الأمير عبدالرحمن السديري: الجزيرة، ١٤١٠/٩/١٥هـ (١٩٩٠/٤/١٠م).

١١٧) قصيدة السلف والخلف: حامد حمود الدرعان، الجزيرة ١٤١٠/٩/١٧هـ (١٩٩٠/٤/١٢م).

١١٨) جائزة التفوق العلمي بالجوف باسم الأمير عبدالرحمن السديري: الجزيرة، ١٤١٠/٩/١٧هـ (١٩٩٠/٤/١٢م).

١١٩) جائزة التفوق العلمي بالجوف باسم الأمير عبدالرحمن السديري: اليمامة ١٤١٠/٩/١٧هـ (١٩٩٠/٤/١٢م).

١٢٠) الجوف الزراعية تحتفل بموسم الحصاد: اليمامة ١٤٠٩/١١/٤هـ (١٩٨٩/٦/٧م).

١٢١) جائزة للتفوق العلمي باسم عبدالرحمن السديري: اليمامة (١٤١٠/٩/٢٣هـ) (١٩٩٠/٤/١٨م)

١٢٢) إحالة عبدالرحمن السديري على التقاعد وتعيين سلطان السديري أميراً للجوف: اليمامة ١٤١٠/٧/١٢هـ (١٩٩٠/٢/١٦م).

١٢٣) معرض الفنون التشكيلية بالجوف: اليمامة ١٤١٠/١٠/٢١هـ (١٩٩٠/٥/١٥).

١٢٤) قصائد السديري.. نظرات تأملية: نوف السديري، عكاظ ١٤١٥/٧/٨هـ (١٩٩٤/١٢/١٠م).

١٢٥) Yearning of Yesterday، by Habib Shaikh: Arab News، 11 April 1996 (23 Dhual-Qa'dah 1416).

١٢٦) Review Al-Jouf، by Roger Harrison، Arab News، 18 September 2003 (22 Rajab 1424).

١٢٧) سجل أبيض مليء بالعطاء للأمير الراحل: الجزيرة، الجزيرة ١٤٢٧/٢/٢٧هـ (٢٠٠٦/٣/٢٦م).

١٢٨) لمحات ومحطات في حياة الراحل الأمير عبدالرحمن السديري: الإنسان الذي عاش محباً للعلم والأدب والشعر: الجزيرة، ١٤٢٧/٢/٢٧هـ (٢٠٠٦/٣/٢٦م).

١٢٩) وفاة الأمير عبدالرحمن السديري عن عمر يناهز (٨٩) عاماً: عرب نيوز، ١٤٢٧/٢/٢٧هـ (٢٠٠٦/٣/٢٦م).

١٣٠) تولى إمارة منطقة الجوف (٤٨) عاماً، وله ديوان شعري وكتاب تاريخي، الأمير عبدالرحمن أخر أخوال الملك فهد وأشقائه: شاكر أبو طالب، الشرق الأوسط ١٤٢٧/٢/٢٧هـ (٢٠٠٦/٣/٢٦م).

١٣١) عبدالرحمن أحمد السديري.. الذي أحب الشعر والسياسة والاخضرار: عبدالرحمن الشبيلي، الشرق الأوسط ١٤٢٧/٢/٢٧هـ (٢٠٠٦/٣/٢٦م)؛ كما نشر المقال أيضاً في دورية الجوبة العدد ١٥، خريف ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦م).

١٣٢) تعزية المجموعة السعودية للأبحاث والتسويق: الشرق الأوسط، ١٤٢٧/٢/٢٧هـ (٢٠٠٦/٣/٢٦م).

١٣٣) رحيل الأمير عبدالرحمن السديري أخر أخوال الملك فهد وأشقائه: مشعل الهرسان، الشرق الأوسط ١٤٢٧/٢/٢٧هـ (٢٠٠٦/٣/٢٦م).

١٣٤) وفاة الأمير عبدالرحمن السديري: واس، البلاد ١٤٢٧/٢/٢٧هـ (٢٠٠٦/٣/٢٦م).

١٣٥) الأمير سلطان يؤدي صلاة الميت على الأمير عبدالرحمن السديري: الحياة ١٤٢٧/٢/٢٧هـ (٢٠٠٦/٣/٢٦م).

١٣٦) رحيل السديري الشاعر والمؤرخ ومؤسس أول مكتبة عامة في الجوف: عبدالعزيز النبط، الحياة١٤٢٧/٢/٢٧هـ (٢٠٠٦/٣/٢٦م).

١٣٧) عبدالرحمن أحمد السديري إلى رحمة الله: واس، الجزيرة ١٤٢٧/٢/٢٧هـ (٢٠٠٦/٣/٢٦م).

١٣٨) تعزية من مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر: الجزيرة، ١٤٢٧/٢/٢٧هـ (٢٠٠٦/٣/٢٦م).

١٣٩) لمحات ومحطات في حياة الراحل الأمير عبدالرحمن السديري: الإنسان الذي عاش محباً للعلم والأدب والشعر: محرر الجزيرة، ١٤٢٧/٢/٢٧هـ (٢٠٠٦/٣/٢٦م).

١٤٠) علاقة أسرة السديري بالأسرة المالكة قديمة وتعود إلى ما قبل حرب الدرعية: الجزيرة، ١٤٢٧/٢/٢٧هـ (٢٠٠٦/٣/٢٦م).

١٤١) الوصية: الجزيرة، ١٤٢٧/٢/٢٧هـ (٢٠٠٦/٣/٢٦م).

١٤٢) دفن الفقيد في الغاط: م / عبدالرحمن الراشد، الرياض ١٤٢٧/٢/٢٧هـ (٢٠٠٦/٣/٢٦م).

١٤٣) أسرة تحرير جريدة الرياض تعزي أسرة السديري: الرياض، ١٤٢٧/٢/٢٧هـ (٢٠٠٦/٣/٢٦م).

١٤٤) تعزية من قبيلة السرحان: الشيخ رزق بن فارس البائح الروضان، الرياض١٤٢٧/٢/٢٧هـ (٢٠٠٦/٣/٢٦م).

١٤٥) الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري إلى رحمة الله: الرياض ١٤٢٧/٢/٢٧هـ (٢٠٠٦/٣/٢٦م).

١٤٦) ولي العهد يؤدي صلاة الميت على الأمير عبدالرحمن السديري: فوزي المحيسن، عكاظ ١٤٢٧/٢/٢٧هـ (٢٠٠٦/٣/٢٦م).

١٤٧) الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري إلى رحمة الله: واس، الندوة ١٤٢٧/٢/٢٧هـ (٢٠٠٦/٣/٢٦م).

١٤٨) وفاة الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري: عادل قاضي، المدينة ١٤٢٧/٢/٢٧هـ (٢٠٠٦/٣/٢٦م).

١٤٩) ولي العهد يؤدي صلاة الميت على الأمير عبدالرحمن السديري: واس، الوطن ١٤٢٧/٢/٢٧هـ (٢٠٠٦/٣/٢٦م).

١٥٠) وفاة عبدالرحمن السديري أمير منطقة الجوف السابق: محمد بن سعد البدر، الاقتصادية ١٤٢٧/٢/٢٧هـ (٢٠٠٦/٣/٢٦م).

١٥١) الديوان الملكي ينعي الأمير عبدالرحمن السديري: واس، اليوم ١٤٢٧/٢/٢٧هـ (٢٠٠٦/٣/٢٦م).

١٥٢) ولي العهد يؤدي صلاة الميت على الأمير عبدالرحمن السديري: واس، اليوم ١٤٢٧/٢/٢٧هـ (٢٠٠٦/٣/٢٦م).

١٥٣) تعزية بنك الجزيرة: الشرق الأوسط ١٤٢٧/٢/٢٨هـ (٢٠٠٦/٣/٢٧م).

١٥٤) تعزية أمير منطقة الجوف فهد بن بدر بن عبدالعزيز آل سعود: الرياض ١٤٢٧/٢/٢٨هـ (٢٠٠٦/٣/٢٧م).

١٥٥) تعزية الشركة الخليجية المتحدة لدرفلة الصلب المحدودة: الرياض ١٤٢٧/٢/٢٨هـ (٢٠٠٦/٣/٢٧م).

١٥٦) عبدالرحمن السديري أمير الحكمة والعطاء: فارس الروضان، الرياض ١٤٢٧/٢/٢٨هـ (٢٠٠٦/٣/٢٧م)؛ كما نشر المقال أيضاً في دورية الجوبة العدد ١٥، خريف ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦م).

١٥٧) تعزية محمد عبدالله السويلم وأولاده: الرياض ١٤٢٧/٢/٢٨هـ (٢٠٠٦/٣/٢٧م).

١٥٨) تعزية عبدالحميد الغبين: الجزيرة ١٤٢٧/٢/٢٨هـ (٢٠٠٦/٣/٢٧م).

١٥٩) تعزية عبدالله ماطل الجريد: الجزيرة ١٤٢٧/٢/٢٨هـ (٢٠٠٦/٣/٢٧م).

١٦٠) السديري كان جامعة مفتوحة لكل العلوم: فوزي المحيسن، عكاظ ١٤٢٧/٢/٢٨هـ (٢٠٠٦/٣/٢٧م).

١٦١) المؤسسة ذات شخصية اعتبارية مستقلة ومشاريعها مستمرة: زياد السديرى، عكاظ ١٤٢٧/٢/٢٨هـ (٢٠٠٦/٣/٢٧م).

١٦٢) تعزية أبناء إبراهيم العبد الله الزمام: الرياض ١٤٢٧/٢/٢٩هـ (٢٠٠٦/٣/٢٨م).

١٦٣) تعزية بنك الرياض: الرياض ١٤٢٧/٢/٢٩هـ (٢٠٠٦/٣/٢٨م).

١٦٤) تعزية عبدالإله محمد صالح الكعكي وأبنائه: الرياض، ١٤٢٧/٢/٢٩هـ (٢٠٠٦/٣/٢٨م).

١٦٥) تعزية سعد علي الصليم: الرياض، ١٤٢٧/٢/٢٩هـ (٢٠٠٦/٣/٢٨م).

١٦٦) عبدالرحمن السديري.. عبر في حياته ودروس من وفاته: يوسف بن محمد العتيق، الجزيرة ١٤٢٧/٢/٢٩هـ (٢٠٠٦/٣/٢٨م).

١٦٧) كيف عرفت الأمير عبدالرحمن السديري ؟: حسن بن فهد الهويمل، الجزيرة ١٤٢٧/٢/٢٩هـ (٢٠٠٦/٣/٢٨م).

١٦٨) تعزية عزيز بن شايش بن حامد الهمط الشراري: الجزيرة ١٤٢٧/٢/٢٩هـ (٢٠٠٦/٣/٢٨م).

١٦٩) تعزية سعود بن برجس المريبض ورواد ندوة الجمعة: الجزيرة١٤٢٧/٢/٢٩هـ (٢٠٠٦/٣/٢٨م).

١٧٠) ولي العهد وعدد من الأمراء يعزون أسرة السديري: أحمد القرني، الجزيرة ١٤٢٧/٢/٢٩هـ (٢٠٠٦/٣/٢٨م).

١٧١) تعزية مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية: الجزيرة ١٤٢٧/٢/٢٩هـ (٢٠٠٦/٣/٢٨م).

١٧٢) وداعاً معالي الأمير: يوسف محمد أبو عواد، الجزيرة ١٤٢٧/٢/٢٩هـ (٢٠٠٦/٣/٢٨م).

١٧٣) وحي الضمير: عوض الزقيحان، الجزيرة ١٤٢٧/٣/١هـ (٢٠٠٦/٣/٣٠م).

١٧٤) الفقيد الغالي: محمود عبدالله الرمحي، الجزيرة ١٤٢٧/٣/١هـ (٢٠٠٦/٣/٣٠م).

١٧٥) رحم الله حكيم عصرنا عبدالرحمن السديري: سليمان الأفنس الشراري، صحيفة الجزيرة ١٤٢٧/٣/١هـ (٢٠٠٦/٣/٣٠م).

١٧٦) تعزية مثقال علي فايز الشعلان: الجزيرة ١٤٢٧/٣/١هـ (٢٠٠٦/٣/٣٠م).

١٧٧) تعزية المؤسسة الوطنية السعودية المحدودة: الرياض ١٤٢٧/٣/١هـ (٢٠٠٦/٣/٣٠م).

١٧٨) تعزية مثقال علي فايز الشعلان: الرياض ١٤٢٧/٣/١هـ (٢٠٠٦/٣/٣٠م).

١٧٩) مات فقيد الجوف الأمير عبدالرحمن السديري: مطارد مانع الدغمي، الرياض ١٤٢٧/٣/١هـ (٢٠٠٦/٣/٣٠م).

١٨٠) ما مـات: شايع فراج السهلي؛ الجزيرة ١٤٢٧/٣/٢هـ (٢٠٠٦/٣/٣١م).

١٨١) ليرحمك الله أبا فيصل: ثامر المحيسن؛ الجزيرة ١٤٢٧/٣/٢هـ (٢٠٠٦/٣/٣١م)؛ كما نشر المقال أيضاً في دورية الجوبة العدد ١٥، خريف ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦م).

١٨٢) عبدالرحمن السديري رحيل العلم: محمد عبدالعزيز الفيصل؛ الجزيرة ١٤٢٧/٣/٢هـ (٢٠٠٦/٣/٣١م).

١٨٣) تعزية مثقال علي فايز الشعلان: الجزيرة ١٤٢٧/٣/٢هـ (٢٠٠٦/٣/٣١م).

١٨٤) تعزية عبدالعزيز العبد الله الزمام وأولاده: الرياض ١٤٢٧/٣/٢هـ (٢٠٠٦/٣/٣١م).

١٨٥) الأمير الراحل عبدالرحمن السديري سيبقى حياً بإنجازاته وحاضراً بصفاته: معاشي ذوقان العطية؛ الرياض ١٤٢٧/٣/٢هـ (٢٠٠٦/٣/٣١م).

١٨٦) عزاء أسرة تحرير اليمامة: مجلة اليمامة ١٤٢٧/٣/٣هـ (٢٠٠٦/٤/١م).

١٨٧) شكر على التعزية: أسرة السدارا: الشرق الأوسط ١٤٢٧/٣/٣هـ (٢٠٠٦/٤/١م).

١٨٨) شكر على التعزية؛ أسرة السدارا: الجزيرة ١٤٢٧/٣/٣هـ (٢٠٠٦/٤/١م).

١٨٩) تعزية الشيخ فواز عبيد غبين والشيخ فايز بن غبين وأبناء الشيخ عبيد بن غبين وأحفاده وقبيلة الفدعان وعنزة: الجزيرة ١٤٢٧/٣/٣هـ (٢٠٠٦/٤/١م).

١٩٠) شكر على التعزية: أسرة السدارا، الرياض ١٤٢٧/٣/٣هـ (٢٠٠٦/٤/١م).

١٩١) تعزية عبدالله بن زيد بن ناصر آل محمود ومجموعة دار الشفاء الطبية: الرياض ١٤٢٧/٣/٣هـ (٢٠٠٦/٤/١م).

١٩٢) رحل الأمير الأديب: عمار بن يوسف الدولتلي؛ الجزيرة ١٤٢٧/٣/٤هـ (٢٠٠٦/٤/٢م).

١٩٣) تعزية عبدالله بن عبدالعزيز الراجحي وأولاده: الرياض ١٤٢٧/٣/٤هـ (٢٠٠٦/٤/٢م).

١٩٤) عبدالرحمن السديري الحياة مرتين: عبدالرحمن الدرعان؛ عكاظ ١٤٢٧/٣/٥هـ (٢٠٠٦/٤/٣م)؛ كما نشر المقال أيضاً في الجوبة العدد ١٥، خريف ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦م).

١٩٥) الأمير عبدالرحمن السديري مدرسة لن تتكرر: يوسف محمد أبو عواد؛ الجزيرة ١٤٢٧/٣/٥هـ (٢٠٠٦/٤/٣م).

١٩٦) بلغت حكمتك وهنيئاً لوطننا بأمثالك: زياد نايف الروضان؛ الرياض ١٤٢٧/٣/٥هـ (٢٠٠٦/٤/٣م).

١٩٧) في رثاء رجل الوفاء الأمير الراحل عبدالرحمن السديري: أحمد محمد العيسى؛ الرياض ١٤٢٧/٣/٦هـ (٢٠٠٦/٤/٤م)؛ كما نشر المقال أيضاً في الجوبة العدد ١٥، خريف ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦م).

١٩٨) إبراء ذمة: أسرة السدارا؛ الشرق الأوسط ١٤٢٧/٣/٧هـ (٢٠٠٦/٤/٥م).

١٩٩) شكر على التعزية: أسرة السدارا؛ الجزيرة ١٤٢٧/٣/٧هـ (٢٠٠٦/٤/٥م).

٢٠٠) في جوفنا حنا.. وفي جوفنا النار: سالك حمدان الشراري؛ الجزيرة ١٤٢٧/٣/٧هـ (٢٠٠٦/٤/٥م).

٢٠١) عبدالرحمن السديري أمير الجوف مسيرة حافلة: عبدالواحد الحميد؛ الرياض ١٤٢٧/٣/٧هـ (٢٠٠٦/٤/٥م)؛ كما نشر المقال أيضاً في دورية الجوبة العدد ١٥، خريف ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦م).

٢٠٢) دايم بمسعى الخير: مواطن؛ الجزيرة ١٤٢٧/٣/٩هـ (٢٠٠٦/٤/٧م).

٢٠٣) عبدالرحمن السديري أمير التلاحم والملاحم... وداعاً: عبدالله الفدغوش؛ الهدف ١٤٢٧/٣/١٠هـ (٢٠٠٦/٤/٨م).

٢٠٤) وداعاً أبا فيصل: عقيل بن فاضل الشراري، الجزيرة ١٤٢٧/٣/١٣هـ (٢٠٠٦/٤/١١م).

٢٠٥) أبو فيصل وفيّ الخصال: عبدالمحسن عبدالكريم المسمار؛ الرياض ١٤٢٧/٣/١٤هـ (٢٠٠٦/٤/١٢م).

٢٠٦) مرحوم ياللي للثقيلات شيّال: ثامر تركي خالد السديري؛ الرياض ١٤٢٧/٣/١٥هـ

(١٣/٤/٢٠٠٦م).

٢٠٧) رحم الله ابن الوطن البار: محمد بن حمد المالك، الجزيرة ١٤٢٧/٣/١٦هـ (١٤/٤/٢٠٠٦م).

٢٠٨) القلب الكبير: محمود عبدالله الرمحي؛ الجزيرة ١٤٢٧/٣/١٧هـ (١٥/٤/٢٠٠٦م).

٢٠٩) ورحل السديري عاشق الجوف: محمد عبدالله الحميّد؛ الجزيرة ١٤٢٧/٣/١٨هـ (١٦/٤/٢٠٠٦م).

٢١٠) يا والله اللي مات راع المهمات: عبدالرحمن محمد المقياس؛ الجزيرة ١٤٢٧/٣/١٨هـ (١٦/٤/٢٠٠٦م).

٢١١) في وداع والدي عبدالرحمن السديري يرحمه الله: ريم بنت عبدالرحمن السديري، الرياض ١٤٢٧/٣/٢١هـ (١٩/٤/٢٠٠٦م)؛ كما نشر المقال أيضاً في دورية الجوبة العدد ١٥، خريف ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦م).

٢١٢) عبدالرحمن السديري ومآثر الرجال: مقبول بن فرج الجهني؛ الندوة ١٤٢٧/٣/٢١هـ (١٩/٤/٢٠٠٦م).

٢١٣) مرحوم يا راعي الوفا والمروّات: محمد سعيد نصار البرازي؛ الجزيرة ١٤٢٧/٣/٢٢هـ (٢٠/٤/٢٠٠٦م).

٢١٤) شكر مستحق للأمير عبدالرحمن السديري: سارة بنت خالد بن مساعد بن عبدالرحمن آل سعود، الجزيرة ١٤٢٧/٣/٢٣هـ (٢١/٤/٢٠٠٦م).

٢١٥) أهل الفضل لا بد أن يذكروا: عبدالعزيز سعيد الغزي؛ الرياض ١٤٢٧/٣/٢٣هـ (٢١/٤/٢٠٠٦م).

٢١٦) عبدالرحمن السديري إداري وشاعر وإنسان: راشد بن جعيثن؛ البلاد ١٤٢٧/٣/٢٥هـ (٢٣/٤/٢٠٠٦م).

٢١٧) في وداع والدي عبدالرحمن السديري يرحمه الله: ريم بنت عبدالرحمن السديري؛ الرياض ١٤٢٧/٣/٢٦هـ (٢٤/٤/٢٠٠٦م).

٢١٨) عزاء مجموعة شركات سكاب وكافة منسوبي الشركة؛ الشرق الأوسط ١٤٢٧/٣/٢٩هـ (٢٧/٤/٢٠٠٦م).

٢١٩) عقيد المرجلة: محمد الداوود العطيوي؛ الرياض ١٤٢٧/٤/٥هـ (٢/٥/٢٠٠٦م).

٢٢٠) الأمير عبدالرحمن السديري تاريخ وعطاء: خالد الحسياني؛ الجزيرة ١٤٢٧/٤/٦هـ (٣/٥/٢٠٠٦م).

٢٢١) عبدالرحمن السديري الأمير الإنسان: فهد بن فهد بن سعد الفردان؛ الجزيرة ١٤٢٧/٤/١١هـ (٨/٥/٢٠٠٦م).

٢٢٢) إلى روح والدي عبدالرحمن السديري رحمه الله: ريم بنت عبدالرحمن السديري؛ الرياض

١٤٢٧/٥/٩هـ (٢٠٠٦/٦/٥م).

٢٢٣) عبدالرحمن السديري.. مرور سنة على وفاته: د. علي العنزي، الحياة، ١٤٢٨/٣/٢٦هـ (٢٠٠٧/٤/١٤م).

٢٢٤) افتتاحية (تتضمن رثاء لعبدالرحمن السديري): د. عبدالرحمن الطيب الأنصاري، مجلة أدوماتو، العدد الرابع عشر رجب ١٤٢٧هـ (يوليو ٢٠٠٦م).

٢٢٥) هاجس ثقافي مبكر (رثاء لعبدالرحمن السديري): إبراهيم الحميد، دورية الجوبة، العدد ١٥، خريف ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦م).

٢٢٦) ريادة معرفية لمؤسس طامح: عبدالفتاح أبو مدين، الجوبة العدد ١٥، خريف ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦م).

٢٢٧) بعض غرس الأمير .. بعض أثر المكتبة: د. سعد البازعي، الجوبة العدد ١٥، خريف ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦م).

٢٢٨) رحلة حياتية إلى الجوف: د. فوزية أبو خالد، الجوبة العدد ١٥، خريف ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦م).

٢٢٩) السديري من خلال مؤسسته: د. حسن بن فهد الهويمل، الجوبة العدد ١٥، خريف ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦م).

٢٣٠) وقفة مع سيرة أمير: إبراهيم خليف مسلم السطام، الجوبة العدد ١٥، خريف ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦م).

٢٣١) عبدالرحمن بن أحمد السديري الفكر الثاقب والرأي الصائب: سالم بن حمود الظاهر، الجوبة العدد ١٥، خريف ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦م).

٢٣٢) مواقف إنسانية وعبر من سيرة الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري رحمه الله: علي الراشد، الجوبة العدد ١٥، خريف ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦م).

٢٣٣) من مواقف الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري: د. عبدالعزيز بن سعود الغزي، الجوبة العدد ١٥، خريف ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦م).

٢٣٤) جائزة عبدالرحمن السديري للتفوق العلمي حلم طلاب المنطقة: بندر بن مزعل الشمري، الجوبة العدد ١٥، خريف ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦م).

٢٣٥) مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية دور رائد في خدمة الثقافة والتنمية في منطقة الجوف: محمد صوانه، الجوبة العدد ١٥، خريف ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦م).

المراجع





(إلى الأعلى) مستقبلاً الأمير أحمد بن عبدالعزيز في إحدى زياراته للجوف، وفي الصورة سلطان بن عبدالعزيز بن أحمد السديري (إلى اليسار) ومشعل الندا السهيّان (خلف)، وفي الثانية: يستقبل زائريه (في لبنان غالباً)، ومنهم فهد المارك باللباس العربي.

مراجع باللغة العربية

- إبراهيم، محمد حسن: مشكلات توطين البدو في الشرق الأوسط، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة كورنيل، نيويورك، (بالإنجليزية)، ١٩٨١م.
- الأحسائي، محمد بن عبدالله آل عبدالقادر: تاريخ الأحساء المسمى تحفة المستفيد، الرياض، ١٣٧٩هـ (١٩٦٠م).
- أرامكو، إدارة العلاقات، شعبة البحث: المناطق الشرقية في مقاطعة الحسا، النسخة العربية، مطبوع على آلة ستانسل في الظهران، ١٣٦٩/٤/١٢هـ (٣١ يناير ١٩٥٠م).
- أرشيف إمارة منطقة الجوف بين عامي ١٣٦٢هـ و ١٤١٠هـ.
- آرون. ب. ليرنر: رسالة مخطوطة، (د. ت.).
- أوبالانس، إدجار: الحرب في اليمن، ترجمة عبدالخالق محمد لاشين، الدوحة ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م).
- أيوب، صبري: مرآة جزيرة العرب، ترجمة أحمد فؤاد متولي والصفصافي أحمد المرسي، ج ٢، دار الرياض للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م).
- البخيتان، معيض علي: الأمير خالد السديري شاعر من المعدودين، الرياض، العبيكان للطباعة والنشر، ١٤١٢هـ (١٩٩٢م).
- البدراني، حمد بن سليمان، ومشاعل بنت مساعد السديري: المنتهى في تاريخ السدارى، سلالة أحمد الكبير، (مخطوط)، الرياض، ١٤٢٤هـ.
- بديوي، حسين عبدالحميد: محمد بن أحمد السديري، أميراً وشاعراً، جدة، دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٩هـ (١٩٩٨م).
- ابن بشر، عثمان بن عبدالله: تاريخ نجد عنوان المجد، حققه وعلق عليه عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ الطبعة الرابعة ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣م).
- ابن بشير، يعقوب: رسالة إلى الكومودور روبنسون، مؤرخة في ١٨ رجب سنة ١٢٧٠هـ (١٦ أبريل ١٨٥٤م)، محفوظات شركة أرامكو.
- ابن بشير، يعقوب: الوكيل البريطاني في الشارقة، رسالة إلى بروز كمبل، مؤرخة في ٢٣ ذي العقدة – ٩ ذي الحجة ١٢٦٩هـ، (نحو ٢٨ أغسطس إلى ١٣ سبتمبر ١٨٥٣م)، محفوظة بشركة أرامكو بالظهران.
- ابن بشير، يعقوب: رسالة إلى كمبل في ٢٧ ربيع الأول ١٢٧٠هـ (نحو ٢٨ ديسمبر ١٨٥٣م).

- ابن بشير، يعقوب: رسالة إلى كمبل وكيل المعتمد البريطاني في الخليج، مؤرخة في ٢٣ صفر ١٢٧١هـ (نحو ١٥ أكتوبر ١٨٥٤م)، مكتبة شعبة البحث، أرامكو، الظهران.
- التاجر، محمد علي: عقد اللآل في تاريخ أوال، إعداد وتقديم إبراهيم بشمي، مؤسسة الأيام للطباعة والصحافة والنشر، البحرين، ١٩٩٤م.
- الجاسر، حمد: جمهرة أنساب العرب، الرياض، دار اليمامة، القسم الأول، ١٤٠٩هـ (١٩٨٨م).
- الجاسر، حمد: من سوانح الذكريات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦م) .
- الجاسر، حمد: في شمال غرب الجزيرة: نصوص، مشاهدات، انطباعات، الرياض: دار اليمامة، ١٩٧٠م.
- جريدة الوطن: تقرير عن آثار القريات، العدد (١٨).
- جريدة اليوم: العدد (٥٤٧٠) بتاريخ ١٤٠٨/١٠/٢٢هـ (١٩٨٨/٦/٧م).
- جريدة الجزيرة: العدد (٣٣٥٨) بتاريخ ١٧ محرم ١٤٠٢هـ (١٩٨١/١١/١٤م).
- جريدة الجزيرة: العدد (١٢٢٤٤) بتاريخ ٩ ربيع الأول ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦/٤/٧م).
- جريدة الجزيرة: العدد (١٢٢٣٧) بتاريخ ٢ ربيع الأول ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦/٣/٣١م).
- جريدة الجزيرة بتاريخ ١٤٢٧/٣/١هـ (٢٠٠٦/٣/٣٠م).
- جريدة الجزيرة: بتاريخ ١٤٢٧/٢/٢٩هـ (٢٠٠٦/٣/٢٩م) (رثاء).
- جريدة الجزيرة: العدد (١٢٢٤٢)، بتاريخ ٧ ربيع الأول ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦/٤/٥م).
- جريدة الجزيرة: بتاريخ ١٤٢٧/٣/١٧هـ (٢٠٠٦/٤/١٥م).
- جريدة الجزيرة: العدد (٣٣٥٨) بتاريخ ١٤٠٢/١/١٧هـ (١٩٨١/١١/١٣م).
- جريدة الجزيرة: العدد (١٢٢٣٧) بتاريخ ٢ ربيع الأول ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦/٣/٣١م).
- مجلة الجنان: الجزء (١٦) بتاريخ (١٥ آب ١٨٧١م)، تحت عنوان «العصيان في نجد».
- ابن جنيدل، سعد بن عبدالله: بلاد الجوف أو دومة الجندل: بحوث جغرافية، تاريخية، اجتماعية، أدبية، دار اليمامة، الرياض، (١٩٨١م).
- أبو حاكمة، أحمد مصطفى: تاريخ الكويت الحديث: ١٧٥٠ - ١٩٦٥م، ذات السلاسل، الكويت (د، س).
- الحربي، دلال بنت مخلد: نساء شهيرات من نجد، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ (١٩٩٩م).

- حكومة المملكة العربية السعودية: عرض بشأن قضية البريمي والنزاع بين مسقط وأبو ظبي والسعودية، ثلاثة مجلدات، القاهرة، المجلد الأول، ١٣٧٤هـ (١٩٥٥م).
- الخصوصي، بدر الدين: دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ج ٢، ذات السلاسل، الكويت، ١٤٠٨هـ (١٩٩٨م).
- ابن خميس، عبدالله بن محمد: تاريخ اليمامة، الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م).
- ابن خميس، عبدالله بن محمد: معجم اليمامة، الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، ١٣٩٨هـ (١٩٧٨م).
- دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٢٦٧) عابدين، وثيقة (٢) أصلية، (١٣٧) حمراء، مؤرخة في ١٩ محرم ١٢٥٥هـ (٤ أبريل ١٨٣٩م).
- دارة الملك عبدالعزيز: الرواد، الرياض، ١٤١٩هـ (١٩٩٩م).
- أبو دريّة، سعد ومهدي، عبدالمجيد: الجيش العربي، دبلوماسية الصحراء، (١٩٨٧م).
- الدوسري، عبدالله حمير سابر: واحة الشعر الشعبي، المجموعة السابعة، ط١، ١٤٢٥هـ (٢٠٠٤م).
- دون شاتي: جماعات البدو الرحل في الشرق الأوسط وشمال أمريكا، جامعة أوكسفورد، بريل، هولندا. (بالإنجليزية).
- الريحاني، أمين: تاريخ نجد الحديث، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨م.
- جريدة الزوراء: العدد (١٦٥)، جمادى الأولى ١٢٨٨هـ (١٧ تموز ١٨٧١م).
- زهران، سعد: ملوك وأمراء الدولة والدين في السعودية، (د. م.) (د. س.).
- الزعارير، محمد عبدالله: إمارة آل رشيد، بيسان للنشر والتوزيع، الأردن، (١٩٩٧م).
- آل زلفة، محمد بن عبدالله: عسير في عهد الملك عبدالعزيز، دورها السياسي والاقتصادي والعسكري في بناء الدولة السعودية الحديثة، دراسة وثائقية، ١٩٩٥م.
- السالمي، نور الدين عبدالله: تحفة الأعيان، ج ٢، مطابع دار الكتاب العربي بمصر، ١٣٨٠هـ (١٩٦١م).
- سبانو، أحمد غسان: آل سعود العائلة المالكة ، د. ت.
- السطام، إبراهيم بن خليف: الشؤون البلدية والقروية بمنطقة الجوف، تقرير غير منشور، (٢٠٠٦م).

- السديري، عبدالرحمن بن أحمد: ديوان القصائد، مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية بالجوف، ط (١) ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م).
- السديري، عبدالرحمن بن أحمد: الجوف: وادي النفاخ، مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، الجوف، ١٤٢٦هـ (٢٠٠٥م).
- السديري، خالد بن أحمد: قصائد من الوجدان، ط١، ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م).
- السديري، محمد بن أحمد: ديوان شعر، ط١، ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م).
- السديري، محمد بن أحمد: الدمعة الحمراء، الكويت، ١٩٨٠م.
- سلمان بن سعود بن عبدالعزيز: تاريخ الملك سعود ١٣١٩-١٣٨٩هـ (-١٩٠٢ ١٩٦٩م) نظرة علمية ورؤية تاريخية لدوره في توحيد المملكة وحكمها - الوثيقة والحقيقة، الجزء الأول: دار الساقي.
- سمور، زهدي عبدالمجيد: تاريخ ساحل عُمان السياسي في النصف الأول من القرن التاسع عشر، ذات السلاسل، ١٩٨٥م.
- الصباغ، عبداللطيف محمد: بريطانيا ومشكلات الحدود بين السعودية وشرق الأردن، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٩م.
- الظاهري، أبو عبدالرحمن ابن عقيل: أحمد السديري الأول، مجلة الدرعية، العدد الأول، السنة الأولى، محرم ١٤١٩هـ (مايو ١٩٩٨م).
- الظاهري، أبو عبدالرحمن ابن عقيل: ملحق كتاب إمتاع السامر بتكملة متعة الناظر لشعيب بن عبدالحميد بن سالم الدوسري، قدم له وعلق عليه محمد بن عبدالله الحميد وعبد الرحمن بن سليمان الرويشد، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ (١٩٩٨م).
- عفيف، أحمد جابر: الحركة الوطنية في اليمن: دراسة ووثائق، دار الفكر، دمشق ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م).
- العبادي، أحمد عويدي: مقدمة لدراسة العشائر الأردنية، الدار العربية للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- العبادي، عبدالله بن حسن: توطين البدو في المملكة. تحليل من منظور تاريخي- اجتماعي. رسالة دكتوراه غير منشورة. جامعة ميتشجان الحكومية، (بالإنجليزية)، ١٩٨١م.
- العقيلي، محمود: توطن القبائل البدوية في شمال المملكة العربية السعودية. رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة مانشستر. (بالإنجليزية)، ١٩٨٦م.
- العبد المحسن، إبراهيم بن عبيد: تذكرة أولي النهى والعرفان، ج ١، الرياض، مؤسسة النور، ١٣٩٩هـ

(١٩٧٩م).

- العتيبي، إبراهيم بن عويض الثعلي: تنظيمات الدولة في عهد الملك عبدالعزيز: دراسة تاريخية، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٤هـ (١٩٩٣م).
- علي، أحمد: آل سعود، مكة المكرمة، ١٣٧٦هـ.
- العقيلي، محمد بن أحمد: تاريخ المخلاف السليماني، دار اليمامة، الرياض، ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م).
- عسيري، علي أحمد عمر: حكام أبها ومقاطعاتها: أبها في التاريخ والأدب، نادي أبها، ط ١، ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م).
- العنزي، صالح بن حماد: «الحياة الاجتماعية والاقتصادية في منطقة الجوف خلال القرن العشرين»، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، ١٤٢٢هـ (٢٠٠٢م).
- أبو علية، عبدالفتاح: الدولة السعودية الثانية، دار المريخ للنشر، الرياض، ط ٦، ١٤٢١هـ (٢٠٠١م).
- أبو علية، عبدالفتاح حسن، ورفيق النتشة: المملكة العربية السعودية وقضية فلسطين، ١٤١٩هـ (١٩٩٩م).
- أبو علية، عبدالفتاح حسن: الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز، دار المريخ، الرياض، (١٩٩٧م).
- ابن عيسى، إبراهيم بن صالح: عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث والرابع عشر، ط ١، المطبعة العمومية، دمشق، ١٣٧٢هـ (١٩٥٣م).
- غرايبة، عبدالكريم محمود: مقدمة تاريخ العرب الحديث، ١٥٠٠ - ١٩١٨م، مطبعة جامعة دمشق، ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م).
- الغريب، خالد بن جابر: منطقة الأحساء عبر أطوار التاريخ، الدار الوطنية الحديثة، الخبر، ١٤٠٨هـ (١٩٨٨م).
- الفاخري، محمد بن عمر: الأخبار النجدية، دراسة وتحقيق وتعليق د. عبدالله بن يوسف الشبل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
- فاسيلييف، ألكسي: تاريخ العربية السعودية، دار التقدم، موسكو، (١٩٨٦م).
- فيلبي، هاري سانت جون: الذكرى العربية، تعريب د. عباس سيد أحمد، مراجعة عبدالله بن محمد المنيف، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٤هـ (٢٠٠٣م).
- قاسم، جمال زكريا: الخليج العربي دراسة لتاريخ الإمارات العربية في عهد التوسع الأوروبي الأول، دار الفكر العربي، القاهرة، (١٩٨٥م).

- آل كريع، الشيخ عبدالرحمن عطا الشايع: هدية الأصحاب في جواهر أنساب منطقة الجوف، ج ٢، (د، م) (د، س).
- كنغ، جيفري: رسالة ذكريات مخطوطة.
- كول، دونالد، وثريا التركي: بدو ومتوطنون وصناع إجازات، التغير الاجتماعي عند سكان السواحل الشمالية الغربية في مصر، منشورات الجامعة الأمريكية بالقاهرة (بالإنجليزية)، ١٩٩٨م.
- من مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، ج ٣، ص ٢٧٣ – ٢٧٤.
- مجلة القريات: تقرير عن آثار القريات، العدد (٣٥).
- المسلم، إبراهيم: عبدالعزيز بن سعود وشخصيات في الذاكرة، دار الثقافة للنشر (د، س).
- ابن مشرف: ديوان شعر، د. ت.
- المطوع، عبدالله: عقود الجُمان في أيام آل سعود في عُمان، ١٤١٧هـ.
- المعيقل، خليل إبراهيم: «الجوف في عهد الملك عبدالعزيز»، رسالة العروبة، نادي العروبة، الجوف، ١٤٢١هـ (٢٠٠١م).
- المُغيري، عبدالرحمن بن حمد بن زيد: المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب، (د، م) (د، س).
- مهنا، محمد نصر: تحديث الخليج العربي، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٠م.
- موزل، الويس: أخلاق الرولة وعاداتهم. ترجمة د. محمد السديس. ط٢: مكتبة التوبة، الرياض، ١٤١٧هـ.
- الوثائق الهاشمية، أوراق عبدالله بن الحسين، مجلد (١٠)، طبع عام ١٤١٨هـ (١٩٩٧م)، وثيقة رقم ٦٦/ ٢٢٤ – ٦/٢٠٠، ووثيقة رقم (٦٧) (٢٢٥ – ٦/٢٠٠) مؤرخة في ١٣٦٦/٢/٨هـ، وثيقة رقم (٤) (٨ – ١٧٥) مؤرخة في (١٩٢٩/٢/٢٨م)، وثيقة رقم (٦٥ – ٤١٤) خطاب رقم ٢١٢٠/٣/٢٤ في ١٣٦٠/٦/١٨هـ، مجلد (١٠)، وثيقة رقم (٦٧ – ٤١٤)، مؤرخة في ٢١ جمادى الآخر ١٣٦٠هـ، وثيقة رقم (١٥٤ – ٤١٤)، في ٢ رمضان ١٣٦٥هـ، وثيقة رقم (٦٣–٣٤٥) مؤرخة في ٢٤ سبتمبر ١٩٣٠م، وثيقة رقم (٧٠–٣٤٥) مؤرخة في ١٩٣٠/٧/٣٠م، وثيقة رقم (٧١–٣٤٥) في ١٩٣٠/١٠/٩م.
- وزارة الشؤون البلدية والقروية، التخطيط الحضري والتنمية العمرانية، المديرية العامة للشؤون البلدية والقروية في المنطقة الشمالية، سكاكا الجوف، ١٤٠٨هـ.
- الناصر، عبدالرحمن: عنوان السعد والمجد (مخطوط)، ورقة ٣٣.
- النعيم، مشاري عبدالرحمن: الحدود السياسية السعودية: البحث عن الاستقرار. دار الساقي، لندن، ١٤١٩هـ (١٩٩٩م).

- نواف، العقيد الركن المتقاعد فاروق: تاريخ الجيش العربي الأردني، ١٩٢١ – ١٩٦٧م (د، س) (د، م).
- النواق، عبدالله بن قاسم: قبيلة الشرارات بنو كلب: موطنهم والانتماء وقول الكتّاب والشعراء. مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٩٩٣م).
- الهادي، فارس هداج: «تطور القطاع الصحي بمنطقة الجوف»، رسالة العروبة، نادي العروبة، ١٤١٩هـ.
- هاريسون، روجر : جريدة عرب نيوز الإنجليزية، «مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية،» ٢٢ رجب ١٤٢٤هـ (١٨ سبتمبر ٢٠٠٣).
- الوليعي، عبدالله بن ناصر: الشماسية، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، ١٤١٠هـ (١٩٨٩م).

المملكة العربية السعودية
وزارة الداخلية

الرقم
التاريخ
التوابع

حضرة صاحب السمو الملكي وزير الداخلية الأمير نايف بن عبد العزيز حفظه الله
بعد التحية والإجلال ،،
حيث نعلم بأن هناك لجنة من سموكم [illegible] مشاكل تنمية [illegible] في [illegible] الشمال ،
وبما أن تلك الجهات يا صاحب السمو بحكم بعدها عن [illegible] وعدم وجود مشاريع إنمائية فيها مما تعرضت له
من الجفاف التي أفقد البادية ما شيتها مما سبب لنا مشاكل اجتماعية [illegible] أكثر وتتحول [illegible]
بالنسبة للبادية ما لم تتداركها عناية الله ثم عناية حكومة صاحب الجلالة الملك المعظم ،
ولما أنه سبق أن كلفت الحكومة عدة لجان وزارية وقد أوصت هذه اللجان بعدة توصيات [illegible]
في تقرير اللجنة الوزارية عام ٨٢ والتي أتشرف برفعه إلى [illegible] سموكم [illegible] بخصوص منطقة الجوف والقريات
[illegible] ما تم تنفيذه راجيا أمر سموكم بما يلزم نحو هذه التوصيات التي جاءت كنتيجة لدراسات [illegible]
[illegible] التنفيذ ،
ولا يفوتني بهذه المناسبة إلا أن ألفت نظر سموكم إلى أن أهم ما يمكن أن [illegible]
والبداية بحل مشاكلها [illegible] سواء بدراسات مشروع البادية الزراعي [illegible]
الدراسة الآن لأن البداية [illegible]
[illegible] أرجو أن يكون مثال حسن يمكن أن يحتذى به [illegible] مشروع البادية [illegible]
[illegible] ما أرجوه ولسموكم دوام التوفيق والسداد

أمير الجوف

عبد الرحمن السديري

مراجع بالإنجليزية

- Al-baharna, Husain M., The Legal Status of the Arabian Gulf, Manchester University Press.
- Al-Wasmi, Khalid, Oman Enter L'Independence Et L' Occupation Coloniale, Publications Orientalisties, de France.
- Arabian Boundaries, Primary Documents, 1853 – 1957, Richard Schofield and Gerald Blake, Archives Editions, 1988.
- Alradihan, Khaled (2001). Nomadic sedentarisation, with special reference to the Shararat of Saudi Arabia, Doctoral Thesis, University of Wales, Swansea.
- Alradihan, Khaled (2006). Adaptation of Bedouin in Saudi Arabia to the 21st Century: Mobility and Stasis among the Shararat", In: Nomadic Socities in the Middle East and North Africa, Edited by Dawn Chatty. Published by: Brill.
- Atichison, Collections of Treaties, Vol. IX, Calcutta, 1892.
- Bligh, Alexander, From Prince to King, Royal Succession in House of Saud in the Twentieth Century, New York University Press, New York, 1884.
- De Gaury, Gerald, Faisal, King of Saudi Arabia, London, 1966.
- Dickson, H. R., Kuwait and Her Neighbours, London.
- El-Erris, Tarik, Saudi Arabia, A Study in Nation Building, The American University, Congress Library, No، 65-5699،
- El-Farra, T (1973) The Effects of Detribalizing the Bedouin on the internal cohesion of an emerging state: the Kingdom of Saudi Arabia. PhD dissertation. University of Pittsburgh.
- Encyclopedia of Modern Middle East, Edited by Reva S، Simion, Philip Matter and Richard Bulliet, London, 1996،
- F. V. Winnett and W. L. Reed, Ancient Records from North Arabia, Toronto: UTP, 1970.
- F.O. 195, 803A., Translation of Arabic News from the Consul General (Baghdad) to the
- British Embassy, Constantinople, dated on 3rd March, 1869.
- F.O. 371 / 23274, Annual Report, 1938.
- F.O. 371/114874, ES 1015/18.

- F.O. 371/23274, Annual Report on Saudi Arabia, 10 May, 1939.
- F.O. 371/27268, 14 + / 5 Feb., 1941.
- F.O. 371/27268, dated on 26 Feb. 1941.
- F.O. 406/71, Enclosure in No. 3, Personalities, in Saudi Arabia, Index.
- F.O: 371/16856, April, 1933.
- G. F. Walford, The Arabian Locust Hunter, London: Robert Hale Ltd., 1963.
- Gazetter of Arabian Tribes, vol، 3, Archive Editions, 1996،
- Holden, David, The House of Saud: The Rise and Rule of Most Powerful Dynasty in the Arab World, New York, 1981.
- Huyette, Political Adaptation in Saudi Arabia, A Study of the Council of Minsters, Westview Special Studies in Middle East.
- India Office Records, L/P + S/18.
- India Office Records, L/P + S/20/C229.
- Irade Masali – 1 Mũhimme, No. 2437, 19 Muharam, 1259 H.
- Irade Masali – 1 Mũhimme, No، 1798, 23 Rabiá 1, 1258،
- John R. Bradley, Saudi Arabia Exposed, New York: Palgrave Macmillan. 2005.
- John R. Bradley, Saudi Arabia Exposed : Inside a Kingdom in Crisis, Updated Edition, London: Palgrave Macmillan, 2005.
- Lacey, Robert, The Kindom, New York, London.
- Lackner, Helen, A House Built On Sand; A Political Economy of Saudi Arabia, Ithaca press, 1978.
- Landen, Robert Green, Oman since 1856; Modernization in a Traditional Arab Society, New Jersey, 1967.
- Lankester, William, Rwala Bedouin Today
- Lorimer, G. J., Gazetteer of Persian Gulf, vol. 2, Calcutta, 1915, p. 1359.
- Mann, Clarence C., Abu Dhabi, Birth of an Oil Shaikhdom, Khayat, Beirut, 1969.
- Palgrave, W. G., Narrative of a Year's Journey Through Central and Eastern Arabia, vol. 2, London, 1963.
- Pelly, Lewis, Report on a Journy to the Wahabee Capital, Riyadh, Bombay Printed for Government, Byculla, 1866.

- Peterson, J. E., History of Saudi Arabia, London, 1993،
- Philby, H. St. J. B., Arabia Jubilee, London, First Edition, 1952.
- Public Record Office, Foreign Office (F.O) No. 406/71/ Enclosure in No. 6, Jeddah Report, dated on June, 1933, Inernational Affairs.
- Records of Jordan, 1919 – 1965, Vol. 3, Archive Editions; Vol. 4 (1932 – 1939) Edited by Jane Priestland, 1996.
- Records of the Hashimite Dynasties, Vol. 6, Trans Jordan, Amire Abdullah, Archive Editions, 1995.
- Ruling Families of Arabia, The Royal Family of Al-Saud, Edited by A. de L. Rush, vol. 1.
- Salil Ibn Razik, History of the Imam and Seyyids of Oman, Translated from Arabic to English by George Percy Badger, New York.
- Selections from the Records of the Bombay Government, No. XXIV, Series.
- The International Who\s Who of Arab World, London, 1984.
- The National Archives of the U.S.A., Microfilm R G 59/LM168, Document No. 890F. 00/12-345, dated on Dec. 3rd, 1945, from Parker T. Hart, American Consul, Dhahran to the Secretary of State, Washington D.C. Rivalry between Amir of Al-Hasa and the Amir of Dhahran District.
- The National Archives of the U.S.A., R. G. 59/L M 189, No. 786 A.02/ 11 – 1451, Chart of Saudi Arabia Government, from American Embassy, Jidda to Department of State, June 11, 1951.
- Twitchell, K.S., Saudi Arabia with an Account of Its Natural Resources, Princeton University, 1953.
- Winder, R. Bayly , Saudi Arabia in the Nineteenth Century, New York.

صور



في شبابه

(فوق) يستقبل الأمير سلطان بن عبدالعزيز والأمير سلمان بن عبدالعزيز، وفي الصورة مساعد بن أحمد السديري، ويستقبل في الصورة الثانية الأمير تركي بن عبدالعزيز (نائب وزير الدفاع والطيران آنذاك) في الجوف.





في أثناء زيارة الأمير تركي، ويرى في الصورة العلوية د. ناصر السلوم (يمين) وسلطان بن عبدالعزيز الأحمد السديري، ويظهر عن يمين الأمير تركي كل من محمد مطر وحامد مطاوع.





مستقبلاً الأمير نايف بن عبدالعزيز في الجوف الذي يستعرض نماذج من تراث المنطقة وصناعاتها التقليدية، ويبدو في الصورة العلوية الشيخ عبدالرحمن العريني.





(في الأعلى) مع الأمير أحمد زائراً الجوف ويبدو إلى طرف يمين الصورة أخوه بندر بن أحمد السديري،
وفي الصورة الثانية يستقبل الأمير خالد بن سلطان في رحلة قنص بالشمال.





يستقبل وزير الصحة فيصل الحجيلان (إلى أعلى)
وعبدالرحمن العتيقي (من الكويت) وعبدالعزيز البابطين (يمين الصورة الثانية).





يصطحب في الجوف حمد الجاسر وعبدالله بن خميس، ويستقبل في الثانية (رجل الأعمال) محمد بن إبراهيم السبيعي.





(إلى أعلى) يعرض عليه ابنه د. سلمان نموذج أحد نشاطات مهرجانات الجوف.
وفي الثانية يؤدي العرضة في إحدى المناسبات.





صورة جماعية تضم مرافقيه في إحدى رحلاته العلاجية إلى أمريكا (جالساً إلى اليسار) ويبدو الحميدي بن هليل (وسط) ومضيفه الأمريكي (تمبل سميث من هواة تربية الخيول يسار)، ومن الواقفين: محمد بن منصور (إلى اليسار) ود. زياد ود. سلمان، وعقيل بن سمر بن عطية ومحمد بن سعران، وآخرون، وفي الصورة الثانية مع محمد عثمان السويح (يمين).





يستقبل الأهالي في الأعلى، ويرعى احتفالاً في الثانية، وفي الصورة مدير شرطة الجوف اللواء صالح بن علي بن شويل القحطاني (وسط) وعبدالخالق العمري.





أبناؤه (من اليمين): عبدالعزيز وفيصل وسلطان ود. زياد ود. سلمان، وفي الصورة الثانية مع أحفاده: مرام بنت سلطان (يمين) وعبدالله بن تركي بن سعد، وطارق بن زياد وأحمد بن سلطان وريم بنت تركي السعد السديري (يسار).





يداعب صغاراً من أسرته (في الصورة العلوية): (من اليمين) سبطه بدر بن تركي بن خالد، وحفيدته لطيفة بنت د. سلمان، وحفيده محمد بن سلطان و (من اليسار) فهد وفهدة بنت محمد أبو نيان سبطا تركي بن خالد بن أحمد السديري. (وفي الأسفل) يحضر حفلة للأطفال في روضة الجوف ومن خلفه حمود سلامة العبكلي.





في إحدى المناسبات وبجواره ابنه سلطان ثم محمد بن درزي الدغمي،
وهو يلقي كلمة في الصورة الثانية.







(أعلاه) يرعى إحدى المناسبات، وإلى جواره ابنه د. زياد وعبدالرحمن الملحم ود. فارس الحمد ويوسف الحشاش وآخرون وفي الخلف عبدالله الغميز وسلامة الوقيد. وفي الثانية يزور شركة الجوف الزراعية في وادي السرحان (١٤٠٩هـ) ويبدو مدير الزراعة إبراهيم الحلواني (يسار) ومعاشي ذوقان (يمين).



يستضيف السفير الأمريكي باركر هارت في الستينات الميلادية، وفي الخلف عبدالعزيز الدخيل وقريطان بن حياة الشراري (جالسين) وعبدالله الخوصان وسالم بن دماغ المري (واقفَين)، (ظهرت الصورة على غلاف كتاب للسفير بعنوان: السعودية وأمريكا صدر عام ١٩٨٩م).





يؤدي العرضة.





إلى أعلى: يستقبل الأمير خالد الفيصل. وفي الثانية: يطّلع على مجسم معماري لمسجد ويبدو فيها صالح المتروك البليهد ومحمد الغالبي ويوسف الحشاش وغيرهم.





أعلاه: يستقبل الأمير عبدالله بن عبدالعزيز بن مساعد وبينهما جالساً ابنه د. سلمان السديري ويبدو (واقفاً) العقيد محمد زين طاهر مدير شرطة الجوف، والعقيد أنور فهمي مدير الدفاع المدني. وفي الثانية: يؤدي العرضة ويرى فيها عبدالله الجضعان وصالح النمش ومحمد القعيد وغيرهم.





يتذوّق في الصورة العلوية ماء بئر ارتوازية نافورية في دومة الجندل، ويبدو من خلفه هزاع الجنيفي (يسار)، وفي الثانية أثناء زيارته إلى لبنان، لم نتمكن من التعرّف على الحاضرين.



مع أخيه خالد.







يتوسط في الصورة العلوية الأميرين سعود الفيصل (يمين) وعبدالرحمن الفيصل ويبدو في الثانية بين ناصر العبدالله السديري (يسار) ومساعد بن أحمد السديري ثم نايف بن مساعد السديري.





يتوسط في الصورة العلوية أخاه مساعد (يسار) وسعود بن زيد آل رشود (أخواله)، وفي الثانية – في لبنان غالباً – حيث يبدو حمد السماحي (يمين) ثم مساعد السيف وغيرهما.





(الصورة العلوية) في لبنان ويبدو في الوسط محمد بن سليمان الزبن،
(وفي الثانية) يستقبل في الجوف وزير الزراعة حسن المشاري.





(أعلاه) يزور إبراهيم بن سليمان العقيل (السفير في مصر)، وفي الثانية صورة تجمعه بأخيه مساعد.





(أعلى) مع مساعد السيف، ويتوسط الجالسين في الثانية بين أخويه تركي (يمين) وخالد، ومحمد بن صالح العذل ومدير الشرطة محمد زين طاهر، ويبدو – من الوقوف – تركي بن خالد وعبدالرحمن بن تركي وسلطان بن تركي ومتعب بن خالد ومحمد بن أحمد بن خالد وتركي بن سعد التركي السديري وغيرهم.







في مناسبة سباق، ويبدو في خلف الصورة العلوية مشعل الندا السهيان ومحمد الغالبي (يمين).



مع مدير مكتبه محمد اليونس الهذيل.





كشاف الأسماء والمواقع*

* لم يتم تكشيف لفظة الجوف، والسدارى (أسرة السديري)، وعبدالرحمن بن أحمد السديري - شخصية الكتاب - نظراً لكثرة ورودها.



في مناسبة بالجوف بجوار الأمير ماجد بن سعود بن عبدالعزيز، ويظهر في يسار الصورة ناصر البليهيد وعبدالله السابق.

أ

ب

ت

ث

ج

ح

خ

د

ر

ز

س

ش

ص

ض

ط

ظ

ع

ق

ك

ل

م

ن

هـ

و

ي

ملحق لوصيته التي حررها قبيل إجراء عملية القلب بأمريكا (رمضان المبارك ١٣٩٤هـ)، يحث فيه أسرته على استكمال وقفه في الجوف وإصدار كتابه عن المنطقة.



ولا يفوتني في هذه المناسبة، أن أنوّه لخادم الحرمين الشريفين، عن التاريخ المشرّف لمنطقة الجوف، منذ اللحظات الأولى لقيام الدولة السعودية تحت لواء الملك عبد العزيز وحتى الآن.

فمنطقة الجوف، كانت من البلاد التي فتحت أبوابها للحكم السعودي، وسعى أهلها لطلبه ومساندته، وإن أهل الجوف، حاضرة وبادية، كانوا دائماً على استعداد لبذل أنفسهم وممتلكاتهم، استجابة لأوامر حكومتهم، سواء في أيام الحكم الأولى، التي كانت تستلزم الكفاح المسلح، أو في الوقت الحاضر، الذي، بحمد اللّه، لا يستلزم إلا التقوى والاستقامة والشكر للّه على نعمه الكثيرة، والعمل على المحافظة عليها.

ولذا، وعلماً بأن لا كمال إلا لوجه اللّه، فالحق يقال بأن الجوف خلت من كثير من الأخطاء . وإن أهل الجوف، كانوا وما يزالون، فئة يغلب عليهم الصلاح والولاء لمليكهم، وهم لذلك يستحقون رعاية خادم الحرمين الشريفين وعنايته.

عبدالرحمن السديري

من خطاب طلب التقاعد (ص ١٢٧)

ردمك: ٩٩٦٠ – ٩٥٩٩– ٧–X